اللغة العربية
بين التهجين والتهذيب
"الأسباب والعلاج"

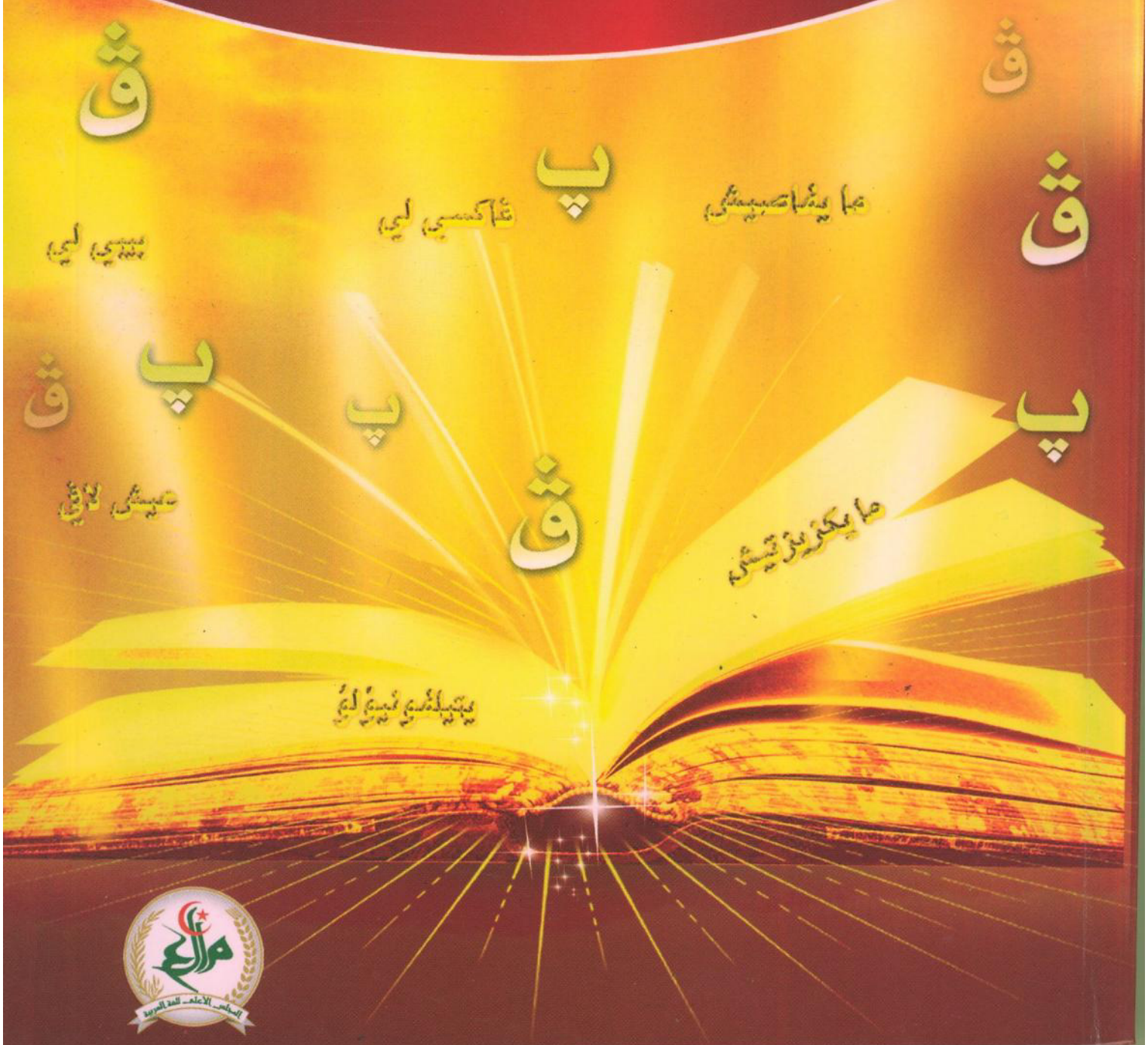

المجلس الأعلى للغة العربية

اللغة العربية
بين التهجين والتهذيب

الأسباب والعلاج

- **كتاب:** اللغة العربية بين التهجين والتهذيب "الأسباب والعلاج"
- **إعداد: المجلس الأعلى للغة العربية**
- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات : 424**

الإيداع القانوني: 2010-2317 **ردمك:** 978-9947-821-46-6

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرونكلين روزفلت - الجزائر

ص.ب 575 **الجزائر _ ديدوش موراد**

الهاتف: 021.23.07.24/25 **الفاكس:**021.23.07.07

الفهرس

الكلمة الافتتاحية	د.محمد العربي ولد خليفة (رئيس المجلس)	05
المداخلات		
- التهجين اللغوي : المخاطر والحلول	د. صالح بلعيد	17
- التهجين اللغوي في الحوار التخاطبي	د. صفية مطهري	31
- التهجين اللغوي في جزائر العهد العثماني	د. عبد الجليل مرتاض	53
- التهجين في الجزائر (مدينة تيزي وزو أنموذجا) دراسة وصفية تحليلة	أ. حياة خليفاتي	79
- واقعنا اللغوي بين تقويم اللسان وتيسير ضوابط التعبير والبيان	د. عبد الكريم بكري	129

- التباين اللغوي بين الفصحى واللهجة العربية "الهجين أنموذجا"	د. سيدي محمد غيثري	143
- اللغة العربية الفصحى في الممارسة اللغوية لمتعددي اللغات	أ. كريمة سالمي	151
- الإذاعة وسبل التقريب بين العامية والفصحى "من أجل نشر اللغة العربية بين الجمهور"	أ. عمر ديدوح	165
- الهجين اللغوي في الإعلانات الإشهارية الصحفية	أ. خلوفي صليحة	181
اللغة العربية بين رقي القوانين والتعبير اليقين وآفة التهجين	د. أحمد عزوز	209
بواعث التقعيد بين التأصيل والتجديد	أ. سعاد بسناسي	223
التهجين اللغوي :	د. عمر لحسن	23

أسبابه ومظاهره		3
اللغة والتهجين : تجاذبات وتنافرات	أ. فيصل الأحمر	247
مداخلات الورشة		
استثمار وتهذيب الرصيد اللغوي في المدرسة الجزائرية "تهذيب وتفصيح لغة الطفل في المدرسة"	د. جيلالي بن يشو	259
إصلاح مناهج اللغة العربية في التعليم في ظل المستجدات "المقاربة بالكفاءات أنموذجا"	أ. نصيرة زيد المال	279
سبل تيسير النحو العربي	أ. نسيمة نابي	299
ما بين اللغة العربية الفصيحة والعامية "الفصحى المعاصرة"	أ. ويزة اعراب	319
لغة الجزائريين عقدة أو قدرة	أ. حكيم رحمون	333

واقع التهجين اللغوي في المدرسة الجزائرية أبعاده وأسبابه السسيولسانية	أ. فتيحة حداد	347
أسباب الهجين اللغوي	أ. حمو نعيمة	375
المناقشة **389**		
الملاحق **397**		
1- إشكالية اليوم الدراسي		399
2- الجدول الزمني		401
3- التوصيات		403
4- اليوم الدراسي في وسائل الإعلام		407

الكلمة الافتتاحية

السيّدات والسادة الأساتذة الأفاضل

ضيوفنا الكرام

أيها الجمع الموقر

أشكركم جميعا على تلبية دعوة المجلس لتدارس واقعنا اللغوي والنظر في أسباب ما طرأ عليه من اُختلال وتشوه، والبحث في كيفيات إصلاحه، والعمل على تقريبه من الفصحى الحديثة الميسرة والمتداولة في المدرسة والإعلام، وهما من بين الوسائط الأكثر تأثيرا لتعميم وتوحيد لغة الخطاب اليومي بين النخبة والجمهور.

لقد لقيت دعوة المجلس لهذا اليوم الدراسي استجابة واسعة بين المختصين في جامعاتنا ومراكز البحث ولدى الباحثين من شبابنا الواعد، والكثير من المهتمين بما آل إليه حال العربيّة في أوطانها بوجه عام وفي الجزائر بوجه خاص، وهي تعاني من الحصار في أوساط النخبة المعنيّة بالتدبير والتفكير والتسيير، وتتسلل إليها الرطانة لدى عامة الناس وينخر متنها داء التهجين وتفقد رصيدها من

المفردات والتعابير المتداولة إلى عهد قريب في مجتمعنا بين المتعلمين وغير المتعلمين.

السيّدات والسادة الأساتذة ... الحضور الكرام

نعتبر التلوّث اللغوي ظاهرة طارئة إذا رجعنا إلى المدوّن أو المحفوظ في الذاكرة من تراثنا الشعبي القريب جدا من الفصحى، كما نجده في الشعر الملحون والقصص والأمثال والأغاني والأناشيد الوطنيّة التي تخلو كلّها من الهجين إلا في النادر، وتتميّز بالعفويّة وسلاسة التعبير وبلاغة المعنى، سواء أكانت بالعربية أم بالأمازيغيّة، وهو ما يصدق أيضا على لغة المسرح والتمثيليات المقدمة في الإذاعة التي أُعتمدت الفصحى ونصوصا من التراث العربي الإسلامي القديم والحديث.

السيّدات والسادة الأفاضل ... أيّها الجمع الموقّر

لا حاجة للإشارة إلى نشأة اللغة وتقعيدها وتطوّر معجمها في الزمان والمكان، ففي هذا الموضوع أدبيات غزيرة كان للمتقدمين من العلماء العرب والمسلمين قصب السبق

في أكتشاف قوانينها وانساقها المعرفيّة والبيانية كما حظيت بأهتمام المتأخرين من علماء فقه اللغة واللسان في الغرب الأوروبي الأمريكي منذ ما يزيد على قرن.

وعلى الرغم من التقدّم الهائل الذي شهدته اللسانيات منذ منتصف القرن الماضي واستعانتها بالتجارب المخبريّة والرياضيات والعلوم المجاورة، فلا زال الجدل دائرا بين المختصين حول النظام الداخلي للغة الطبيعيّة ومستويات التخاطب والتواصل بين الناطقين بها، وعلاقة الرصيد المعجمي بدلالات الكلمات وما يطرأ عليها من تغيير حسب الموقف التخاطبي الذي يخضع للتراتب الاجتماعي الموروث أو المستجد في سلّم القيم المنظمة للمرجعيات الجماعيّة والسلوكات اللغويّة المتّصلة بالطبقة والمهنة والمستوى التعليمي.

ينبغي التمييز بين التهجين أو ما يعرف بالكريوول (CREOLE) وهو تداخل نظامين لغويين مختلفين في قواعدهما النحوية والصرفية وبنيتهما الصوتية وبين الأقتراض بين لغتين تنتميان إلى شجرة لسانية واحدة مثل اللغات السامية، كما هو الحال في أقتراض اللغة العبريّة الكثير من

مفرداتها من العربيّة وتبنيها لقواعدها النحوية والصرفيّة.

وقد يرجع الافتراض إلى الانتماء إلى مرجعيّة حضاريّة واحدة كما هو الحال في علاقة العربية باللغتين الفارسيّة والتركيّة، فعلى الرغم من أنّ الفارسيّة تنتمي إلى عائلة اللغات الهندية الأروبية إلاّ أنّ نسبة المفردات العربيّة فيها تزيد على 35% في أدبياتها المكتوبة والخطاب المحكي، كما هو الشّأن في اللغة التركيّة فعلى الرغم من تخلّي أب جديتها في عشرينيات القرن الماضي عن الحرف العربي وٱعتمادها الحرف اللاتيني فقد بقي الكثير من المفردات العربيّة مستعملة في الخطاب اليومي وعلى واجهات المؤسسات الحديثة.

ويمكن أن نلاحظ ظاهرة الاقتراض من العربيّة في اللغات الشائعة في غرب إفريقيا وشرقها مثل الولوف والسواحيلي، وليس الاقتراض فحسب، بل هي اللغة الأولى أو الثانية في عدد من البلدان مثل التشاد والسينغال ونيجيريا وكينيا وطانزانيا...

كما ٱمتدّ الاقتراض إلى الضفّة الشماليّة من المتوسط عن طريق الحضارة الإسلاميّة الزاهرة في الأندلس وصقلية وقبرص وجنوب

فرنسا والبرتغال وقد أحصى الباحثون ومنهم معالي د. بوعلام بن حمودة قواميس أو أدلة عن المفردات العربيّة المستعملة في اللّغات الإسبانيّة والفرنسيّة والإيطاليّة والإنكليزيّة والجرمانيّة.

وبالتالي فإنّ الاقتراض بين اللّغات ظاهرة قديمة ومتواصلة مثلما يحدث بين بنوك صرف العملات والعملة الأقوى برصيدها المعرفي وتفوقها الثقافي وثروتها المعجميّة وقوّة دولتها هي التي تفرض نفسها في سوق المبادلات اللغويّة وهو ما تختصّ به اليوم اللغة الانكليزيّة وأُمتدادها الأمريكي.

السيّدات والسادة الأساتذة ... أيّها الحضور الكرام

اللغة هي سلطة الثقافة وركن الهويّة الجماعيّة ولا أهميّة لها بدون مستخدميها، فإذا تراجعت وشابها الهجين وكثر فيها الدخيل تزعزعت الذات الثقافية وضعف الانتماء وأقبلت شرائح من النخبة إلى الهجرة إلى لغة أخرى، وغالبا ما تكون لغة المستعمر السابق الذي خطط لأُحتلال الألسنة والعقول لضمان النفوذ والتبعيّة إذا غادر الديار والحقول.

أيّها الجمع الموقّر:

للتلوّث اللغوي أسباب تاريخيّة نذكر بعضها ليس لتبرير ظاهرة التهجين المتزايد وإنّما لتفرّد الحالة الجزائريّة عن بقيّة الأقطار العربيّة الأخرى التي تجتاحها العاميات بدرجات متفاوتة، حتى في مدرجات الجامعة وينتشر فيها التهجين على الألسنة على مرأى ومسمع من مجامع اللغة العربيّة التي كثيرا ما تبقى مشاريعها وتوصياتها حبرا على ورق.

من بين الأسباب التي تخصّ بلادنا:

1- تدمير الدولة، وطمس معالمها ورموزها وعزلها عن محيطها الطبيعي المغاربي والعربي، وكانت تلك هي البداية للأستيطان والإلحاق بفرنسا ظلما وعدوانا، وهو ما لم يتعرّض له أيّ بلد في المنطقة.

2- بعد حوالي ثلاثة قرون من الخلافة العثمانيّة والحضور التركي على رأس السلطة في الجزائر، بقيت العربيّة هي اللغة السائدة على المستوى الشعبي وفي الإدارات المحليّة واُقتصر تداول اللغة التركيّة على ديوان الدايات والبايات وعائلاتهم القليلة العدد، وباُستثناء بعض

الألقاب وأسماء بعض المهن والأكلات التركيّة الأصل لم يكن هناك أيّ تأثير للغة التركيّة في الجزائر.

3- عمد الاحتلال منذ بداية عدوانه على الجزائر إلى استئصال النخب المتعلّمة وملاحقة من بقي منها على قيد الحياة، وقد حدثت خلال كل تلك الفترة هجرة كبيرة خارج الوطن بسبب القمع والأُضطهاد وحكم الكافر لدار الإسلام، بناء على فتوى صدرت في تلك الفترة، ومن المهمّ أُستكمال دراسة ذلك النزيف المبكر لعلماء الجزائر ومثقفيها والتنقيب عن آثارهم ومسارهم في بلاد الجوار المغاربي وفي المشرق، وتأثير الفراغ الثقافي الناجم عن هجرة النخبة، وقد يكون ذلك من أسباب عدم تطوير مناهج التعليم الأهلي في الزوايا والكتاتيب أو المعمرات التي كانت آخر قلاع الإسلام والعربية.

4- أدت العوامل السابقة إلى محاصرة العربية في آخر مواقعها الدفاعيّة وتفقير رصيدها من المفردات والتعابير الحديثة الخاصة بشؤون الإدارة ومستجدات الحياة العصرية في مجتمع أُنتشرت فيه الأمية وتكاثر فيه الأجانب المستوطنون وتسلطوا

على الكثير من المدن واُغتصبوا الأراضي الخصبة في شمال البلاد وشريطها الساحلي بوجه خاص، ونتيجة لسياسات القمع والتفقير والتجهيل فرض الاحتلال على الأغلبية من الجزائريين عمل السخرة في مزارعهم ومعاملهم وبيوتهم التي لا تستعمل فيها سوى الفرنسية.

5- لم يكتف المخطط الإجرامي للاحتلال الفرنسي على محاصرة العربيّة واُعتبارها لغة أجنبيّة بل عمل على إضعافها وتخريبها من الداخل ففي سنة 1954 أصدرت لجنة التعليم الابتدائي القرار التالي: "إنّ لهجة التعامل بين الأهالي هيّ اللغة العاميّة والفصحى لغة ميّتة وأمّا العربية الحديثة فهي لغة أجنبيّة وتعليمها من أشكال القمع.

6- من السهل تبيّن دوافع وأهداف تلك التعليمة وهي تفكيك الهويّة من داخلها وقطع أواصر الانتماء إلى الثقافة والحضارة العربية الإسلاميّة وتجفيف الرصيد اللّغوي للجزائريين، وتركهم في منتصف الطريق بين لغتهم وتراثهم الأصلي وبين لغة وثقافة القوّة الكولونياليّة المهيمنة ولذلك اُتّجهت النخبة القليلة العدد لتعلّم

لغته واُضطرّ جمهور الناس لاُستعمال المفردات والتعابير الأجنبيّة بسبب عدم التعامل بمقابلاتها العربية وقلّة تواردها في الإعلام والتعليم المحدود جدّا واُنعدامها في إدارة الاحتلال.

7- هناك علاقة سببيّة وثيقة بين قوّة الدّولة وتجانس المجتمع وبين اُزدهار اللغة وتقدّم علومها وإشعاع ثقافتها ونجد في توصيف وتفسير اُبن حزم (384-456) هـ (964-1036) م قبل حوالي ألف عام ما يصدق على حالة الجزائر قبل التحرير وما آل إليه وضع المنطقة العربيّة كلّها نتيجة لما تعانيه من تخلّف وتبعيّة واُنكسارات متتالية واُندهاش وحيرة أمام طوفان عولمة طاغية لا تشارك فيها إلا بالنزر اليسير.

يقول اُبن حزم في مدوّنته الشهيرة الإحكام في أصول الأحكام: "إنّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واُختلاطهم بغيرهم، فإنّما يقيد لغة الأمّة وعلومها وأخبارها قوّة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمون منهم موت

الخواطر وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم (...) وهذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة..

إنّ البحث عن جذور ظاهرة التهجين وأسبابها التاريخيّة لا يعفينا نخبا ودولة ومجتمعا من معاينة تفشيها على نطاق واسع في السنوات القليلة الماضية والتساؤل عن الأداء الوظيفي للغة في المدرسة ووسائط الإعلام ومدى تأثير الثنائية اللغويّة في أغلب المعاملات الإداريّة حيث لا تخلو مطبوعة أو ٱستمارة من مقابل لمضمونها باللغة الفرنسيّة، وكأنّ مجرّد إضافة كلمات بالعربيّة يعني تبرئة الذمّة والإشارة ضمنيا إلى أنّ تلك المعاملات تحدث في الجزائر، وليس على الضفة المقابلة من البحر المتوسط.

أيّها السيّدات والسادة

يرجع تزايد التهجين كذلك إلى ٱنتشار الأغاني المنسوبة لهذا الشاب أو ذلك، مهما كان عمره، أغاني توضع لغتها الهجينة لتسوّق أولا وراء البحر لأغراض تجاريّة ولٱكتساب الشهرة السهلة دون ٱهتمام بسلامة اللغة وجمالياتها وخاصّة في فنون القول الغنائي، فضلا عن تواجد حوالي

مليون من الجزائريين المهاجرين في فرنسا وأغلبيتهم من العمال الذين يتصلون بعائلاتهم في الوطن التي تعد بعشرات الآلاف، إما باللغة الفرنسية أو بهجين من العامية والمفردات الدخيلة.

وهناك بالتأكيد عوامل أخرى من أهمها التأثير النفسي الاجتماعي للحضور الفرنسي السابق واللاحق الذي يدفع البعض إلى ربط العربية فصحى أو عامية بالتخلف ويجعل مستخدميها بعيدين عن حداثة العصر، فإذا لم يتمكن شخص من التخاطب بالفرنسية وحدها أضاف إلى خطابه مفردات وجملا من لغة موليير، ولعل بالإمكان أن تتوصل دراسة استقصائية نفسية أُجتماعية إلى التحقق من فرضية العلاقة بين التهجين والرغبة في الانتساب إلى طبقة أُجتماعية أو الانتساب إلى حداثة الآخر على مستوى الفرد والأسرة وشرائح من الجمهور.

إنّ اللغة – أية لغة – تخضع في نمو ثروتها المعجمية ومدى تداولها بين الناس لقاعدة الوضع والاستعمال، إذا تراجع الوضع وهو أساسا من مسؤوليات النخبة المنتجة للعلوم والفنون والآداب وعن طريق الترجمة التي تنقل إلى العربيّة ما يستجد

في العالم من مخترعات ومصطلحات ومفاهيم، أقول إذا تراجع الوضع وتناقص الأستعمال تجمدت اللغة وتقلصت ثروتها المعجمية المتداولة واُحتاج مستعملوها إلى الاقتراض الذي يصل إلى حد تشويه لغتهم وخاصة فيما يتعلق بألفاظ الحضارة والمسميات المستجدة التي تتدفق في كل ساعة عن طريق التكنولوجيات الحديثة وخاصة الشابكة أو الأنترنيت.

لا تخلو كلّ اللّغات الفصحى المقعدة من عاميات يتداولها الناس في شؤون حياتهم اليوميّة، وفي تلك العاميّات عدّة لهجات داخل البلد الواحد وبين البلدان التي تنتمي إلى متن لغوي مشترك، كما هو الحال في البلاد العربيّة، ولا شكّ أنّ القرآن الكريم هو النص الأسمى الذي وحّد اللّغة العربيّة وجمع لهجاتها التي نجدها إلى اليوم في علم القراءات كما حظي علم الأصوات والحروف باُهتمام كبير في تجويد القرآن الكريم والعناية بمخارج الحروف التي خصص لها اُبن جنّي كتابه "سرّ صناعة الإعراب" الذي نكتشف فيه إلى اليوم دقة الملاحظة والتوصيف والتصنيف.

ولقد تحقّق بفضل القرآن وعلومه، وبعد أقل من قرنين من الهجرة النبويّة الشريفة أُكتمال العربيّة الفصحى المشتركة من طنجة إلى عمان وبين المستعربين في شتى أنحاء العالم.

لقد انتظرت بلدان أخرى عدّة قرون للوصول إلى فصحى جامعة ومشتركة، من أولها ألمانيا التي لم تحقّق وحدتها الترابية سنة 1871 إلاّ بعد تحقيق وحدتها اللّسانيّة بفضل جهود الإخوة غريم سنة 1859.

كما قامت فرنسا في أواخر القرن 19 وبداية العشرين بتذويب الألسنة المحليّة ولهاجاتها عن طريق مدرسة جول فيري- J.Ferry التي فرضت الفصحى الفرنسية في التعليم إلى درجة منع اللّغات المحليّة وقد ذكر الكاتب البروطوني (ب.ج هيلياس P.J.Helias) في كتابه بعنوان حصان الكبرياء (Le cheval d'orgueil) أنّ المدرسة التي تعلم فيها كانت تحمل في مدخلها وفي فصولها: ممنوع البصاق والكلام باللغة البروطونية.

أيّها السيّدات والسادة

لقد وجّه المجلس معظم نشاطاته، ومنذ تأسيسه إلى دعم تداول الفصحى وترقية أُستعمالها وتهذيب العامية أو اللغة المحكيّة وتنقية المستويين السابقين من التهجين والتلوّث وعقد لذلك الكثير من الموائد المستديرة والأيّام الدّراسيّة والنّدوات وقدّم أدلّة للقطاعات الأكثر تعاملا مع الجمهور مصحوبة بنصوص ميسّرة للوثائق والأُستمارات الإداريّة.

ونظراً لأهميّة نظام التّربية والتكوين في نشر اللّغة الفصحى التي يؤمّها منذ أكثر من ثلث قرن ما يزيد على ربع السكّان وهم يمثّلون اليوم حوالي 80% من المواطنين الذين يتلقون التعليم إلى نهاية المرحلة الثانويّة بالعربيّة، ولعلّ من أهمّ الأسئلة التي تتطلّب البحث والمراجعة: ما هو الرّصيد اللّغوي الذي يحصل عليه المتمدرس بعد ما لا يقلّ عن 12 سنة من التعليم؟ وهل في هذا الرّصيد ما يمكن أُعتباره وظيفيّا؟ وإذا أُفترضنا وجود ذلك الرّصيد الوظيفي ما مدى تداوله في المحادثة داخل العائلة ومع جماعات الأقران وفي المحيط الاجتماعي.

ليست المدرسة هيّ المسؤولة الوحيدة عن تهذيب الخطاب وتقريبه من الفصحى النقيّة

من التهجين فللتثقيف العام المتمثّل في المطالعة والمسرح والسينما أهميّة بالغة في الأرتقاء باللغة وترسيخ تعابيرها الفنيّة والجماليّة.

إنّ اللجوء إلى العامية المهجنة الشائعة في المسرح والسينما وبعض أدبيات القصّة والرواية بدعوى الألتزام بالواقعيّة واستخدام لغة الناس كما هي لا ترقى بالمجتمع، بل تبقيه في أحسن الأحوال على ما هو عليه، قد تتمكّن تلك الواقعيّة الذرائعيّة من تبليغ رسالة آنية ومباشرة ولكن ضعف التعبير يؤثّر على القيمة الفكريّة والجماليّة والإبداعيّة لتلك الفنون وقد لا يرفعها إلى قمّة الآثار الخالدة في تراث الإنسانيّة.

وعلى أيّ حال فإنّ المطلوب ليس استنساخ الواقع كما هو في حالته الخام، وإنّما تغييره والارتقاء به ولا شكّ أنّ اللغة النقيّة ومضامينها الإبداعيّة هيّ دائما من الاستثمارات التي تحقق التغيير والتطور ولو على المدى الطويل.

أيّها السيّدات والسادة

لقد نظّم المجلس لقاء بتاريخ 28 و 29 جويلية 2008 للإعلام المسموع ودوره في ترقية أُستعمال العربيّة ونشر الفصحى الحديثة بواسطة قنواتها الوطنيّة والمحليّة التي تكاد تغطّي كلّ ولايات الوطن، كما أنّ المجلس يحضر لعقد لقاء مخصّص للعربية في الصحافة المكتوبة في أواخر شهر مارس القادم.

تهدف كلّ هذه الجهود لتعميم أُستعمال العربيّة وتحبيبها للجمهور وتوثيق التعاون مع النخبة من زملائنا الأساتذة والخبراء والمؤسسات والهيئات المعنيّة في الدّولة ومنظّمات المجتمع المدني التي دعاها المجلس للقاء ثانٍ في نهاية الشهر الماضي كان موضوعه العمل الجواري لترقية أُستعمال العربيّة في المجتمع والمحيط تضمن عداد من المحاور حظيت بالبحث والتداول حول أنجع السبل لعلاج واقع اللغة العربيّة في بلادنا، وهو ما تسعى لمقاربته وتحقيقه المحاور الستة المقترحة لهذا اليوم الدراسي وورشته المتخصّصة.

وفي الختام فإنّ العربيّة الفصحى المشتركة والجامعة يمكن أن تفرض حضورها

الفاعل وأزدهارها إذا كانت لغة الدين والدنيا والدولة بين مثلث حرف الدال يتأرجح مصير العربيّة، في بلادنا وفي كل أوطانها.

أشكركم على صبركم وحسن إصغائكم
والسلام عليكم

المداخلات

التهجين اللغوي: المخاطر والحلول

أ د صالح بلعيد - جامعة تيزي وزو

J

تعيش اللغة العربية الفصحى في العالم العربي أوضاعاً انتكاسية بالنظر إلى الواقع اللغوي العربي الحالي الذي يتمخّض عنه هجين لغوي متنامٍ ومطّرد، وهذا من خلال الاستعمال والممارسات اللغوية لخليط من الأنماط اللغوية من مختلف لغات الاستعمال اليومي: العربية الفصحى الدوارج، اللغات الأجنبية. وما هذه الصورة - المسموعة والمكتوبة- القائمة اليوم إلاّ وليدة الفترة المعاصرة؛ حيث السلاح الرابع يعرف قفزة خارقة، فنجد الفضائيات تعرف انتشاراً لا حدود لها، وكلّ فضائية تعرش على قوم، وتفرض عليهم قِيَماً وسلوكاً وأسلوب عيش، بلغة مزيج من الأنماط المتشابكة والتي لا حدود لغوية تحكمها كذلك، وكان همّها في سلوكها هذا التواصل وكسب الجمهور، وبيع أكثر عدد من عناوينها، وبأيّ لغة كانت، وعند ذلك يكون

البقاء للغة الأقوى، وخاصة لغة الآلة المعاصرة لغة الصِّحافة السريعة، وقد جرّ ذلك بعض الوباء والوبال على البلاد العربية، ومسّ ركناً ركيناً في الهُوية والمواطنة اللغوية للبلاد العربية.

وما الجزائر إلاّ صورة مصغّرة من هذا الوضع السيئ، فقد داهمتها الفضائيات بهجين لغوي كبير ولم تسلم ألسنةُ الجزائريين من التعدّد اللغوي في توظيف الكلمات التي تجمع بينها أحياناً نغمةُ الأداء فقط، وهي تنتمي إلى ألسُن الهُويات المتعدّدة، ويحضرني -في هذا المقام- تدخّل الرئيس عبد العزيز بوتفليقة غاضباً من لغة التواصل بين الجزائريين، وقال يومها: **لم أتبيّن ما اللغةُ التي يتحدّث بها الجزائريون، فلا هي عربية ولا هي فرنسية ولا هي أمازيغية... فهو خليط منبوذ، وكلام هجين لا نكاد نفهمه، ومثّل لذلك بكلمة (مايگزيزتيش) (لا يوجد) وهي كلمة خاصة لا يفهمها إلاّ جزائري القرن الواحد والعشرين**. وهكذا نجد أنفسنا نتحدّث بلغة هجينة غريبة الأطوار: جزء منها عربي ومفاصلها أجنبية؛ فهي لغة جديدة برطانات أجنبية وخليط من الدوراج،

وبعضها كشكول لا يكاد يُفهم خارج المحيط أو الدائرة التي وضعته. وهكذا نشأ خطابٌ محكيّ هجينٌ بسبب وسائل الإعلام في المقام الأول والذي عمل على تهجين خطاب العامة، وينزاح إلى تهجين المكتوب؛ حيث بدأت معالمه تظهر في كتابات تلاميذنا وطلابنا، وأخاف أن يستفحل هذا الأمر المشين بلغة تواصلنا، وقد يؤدّي إلى التنصّل عن لغة أجدادنا، فالكارثة قد تكون كبيرة إن لم توضع لها الحدود. فما بالك بقوم تسمعهم يرطنون رطانات جامعة لألْسُن الهُويات المختلفة التي لا تجمعها أرومة لغوية، وبكلّ تبجّح، وما رأيك في هذا الخليط الغير مفهوم إلاّ في إطار الاصطلاح الضيّق، وفي سياق ومقتضى حال مخصوص أليس الأمر عاراً علينا ونحن نبتعد عن لغتنا الجميلة، ألا نرى أنفسنا أنّنا تُبّع للغات أجنبية عولمية باعتبار ما يحمل هذا الخليط أكثره مصطلحات وكلمات أجنبية ، وكأنّي به يعيد تجسيد مقولة: **الغالب مولع بلغة المغلوب،** فهل ما نزال لم نخرج من دائرة المغلوبين، بعدما حصلت كلّ الدول العربية على استقلالها، وما بقي لنا المشجب الذي نعلّق عليه ضعفنا ونقائصنا

وتقاعسنا إزاء الاهتمام بلغة تواصلنا الطبيعية إلاّ التعلّق بالهجين المدرّ للرداءة اللغوية. ألا يجدر بنا الوعي بهذا التواصل الذي يصبغ علينا أنماطاً ثقافية تعصف باللغات المحلية ومنها العربية، ألا يمكن أن يؤدّي ذلك إلى زيادة لغة القوّي قوّة ولغة الضعيف ضعفاً ووهناً، ألا يجوز لنا أن نجلو القذى عن عيوننا، ونهيئَ أسباب التغيير في لغتنا ونعملَ من أجل أن تنال وضعاً طبيعياً في حياتنا اليومية باستعما لات وظيفية بسيطة سهلة، ألا يجوز للغتنا أن تنال موقعاً في هذا العالم تحت إمرة خصائصها... وإنّ هذا الواقع اللغوي **(الهجين)** ينذر بالخطر إذا لم تتدارك الجهات المعنية والجمعيات المدنية وربّات الأسر والمجتمع ككلّ أَمْرَ تنامي الظاهرة، وقد تستفحل ذات يوم؛ لأنّها بدأت تدخل في **الممارسات اللغوية العفوية**، دون ضابط يعمل على توقيفها، ودون بيان أوجه الخطأ فيها، بل ودون وازع ينذر بخطرها على التناسق الاجتماعي، أليس فينا رجل رشيد ، ألا يؤدّي هذا إلى التعدّدية اللغوية المتوحّشة أو الثلاثية المفرطة، ألا يخلق عوائق اتّصال بين شعب

واحد، ألا يمكن أن يخرق الانسجام الاجتماعي الذي لا يحصل إلاّ بوجود لغة آحاد بين ساكنة جغرافية بلد واحد والأحرى إن كانت هذه الجغرافية اللغوية تتجاوز حدود الوطن مثل اللغة العربية التي لا حدود جغرافية تحدّها.

ومن خلال هذا .. فأين يكمن الخلل هل في غياب تخطيط لغوي؟ وهل الخلل تتحمّله المدرسة؟ وهل للإعلام دور في هذه الانتكاسة؟ وهل للشابكة دور تسهيل ظهور هذا الخليط؟ وهل للمحيط أثر يمكن أن نعمل على توجيهه وعلاجه؟ وهل يمكن ردم هذه الفجوة بالعودة إلى بناء لغة الطفل بناءً لغوياً متيناً؟ وهل يمكن علاج الظاهرة اللغوية بسنّ القوانين الملزمة؟... وباتت المسؤولية عالقة فينا - نحن الباحثين- لدراسة الظاهرة وحصرها وإيجاد آليات العلاج لممارسة وعينا اللغوي بصورة عفوية واعية صحيحة، ونزع العُقَد النفسية التي تنظر إلى أنّ مستعمل هذا الهجين مترقٍ، وهو ممّن مسّهم الرّقي الحضاري، ومن لا يمارسه فهو غارق في التخلّف.

1. تحديد المصطلحات: وقبل التفصيل في الهجين اللغوي كان عليّ تبيان بعض المصطلحات ذات العلاقة بهذا الهجين، وتوضيح خصائص هذه المتعلّقات، لمعرفة أوجه التقاطع والتباين فيما بينها:

1/1ـ الازدواجية : وهي استعمال نظامين لغويين في آن واحد، للتعبير أو للشرح، وهو نوع من الانتقال من لغة لأخرى. وهذا موجود كظاهرة لغوية اتّصالية في الشعوب التي خرجت من الاستعمار وبقيت آثار لغة العدو باقية في التواصل اليومي، والذي أصبح بشكل من الأشكال صورة عفوية للممارسات الكلامية العادية.

2/1ـ الانتقال اللغوي: نوع من الازدواجية، تحصل عند مزدوجي اللغة، حيث ينتقل من لغة إلى أخرى، كأنّه انتقل من مستوى إلى آخر، وهذا بسبب الشرح أو المقام أو الحال، ويلقّبه الغربيون بـ Code switching. ويكون الانتقال في بعض المقامات محبوباً كونه يعمل على تأدية المراد والمقصود، بل يعمل على الشرح. وعلى العموم فإنّ الانتقال يستعمله النّخبة في حالات ومقامات يستدعيها الموقف

الكلامي، وهو شيء محبوب، بل هو مطلوب على مستوى الأداء العلمي الأكاديمي أو في تعليم/ تعلّم اللغة للكبار.

3/1ـ الاحتكاك اللغوي : ظاهرة لغوية أخرى من باب التقارب والاحتكاك بين اللغات، وينجم عن ذلك استعمال مصطلحات أو أساليب لغة في قالب لغة أخرى، وأثناء الاحتكاك تأخذ اللغات من بعضها البعض. وهذه سنّة اللغات التي يستعملها شعب من الشعوب، بغرض التواصل، أو بغرض التمدّن، وما يلحق ذلك من الوسائط المعاصرة التي تفرض بعض الأنماط والمصطلحات. وعادة أنّ الاحتكاك يحصل في البداية عن طريق توظيف أصوات أجنبية، ثمّ ألفاظ مفردة، وأحياناً يجلب بعض المسكوكات اللغوية من لغة أجنبية فتدخل في جسم اللغة الوطنية.

4/1ـ التداخل اللغوي: هو نوع من الاحتكاك اللغوي، إلاّ أنّ **التداخل** يحصل بين لغتين تأخذ الواحدة من الأخرى؛ فاللغة الأضعف تأخذ من اللغة الأقوى، والعكس يصحّ، بينما **الدَّخْل اللغوي:** حيث تأخذ اللغة الأضعف من اللغة الأقوى فقط. ويعرّف اللسانيّون الغربيّون التداخل اللغوي "بأنّه تأثير

اللغة الأُمّ على اللغة التي يتعلّمها المرء (Skiba, 2001:1)، أو إبدال عنصر من عناصر اللغة الأُمّ بعنصرٍ من عناصر اللغة الثانية (MacKay, 1969: 109). ويعني العنصر هنا صوتاً أو كلمةً أو تركيباً. ولكنَّنا ننظر إلى التداخل اللغويّ بوصفه انتقال عناصر من لغة (أو لهجة) إلى أُخرى، في مستوىً أو أكثر من مستويات اللغة: الصوتيّة والصرفيّة والنّحويّة والمفرداتيّة والدلاليّة والكتابيّة، سواء أكان الانتقال من اللغة الأُمّ إلى اللغة الثانية أ م بالعكس، وسواء كان هذا الانتقال شعوريّاً أم لا شعوريّاً. فإذا تأثّرت اللغة العربيّة الفصيحة التي يتكلّمها الطفل العربيّ بلهجته العاميّة أو باللغة الأجنبيّة التي يتعلّمها فإنّنا نعدّ ذلك من باب التداخل اللغويّ كذلك[1]".

5/1ـ الاقتراض: هو أنّ اللغة الأضعف في العادة هي التي تقترض من اللغة الأقوى، وهي سنّة جرى العمل بها في كلّ اللغات، إلاّ أنّ الاقتراض يأخذ شكل إدماج المأخوذ في

1- علي القاسمي "التدخّل اللغوي والتحوّل اللغوي" مجلة الممارسات اللغوية. الجزائر: 2010، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، التابع لجامعة تيزي وزو، العدد التجريبي.

قالب اللغة الآخذة ويصبح منها، وقد سمّاه العرب بالمعرّب.

6/1ـ التعدّدية: يعني استعمال مجموعة ألسن متباينة أو متقاربة في مجتمع واحد، وهذا ما يوجد في الدول التي عرفت الاستعمار، وبالخصوص استعمال لغة المستعمر إلى جانب اللغة الوطنية.

والخلاصة: من هذه المصطلحات التي تتعلّق بقضايا التعدّد اللغوي نقول: إنّ هذه الظواهر اللغوية لها مزاياها في إطار البحث العلمي، بل إنّ الواقع الذي عاشته الدول التي خضعت للاستعمار فرض أشكال هذا التواصل، فهي نعمة إن لم تتعدّ حدودها العلمية والتي يراد بها التواصل المرحلي في انتظار تعميم اللغة الوطنية والقضاء على الأمية، وأما إن كان يقصد به التنازل عن اللغة الوطنية فهي تبعية يجب شجبها.

7/1ـ الهجين اللغوي: كلام خليط ينتج في العادة في مجتمعات خليط، أو في التّجمعات التي تحصل في البلدان التي تفد إليها العمالة الأجنبية، ويحصرون في تجمّعات سكانية خاصة وعن طريق احتكاكهم تظهر لغة مزيج/هجين مستوحاة من أَلْسُن الساكنة،

ويجمع بين تلك الكلمات النّغمة والترنيم وهي مجردّ قاموس محدود الألفاظ، لا يحتكم إلى قواعد واعية من منتوج لغة واحدة.

2. معنى التهجين: سيكون الحديث عن التحديد اللغوي والاصطلاحي لكلمة (**التهجين**) من خلال المعاجم، وما وقع عليه الإجماع في الاصطلاح:

1/2ـ لغة : تنصّ المعاجم على أنّ كلمة (التهجين) جاءت من فعل **هجّن.** فيقال: هجنت الصبية هَجْناً وهُجوناً وهِجاناً: تزوّجت قبل بلوغها. **هَجُن** هُجنة وهَجانة: كان هجيناً. و**هَجُن** الكلام وغيره: صار معيباً مرذولاً. **أهجَن:** كثرت هِجان إبله. و **أهجن** الفتاةَ: زوّجها صغيرة. **هجّن الشيء** : جعله **هجيناً. هجّن** الأمر: قبّحه وعابه. **استهجن:** استقبح. ويقال: هذا يستهجن قوله. **الهجين:** اللبن ليس بصريح ولا لبإ. رجل **هجين:** لئيم. و**الهجين** من الخيل: ما تلده برذونة من حصان عربي. **الهجين** من الناس: الذي أبوه عربي وأمّه أعجمية. وكلمة **تهجين:** تقارب كلمة خِلاسي، ووليد الاختلاط يدعى هجيناً. **الهجين:** في الأصل من أبوه عربي وأمّه غير عربية. **والخلاسي:** الولد من أبوين أبيض

أسود، ويُقال لمختلط النسب في اللغة= الخِلْط. والخطّ غير الواضح يقال له **تهجئة خاطئة** Cacographie. و **الهجنة** في معجم اللسانيات الموحّد يقابله في الإنجليزية Cacology وفي الفرنسية Cacologie.

2/2ـ اصطلاحاً : هو استيلاد لغة لا هي بالعربية ولا بالأعجمية، بالمزج في الخطاب بين كلمات عديد من اللغات، ويحصل هذا التهجين أحياناً بتعمّد، وأحيانا عن غير تعمّد، وتتمّ عملية التهجين بشكل منهجي لتصبح نمطاً مميّزاً لأسلوب الخطاب والكتابة. اللغة الهجينة هي تلك الألفاظ المستغربة والتي توحي بوضع لغوي لدى جيل بأكمله، وهو واقع مرّ يؤسّس لدِلالات خطيرة على المجتمع؛ حيث ينذر بضياع الهُوية والتميّز، والتنكّر للذات الحضارية.

وفي اللغة العربية هو تشويه لغة الضاد على يدّ الأحفاد، باعتباره نوعاً من **الأسلبة والمحاكاة الساخرة؛ باستعمال الفصحى والعامية واللغة الأجنبية واللهجات المحلية دون وعي بما ينتجه هذا الخليط الذي ينخر المجتمع من داخله، ويقلعه عن موروثاته،** و "إنّ الإحصاءات تؤكّد أنّ الأسرة

العربية هي الأكثر عالمياً في الانبهار بلغات الغير[1]"، وربّما لا تدرك أُسُرُنا خطورة (**التشويه اللغوي**) الناتج عن ثقافة العولمة، ولا تعرف أنّ هناك مشكلةً في استعمال هذا الهجين حتى داخل الأسرة المقتنعة بهذا الخليط، على أنّ ذلك عاملاً من عوامل التحضّر، وهي لا تدري أنّها تضع أبناءها في موضع الحائر، وتتركهم ينظرون إلى اللغات الأجنبية من حيث التشدّق بها فقط، وعلى أنّه حضاري من الطراز العالي، لا بما تحمله تلك اللغة الأجنبية أو الخليط من عقدة كبرى تجاه لغتهم الوطنية، وما تحمله من احتقار لكلّ ما هو أصلي ووطني ولتاريخ الوطن، ولغة هذا البلد.

3 . مصادر التهجين اللغوي: هناك العديد من القنوات التي يأتي منها الهجين اللغوي، وأهمّ مصدر له، هو ا **لإعلام** بمختلف قنواته، وخاصة الفضائيات وما تحمله من إبداعات لغوية، فعن طريق وَصْلاَت الإشهار مثلاً تأتينا حمولة ثقافية مرنة بسيطة سهلة على الحفظ، لها ترانيم خفيفة، تعمل جاهدة على الاقتناع

[1]- موقع islamonline.net بتاريخ: 10 جانفي 2010

بما تحمله، وباللغة الحاملة لها، كما ترغّب المستقبل/ المستمع/ المشاهد أن يكون طرفاً مسانداً لها. وأثناء التأدية اللغوية تعمل لغة الإشهار أو هذه القنوات على تجاوز المألوف والتحرّر إلى حدّ ما من سلطة اللغة الثابتة، فتعمل على إحداث الكسر اللغوي أو الانحراف عن سلطة النحو في كثير من وَصْلاَتِها، بل تلتجئ إلى الهجين اللغوي، وفي نظرها أن ذلك هو الذي يؤدّي الرسالة، وتلك إلى حدّ ما وسيلة تعتمدها لخرق العادة، والسير في غير المنوال.

ومن هنا فإنّ هذا الخرق ي ؤدّي أحياناً إل ى توظيف بعض الكلمات التي قد لا تليق بالقانون والحياء العام، ولذلك حذّر تقرير الممارسات الصحفية من استخدام مفردات لغوية غير لائقة، وهذا التقرير يشير إلى تفادي استعمال تدنّي المفردات كما يشير إلى أنّ كثرة استخدام عناوين والتي لا تعبّر عن مضمون الأخبار والموضوعات المنشورة بهدف الإساءة والإثارة والتجريح، أمر مرفوض، وتمثّل من الناحية الموضوعية تضليلاً للقارئ، وألحّ بقوّة على عدم إدراج كلمات تخدش الحياء العام، والتي تتعارض مع التقاليد

المِهْنِية والأخلاقية[1]. فإذا حذّر تقرير الممارسات الصحفية من خدش الحياء العام باستعمال ألفاظ لا تليق بالمشاهد، فماذا يقال عن كسر القواعد والمزج بين اللغات لخلق لغة ثالثة هجينة من لغتين أو أكثر، فإلى أين تنتمي تلك اللغة، وما هي خصائصها؟ وما هي أصولها ؟ وإلى أيّ أرومة تنتمي؟...

ومن مصادر التهجين كذلك **الشابكة؛** وهي وسيلة من وسائل الإعلام، حيث تتيح التواصل بين أشخاص لهم لغات مختلفة، ويصطلحون على لغة تجمعهم، وتتميّز هذه اللغة بالاقتضاب الذي لا يراعي جوانب النّحو وخصائص لغات التواصل. وهذا ما نجده في **الرسائل القصيرة** Les sms التي يتبادلها العامة والخاصة فيما بينهم في المناسبات، والتي تحمل في طيّاتها اقتضابات لغوية وعرفاً خاصاً في كتابة الرسائل الإلكترونية، ويضاف إليها ما يخترع من حروف تسهيلاً للتواصل بحروف محلية دارجة أو غربية في أغلب الحالات. ومن منتوج لغة sms **هجين الأرابيش:** وهذا

[1]- جريدة (اليوم السابع) القاهرة: بتاريخ 30 أفريل 2009.

الهجين اقتضته ضرورة الاتّصال بين عرب وغير عرب، أو بين عرب وعرب من الجيل الثالث، وهو مصطلح يستخدم في مواقع الدردشة الإلكترونية، ولدى الذين لا يجيدون اللغات الغربية، وتجمعهم الشابكة، وهو نوع من التهجين/ الهجين الكتابي؛ حيث تكتب العربية بأحرف لاتينية بـ Arabish الناتجة من كلمتين: Arabic + English، وهذه الطريقة في الكتابة تتيح للمستخدمين التواصل بشكل كامل وبأحرفها التي تنفرد بها دون غيرها من اللغات، وتعود هذه الظاهرة إلى بداية عصر الشابكة. وهذا الناتج يعود لعجز وجود أحرف مماثلة في اللغات الأجنبية؛ من مثل تلك الأحرف التي تنفرد بها العربية. إذن هو كتابة منطوق الأحرف العربية ودلالاتها الصوتية بأحرف وأرقام إنجليزية، وجاء الحلّ الإلكتروني في إيجاد بدائل إنجليزية لكلّ الأحرف العربية والتي لا يوجد لها مقابل في الإنجليزية، واصطلحوا للحاء برقم 7 لتقارب رسمها، وللطاء برقم 6، وللعين برقم 3 وللصاد برقم 9، ثمّ إضافة نقاط في أعلى هذه الأرقام للتعبير عن الضاد أو الظاء، ويمكن أن تخاطب من ليس

في لغته حرف الحاء بهذا المكتوب mar7aba. وكذلك كلمات ا **لأغانيش***، وتعدّ الملاذ الأخير الذي ظهر فيها الهجين اللغوي؛ فتعمل كلمات الأغانيش على الإثارة والمُتعة الخفيفة، وتؤدّى بصورة جماعية؛ تحمل في متنها مزيجاً من صُوَر الأغاني التي لا يتحكّم فيها حسن الأداء، ولا انتقاء الكلمات النظيفة، ولا ترنيمات الموسيقى الهادئة. بل نجد في بعضها ذلك الإسفاف وسقط الكلام الذي يخلّ أحياناً بالحياء العام، بَلْهَ الحديث عن السقوط الأخلاقي الذي أحدثته هذه الأغاني في كافة أغراضها.

4. مخاطر التهجين: يشكّل التهجين نوعاً من الاغتراب الثقافي، والذي يُؤثّر سلباً على توافق الفرد مع محيطه وثقافته ولغته، ويضع **التهجينُ** الفردَ في عالمين متناقضين؛ حيث يستخدم لغة الأمّ ولغة المستعمر في وقت واحد ولغات أخرى، ويؤدّي به هذا إلى **هشاشة في التواصل،** وهو نوع من الاستعمار الثقافي الذهني الأعمى التَّبَعي الذي قال فيه البشير الإبراهيمي : "إنّ الشيطان قد

*- مصطلح مأخوذ من: **الأغاني + الشارع.** أي تلك الأغاني التي ينتجها الشارع والغوغاء، وتأتي بصورة عفوية من خلال تجمّعات الملاعب لمناصرة فريق رياضي، وهي خليط لغوي يأتي عفو الخاطر، وله طقوسه، وما يصاحبه من إثارة ومتعة آنية.

يئس أن يعبدَ في أرضكم هذه، ولكنّه رضيَ أن يُطاع فيما دون ذلك، فهو قد خرج من أرضكم، ولكنّه لم يخرج من مصالح أرضكم، **ولم يخرج من ألسنتكم**، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلاّ فيما اضطررتم إليه، وما أبيح للضرورة ويقدّر بقدرها [1]".

وهكذا نرى هذا الهجين يتعلّق بالقوّة والفعل مع لغة الآخر، فيجب تدارك الوضع قبل استفحاله؛ لأنّه يقضي على المواطنة اللغوية.

وأول خطورة يمكن الإشارة إليها هي تلك الآثار السلبية على **لغة أطفالنا**، ومن هنا فالقضية تعنينا جميعاً، بل تعني مصير شبابنا الطموح، فكيف نعمل على الحدّ من مظاهر هذا التهجين، وكيف نجعل الشباب يتلاغى بلغته بشكل طبيعي وسليم، وكيف نحصّنه من هذا الغول اللغوي الجارف لخصوصيات اللغات، وما هي الحلول التي نستعملها لحماية أطفالنا من الوقوع أسرى ثقافات غير عربية، وكيف نرسّخ في أذهان أطفالنا وشبابنا أنّ هذا الهجين لا يحقّق لهم التواصل العالمي ولا الأمل في التقدّم،

[1]- حدباوي العلمي، السلسلة النادرة المواعظ الباهرة. الجزائر: 2009، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلّمية، ج1، ص 74.

ولا الانسجام الوطني، بل يبخس مواطنتهم، ولا يذهب بهم إلاّ مذاهب قدداً.

وما دام الوضع بهذه الصورة ستظلّ العربية في أجيالنا حبيسة التخلّف على شتّى المستويات، ولن تعود إلى سابق عهدها إلاّ بالعمل على ترقيتها، وعدم التماهي مع المستحدثات بنوع من التراخي في اللغة الأمّ. وتشهد المصادر بأنّ عصور المدّ الإسلامي لم يرصد فيها أيّ مظهر في تراجع اللغة العربية مهما تعدّدت اللغات في البلدان المفتوحة، وصدق المؤرّخون حين تنبؤوا بسقوط الأندلس مع بداية انهيار اللغة العربية فيها.

وإنّه قد يظنّ بعضٌ من النّخبة أنّ هذا شيئاً طبيعياً في اللغات، ويحصل فيها باستمرار، وهو نوع من تثاقف، أو نوع من العولمة اللغوية التي تَفْرِض هذا النمط، وفي نظر الآخرين هي طفرة لغوية نوعية ومن ثمرات التواصل بين الثقافات، فلا يشكّل خطراً يمكن أن نقيم عليه مؤتمرات أو نرفع العلم الأحمر لخطورته، وفي الحقيقة هو تواصل استعماري بامتياز، أو استعمار فكري لغوي جديد. وإنّ هذا الكلام حقّ أريد به باطل، ومن هنا يجب أن ندرك الحقيقة

بأنّ التهجين اللغوي يحصل في الشعوب المستعمرة سابقاً أو حالياً، يأتي نتيجة لغزو ثقافي للدول الاستعمارية؛ حيث تقوم بتعزيز الدونية لدى المستعمرين وتزيد من اغترابهم عن لغتهم الوطنية، ويعمل ذلك على تفكيك وَحْدَتهم الثقافية، وفي خَبْو انتمائهم الوطني، ولم تسجّل لنا المصادر أنّ الشعوب المتقدّمة يحصل فيها هذا التهجين، وإن حصل فإنّ صاحبه سوف ينال العقاب، بينما نتمسّك نحن بدمج لغتنا ببعض الكلمات الأجنبية كمعتقد بليد ندّعيه؛ وهو لغة الشباب أو لغة العصر الحديث، وفيه تنازل ثقافي في الصميم، وهدم لأهمّ أركان دعائم هذه الأمّة وهُويتها واستقلالها، وهو اللغة العربية. إنّ **التهجين اللغوي** يشكّل خطرَ الانتقاصِ من العربية والتشكيكَ في قُدْراتها، وله مظاهر يتّخذها عبر مسارات ظاهرها محبوب، وخفيّها مسموم. وإليكم مظاهرَه الظاهرة لا المخفية:

- كثرة اللافتات الأجنبية في البلدان العربية؛
- أغاني الفيديو كَلِيبْ، خلطة غريبة في الأغاني والأداء، إلى درجة تسطيح الفنّ؛

ـ هيمنة اللغة الأجنبية على خطاب بعض النّخبة، بمعنى هيمنة لغة المستعمر.

ـ السلوك النّمطي في **تهجين الخطاب العربي العاكس للدونية**، وتجسيد بعض الأُسر لهذا الهجين في بيوتها، والعمل على التفاخر به؛

ـ هجران تام للغات الوطنية باعتبارها لغة التراث لا الحداثة ولحاق العصر؛

ـ عدم اعتماد الموروث الثقافي الوطني كمرجعية دالة في التاريخ والعلوم والآداب؛

ـ افتقاد المرجعية اللغوية الوطنية، والجري وراء المرجعيات الغربية...

5. **الحلول:** إنّ القوّة اللغوية جزء لا يتجزّأ من القوّة الحضارية والتنموية الشاملة؛ وإنّ التنازل في القليل يغري ويدفع بالتنازل عن الكثير لمن لا شأنَ له ولا شخصيةَ، وهكذا يكون التهجين اللغوي **ضربةً في عيون لغتنا الجميلة**، بل **التهجينُ ضرّةٌ ثالثة**، رغم الحاجة البخسة والظرف السريع الذي استدعى هذا التواصل المحدود، ولكن هذه الحاجة أحياناً تحصل بثمن غالٍ، بل بتنازلات قد تكون في العُمق، وقد تمسّ الثوابت، وهذا ما فعله التهجين اللغوي

الذي مسّ أصولَ اللغة العربية في بعض من المقامات، بل عمل على هجران اللغة الأصل، وهذه هي المشكلة الكبرى التي تحتاج منّا جميعاً تمعّنها وإيجاد الحلول لها. وإنّ الحلول التي نراها تعمل على ردم هذا التهجينَ اللغوي يكمن في وجوب محاربة التهجين من قبل الجميع، وهذا الأمر مسؤولية مشتركة؛ لأنّه فوضى لغوية بقيمة بَخْسَة وستؤدّي هذه الظاهرة إلى عدم القدرة على التواصل، بل هو هروب من الواقع إلى اللاواقع، وهو اللامبالاة الفوضوية. وعلى الإعلام أن يكون طرفاً فعّالاً في تقديم الحلول عن طريق التوعية بأهمية اللغة كوعاء شفاف أو لباس حميمي لكلّ ذواتنا، وهذا ما عبّر عنه الشاعر زهير بن أبي سلمى:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يبقَ إلاّ صورةُ اللحمِ والدمِ

وعلى المدرسة أن تعمل على إيجاد توازن يتيح للطفل أن يتعلّم اللغة الأجنبية كلغة معارف حديثة ، وفي الوقت نفسه يتمكّن من التفاعل مع مجتمعه ومحيطه باستعمال لغته العربية الأصلية التي تستطيع أن تستوعب

الحداثة؛ وتقطع في سبيل ذلك خطوات طويلة. كما تتحمّل المدرسة الجزء الأكبر في محاربة الدخيل بصورة من الصوَر المسموعة والمكتوبة، فكان على الهيئة التدريسية شنّ حملات تنظيف لغوية في منطوق المتعلّمين، ويعضد الكتّاب تلك الحملات بالحديث عن مخاطر **التهجين اللغوي** بأنّه عقوق لغوي بامتياز، بل احتقار لغوي للغة القرآن، فظاهره موبوق، وباطنه مأفوق ووسطه مسروق، فكيف تَعْتَلي اللغةُ بالموبوق والمأفوق والمسروق، والتهجين صفة من صفات شرار الأفّاق وأشدّ خطراً بالنفس من العقوق. كما يجب أن تبرز جهودُ جمعيات المجتمع المدني في محاربة هذا الوباء، وعليها تجنيد الأطفال والتلاميذ والطلاب في الحفاظ على لسان ثقافتهم وهم الحاملون لرايتها، وإنّ هذه الأجيال مطلوب منها الرّقي بالعمل؛ حيث الصعود إلى العلا عمل ذاتي لا يتطلّب استشارةً أو انتظارَ قرارٍ، وعلى كلّ الفئات الطلابية أن تتجنّد وراء ردم الفجوة اللغوية التي يسبّبها **التهجين**، وما يأتي به من **هجين**، يفقد الأصل الرصين، ويؤدّي إلى كلام مهين، فلا هو

قريب فينشدَ ولا هو بعيد فيشذبَ، بل مزيج يحتاج أن يُشجَبَ.

ولذا كان علينا جميعاً إدراك العلاقة الحميمية بين الأمّة واللغة، فبينهما علاقة عضوية، وكلاهما يعكس الآخر، وإنّه لا يمكن أن تعكس وجهَك الحضاري إلاّ لغتُك الصافية الخالية من العيوب والشوائب، ولذا وجب الاهتمام وبالقوّة بالعربية، فهي مستقبلنا التقديم، وكان لا بدّ من خدمتها بالخروج من الكلام العفوي والمنافحات إلى ميدان الفعل والعمل للحدّ من الحطّ من قيمة العربية، ووضع حدّ للفوضى اللغوية، ومحاربة إكرهات **العرنسة*** **والعردجة***، وما تدرّه علينا مصطلحات **العولمة**، والرجوع إلى عربية التصريف والإعراب؛ فهي من كلام العرب العاربة، أنقى من الليالي البيضاء وأصفى من الحُلَي النّحساء، فلا تتركوا سعفَ النخيل يسقط من لغتنا العربية؛ لغة دقيقة بسيطة سهلة؛ كان همّها التدقيق، وسَبْق اللغات في التحقيق، ومجاراة اللغات في التسويق، بغير تزييف ولا تلفيق.

وأقترح ما يلي:

1ـ البحث عن كيفية الرُّقي بالأداة الرئيسة الأولى التي هي اللغة العربية؛

---

*- **العرنسة:** كلمة مركّبة من: العربية + الفرنسية.

*- **العردجة:** كلمة مركّبة من: العربية + الدارجة.

2ـ قيام وسائل الإعلام بالتوعية المستمرّة في حثّ الجماهير على النّطق بالعربية الفصحى؛

3ـ التعويل على لغة الإعلام في الرّقي اللغوي، لما للإعلام من تأثير على الرائي والمستمع؛

4ـ حثّ وكالات الإشهار على العناية بالجانب اللغوي في إنجاز الوَصْلات الإشهارية؛

5ـ دعوة المدارس إلى التفعيل اللغوي داخل الأنماط اللغوية السليمة، وأن يكون المعلّم قدوة في الاستعمال اللغوي السليم؛

6ـ تفعيل المكنونات اللغوية في لغة الأطفال؛ عن طريق تنظيم نشاطات لغوية، يكون محتواها اللغة العربية السهلة البسيطة؛

7ـ إنشاء علاقة صحية وإيجابية بين التلاميذ وبين أعلام اللغة وروادها، من أمثال شعر المتنبي ، ونزار قباني، ولغة البشير الإبراهيمي، ونثر مصطفى صادق الرافعي، وصحافيات أبو اليقظان، وحِكَم قال لي حماري لرضا حوحو؛

8ـ دعوة الإعلام للمساهمة الجادة من الرفع من القيمة اللغوية المضافة لأدائه اللغوي السليم بالحرص على احترام قواعد اللغة، وعدم مجاراة السلوك اللغوي الغريب، بل

العمل على تهذيب ما هو خارج لغة التواصل السليم؛

9ـ تخصيص حلقات أسبوعية لإجراء مقابلات وحوارات حيّة مع أفراد مختصّين يدرسون المفردات والأساليب المستحدثة، ومدى قبولها أو رفضها؛

10ـ معالجة الأساليب **المُهَجّنة** في لغة العامة والخاصة، وفي لافتات الشوارع، وفي لغة الإعلام والعمل على تهذيبها، ومراقبة الألفاظ الجديدة بصرامة؛

11ـ توزيع استبانات سنوية، وإجراء سبر الآراء للنظر في التحسين اللغوي، وفي الهَنات التي يأتي بها **الهجين** اللغوي؛

12ـ إجراء البحوث الميدانية على لغة المحيط والإعلام، وترشيد المعنيين إلى لغة وسطى.

التهجين اللغوي في الحوار التخاطبي

أ.د. صفية مطهري - جامعة وهران

تعد اللغة مصدر اهتمام الباحثين قديما وحديثا، وذلك لما تؤديه من وظائف اجتماعية، إذ هي عبارة عن "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم." [1] والأغراض هي مقاصد، ولذا فقد عرفها ابن خلدون قائلا: "اعلم أن اللغة في المتعارَف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام."[2]

وقد حدد مفهومها دي سوسير عند تحديده لمفهوم اللسانيات وموضوعها، فهي عنده نظام من العناصر مترابط منسجم يدرس في ذاته ومن أجل ذاته، وذلك باعتباره بنية في دواله ومدلولاته ومجموع العلاقات الرابطة بينها." [3] ومن هنا فقد أصبحت اللغة موضوعا للسانيات يدرَس دراسة علمية مؤسسة على منهج واضح بعيد عن العواطف

---

[1]- الخصائص. ابن جني. ص1: 33

[2]- المقدمة. ابن خلدون. ص1056. ط3. دار الكتاب اللبناني بيروت 1967.

[3]- محاضرات في الألسنية العامة. فردينان دي سوسير. ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر. ص 30. المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر1986.

والأهواء؛ وترتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان، إذ تجسد حركاته وسكناته ونشاطاته المختلفة والمتنوعة بتنوع مجالات حياته، وبهذا يعد الإنسان كينونة لغوية.[1]

كما أن الكلام عند الإبلاغ، هو أداة إبلاغية، يقوم على لغة شفافة، وهذا يعني أن اللغة الفطرية تخترق الإدراك الذهني دون أي حاجز، بخلاف اللغة الأدبية التي تستوقف مدارك الإنسان، فتحمله على فحصها والتأمل فيها ، بغية استيعاب مضامينها وأنسجتها المتميزة.

ولعل ما يتميز به الحوار التخاطبي، هو هذا التهجين اللغوي الذي ينهل من منابع متعددة، تختلف باختلاف المجتمعات، وباختلاف المناطق، إذ نجد أنواعا من الحوارات التخاطبية في المجتمع الجزائري على سبيل المثال.

فتهجين الخطاب المحكي هو ظاهرة انتشرت نتيجة الاستعمار، كما هو الشأن بالنسبة للمجتمع الجزائري، الذي يستعمل في تخاطبه مفردات ومصطلحات وتعابير بلغة المستعمر، فرنسية كانت أو إسبانية؛ كما

[1]- يراجع مجلة اللغة العربية. ص209. العدد 6. المجلس الأعلى للغة العربية. سنة 2002

لا ننسى اللغة الأم التي هي مركب من هذا وذاك، فيها من الألفاظ العامية ما لا يحصى.

إن ظاهرة التهجين اللغوي لا تقتصر على المجتمعات المستعمرة، بل تتعداه إلى تهجين لغة أوروبية بلغة أوروبية أخرى، كما هو موجود في كندا مثلا، حيث نجد بعض الكنديين في مقاطعة الكيبيك -حيث اللغة الأم هي الفرنسية- يقومون بتهجين لغتهم الفرنسية بالإنجليزية، وهذا حال العديد من دول العالم.[1]

إن التهجين اللغوي في الحوار التخاطبي، يعني كذلك إخضاع اللفظ الأجنبي للساننا العامي، لا أن نخضع لساننا للفظ الأجنبي، مثل كلمة virus، حيث نرسم حرف (V) فاء بثلاث نقاط للتنبيه على نطقه فاء فارسية مجهورة (ڤ)، كما ينطق به أهل لغته.[2]

اللغة والثقافة

---

[1]- يراجع التهجين اللغوي للخطاب العربي. زهير الصباغ. ص3.

[2]- يراجع قضايا لغوية معاصرة. ممدوح محمد خسارة. ص59.ط1. الدار الوطنية للنشر والتوزيع. دمشق 2003.

يوجد تقارب بين اللغة والثقافة، "فعلى الرغم من أن الثقافة ليست كلمة مرادفة للغة، فإن بينهما وشائج قربى وتلازم، فإذا كانت اللغة لا تستوعب كل أشكال التعبير الثقافي، فإنه لا توجد ثقافة بلا لغة، ولا تعيش أية لغة أو على الأصح لا توجد أصلا، إذا لم يكن لها ثقافة شفوية أو مكتوبة."[1] ويتجلى ذلك في العديد من بلدان العالم ومنها الجزائر التي تستعمل في تخاطبها اليومي أكثر من لغة، مما ولَّد هجينا لغويا معينا طبع ألسنة الجزائريين ووسمها بسمة خاصة؛ ونتج عن ذلك نوع من التلازم بين اللغة الهجين والثقافة عندنا، مما يؤثر على المجال الإدراكي للسامع أو المتلقي، إذ إن التخاطب الشفوي بالخصوص يتم عن طريق غلق الفراغات، أي فهم مقصود المتكلم أثناء حديثه، وتلك وظيفة المجال الإدراكي التي يهتم بها علماء النفس اللغوي، وتتمثل في أننا لا نسمع إلا 70% على الأكثر مما يقوله

[1]- الثقافة واللغة والمجتمع. محمد العربي ولد خليفة. مجلة اللغة العربية. ص 19. العدد 6. المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر 2002.

لنا المخاطب، ونكمل الباقي من سياق الكلام."[1]

أهمية اللغة في المجتمع

لقد انعقدت عدة مؤتمرات خاصة باللغة داخل الوطن العربي، جسدت العلاقة القائمة بين فكر الأمة العربية ولغتها، "تمثلت تلك الجهود والنشاطات في جملة من الحقائق العلمية والفكرية واللغوية ... فبانت تلك الحقائق من الأهداف الكبرى التي يتمسك بها المجتمع العربي بأكمله، ذلك أن اللغة العربية امتداد لحضارتنا الإنسانية بكل مقوماتها، ثم إنها هي لغة كتاب الله العزيز الحكيم."[2]

إن الدفاع عن اللغة العربية هو الدفاع عن أدق ما في وجدان الأمة، وأن سيادة الأمة مرهونة بسيادة لغتها. ومن هنا، نجد الدولة تسعى جاهدة إلى تعميم تعليمها، وهي ذات وظيفة هامة في المجتمع، إذ إن اللغة دليل وجود المجتمع، كما أنها من بين العناصر الهامة المكونة للشخصية

---

[1]- م س. ص س.

[2]- يراجع المسار الجديد في علم اللغة العام. وليد محمد مراد. ص 37. ط1. مطبعة الكواكب دمشق 1986.

الوطنية، تهدف إلى توحيد المجتمع، بل المجتمعات عبر الدول.

وقد بلغ الاهتمام باللغة العربية والاعتزاز بها حد التعصب، ومن ذلك قول أبي فراس الحمداني حيث يقول[1]

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلى وأكرم من فوق التراب ولا فخر
نحن بني يعرب أعربَ الناس لسانا وأنضرَ الناسِ عودا

إن اللغة العربية هي أداة اتصال وتواصل و "نقطة الالتقاء بين العرب وشعوب كثيرة في هذه الأرض، واللغة مقوِّم من أهم المقومات في حياتنا وكياننا الحاملة لثقافتنا ورسالتنا والرابط الوحيد والعظيم بيننا."[2]

إن قضية اللغة بصفة عامة واللغة العربية بصفة خاصة، هي من أهم قضايا الساعة على صعيد الفكر العربي، لأن اللغة

---

[1]- يراجع ديوان أبو فراس الحمداني.
[2]- فقه اللغة وخصائص العربية. محمد المبارك. ص232. دار الفكر. دمشق 1968.

من أوجب الواجبات الوجدانية التي بواسطتها يتم وعي الإنسان للأشياء، ثم للذات؛ وبالتالي فلا فكر ولا علم بدون لغة، ولا دين ولا حضارة بدون لغة.[1]

ويطالعنا في هذا الصدد نص للشيخ البشير الإبراهيمي رائد النهضة الجزائرية، وهو يعتز بلغته العربية فيقول: "أيها الإخوان: إن العربية لم تخدم مدنية خاصة بأمة، وإنما خدمت المدنية الإنسانية العامة، مدنية الخير، والنفع العام، ولم تخدم علما خاصا بأمة، وإنما خدمت العلم المشاع بين البشر بجميع فروعه النافعة. أيها الإخوان: إن هذا فضل لغتكم على المدنية الإنسانية، وفضلها على الأمم العربية، فإننا نعني الأمم الإسلامية كلَّها، لأنها أصبحت عربية بحكم الإسلام ولغة الإسلام."[2]

المعرب والدخيل والعامي في الحوار التخاطبي اليومي

لقد دخلت ألفاظ عديدة إلى اللغة العربية منذ أقدم العصور، وذلك نتيجة التقاء الأمم والحضارات، ومن ثم فإن هذا

[1]- يراجع المسار الجديد في علم اللغة. وليد محمد مراد. ص40.

[2]-م س. ص س.

النوع من التقارض بين اللغات يعد ظاهرة ثقافية.[1] ونجد علماء اللغة قد اهتموا "بهذه الطائفة من الكلمات، ووضعوا لمعرفتها ضوابط وسموها الكلمات المعرَّبة أو المعْرَبة؛ وفي هذا يقول الجوهري: تقول عرَّبتْه العرب أو أعربته" [2] ومنه المعرَّب و "تعريب الاسم الأعجمي، أن تتفوه به العرب على منهاجها. والتعريب هو نقل اللفظ من العجمية إلى العربية، شريطة أن يكون اللفظ الأعجمي المنقول إلى اللغة العربية قد جرى عليه إبدال في الحروف وتغيير في البناء حتى صار كالعربي.[3]

ومثل المعرب نجد صنفا آخر من الألفاظ الداخلة على اللغة العربية، وهو ما أطلق عليه اسم الدخيل؛ و"يستعمله علماء اللغة كأنه مرادف للمعرب، وكأن مدلولهما واحد. وأحيانا يشيرون إلى الكلمة الأعجمية بالكلمتين معا،" [4] ومن ذلك ما نجده عند

---

[1]- يراجع قضايا لغوية معاصرة. ممدوح محمد خسارة. ص 44. ط1 الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع. دمشق2003.

[2]- الصحاح للجوهري. مادة عرب.

[3]- يراجع المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. أبو منصور الجواليقي. ص 13-14. ط1. تحقيق ف.عبد الرحيم. دار القلم دمشق1990.

[4]- م س. ص16.

الأزهري في التهذيب إذ يرى أن النارجيل مُعرَّب دخيل ...وأن الهميان دخيل معرب.[1]

وقد ذكر ابن دريد لفظ "الدخل" بمعنى العجمة، حيث يقول: "فإن جاءتك كلمة مبنية من حروف لا تؤلف مثلها العرب، عرفت موضع الدخل منها فرددتها غير هائب لها."[2]

إن هناك فرقا بين هذين اللفظين، حيث إن "الدخيل أعم من المعرب، فيطلق على كل ما دخل في اللغة العربية من اللغات الأعجمية، سواء أكان ذلك في عصر الاستشهاد أم بعده، وسواء أخضع عند التعريب للأصوات والأبنية العربية أم لم يخضع، وسواء أكان نكرة أم علما، ذلك أن من اللغويين من لا يسمي العلم من الدخيل معربا" [3] وذلك مثل إسحاق وإبراهيم.

إن ظاهرة الاقتراض اللغوي قد انتشرت وبكيفية لافتة للانتباه في جميع اللغات بصفة عامة، وفي التخاطب اليومي عند أبناء الأمة العربية الواحدة بصورة خاصة، مما يفسر أن اللغة العربية لا يمكنها بأي

---

[1]- يراجع تهذيب اللغة للأزهري. ص6: 257-332.

[2]- الجمهرة. ابن دريد. ص1: 9.

[3]-المعرب. الجواليقي. ص17.

حال من الأحوال أن تشذ عن هذه القاعدة. ويعد "الاقتراض وسيلة لغوية تُلجئ إليها ضرورة التعبير عن مستحدثات ومستجدات سبق إليها الآخر. وهو وسيلة مشروعة لتنمية اللغة العربية، ما دام في إطار ما تُسوِّغه الضرورات، وما يُسوِّغه النظام الصوتي العربي، ومع توفر هذين الشرطين، يمكن الحديث عن اقتراض لغوي صحي مقبول، ومع غياب أحدهما أو كليهما ينقلب الصحي إلى مرضي، والمقبول إلى مرفوض."[1]

إن ما يضر باللغة العربية، ليس المعرَّب الذي يخضع لمقاييس العربية، وإنما الذي يشوب ألسنتنا، هو اللفظ الدخيل الذي لم يخضع لمقاييس العربية وبنائها ونظامها الصوتي العربي، واستعمل كما هو، "وبقي غريبا لم يُهيَّأ له الاندماج في المخزون اللغوي."[2]

ويعرف عيسى اسكندر المعلوف العامية، حيث يرى أنها لغة فصيحة موضوعة في عصور مختلفة تأتي "للتعبير عن الأفكار بقوالب كثيرة اصطلح عليها أبناؤها في كل قطر

---

[1]- قضايا لغوية معاصرة. ممدوح محمد خسارة. ص44.

[2]-م س. ص47.

وبكل وقت، وكان أن لاكتها الألسن وتلاعبت بها التصرفات، فتغيرت أساليبها، وتلونت ألفاظها بين فصيحة محرفة أو مصحفة وأجنبية دخيلة ومرتجلة غريبة، ولحن شائع، وتصرف شائن، حتى بعدت في بعض الوجوه والأساليب عن أصلها الفصيح ومؤداها البليغ، فكادت -أي اللهجة- من هذه الوجوه تكون لغة قائمة بذاتها."[1] ولذا فإن اللهجة هي إما خليط من الفصيح المصحف والمحرف وبعض الألفاظ المرتجلة، "أو هي وشيج من هذه، ومن جانب كبير من الكلمات الدخيلة المعرَّبة عن اللغات الإفرنجية."[2]

وقد أشار رشيد شاهين عطية (1881-1956) إلى أسباب العامي والدخيل في اللسان العربي، مما شوه اللغة العربية ونسب ذلك إلى شبان العصر حيث يرى، أنهم، "إذا شاءوا أن يجيلوا يراعا في ميدان الطرس، يشوهون محيا اللغة بما يقحمونه من الألفاظ الأعجمية، ويزجونه من المفردات العامية، فينتج من ذلك سقم في العبارة

[1]- اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي. رياض قاسم. ص 2: 29. ط1. مؤسسة نوفل بيروت 1982.

[2]- م س. ص2: 30.

وضعف في التركيب، ويختلط الحابل بالنابل، والغث بالسمين، فيعسر على القارئ فهم ما كتبوه، ولا يعود يُعرف آبد الألفاظ من داجنها، ولا عذبها من آجنها، حتى يخيل له أن اللغة العربية التي يترقرق ماء الفصاحة في غرتها، ويتبلج نور البلاغة من أسرّتها، ليست كفوءا للتعبير عن أفكار ذلك الكاتب المتفرنج، مع أنها أغزر اللغات مادة، وأمتنها أصولا، وأوسعها أطرافا، وأدقها تعبيرا. فتأصل من جراء ذلك في عقول الشبان مقت اللغة العربية، فاستصغروا شأنها، وحطوا من كرامتها مع أنهم لو كانوا من ذوي الاطلاع على بعض مكنوناتها لأحلوها محل الكليتين من الطحال."[1]

إن علة وجود ظاهرة التهجين في التخاطب اليومي المتمثل في تداول الألفاظ الأعجمية على ألسنة أبناء العربية ، إنما هو "نتيجة اختلاطهم بالأعاجم ومشاركتهم في التجارة والصناعة، حتى أن أكثر أبناء اللغة أصبحوا لا يفرقون بين العربي

[1]- عن اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي. رياض قاسم. ص 1: 32. عن الدليل إلى المرادف العامي والدخيل. ص3.

والدخيل."[1] كما أن للثورة التكنولوجية أثرا بالغا في ذلك، حيث إن العديد من الألفاظ دخل لغتنا العربية، وبالأحرى عاميتنا، وأصبح يعامل معاملة اللفظ العربي من ذلك مثلا: كلمة flexy التي تستعمل في تعبئة الهواتف النقالة، إذ نقول "فليكسي لي" مثلها مثل أية لفظة باللغة العربية، إذ هي عبارة عن جملة فعلية، فيها فعل أمر دال على الطلب، وفيها جار ومجرور، وأصبحت متداولة بيننا مستساغة تركيبا ودلالة.

إن ما يلفت الانتباه، هو أن الألفاظ الأعجمية يمكن تصنيفها وفق ثلاثة أقسام:[2]

1 -قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن، حكم أبنية الأسماء العربية الوضع، مثل: درهم وبهرج.

2- قسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في الذي قبله، مثل: آجر.

3- وقسم تركوه غير مغيَّر.

---

[1]- م س. ص س.

[2]- يراجع م س. ص س.

فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعدُّ منها، مثل: خراسان، فإنه على فعالان، وهو مفقود في العربية، وما ألحقوه بها عدَّ منها مثل: خُرَّم ألحق بسلَّم.

إن المتمعّن في البنية التركيبية العامية بصفة عامة، ليلمح أن أكثر هذه الألفاظ، "ليس إلا ألفاظا فصيحة طرأت عليها تغييرات عديدة، من نحت وإبدال وقلب، وحذف وزيادة وتصحيف وتحريف، وما شاكل ذلك، حتى وصلت إلى ما هي عليه في عصرنا الحاضر. وأهم هذه الطوارئ ثلاثة، وهي: النحت والقلب والإبدال،"[1] وذلك مثلما هو موجود في العامية الجزائرية، كأن نقول مثلا "ما عنديش"، وهي منحوتة من "ما عندي شيء؛ ومنه كذلك "كيراك"، إذ هي منحوتة من كيف أراك. وغيرها كثير مما هو مستعمل في تخاطبنا اليومي.

ولقد تنبهت إلى هذه الظاهرة أمم أخرى، فرجال الفكر والسياسة في فرنسا مثلا لم يقولوا: فلندَع الناس يتكلمون باللهجات التي ألفوها، بل قالوا: يجب أن نقضي على هذه اللهجات، ورجال العلم والأدب لم

[1]- م س. ص326.

يقولوا: فلنكتب باللهجات الدارجة بين الناس، بل قالوا: لنسْعَ إلى رفع لغة الحوار والكلام إلى مستوى لغة الكتابة والأدب ... وإلا لما تقدمت اللغة الفرنسية تقدمها المعلوم، ولا كتبت الآثار الكلاسيكية الخالدة ، ولا ظهر إلى عالم الوجود شي اسمه الأدب المعاصر المزدهر.[1]

وعليه، يجب تشجيع التأليف باللغة السليمة السهلة لتثقيف عامة الشعب، وأن نشر الفصحى غير منوط بضرورة التمكن من القواعد العربية، وإنما نتعلم اللغة بالممارسة. أولا فإننا لا نتكلم بها إلا في مدارسنا ومجالسنا الرسمية، وأن القواعد العربية، هي أداة معينة لا مغنية عن الممارسة، بشرط أن يكون المعنى هو الهادي في تعليمها وبسطها. كما أن ممارسة الكلام الصحيح حتى يصبح ملكة، – دون معرفة القواعد- موصل إلى الهدف في كل حال، في حين أن حفظ القواعد دون ممارسة الكلام الصحيح غير مجد البتة.[2]

منهاج العرب في الكلمة الأعجمية

[1]- يراجع من حاضر اللغة العربية. سعيد الأفغاني. ص215. ط2. دار الفكر بيروت1971.

[2]- يراجع م س. ص217.

يتمثل هذا المنهاج في خضوع الكلمة الأعجمية لمقاييس العربية وأبنيتها وحروفها، حيث إن هذه المقاييس ما هي إلا مجموعة من الخصائص الصوتية والصرفية للكلمة العربية، وهذا ما يسمى بالنظام الصوتي العربي، ويتجسد ذلك في العناصر الآتية:[1]

1 +الحروف والأصوات العربية.

2 +البنية الصوتية للكلمة العربية.

3 +الإيقاع الصرفي للكلمة العربية.

وقد استُمِدتْ هذه العناصر من أقوال اللغويين القدماء والمحدثين، ومن منهجيتهم في تعريب الألفاظ.

ولتطبيق هذا النظام الصوتي العربي ينبغي مراعاة الآتي:[2]

1 -أن يكون الاسم المعرب خاليا من أي حرف أو صوت غير عربي، كحرف گ، أو ڤ، أو پ، أو ژ.

2 -يجب الالتزام بالبنية الصوتية كما أقرها اللغويون، بحيث لا يزيد عدد حروف الاسم المعرب على ثمانية أحرف، كما يجب

[1]- يراجع قضايا لغوية معاصرة. ممدوح محمد خسارة. ص45.

[2]- يراجع م س. ص س وما بعدها.

ائتلاف هذه الأحرف وائتلاف حركاتها ، وخلوها من التقاء ساكنين، ومنع بدئها بساكن.

3 -يشترط الإيقاع الصرفي للاسم المعرب، مع تجاوز مطابقته للوزن العربي، لأن الأسماء الأعجمية لا يمكن وزنها، وذلك بتتابع حركاتها وسكناتها وحروف المد فيها وفق نظائر لها في العربية، سواء أطابقت الوزن العربي أم لم تطابقه.

إن ما تمتاز به الكلمات المقترضة هو[1]:

أ -التقاء الساكنين: مثل كلمة هيْدْروجين التي تخلصت عند دخولها إلى العربية من التقاء الساكنين، وذلك بحذف حرف الياء من الكلمة، حيث أصبحت هِدْروجين.

ب – البدء بساكن: مثل كلمة بْلاستيك التي وضعت العربية للتخلص من مثل هذه الحالة، همزة وصل للتوصل إلى النطق بما هو مبدوء بساكن، ومنها كذلك كلمة France, spain, Scotland, brésil، التي تم تحريك الحرف الأول منها عند دخولها إلى العربية، وأصبحت على النحو الآتي: فَرنسا، اسبانيا،

[1]- يراجع م س. ص48 وما بعدها.

اسكتلنده، بَرازيل. ولعل هذا ما شاع لأنه يحافظ على خاصية من خصائص العربية، ولأنه لا يُدخِل حرفا جديدا إلى الكلمة، ولأن لهمزة الوصل مواقع محددة في الكلمات العربية. أما في مثل كلمة psychologie، فقد عربت إلى سيكولوجيا بحذف الباء من أولها.

إن أخطر مشكلة تواجه اللغة العربية اليوم وتظهر بصورة جلية في الحوار التخاطبي، هي إدخال أحرف أجنبية إلى العربية، ويمثل هذا "أكبر اختراق وغزو للغتنا،"[1] حيث إن للأصوات خصائص هامة في اللغة، وإذا لم تصن هذه الخاصية، فإن اللغة كلَّها ستكون مهددة بالوهن والذوبان،"[2] وذلك لأنها عبارة عن مجموعة من الخصائص الصوتية والصرفية في إطار نظام محدد للتراكيب، وأن أي تغيير في هذه القوانين سيؤدي لا محالة إلى تغيير في اللغة. وعليه، يجب الإشارة إلى بعض القضايا في هذا الصدد:[3]

---

[1]- م س. ص57.

[2]- م س. ص س.

[3]- م س. ص س وما بعدها.

أ -لقد اشترط القدماء ضرورة إبدال الحرف العربي بما ليس عربيا، وقد لاقى هذا الموقف تأييدا لدى جل الباحثين اللغويين المعاصرين.

ب - لم يدخل العرب منذ الجاهلية إلى اليوم حرفا أجنبيا واحدا إلى لغتهم من خلال المقترض اللغوي المنقول إلى العربية.

ج- تضم كتب العلماء المتقدمين عشرات الآلاف من المصطلحات المقترضة تعريبا أو تدخيلا من اللغات الأجنبية كالإغريقية واللاتينية والفارسية والهندية، وليس في كل هذه الآلاف من المصطلحات والأسماء حرف واحد غير عربي؛ ولنا في كتب ابن سينا خير مثال على ذلك، حيث نجد كتاب القانون مثلا، يزخر بالمصطلحات الطبية والعلمية وأسماء الأعلام الأجنبية، وهي كلها مرسومة بأصوات عربية.

د- إن للتدخيل اللغوي مخاطر لا تخفى، ولعل أعظمها هو الاعتداء على الأبجدية العربية بإدخال أصوات من الفرنسية أو الإنجليزية مثلا إلى العربية. ومن هنا، فإن المشكلة الأساسية ليست في المحافظة على عدد الحروف العربية وأشكالها، بل المشكلة في إضافة أصوات جديدة إلى اللغة

العربية أياً كان الرسم الذي سيتخذ لذلك الصوت، كأن نكتب حرف (v) فاءً بثلاث نقاط أو (p) باءً بثلاث نقاط.

وعليه فإن التعريب اللفظي أو الصوتي يعني ببساطة أن نُخضِع اللفظ الأجنبي للساننا العربي، لا أن نخضع لساننا للفظ الأجنبي، وبهذا يمكننا وضع حدٍّ للتهجين اللغوي في حواراتنا التخاطبية.

اللغة الأدبية ولغة الحوار التخاطبي

إن للغة وظيفة أساسية تتمثل في التواصل، وذلك لأن الكلام عند المحاورة يكون أداة إبلاغية، يقوم على لغة شفافة، و"هذا معناه أن الذهن يخترق اللغة الفطرية اختراقا، أو قل هي تخترق الإدراك الذهني دون أي حاجز، بينما تستوقف اللغة الأدبية مدارك الإنسان، فتحمله على فحصها والتأمل فيها بغية استيعاب صبغتها."[1] كما أن الأدب لا يمكنه أن يكون أدبا "إلا إذا تراءى في صورة الكلام الإبلاغي، حتى يحقق الفارق بينه وبين اللغة التواصلية مثلما أن لغة التخاطب لا تنفك تحاكي خصائص التأثير التي بها تحقق الوقعَ في

[1]- قضية البنيوية – دراسة ونماذج. عبد السلام المسدي. ص50. دار الجنوب للنشر. تونس1995.

المحاورة دون أن يكون من أغراضها مماثلة الفن القولي."[1] كما أن المتمعن في دقائق الأمور يدرك أن "ما ينسب إلى اللغة الفطرية من شفافية، هو أيضا مقوِّم من مقومات النص الأدبي، وما ينسب إلى الأدب من محجبة، هو أيضا من مستلزمات التخاطب الطبيعي، وبه يتفاوت الناس في مدى بلوغهم غاياتهم عند المحاورة والمخالطة،[2] وبذلك فإن "الذي يشهد له الناس بالقدرة على قضاء مآربه وبالفضل في تطويع اللغة واستدراج الآخرين بها، إنما هو ذاك الذي يستعمل الكلام فيراوح في تركيبته بين مفاصل شفافة وأخرى غير شفافة."[3]

ومن سما ت الحوار التخاطبي أنه يلجأ إلى الاقتصاد اللغوي، إذ "إن الإنسان حيثما استعمل الكلام أرضخه إلى قانون الاقتصاد اللغوي، ويتشخص في المنزع الطبيعي نحو إيصال أكبر عدد ممكن من المعلومات بأيسر ما يمكن من جهد تعبيري، وهذا قانون مطلق يتصل بجوهر علاقة الإنسان باللغة، وصورته البسيطة الأولى تبدأ في

---

[1]- م س. ص س.
[2]- م س. ص س.
[3]- م س. ص س.

المجهود العضلي عند عملية التلفظ، والمعادلة الحاصرة لقانون الاقتصاد اللغوي هي التوسط بين نزعة المجهود الأدنى والحاجة إلى بلوغ المقصد." [1] فقد يستعمل الإنسان في بداية حواراته الألفاظ والعبارات والجمل "على وتيرة معينة، ثم كلما استشعر أن بعضها أصبح يغني عن بعض، أو أن بعض أجزائها تحول إلى فائض لم تعد الحاجة في الإبلاغ متوقفة عليه، تجاوزه واختصر المسافة دونه. والسبب الخفي الذي يثوي وراء هذه الظاهرة، هو أن اللغة حدث تخاطبي وأن منبتها الحقيقي هو الحوار."[2]

إن من خصائص الحوار التخاطبي أنه يقوم على التماثل لمبدإ الاقتصاد في الأداء، كما يقوم كذلك على مبدإ المجهود الأدنى في الكلام، وذلك "أن الكلام في المحاورة ينبثق ثم يتبدى في عين اللحظة التي قد أدى فيها وظيفته الإبلاغية، فهو يتولد وينقضي بلا مراوحة؛" [3] ولعل هذا هو الفرق بينه وبين الكلام الأدبي، لأن هذا الأخير "ينبثق ليبقى، ويتكشف ليخترق حجاب

---

[1]- م س. ص51.

[2]- م س. ص س.

[3]- م س. ص س.

الزمن، فهو في لحظة ميلاده ليس موعودا للانقضاء، ومن هذه الناحية خالف في كل ميزاته خصائص اللغة الطبيعية عموما ... إن الأدب في كيانه اللغوي موجود غير طبيعي ... إنه مركب تركيبا يحاكي الوجود الطبيعي للغة دون أن يكون في منشئه سالكا طبائع الوجود."[1]

ويشترك الحوار التخاطبي مع النص الأدبي في كونهما يستلزمان باثا ومتلقيا، غير أنه في النص هو من "باب المجاز، ولكنه مجاز يتوظف ليدخل حرم التعامل المنهجي، لأن الأديب إذ يدفع برسالته لا ينتظر جوابا على مضمون قوله، وإنما هو يترقب جوابا على قيمة كلامه؛ فليس الحوار من صنف حوار اللغة باللغة، وإنما هو تواصل على مستوى الحكم والقيمة،"[2] وذلك لما يمتاز به النص الأدبي دون الحوار التخاطبي، من حيث كونه ثمرة علاقة خارجية، لأنه مرتبط بصاحبه، وأدبيته هي ثمرة علاقة موضوعية بينه وبين متلقيه.[3]

دور اللغة العربية في التربية القومية:

---

[1]- م س. ص س.
[2]- م س. ص س.
[3]- يراجع م س. ص س.

تنهض اللغة العربية بوظيفة أساسية تتمثل في تطوير المجتمع، ورسم مستقبله، وتزويده بطاقة حيوية مهمة، ولهذا فإن التربية هي عملية اجتماعية، ذات صلة وثيقة بالمجتمع. كما أن للغة دورا منقطع النظير في هذه التربية القومية، وذلك لأسباب عديدة تتمثل في الآتي:[1]

1 - إن اللغة هي من أعظم مقومات القومية العربية، التي يملك معلم اللغة العربية - بواسطتها- أن ينفذ إلى القلوب، وأن يجمعها على هذا الرباط الحيوي المقدس.

2 - إنها الوعاء الحافظ لتراثنا الحافل بالمجد والبطولة، فهي زاد نفيس لنا وللأجيال القادمة.

3 - إن اللغة هي أداة للتفكير والتعبير، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تستغني التربية القومية عن هذه الأداة اللغوية.

4 - تستطيع اللغة أن تحقق غايات اجتماعية عديدة، وذلك بما تملكه من تعبير مؤثر وتصوير بارع مثير، ففي الشعر والخطب، والمقالات والقصص والأناشيد،

[1]- يراجع الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية. عبد العليم إبراهيم. ص 425. ط11. دار المعارف القاهرة 1980.

صيحات تهز القلوب، وتثير الشعور والوجدان.

ولأهمية اللغة العربية في حياة الفرد في المجتمع العربي، وضعت خطط لدراستها في جميع المراحل التعليمية، وذلك وفق مناهج وبرامج تكفلت بها هيئات خاصة بالتخطيط والتشريع التعليمي، إذ من خلالها يتم توجيه التعليم اللغوي، ويستطيع المتعلم أن يعبر بلغته العربية، وأن يفهم وطنه ومقومات وحدته، وأن يتشبع بالمبادئ الاجتماعية والروحية التي تقوم عليها حياة المجتمع العربي، وبهذا يستطيع الحد من هذا التهجين اللغوي، الذي بات واقعا يلوك لسان العربي بصورة عامة، والجزائري بصورة خاصة.

الحد من ظاهرة التهجين

وللحد من ظاهرة التهجين اللغوي في الحوار التخاطبي، نقترح بعض الحلول:

1 - **القواعد النحوية:** ولها أهمية كبيرة في العملية التعليمية لدى المتعلم، تتجسد في كيفية اختيار أمثلة تكون وسيلة لتوصيل المادة النحوية من جهة، وغاية للحد من ظاهرة التهجين اللغوي من جهة أخرى، وذلك كأن

يطالب المعلم المتعلمين "بأعمال حسية في الفصل، كإغلاق الباب، أو فتح النافذة، أو إخراج كتاب، ثم يطالبهم بالتعبير عن هذه الأعمال، ويكتب العبارات الصحيحة على السبورة، تمهيدا لاستخدامها في تدريس الموضوع المقصود."[1] وتمتاز هذه الطريقة بتوظيف حي للغة، إذ تجعل من هذه الأخيرة "وسيلة مجدية فعالة في تصوير المواقف والتعبير عنها، وأداة حية من أدوات الحياة،[2] بحيث يعبر المتعلم باللغة العربية عن أشياء من الواقع يعيشها كل يوم في حياته.

ونلمس في هذه الحالة، أن القواعد النحوية ليست غاية في حد ذاتها، وإنما تم تسخيرها كوسيلة لخدمة التعبير، وذلك لأن "القطعة التي تعرض على التلميذ اليوم في درس القواعد، يمكن الانتفاع بها غدا في درس التعبير."[3] ومن هنا نستطيع الربط بين القواعد واللغة، بحيث تجعل دراسة القواعد في ظلال اللغة بصفة عامة، وفي

---

[1]- م س. ص216.

[2]- م س. ص217.

[3]- م س. ص س.

اللغة الموظفة في الحوار التخاطبي اليومي بصفة خاصة.

2 -التعبير: وله أهمية بالغة بين فروع اللغة، وذلك لكونه غاية، وما دونه وسائل هي عبارة عن حقول معرفية مساعدة له، تتمثل هذه الوسائل في:[1]

أ -القراءة: وتزود القارئ بالمادة اللغوية، وألوان المعرفة والثقافة ، وكل هذا يعد أداة للتعبير.

ب -المحفوظات والنصوص: وهي منبع للثروة الأدبية، مما يساعد على إجادة الأداء وجمال التعبير.

ج- القواعد: وهي وسيلة لصون اللسان والقلم من الخطإ.

كما يعد التعبير من أهم الغايات المنشودة من دراسة اللغات، لأنه وسيلة الإفهام، وهو أحد جانبي عملية التفاهم، وهو كذلك وسيلة لاتصال الفرد بغيره، وأداة لتقوية الروابط الفكرية والاجتماعية بين الأفراد.[2]

---

[1]- يراجع م س. ص145.

[2]- يراجع م س. ص س.

وللحد من ظاهرة التهجين اللغوي في الحوار التخاطبي اليومي، يجند التعبير الحر، إذ هو من الطرق المفيدة لتدريب المتعلمين على التعبير، ففيه يظهر نشاطهم ويقبلون عليه، لأنهم أحرار في اختيار الموضوعات التي يتحدثون فيها، و"يعد هذا النوع من التعبير مقياسا لصلة التلميذ بالحياة، ومدى اطلاعه الحر، ومطالعاته في الصحف والمجلات، وما يختزنه في ذهنه من أفكار وملاحظات عن مشاهداته الحيوية."[1] عبر التلفزيون والإنترنيت.

3 -**الأسئلة والأجوبة:** وتلعب دورا فعالا في العملية التعليمية في الحد كذلك من ظاهرة التهجين اللغوي في الحوار التخاطبي اليومي لدى المتعلمين، إذ تعد "عماد الطريقة التحاورية التي يلجأ إليها المدرس في تدريس بعض الموضوعات، وهي – كذلك- ركن أساسي من أركان الطريقة الاستقرائية،"[2] يلجأ إليها المعلم في تعليم التلاميذ، وبخاصة الصغار منهم، الذين لا يصبرون على التلقي والاستماع مدة طويلة دون إثارتهم، وتجديد نشاطهم

---

[1]- م س. ص160.

[2]- م س. ص428

بالمناقشة عن طريق السؤال.، حتى أنه يقال: إن المدرس الماهر هو الذي يحسن فن الأسئلة، ويذهب بعضهم إلى حد المغالاة، فيعقد بين المدرس والأسئلة معادلة رياضية، تتمثل في هذه الصورة:
المدرس= أسئلة، وبقدر ما يقوم به من الأسئلة، تكون قيمة المدرس، فإذا كانت الأسئلة تساوي صفرا، كانت قيمة المدرس صفرا كذلك.[1]

ومن بين أنواع الأسئلة، هناك الأسئلة التثقيفية التي لها صلة بواقع المتعلم، كأن يتعرف على حاجاته مثلا، ولها أغراض منها:[2]

أ -إيقاظ التفكير، وإثارة الانتباه إلى الحقائق التي يراد الوصول إليها.

ب -إرشاد التلاميذ إلى ما في إجاباتهم من خط إ، ليتعرفوا عليه، وليهتدوا إلى كيفية معالجته.

ج- تنويع طريقة التدريس، وذلك بالانتقال من الإلقاء إلى الحوار الذي يعمل على ترويض المتعلمين على الاستعمال الأمثل

---

[1]- يراجع م س. ص س.
[2]- م س. ص429.

والأنجع للتراكيب والأساليب اللغوية الصحيحة والبعيدة عن أي تهجين لغوي.

4-النشاط المدرسي في المجال اللغوي : وله أهمية فعالة في الحد من ظاهرة التهجين، وذلك لأنه عبارة عن ألوان متنوعة من الممارسة العملية للغة، يستخدم فيها المتعلمون "اللغة استخداما موجها وناجحا في المواقف الحيوية الطبيعية، التي تتطلب الحديث، والاستماع، والقراءة، والكتابة، [1] حيث نجد المتعلم يمارس اللغة في دائرتها الوظيفية، واضعا نصب عينيه هدفا حيويا يرغب في تحقيقه، ومن ثم تزداد فاعليته وفائدته معا، مما يؤثر تأثيرا إيجابيا على شخصيته وإعداده إعدادا سويا للحياة.

ويهدف هذا النوع من النشاط المدرسي، إلى "الانتفاع باللغة انتفاعا عمليا في مجالات التعبير الوظيفي والإبداعي، ويتحقق ذلك بممارسة الحديث، والحوار، والمناقشات والمناظرات" [2] داخل الفصل الدراسي، مما يقوي شخصية المتعلم ويُعِدُّهُ للمواقف الحيوية الاجتماعية وغيرها، بحيث

---

[1]- م س. ص398.

[2]- م س. ص399.

يجب أن تتصل الوظيفة التعليمية بكل جوانب الحياة ، حتى تصبح أداة لاستيعاب التطورات التي تحدث من حولنا، وتجعل المتعلمين قادرين على التفاعل الإيجابي مع متغيرات العصر؛ كما يجب غرس روح الوطنية في نفوس المتعلمين اتجاه وطنهم وقيم مجتمعهم.

5-التعريب: إن من أهم الأساليب لمواجهة ظاهرة التهجين اللغوي في بلادنا، التعريب. والتعريب بمفهومه الشامل، يجعل اللغة العربية "لغة تعليم وإدارة ومحيط وترجمة العلوم والآداب إليها." [1] فالتعريب هو الوسيلة الفعالة والفاعلة في الحفاظ على اللغة العربية و"صونها من الذوبان في أتون الغزو الثقافي واللغوي العولمي الذي يتهدد الأمم كافة، وفي مقدمتها الأمم الأضعف." [2]

وقد عقدت لهذا الشأن مؤتمرات عديدة خاصة بالتعريب، "ففي سنة 1975 أطلقت الجامعة العربية شعار: العربية لغة العلم عام 2000، ووضعت مؤسساتها

[1]- قضايا لغوية معاصرة. ممدوح محمد خسارة. ص9.

[2]- م س. ص10.

الثقافية، وعبر مؤتمرات عدة، أكثر من خطة للوصول إلى ذلك الهدف. ويبدو أن الدول العربية لم تستطع الوفاء بالشعار الذي رفعته جامعة الدول العربية .. على الرغم من عشرات المؤتمرات والقرارات والتوصيات التي صدرت حول هذا الموضوع؛" [1] وبالتالي فإنه لا مناص من الاعتراف بأن مستقبل ثقافة عربية أصيلة وفعالة ومنتجة هو مرتبط بتعريب التعليم والعلوم والإدارة ارتباطا وثيقا لا انفكاك لعراه،" وذلك لأسباب عديدة منها:[2]

أ-أنه لا ثقافة عربية بغير اللغة العربية، وذلك أن الإنتاج الثقافي الذي كتبه المسلمون غير العرب يعد من الثقافة العربية على الرغم من أن أصحابه غير عرب، كما هو الحال بالنسبة لمؤلفات ابن سينا والخوارزمي والرازي.

ت -أن اللغة ليست أداة تعبير وتواصل فحسب، بل هي وسيلة التفكير ووعاؤه، وحاضنة القيم والمعتقدات، ويعسر التفكير والتعبير عن قيم أمتنا بغير لغتها. ولأهمية هذا التلازم بين اللغة العربية

---

[1]- م س. ص س.

[2]- م س. ص 10-11-12.

والثقافة العربية، فإن الحفاظ على الخصوصية الثقافية العربية، هو الحفاظ على اللغة العربية وتنميتها وتطويرها.

ث -وإذا كانت اللغة هي حافظة وجود الأمة، وهي الرابطة الأهم في تكوينها، وأنه لا أمة دون لغة، فإن بقاء هذه اللغة مرهون بتطويرها وتنميتها الدائبة لتكون لغة حياة، ولا يجعلها لغة حياة إلا التعريب. ولذا عد التعريب من دعائم الوجود العربي والوحدة العربية. وفي غياب التعريب سوف تبقى العربية لغة ماض، وليست لغة مستقبل.

د- إن العلم هو الركن الأقوى في الثقافات المعاصرة، فلا قيمة لثقافة معاصرة لا تملك قوة العلم، ولا تسهم في تمثل العلوم وتطويرها، ولن يكون ذلك إلا إذا كان بلغة المجتمع أي بالعربية، الأمر الذي لا يتأتى إلا بالتعريب.

هـ- إن لغة عالمية هي أقدر على مواجهة ثقافة العولمة، ولقد أُقِرَّتْ عالمية اللغة العربية باعتمادها لغة رسمية ضمن لغات هيئة الأمم المتحدة.

وهذا جدول خاص ببعض التعابير المهجنة:

التعابير المهجنة في الحوار التخاطبي	الصواب في اللغة العربية
كيراك	كيف أراك
ما عنديش	ما عندي شيء
فليكسي لي (المستعملة في تعبئة الهواتف النقالة)	عوملت معاملة اللفظة العربية الفصيحة، إذ فيها فعل أمر دال على الطلب + جار ومجرور
بلاستيك (plastique)	هي من الكلمات الدخيلة، مبدوءة بساكن وحرك الحرف الأول للتخلص من هذا الساكن
فرنسا (France)	عربت إلى فَرنسا للتخلص من البدء بساكن
برازيل (brésil)	عربت إلى بَرازيل للتخلص من البدء بساكن
سيكولوجيا (psychologie)	عربت بحذف الحرف الأول للتخلص من البدء بساكن
هِدْروجين (hydrogène)	عربت بحذف حرف الياء من هيْدْروجين للتخلص من التقاء الساكنين

كانت هذه بعض القضايا الخاصة بالتهجين اللغوي في الحوار التخاطبي اليومي الذي أصبح عائقا أمام انتشار اللغة العربية الفصيحة حتى في المجالس الرسمية، وحاولت

أن أقدم بعض المقترحات للحد من هذه الظاهرة.

التهجين اللغوي في جزائر العهد العثماني

أ.د. عبد الجليل مرتاض- جامعة تلمسان

1- تعريفه : التهجين اللغوي مَزْجُ تبليغٍ من متكلم إلى متلقّ بمفردات ومستويات لسانية تعود لأكثر من لغة واحدة، وكلما كانت هذه المفردات لا صلة لها باللغة المركزية المتمثلة في المنطوق الأدبي، والموروث اللساني التاريخي، كانت أكثر هُجْنَة، وأقل أصالة ونصاعة.

إنّ التهجين اللغوي في عامياتنا العربية في حدّ ذاته أبعاد ومستويات متباينة، لأن التهجين الذي يعتري تواصلاً مشوَّهاً مشتقاً لحناً أو خطأ من اللغة المركزية تهجين داخلي، بينما التهجين القائم على الاختلاط بين كلمات منبثقة من اللغة المركزية

وكلمات أخرى من لغة أو لغات أجنبية تهجين خارجي. ومع ذلك، قد يكون للتهجين اللغوي أكثر من تعريف، لأن تعريفه قد يرتبط بمدى خطورة الهَجَانة من خِفّتها، مثال ذلك أن عبارة سقيمة لا تشوبها كلمة أجنبية أقل خطورة من عبارة مركبة من هنا، وكلمات أخرى من هناك، أي التهجين اللغوي بذاته مستويات، ومع ذلك، فإن ما يراه الغريب هَجانة لا صلة لها بمنشئ ه، يراها صاحب المنشأ خطاباً سليقياً مألوفاً في قريته أو مدينته، ومن النادر، بل من الاستحالة أن تلاحظ تهجيناً لغوياً في حيّز فضائي لا يختلف مع تهجين لغوي في فضاء جغرافي في آخر، بل التهجين اللغوي مثلما يتباين من حيّز إلى حيّز، يختلف من زمن إلى زمن حتى على مستوى الحيز نفسه، سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر، بمعنى أن التهجين اللغوي لجيل لاحق ليس هو التهجين نفسه لجيل سابق على مستوى المدينة أو القرية نفسها.

2-1) تشريحه: لعله لا توجد تشريحات أكثر فعالية لأي تهجين لغوي، مما شرّحه به لسانيون عرب قدماء، ولسانيون غربيون محدثون، الأمر الذي يوحي لنا أن هذه

الظاهرة اللغوية التخاطبية قديمة قدم تبليغ لغوي ناصع، وتبليغ لغوي مختل.

1-2-1) تشريحه عند العرب قديماً: لا نريد أن نلتفت مسافة طويلة إلى الوراء البعيد، وإلا غرقنا في يمّ لاخلاص من لُجَّته، ولكن كل ما نورد أن نُبْرِق به أن أهل القرى والمدائن بدأ يجري عليهم ما يجري على سائر المهن والصنائع، وأما أهل البدو، فظّلوا مطبوعين على جهات كلامهم ومناحيه، يتوارثون ذلك اعتياداً وسماعاً جيلاً بعد جيل. ولربّما وقفنا على من يزعم أن العامية أقدم من الفصحى، ثم أصبحت موجودة مع الفصحى، وأن الزعم قائم على بعض الوجوه اللغوية الواردة في أشعار الفحول الذين يُعَدّون حجة على العربية، وهي نصوص متداولة في مصادر اللغة العربية وتراثها اللساني، مع أنها مظاهر لمستويات لغوية لم يجد المعياريون العرب القدماء سبيلا لتقعيدها، فبقيت مما يردد، ولا يقاس عليه، لأن السليقة لا تتجزأ، وما قد نراه نحن اليوم لحنا وهفوة وتهجينا لدى أولئك، كان يراه المتواصلون به لسانا مبينا، وأمرا معتادا، وما كان القرآن لينزل على قوم بلسان، وهم

يلوكون لسانا أخر "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم "[1].

وما حدث للعربية بعد مجيء الإسلام من مد وجزر، واختلاط واستعمال معمّم في كل مرافق الدولة و شرايين الحياة من معاملة، وتجارة، وصناعة، وإدارة، ودواوين،... لم يجعلها في منأى كلي عن بوادر تهجينيّة تنخر تواصلها الطبيعي المعتاد برطانات لغوية فارسية، ورومية، وهندية، وقبطية، وسريانية، ويونانية، وأمازيغية، ولاتينية،... حتى أصبح المتكلم مكشوف الهوية بمجرد نطقه: أهو نبطي، خراساني، أهوازي، أو زنجيّ، أو سندي،... وأضحى يستحيل" على غير العرب، ولاسيما الكبار منهم، أن يبدوا الأصوات إبداء صحيحا فالسندي مثلا كان لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا، ولو أقام -كما قال الجاحظ- في عليا تميم، وفي سفلى قيس، وبين عجز هوازن، خمسين عاما، وكان النبطي يقول سورق في زورق، مشمئلّ في مشمعلّ، فيبدل الزاي سينا، والعين همزة،... وكان الصقالبة يبدلون الذال دالاً كقول أم ولد

[1]- يراجع الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية، ص:13-22. عبد الجليل مرتاض.

لجرير بن الخطفي: "وقع الجُرْدَانُ في عِجَانِ أمكم"[1]، فأبدلت الذال من الجرذ دالاً، وجعلت العجين عِجاناً"[2]، بل قال بعض الشعراء في أمّ ولدٍ له:

*** أوّلُ ما أسمع منها في السَّحَرْ**
تذكيرها الأنثى، وتأنيثُها الذّكر

أياً كان الأمر، فإن الظروف "الاجتماعية المختلفة الطارئة وما صحبها من امتزاج وتفاعل بين السادات العرب والعناصر البشرية الجديدة، وما لازم هذه الحياة من تطور قد أدت إلى ظهور مفردات وأبنية لغوية مختلفة في شتى مظاهرها الصوتية والنحوية والصرفية، وعن هذا الاختلاط الجنسي المتعدّد مع أسر عربية في الحروب والفتوحات والصلوات والمصاهرات والأسواق والمواسم الدينية ... نشأ جيل جديد ثانٍ مختلط، استجابت أصواته البيولوجية إلى لغة تأثير الناس المحيطين به، لأن الأصوات فينا ليست فطرية، فأطفال البشر كلهم تصدر عنهم الأصوات نفسها، والخلاف في

---

[1]- الجردان: قضيب الفرس وغيره، وكان الأَوْلَى أن تقول الجُرْذَان (بإعجام الذّال) جمع جُرَذ، وهو نوع من الفِئران، وكان الأوْلَى أيضاً أن تقول العجين، لأن العِجَان ما بين الخُصْيَةِ والفَقْحَةِ (حلقة الدُّبُر، والجمع الفِقَاح).

[2]- الفسيح، ص: 31، وقَارة بالبيان والتبيين، 69/1 – 73 للجاحظ.

الكلام المكتسب الذي يزرعه فينا هذا المجتمع أو ذاك، ونوعيته تكون تابعة لهذه الأصناف من المجتمعات اللغوية"[1].

وما من شك، في أن العرب القدماء لم يَفُتْهُمْ أنْ أشاروا إشارات على قدّ الحال والمقام إلى ظواهر التهجين اللغوي بشتّى الطرق والتشخيصات والأساليب والمصطلحات التي لم تظفر بها اللسانيات الغربية إلا في وقت متأخر، بل ألّفوا فيها عناوين تشمل مضامينها ما تتحدث عنه حقول لسانية حديثة.

2-2-1) التهجين عند الغربيين المحدثين

1-2-2-1) التكلم الجهوي le patois أو اللُّغَيَّة:
يُفْهَم من لهجة dialecte أو لهجة إقليمية patois كلُّ تكلّم جهوي داخل دولة حيث يهيمن رسمياً تكلُّم آخر، في المدرسة، والإدارة، إذا كانت هاتان الأخيرتان تَسْتَعمِلان لغة الدولة التي تنص على رسميتها، ولكن هذا لا ينسحب على كل الدّول التي قد تتبنّى دستورياً لغةً، ووظيفياً في دواليبها لغة أخرى، كما هو الحال في عندنا في

[1]- نفسه، ص: 42 – 43.

الجزائر، وبعد نصف قرن تقريباً على استرجاع السيادة الوطنية، هذه السيادة التي تُعَدّ اللغةُ تاجها وعنوانها. ومما هو ملاحظ أنّ التكلمات غير الرسمية التي يسمّيها بعض الدارسين "لُغَيَّات" هي نفسها مؤلَّفة من حشد وافر من التكّلمات المحلية ، التي غالباً ما تكون أقلّ اختلافاً حتى لا يجد مستعملو تكلّم منها صعوبات لفهم تكلمات لهجة أخرى، ولذلك، فإننا لا نتكلم عن لهجة إقليمية إلا عن تكلّمات منتمية تاريخياً، وبشكل قريب مما فيه الكفاية، إلى لغة رسمية، فالدارجة العربية في أي بلد عربي تنتمي تاريخياً بشكل مباشر إلى العربية الرسمية في المدارس ووثائق الأقطار العربية، على الرغم من أن كل دارجة عربية في بلد متباينة مع دارجة عربية أخرى في أي بلد عربي آخر، ولكن هذه الدارجات أو العاميات كلها تمثل patois أي لغيّات لا لغات، لأن اللغيّة عندنا كل شاردة لغوية تشرد عن اللغة الموحَّدة، حتى لو تعلق الأمر بالدارجة نفسها، غير أنه يجب ألا نقيس وضعنا اللساني على ما عرفته العربية القديمة من أوضاع قد تبدو لبعضنا متشابهة، إذ ما

شرد منها لم يكن يشكّل إلا جزءاً مرادفاً في بنيته أو دلالته أو وظيفته لها ، أي لِلِسانٍ عربيّ موحَّد في تنوّعه لا في أُحاديَّته.

3-1) اللَهْجة واللغة: وإذاً، فاللهجة تكلّمات تنتمي تاريخياً وسلالياً إلى لغة موحّدة طُبِعَت بطابع رسمي من قوم أجمعوا عليها، وتخاطبوا بها، وأبدعوا بوساطتها، وأصبحت تكتنز موروثاً أدبياً، ولسانياً، وعلمياً، وحضارة لا تَنِمّ إلا عنهم من خلالها بوصفها منظومة لسانية ذات هوية تفصح عنهم، ويفصحون عنها.

إنّ الألزاسية بالنسبة للألمانية لهجة، والبروفانسية le provençal بالنسبة إلى الفرنسية لهجة، لكن تخاطباً مثل بروتون le Breton فضلاً عن الباسكية le Basque فإنهما لغتان، والشيء نفسه بالنسبة إلى الأمازيغية في دول المغرب العربي، فإنها لغة كاملة الأوصاف، لكون بنياتها الداخلية الأساس مختلفة جذرياً عن العربية، وهي أيضاً لها لهجاتها ولغيّاتها المنتمية تاريخياً إليها عبر هذه الدول، ومثل هذا القبطية في مصر.

إن القرابة الموجودة بين اللّغيات واللغات المشار إليها بأنها رسمية لا تعني شيئاً غير كون الأولى يجب أن تكون مشتقة من الثانية أو متقاطعة أجزاء أو عناصر أو بنيات معها.

وبالنظر إلى الدوائر الخمس، يتضح لنا أن:

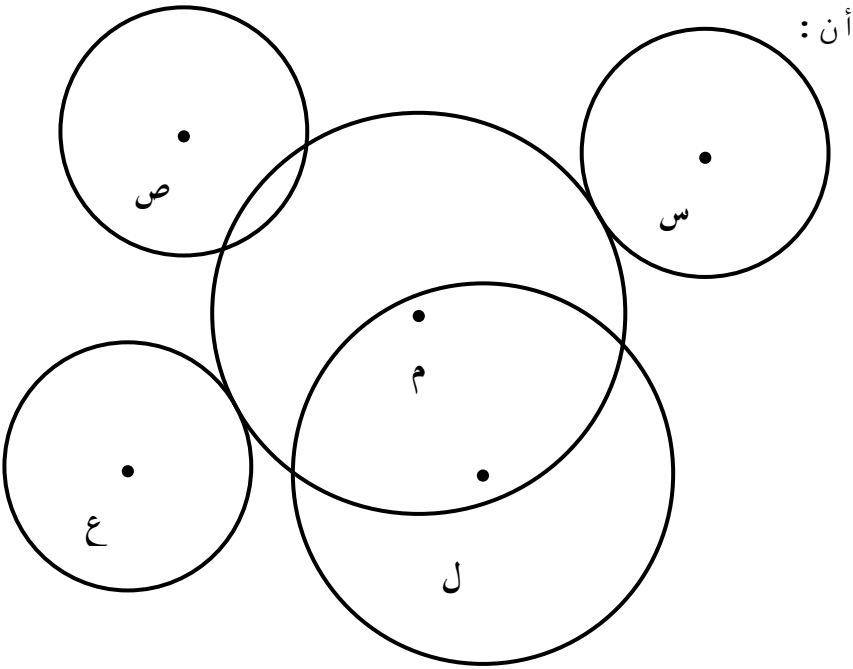

م/ هي اللغة الأصل الموحَّدة بين متكلميها، كالفصحى بين العرب، والفرنسية (لغة جزيرة فرنسا) بين الفرنسيين.

ل/ لهجة، لكنها أقرب إلى اللغة الموحّدة من اللغيات ع، ص.

ص/ لهجة، لكنها أقرب من ع، وأبعد من ل بالنسبة للغة الموحّدة (م).

ع/ لغيّة متماسة قليلاً، ومتباينة كثيراً، بالنسبة إلى (م).

س/ لا صلة لها بالعناصر الأخرى، بما في ذلك **م**، رغم وجودها في محيط جغرافي أو سياسي واحد، ومن ثم فهي لغة وطنية كاللغة الكورسيكية بالنسبة للفرنسية، والأمازيغية بالنسبة للعربية، رغم أن الوعاء الأصلي للأمازيغية يختزن في أحشائه أكثر من خمسين في المائة من الكلمات العربية، لكن انتماء لغة إلى لغة أخرى يتم عبر البنيات الفونولوجية والنحوية والمورفولوجية، لأن العوالم الدلالية عوالم مشتركة بين كل الأسنة البشرية.

1–4) أنواع التهجين: التهجين اللغوي تهجينات، وليس تهجيناً واحداً، ويتجلّى في:

أ) التهجين الصوتي والفونولوجي
ب) التهجين الصرفي والنحوي
ج) التهجين المعجمي
د) التهجين الدلالي
ه) التهجين الاشتقاقي
و) المزج بين لغتين أو أكثر في تبليغ واحد
ز) اللامبالاة بمراعاة الحدود بين المستويات اللغوية
ح) تراكيب منكرة تتعدى الأضرب السبعة المشار إليها

وهذه التهجينات الثمانية تمتزج بها تواصلاتنا باللغة العربية، ومنذ أمد بعيد، وقد رصد علماؤنا القدماء منها الشيء الكثير، وشخّصوها لنا، على مستوى كل الطبقات المتكلمة، بمن فيهم ساسة، وقادة، وسراة، وأشراف، بعدما تناءوا عن بني جلدتهم، وخالطوا أمماً وعشائر سواهم، ... ومن هذه التهجينات ما سبق لنا أن بضعنا ظواهر منه [1]، ولا حاجة لإثقال كاهل هذا البحث الذي يقتضي منا، قبل أي شيء، الحديث عن ظاهرة التهجين اللغوي في الجزائر.

1-5) التهجين اللغوي في الجزائر ماضياً: ليست ظاهرة التهجين اللغوي في الجزائر بدعة من البدع العجيبة، بل هي ظاهرة طبيعية، بل يمكن القول إن اللغة العربية التي انتشرت على هذه الربوع النائية عن مركزها، لم تضرب بجرانها في الأرياف والحواضر، إلا وهي موبوءة في بعض مستوياتها، لأنها انتشرت انتشاراً إرادياً

[1]- خاصة في كتبنا:
- اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي
- تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى
- الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية

وطبيعياً دون قسر ولا إكراه، ولذا فإن العربية في هذه الربوع أكثر من كونها لغة دين ودنيا، فهي تمثّل إرادة أولئك الأجداد الجزائريين الذين أقبلوا على احتضانها واعتناقها إقبالاً إرادياً بكل جارحة من جوارحهم إليه، عبر اللسان العربي مباشرة، لسان قرآنهم، ونبيّهم.

وكنا أشرنا في بعض المناسبات العلمية عن الفصحى وعامياتها، إلى أن العربية التي انتشرت في بلاد المغرب العربي نابعة من الكلام المتواصل به فردياً، لا من اللغة المتواصل بها جماعياً، أي أن السكان المحليين الذين اختلطوا بذوي اللسان الوافدين، كانوا يسمعون مفردات، وتراكيب جديدة عليهم سماعاً صوتياً، ونحن نعرف أن السماع أبو الملكات اللسانية، ولكن وصوله إلى المستقبل غير مأمون كلياً في سلامته، فما بالك بمصدر الإرسال، إذا كان صاحبه مشوباً بعاهة من العاهات الكلامية ؟

يجب أن نؤمن بأن اللغة العربية التي ضربت بجرانها في هذه الربوع الشاسعة تكلّمات ناجمة عن مصادر فردية، وفي أبعد الحالات، عن عشائر ربما تميزت لغتها

لفوارق شذت شذوذاً في بعض مستويات نطقها أو تركيبها، ولكنها تظل منضوية تحت سلطة اللغة الموحدة، أو تندمج اختيارياً معها، وهذا مما يدخل في اللهجات العربية الفصيحة المتكاملة تارة والمترادفة تارة أخرى في بعض مستوياتها وآداءاتها، لتصبّ في مَعِينٍ لساني كلّي مشترك.

وما أشير إليه في الفقرة السابقة ليس ضرباً من الخيال، إذ لا تزال بصماته البعيدة ماثلة في تكلماتنا الجزائرية، والدارسون اللغويون المهتمون في بلادنا بهذه التكلمات الجزائرية الحديثة يدركون بأنها موروثة عن تكلمات أُولَى عربية قديمة، حتى وإن كان هذا الإدراك سيظل سطحياً أو قشوراً دون لباب، بسبب غياب معجم لساني للتكلمات العربية التاريخية نفسها، ولو أنجزت تلك الهيئة التي وُلِدَتْ مريضة، والمسماة من دولة عظمى "الجامعة العربية" للغة العربية معجماً تاريخياً لها أسوة بأقلّ منها من اللغات، وهي تبتهج بمرور ستة عقود على إنشائها، لبقيت العربية ما بقيت تدين لجميلها، وهناك سبب آخر يكمن في شبه غياب كامل لدراسة ديالكتولوجية عربية في جامعتنا،

ومجامعنا، وهيئاتنا، ومراكز بحثنا، حتى إنك لو طاف بك المطاف في المكتبات العربية مشرقها ومغربها، لتبتاع مؤلّفاً في هذا الاختصاص، لما وجدت إلى دلك سبيلاً، مع أن أول كرسي لعلم اللهجات ظهر منذ عام 1883 في إحدى المدارس العليا بفرنسا.

وإذا أردت أن تستبين معالم المنطوق العامي الأكثر هجانة في ماضيه البعيد، فإنه باستطاعتك أن تتبصَّره بدءاً من القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، أي بعد أفول بوادر الإبداع في بجاية، وتلمسان، وغيرهما من الحواضر الجزائرية والمغاربية والعربية، وخاصة بعد سقوط الخلافة المركزية في المشرق، وزوال ملك العرب في الأندلس.

2) العربية في العهد العثماني

2 – 1) تهَجُّنُ العربية في العهد العثماني: لعل الالتفاتة الماضية تشير بشيء من التشفير إلى أن اللغة العربية أضحت تتهجّن أكثر فأكثر منذ العهد التركي، الذي لم تشهد اللغة العربية زهاء ثلاثة قرون على أيديهم أي تطور، بل اضمحلّت أو كادت تضمحلّ مقارنةً بما وجدوها عليه يوم دخولهم، ونحن لا

نَعْتِب عليهم، لأن الانحطاط اللغوي بدأت بوادره تنمو وتستفحل حتى في حواضرها المشرقية، ومِهادها الخليجيّة.

ومع ذلك، فلكل ظاهرة استثناء، إذ برزت بعض الشخصيات العلمية والفكرية والأدبية في العصر التركي الجاف في ثقافته عموماً، ومنها الأخصري (920 - 953 هـ/ 1514-1546م)، والمقرّي (986-1041 هـ/1578-1632م)، وعبد الكريم بن محمد الفكون (1073 هـ/ 1663م)، فهذه الشخصيات الجزائرية الثلاث لم تعوّض كلياً الازدهار الذي سبق للعربية أن عرفته، كما أنّ أعمالهم الفكرية والعلمية والأدبية الرفيعة رغم جدّيتها وقيمتها الجَمْعِيَّة وتعبيرها عن عصرها، مع ما فيها من ومضات إبداعية فريدة، فإنها لم تفلح في وقف تيار الركاكة والتهجين اللذين جعلا يغزوان المنطوق العربي الجزائري في كل بنية من بنياته، ولاسيما البنية المعجمية والدلالية.

وبوقوفنا اليوم على العامية التي كانت مستعملة خلال الفترة التركية الطويلة، من خلال نصوص شعبية وُفِّق أجانب مشكورون في جمعها وترجتمها ودراستها، بصرف النظر عن

نواياها الطيبة أو السيئة، فإننا نقف على عامية تشبه إلى حد بعيد عاميتنا الراهنة، لكن تبعاً لعامية كل منطقة، لأنه لا توجد عندنا عامية واحدة مشتركة بين كل الجزائريين، فما هو مباح قوله في منطقة مُحَرَّم نطقه في منطقة أخرى، وما يدل عليه مدلول في جهة لا يشير إلى المدلول نفسه في جهة أخرى، وأحياناً تختلف الدوال، والمدلول واحد، ومع ذلك تبقى تلك العاميات أقل تهذيباً في بنياتها التركيبية، رغم أنها كانت أقلَّ هجانة من عامياتنا الراهنة على مستوى مفرداتها المتواصل بها، وإذا ما بدت لنا اليوم تلك المفردات غريبة أو غامضة، فلبعد المسافة الزمانية عنّا، ولتغيرها أو تحوّلها من مدلول جديد متباين نسبياً أو كلياً عن مدلولها القديم. وإنّ القصائد الشعبية التي جُمِعت من هنا وهناك لا تقدّم لنا دليلاً توافقياً على العامية التي كانت مستعملة بصورة لغوية دقيقة، لعدة أسباب، منها:

1) التقليد الكتابي لا يعوّض تماماً التقليد الشفهي

2) يجب أن نستأنس ب مجامع هذه النصوص الشعبية التي ت نتمي إلى الجهة ذاتها، وفي حيز جغرافي كلما كان أصغر بعداً، كانت النصوص أكثر مصداقية.

3) تَغَيُّر هذه النصوص بشكل متباين في كلماتها، ولواحقها، وسوابقها، وأكساعها، وتركيباتها الجمليّة.

4) أما فوضى ترتيب التراكيب، فحدث ولا حرج.

5) تقييد العامية (شَكْلها) من عدمه، فهي تتعذّر عن الشكل، وكلّما نُطِقت حرة طليقة، إلا ودلَّت على نفسها، لأنها من جهة لغة طبيعية، وفي الوقت نفسه، نحاول أن نخضعها إلى ما يخضع له نقيضها الفصحى، وهنا نخرجها عن طبيعتها، وإذا كان مما لا بدَّ، فهي لا تقبل قبولاً حسناً الشكل إلا مرة واحدة، لا تقبل التأخير لحظة عن زمن نطقها.

وليس بوسعنا أن نَقْفُوَ معالم المنطوق الجزائري عبر مراحله الطويلة إلا بوساطة ما هو مخطوط، وهذا الأخير يعطينا صورة جيدة لذلك المنطوق، ولكنه لا يقوم مقامه كلياً، أما النصوص الأدبية، والرسائل الإخوانية، ودواوين السلطة، والأوصاف

العامة والخاصة، والرحلات، ... فظلت محافظة، بل حريصة على تحريرها باللغة العربية الفصيحة، من ذلك، مثلاً، أن حمدان خوجة القائل: "إنني لست مرتاح البال، بل على العكس، فإن مصائب بلدي تقلقني باستمرار، ولقد كنت في كثير من الأحيان، وأنا أسجل تلك المصائب، أُجْبَرُ على التوقّف عن الكتابة لأترك المجال لدموعي تنساب [1]، كان يتقن اللغة التركية إتقاناً فقهياً، وإلا لَما حَظِيَ بشغل منصب ترجمان بالمطبعة العامرية بالقسنطينية،... حين حرّر رسالة أهداها إلى السلطان محمود خان (1200 - 1255هـ) الغازي التركي، لم يحرّره بغير العربية على غير ما تقضيه الأعراف، لأن هذا الجزائري كان يأبى أن تنصهر لغته الأم في بوتقة لغات غيره على حد تعبير الأستاذ محمد بن عبد الكريم [2].

ولكن النصوص المحررة بالفصحى في الفترة التركية معالمها العامة لا تحيد عن أسلوب ذلك العصر في كل الأقطار العربية، وفي أي شكل من الأشكال المكتوبة بما في ذلك أرقاها، كالرسائل، والخطابة، والشعر،

---

[1]- المرآة، ص: 47 حمدان بن عثمان خوجة.

[2]- يراجع إتحاف المنصفين والأدباء، ص: 24 (من المقدمة).

ولا تزال عائلات تلمسانية تلقب بهذا الاسم، مع حذف الهمزة، والانكشارية، وغدت هذه اللفظة تستعمل في الذمّ بيننا بالنظر إلى طبيعتها الأصلية عند الجزائريين،
و"الدُّون" وهو السروال القصير جداً، ولكن التسمية الفرنسية (le galeçon) لاحقاً غلبت عليه، وحلّت محله عند الجزائريين،
و"القفطان" ويسمّى الآن "قْرَفْطَانْ"، وهو لباس مطروز باهظ الثمن، ترتديه النساء الميسورات في الأعياد والأعراس، يرمز إلى الثراء والتميز الطبقي والجاه العالي، وهذا الرمز يرجع إلى أن القفطان كان شعاراً لسلاطين الممالك العثمانية وباشوات الجزائر، ولا يزال يُصْنع بصورة أجود في قسنطينة وتلمسان.

ومن الكلمات التركية التي مازحت المنطوق الجزائري "نيشان" أي مباشرة، ولا علاقة لها بالنّوْش، والتناوش، والمناوشة[1]، والانتياش في الفصحى، ومدلولها التركي يشار به إلى الهدف، وهذا قريب مما يدور في العامية الجزائري، وهي تقابل في المنطوق الأردني

[1]- يقال للرجل إذا تناول رجلاً ليأخذ برأسه ولحيته: ناشه ينوشه نوشاً، ومنه المناوشة في القتال، والتناوش: التناول، والانتياش مثله.

"دُغْرِي" أي مباشرة، ووقع لي إشكال عام 1980 يوم زرت عَمَّان لأول مرة، فسألت عن موضع، فَأُجِبْتُ من المسؤول: "دُغْرى، دغري، ..."، ثم ما لبث أن استلمح غربتي وحاول مبتسماً أن يهديني بأسلوب آخر، وكاد يُغْمى عليه ضحكاً، حين أخبرته بأننا نقول فيما تقولون "نِيشانْ"، حيث ردّدها بصعوبة، حينها أدركت لماذا يقول الجزائريون: "دَرْوَقْ"، والمغربيون "دَابَا"، والتونسيون "تَوَّا" واللبنانيون "هلاّ"، والمصريون "دَلْوَاتِي" لكنهم يرسمون الألف قافاً، ... وهذا كله يعني "الآن" في اللغة الموحّدة، وساعتها أدركت أيضاً، لماذا تسمى العمامة التي يُعتَمّ بها في المنطوق العامي العربي تسميات مختلفة، فهي "رزّة" عند الجزائريين، و"كشطة" لدى التونسيين، و"لفة" لدن الشاميين،...

وإذا كانت العربية في الجزائر بدأت تتهجن بصورة أكثر لفتاً للانتباه في عهد الدايات والباشوات، فمن باب الإنصاف الإشارة إلى استفحالها في هذه الفترة المظلمة الطويلة التي لم تنجب مبدعاً جزائرياً واحداً متميزاً، لأننا لا نعرف شيئاً كثيراً عن هذه اللغة كيف تهجّنت في هذه

الربوع، ولكن الذي نعلمه علم اليقين أن النصوص التي تجسّد العربية ما قبل العهد التركي، تبشّر بلغة نقية، وأساليب راقية، ...

وإذا أردت أن تعلم ضعف اللغة العربية وبلوغها الدرك الأسفل من الوهن، فحسبك أن تعود إلى نهاية العهد التركي، لتقف على لغة هزيلة ركيكة لا هي بالفصحى، ولا هي بالعامية، ولا هي عَوَانٌ بينهما، وهذا بالنسبة لأجناس أدبية يفترض فيها أنها تشخص المستوى الأعلى لأية لغة تُحَبَّر بها. ومن أشعاره المهجنة بكلمات عامية أو بعيدة عن الفصحى أو مختلة عروضياً قوله:

هـ-1) اعنف بنا سيراً يا حادي الإبل وغنها لتقطع كم من مرحل

هـ-2) رب زمان الوصل عنها ينقضي نحن في شغل أردى الشغل

هـ-3) قد أفنينا العمر في كلّ وعسى هلاّ وليْت مع تسويف العمل

هـ-4) والركب شال قاصداً نحو الحمى تقطع به العيس آكام الصلصل

و-1) والجود في هذا العصر قلّت سخاته فلم تلف فضلاً لندرة زارع

و-2) وقد رمتها مراراً عن حب سادة فأبت عن ذاك فأنت سوابع

ز-1) ألا حتى رسماً فاراً قد صارت من

بوادي الأنباع دون البقاع
ز-2) تذكرت فيها فقلت: واهاً على
زمان الصّبا تلك الصراع
ز-3) ونشفي سليمي ذوات الأعجاز وضخم
وأم الفضيل الأرصاع
ز-4) أو أن الربيع وهو يقطفن من زهر
في شهر إبريلز الإبداع

وهذا الطابع البنائي ينتاب أشعاره لغة، وتركيباً، وعروضاً، دون أن نتطفل على نواحي فنية وجمالية لا تدخل في اهتمام علمنا هذا، فأنت لا تستطيع أن تَفْقَه (هـ-1) فَقَهاً سليماً بسجيّتك، إلا إذا هذّبته أو حوّلته تماماً إلى العامية، وخاصة الشطر الثاني (وغنها لتقطع كم من مرحل)، و"أردى" في الشطر الثاني من (هـ- 2) قد تطلق العامية الجزائرية "ارْدَا" على كل ما يُرمى من الشيء، ولكنه يقصد بها "أردأ" (اسم تفضيل) من رَدُؤَ الشيء يَرْدُؤ رَداءةً، فهو رديء دلالة على الضعة والخسَّة، أو حتى من رَدُؤ الشيء يَرْدُؤُ رَدَاءة، فهو رَدِيء، ومن ثم فالكلمة (أردى) عنده لا هي فصيحة، ولا هي عامية، وكلمة "شال" موظفة في غير محلها، فالسياق يبعدها مما تعنيه من معاني في الفصحى، والعامية الحديثة تستعمل "شال"، غالباً في الأمر "شِيلُو" أي

إنْزِعْهُ، والصُّلْصُل في الفصحى الفاختة (طائر)، وناصية الفرس، وبقيّة الماء في الإداوة وفي أسفل الغدير، إلا إذا كان قد سرح بخياله إلى بعض المواضع، وانظر لجمعه "سخي" على "سخاتة" بدل "أسخياء" في (و- 1)، وقد يكون وقع له لبس مع "سراة" (جمع سَرِيّ)، مع أن هذا الأخير لا يكاد يوجد له نظير، لأنه لا يجمع فعيل على فَعَلَة، وانظر لاستعماله كلمة (سوابع) في (و-2)، جمعاً لسابع، مع أنه لم يأت في جمع مذكّر من يعقل فواعل إلا كلمات نادرة (فوارس، نواكس، هوالك، ونواكص، وسوابق، وخوالف، نواجع، وصواحب)، وكل هذا من فاعل، ومنهم من لم يزد على الثلاثة من هذا الضرب، والبيت (ز- 1) بيّن في عاميته، هل "قفاراً" خبر مقدم للفعل (صار) أم حال من "بوادي الأنباع" أم ... ؟ وتأمل "على تلك الصراع" في (ز- 2)، ماذا يقصد بالصراع ؟ وإذا كان مما لا بدء فلم لم يقل "على ذاك الصراع" تبعاً لبناء عروضه ؟ والتفت في (ز- 3) إلى "ذوات" التي نعت به مثنى مؤنثاً لا جمعاً، ومثنى ذات دواتا، كقوله تعالى: "ذَوَاتا أَفْنَانٍ"، وانظر إلى جمعه العاميّ لكلمة "الأعجار"، والعامية

تطلق على ما تلفّ به الجزائرية رأسها تغطية لشعرها "العَرَّاجَة"، والكلمة من "المِعْجَر" وأصله ثوب أصغر من الرداء ترديه المرأة، ومنه قبل: اعتجرت المرأة لبست المعجر، ويقابل المعجر أو العرَّاجة" تقريباً le foulard في الفرنسية، وقال المُطَرِّزِيُّ: المِعْجَر ثوب كالعِصَابة تلفّه المرأة على استدارة رأسها، ولسْتَ بحاجة إلى الضجر من بيان ما ورد في (ز- 4) من تهجينات عامية: "إبريلز" (أبريل)، "وهو يقطفن" (يقطف)، وما دخل النون هنا ؟ ... أما الاختلالات العروضية ...

وعموماً، فإن نصوص نهاية العهد التركي، وبداية الاحتلال البغيض الفرنسي، نصوص فقدت رونقها، وطلاوتها، وسلاستها، لا هي نصوص شعبية تُعْذر وتُقْبل على علاّتها، ولا هي نصوص فصيحة بلغة سليمة، ولعل مُسَلَّم بن عبد القادر أكثر من دلّل في شعره المهجَّن في فصحاه على هذه الفترة الثقافية الدامسة [1].

2-3) مُسَلَّم الوهرانيّ نموذجاً على التهجين اللغوي في العهد العثماني:

ومن التراكيب الفصيحة التي غزتها كلمات

[1]- راجع مثلاً المرجع السابق، ص: 34 – 36.

عامية أو هُجِّنَتْ بكلمات أجنبية، تراكيب وجمل وردت في أحد مؤلفات مُسَلَّم بن عبد القادر الذي مدحه نخبة من شعراء عصر منطقته الغربية[1]:

ط-1) والعامة هي ما تعمّ جميع الناس، مثل المسقبة وحدوث الطاعون، وقيام بعض الناس العامة فتنتهم على الإقليم.

ط-2) بقي في المملكة ثمانية عشر سنة ... وهو الذي دوّخ الأعراب.

ط-3) ويعلقون معهم قلائد من البَبُّوش ويتظهّرون الزهد في الدنيا، ومهما توجهوا إلى الناس يدارونهم، يظنون أنهم على الحقيقة.

ط-4) وبقي في المملكة ثلاث سنين غير شيء

ط-5) وقطعوا الاياس من فتح البلد

ط-6) فصاروا هم المقدمون في تلك الأمور

ط-7) فأمر بركوبهم في البحر في شقف عيّنهم إليهم وبعثهم إلى الجزائر

ط-8) ومن يريد العمل يصبر لجني النحل

ط-9) وتحاربوا ساعة، وانهزموا مجاهر

---

[1]- نعتمد في اقتطاف هذه التراكيب على "أنيس الغريب والمسافر".

ط-10) وقصد به المحلة والناس على غفلة، إذا العياط: ...

ط-11) والباي في قلبه شيء كثير مما هو فيه القرغلان أهل تلمسان

ط-12) وكانت مقدمة بني عامر كلاً رجلية، شبهوهم بعساكر الأتراك، كمن شبّه الموكة بالطير.

ط-13) لا يلقى فيها سالكها أنس ولا أنيس إلا البوم الذئاب تقاوي من فقد الأنيس.

ط-14) وقد عدم الدواب، فأمر بحمل بعض الدُّوزان على الأثوار.

ط-15) وكان مسرار لشيخه بعض التقي على متولي أمره فأعلم به الباشا ظهر له رأيه أنه لا يفيد في ذلك إلا الباي محمد.

ط-16) وحملت الأنهار، وانهدمت الأمصار.

ط-17) وكان قد أتى معه بالقفطان المعد للبايات.

ط-18) وبعثوه للجزائر يعقلوه بعد طويل زمان.

ط-19) فالريال دورو كان فيه خمسة عشر أوقية

ط-20) وكان الوقت وقت دنوش إلى الجزائر، كما هي البايات يدنشون للجزائر على رأس

كل سنة ثالثة من السنين، يخرج الباي مدنشاً إلى الجزائر ... ودنش الباي بجميع ما دنش به الباي على من الأموال الكثيرة.

ط-21) وزوّج ابنته إياه، وشوّرها له بما لا قيمة له من الدُّر والذهب.

ط-22) كريم عفيف توفي فيما تقوله ومهما يضيق الأمر أنت له أهل

ط-23) لأن على يديك فتح الحوائج وعن قطر ماء المزن جودك أهطل

ط-24) فسعدك من يلجا لبابك يسعد وإن كـــــان راديـاً تهذيبه يكمل

ط-25) إن لم تدركـــــــونا عزماً فاقطعـــــوا منـا الايـــــــــــاس

ط-26) أيا عسكر الأعراب غُرِرْتُمْ بجمعكم فسوف تروا ماذا يحيشكم يَصِيرْ

ط-27) ولكنّ أمر الله ليس له ردّ وحين القضا يأتي يعمى له البصيرْ

ط-28) حتى بقوا نساوهم يهومون في كـــــل وطن واتلفت الأولاد

وسوف نجتزئ بتحليل التهجينات الواردة في التراكيب النثرية والشعرية من (ط- 1) إلى (ط- 28) ببيان تهجيناتها المختلة

صوتياً أو نحوياً أو صرفياً أو دلالياً أو معجمياً:

ط-1) العامة خلاف الخاصة، لكن المتكلم أطلق العامة على الناس خاصتهم وعامتهم، واستعمل "المسقبة" بالقاف بدلاً من المسغبة بالغين، وهي المجاعة، كقوله تعالى: [أو إطعام في يوم ذي مَسْغَبَة][1]، هذا إلى جانب ركاكة واضحة في قوله "وقيام بعض الناس العامة فتنتهم على الإقليم"، لأن "قيام" مصدر "قام"، وهذا لازم، وكيف يعدّي مصدره؟ ثم كيف يصف الناس بالعامة، وهم في الأصل عامة وخاصة، وكان الأولى القول: "بعض الناس من العامة" ؟

ط-2) ترى المعدود مؤنثاً والعدد مذكراً، وهذا خلاف كلام العرب؛ كقول امرئ القيس:

إذا نحن سِرْنَا خمس عَشْرَة ليلةً
وراء الحِساء من مدافع قَيْصَرا

وأما قوله: "دوَّخ الأعراب" فهو جائز في الفصحى على المجاز، ولكني لم أقف له على استعمال خارج عاميتنا، لأن التدويخ أو حتى التديخ معناها الإذلال.

---

[1]- البلد: 14.

ط-3) "ويعلقون معهم قلائد من الببوش" فالببّوش أو "أُغْلاَلْ" عندنا معروف، وهو الحلزون في المعاجم العربية، وكل دُويبَّةٍ منه تحمل اسماً خاصاً بها في عامّيتنا، وهي كلمات جزائرية محلية قديمة بقيت حية ومستعملة لحاجة الناس إلى هذه الدويبّات لاتخاذها غذاء لهم، وفي (ط- 3) خطأ صرفي واضح في قوله "يتظهرون" بدلاً من "يتظاهرون" من تفاعل لا من تفعّل، ورفْعُه كذلك "يظنون" بإثبات النون، ومحله جواب الشرط.

ولا أحسب أن الرجل التفت إلى ألفية ابن مالك:

وبَعْدَ ماضٍ رَفْعُكَ الجَزَا حَسَنْ

فنقول: إنه بنى الماضي (توجهوا) على ما يُبْنَى عليه، ورفع المضارع (يظنون) على الرفع جوازاً، بل رفع جواب الشرط دون مبالاة.

ط-4) ركاكة في قوله "غير شيء" لو استعمل "إلا" لكان أفضل.

ط-5) كلمة "الاياس" كلمة عامية من اليأس

ط-6) رفع المتكلم خبر كان (المقدمون) دون مراعاة لقاعدة جواز رفعه ونصبه هنا، على أن يكون "هم" ضمير فصل، بل رفعه من باب ارتيائه ذلك، وإلا فإن القراء مثلاً قرأوا قوله تعالى: "فلمّا توفَّيْتَني كنتَ أنت الرقيب عليهم" [1] بالنصب والرفع، وروى سيبويه عن عيسى بن عمر أن ناساً كثيراً يقرأون قوله تعالى: "وما ظلمناهم، ولكن كانوا هو الظالمون" [2] برفع "الظالمون"، ... لكن مسلَّم بن عبد القادر، لا أظن أنه كان متفقهاً في هذه القواعد العربية، بل رفعه دون مبالاة على الكلام العاميّ.

ط-7) ما من شك في أن الرجل يعني بكلمة "شقف" قارباً أو مركباً بحرياً بسيطاً، إذا قصد به التحقير، فكلامه جيّد، لأن الشَّقَفَ محركة الخزف بعينه أو ما تكسَّر من قطع منه وهذا ما نعرف في عاميتنا، ولعله ليس من الشَّقَف، بل من الشُّقْدُف، وهو مركب معروف بالحجاز.

ط-8) كلام عامي، لأنه رفع فعل الشرط (يريد) ...

---

[1]- الجمل، ص: 153 – 154 للزاجاجي.

[2]- الكتاب، 2/392 – 393.

ط-9) تركيب ركيك جداً، بل غير مقبول حتى فيما نعرف من عامية، لتعديته "انهزم"، والتعبير السليم "انهزموا في مجاهر".

ط-10) يقال في عاميتنا: عَيَّطْلو، أي نَادِه، و"لَعْيَاطْ" الصُّياح ورَفْع الصوت، علماً بأن العياط تعود إلى "عِيطِ"، وهي كلمة مبنية على الكسر تدل على صوت الفِتْيان النَّزِقِين (الطائشين) إذا تصايحوا، أو كلمة يُنادى بها عند السَّكْر أو عند الغلبة، وقد عَيَّط إذا قاله مرة، فإن كرَّر، فقل: عَطْعَط، وهذه الإحالات الدلالية الأصلية تبيّن بوضوح ارتباط العامية الجزائرية بأبعد ما في العربية الفصحى العتيقة من كلمات عادة ما غدت تُنْعَت بأنها غريبة.

ط-11) كلمة القرغلان التي تحوّلت في تلمسان إلى كراغلة كلمة تركية تعني كل من كانت أمه جزائرية، وأبوه تركياً.

ط-12) الواضح للعيان في هذا التعبير أن "كلاً رجليّة" تعبير عامي ركيك جداً، لأننا لو حملنا "كلاّ" على الإعراب هنا، لما وجدنا لها إعراباً أي دلالة، وهي (كلّ) معرفة لأنها في نية الإضافة، ولذلك نصبت العرب عنها الحالَ، كأن تقول: مررت بكلّ جالساً أو ضاحكاً، ونسب "رجلية" إلى

"الرِّجْل" لا إلى الراجِل، ولربما نسبها إلى راجل غير عابئ، طالما أن جمع الراجِل (خلاف الفارس) رَجْلٌ مثل صاحب وصحب، فضلاً عن الالتباس الذي يبقى يسود "رجلية"، لأن الرَّجُلَ يُجْمَع جمع القلّة على "رجْلَةٍ" أيضاً، ومما يَلْفِتُ انتباهنا استعمل كلمة "موكة" (البوم) المتشاءم منها لدى الناس عامتهم وخاصتهم، ويبدو أنها إطلاق جزائري قديم.

ط-13) التركيب مهجَّن نحوياً حيث رفع "أنس ولا أنيس" والصواب نصبهما، ثم وصف الذئاب بأنها "تقاوي" بدلاً من "تعوي"، وإذا ما أراد أن يذهب بعيداً في لغته، فكان عليه أن يقول: "تُقَوْقِي" من: قَوْقَى قَوْقاةً وقِيقَاءً إذ صاح، فالكلمة كما ترى صحيحة إلى حد ما دلالياً، وخاطئة صيغة، بل غير سليمة حتى في دلالتها، لأن العرب تنعت كل صوت متحرك وجامد، خافت وصاخب بنعت خاص به، إذ لا يمكن أن نقول: يَخور الخروف، وتموء البقرة، وينهق الفرس،...

ط-14) كلمة "الدوزان" لا تزال تستعمل حتى الآن في عاميتنا، وتعني الأدوات والأمتعة، ويبدو أنها ذات أصل فرنسي، لأن " Douzain" تطلق عندهم على نقد فرنسي قديم، أو على قصيدة من اثني عشر بيتاً، ثم ما لبث أن

عُبِّر بها عن كل كمية تتكون من اثني عشر نوعاً، وهذا ما نعنيه، حين نقول "الدَّزِّينة" بنطق الدال طاء أو إشماسها شيئاً من التاء.

ط-15) كلمة "مسرار" عامية ركيكة، والتركيب كله مهجَّن فاسد، لا هو نظوم عامياً، ولا هو مركب فصيحاً.

ط-16) كثيراً ما نقول: "الوَادْ حْمَلْ" إذا امتلأ مطراً، وفاض على جانبيه، ربما من حملت المرأة، إذا عَلِقَتْ، تُطْلق الحَمْلة في عاميتنا على فوران المطر فوق البراري، وأصلها الكرّة في الحرب، ومال المتكلم إلى اللغة الشعبية (وحملت الأنهار)، وعندنا يفرَّق بين الوادي الذي عادة ما يكون جافاً خارج موسم الشتاء، أما النهر، فلا يكون كذلك، ولذا يقال: فاض النهر.

ط-17) القفطان، اسم بِذْلَة راقية الطرز، عالية النسج، تُصْنع خصِّيصاً للبايات لتميزهم عمّن دونهم وفوقهم آغات وبشوات، ولا يزال يُطَرَّز لِلْعرائس لدى العائلات الميسورة.

ط-18) لسنا بحاجة إلى التنبيه على كلمة "يَعَلْقُوهْ" فهي كلمة عامية منحطة.

ط-19) يشمل التعبير كلمة تطلق على قطعة نقدية لم تعُدْ مستعملة بيننا، وهي "دورو"، وهي أكثر قيمة من "رْبَيَّعْ" ودونها "الصُّولْدي"، وكلمة " douro" نقد إسباني قديم، أما "صُولْدي" فيبدو أنها مستوحاة من solder الدالة على تصفية البضائع بتخفيض أثمنتها، وأما الخطأ الثاني، فيكمن في تذكير العدد، والمعدود مؤنث.

ط-20) التشوير في العربية الفصيحة التلويح بشيء لغيرك يُفْهم من النطق، أي شوَّر: أومأ، كأشار، ويكون بالكف، والعين، والحاجب، وشوَّرْتُ الرجلَ فتشوّر، أي أخجلته فخجل، وأما المِشْوار فهو المكان الذي تُعْرَض فيه الدوابّ، ولعلّ التركي بتلمسان من هذا، أي بُني على ساحة كانت الدواب تعرض فيها، ويظهر أن شوَّر الواردة في (ط-20) تعني التسفير تبعاً للسياق.

ط-21) يحوي تهجينات نحوية وعروضية فاحشة، هي أوضح من أن يشار إليه.

ط-22) بيت شعري في غاية الركاكة لغة وحتى عروضاً.

ط-23) بيت مختل عروضاً، ومهجّن، ومهجَّن لغوياً، حيث ألجأته الضرورة العروضية القصوى إلى حذف همزة "لجأ"، وإشباع ما لا يشبع،... وهكذا فيما بقي في (ط-24)، (ط-25)، (ط-26)، (ط-27) من تعابير هي أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى.

2-4) بقايا لغوية تركية في لغة الاستعمال

وهذه الكلمات التركية التي دخلت اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة العثمانية، لم تكن تخص جهة دون جهة من البلاد، بل كانت تستعمل في مختلف الجهات، لأنها مصطلحات مهنية، وإدارية ديوانية، ومدنية، وعسكرية، وتجارية، ... بدليل استمرارها ما بعد رحيل الأتراك، قدور بن رويلة كاتب الأمير عبد القادر، نجده لا يتردد في استعمال بقايا لغوية تركية[1]:

(1) هو يستعمل كلمة الآغا، وقد تلفظ: آقة أو آقا، وهي كلمة فارسية معناها الرئيس أو السيد أو الزعيم: "إن الآغا - أعني رئيس العسكر المحمدي - أو السياف أو

1- اعتمدنا في إثبات الكلمات على: وشائح الكاتب، قدور بن رويلة.

كبير الصف، إذا مات في القتال، فلا ينقطع راتبه، وإنما يبقى جارياً على ولده إلى أن يقدر على حمل بندقيته"، ولْنَلْتَفِتْ إلى كلمة البندقية ذات الأصل الفارسي.

(2) وكان يطلق على رئيس المدفعيين في جيش الأمير "باش طبحي".

(3) ومن ذلك كلمة "البرغل"، وتعني ما يقابل تشيشة أو دشيشة عندنا، وهي تطلق في منطقتنا على سميد الشعير المقابل لسميد القمح، والدشيشة كلمة عربية فصيحة، وهو حَسْو يُتَّخَذ مِن بُرّ مَرْضُوض أي مدقوق أو مجروش، وفي نوادر اللغة أن بعض العرب كانوا يقولون: المهروس والمجشوش واحد، وهي هريسة وجشيشة، والهريس والجَشِيش الحَبُّ حين يُدَقّ بِالمِهْراس قبل أن يُطبَخ، فإذا طُبِخَ فهو هريسة وجشيشة.

والغريب أنّ "البرغل" على وزن قنفذ ولد الضبع أو ولد الوَبْر من ابن آوى، وتطلق البراغيل على القرى والأراضي القريبة من الماء، أو كل بلاد بين الريف والبر، لكن مفردها بِرْغيل، ويقال بَرْغَل بَرْغَلة لمن سكن البراغيل.

(4) "فإن فُقِد الخبز، فرطل بِقسماط في مكانه، فإن فُقِد الخبز والبِقَسْماط، فيأخذ الدشيشة".

البِقَسْماط خبز شديد اليبوسة، وذكر محقق الكتاب[1] أن هذه الكلمة تطلق أيضاً على الكعك، والكلمة تركية فارسية الأصل، مع العلم أن الكعك خبز معروف فارسي معرّب، لكن الكعك عندنا، مثلما يعرف الجميع، لم يعد خبزاً عادياً، بل صار من صنف الحَلوِيَّات.

(5) والقمجة زوج ريالات ... والبلغة بسعر الوقت، والبلاصة ريال واحد.

ذكر المحقق أن القمجة لغة إقليمية وأصلها إيطالية، ومعناها القميص، وما نعرفه أن القميص كلمة عربية لا غبار عليها، وجاءت في الذكر الحكيم، وفي كلام العرب القديم، وهذا ما زعمه صاحب "غرائب اللغة العربية"[2] من أن القميص مقتبسة على الأرجح من camisia اللاتينية.

والبلاصة حمالة الفَشَك، "والفشك أنبوبة صغيرة من النحاس أو الورق المقوى

1- د. محمد بن عبد الكريم.

2- غرائب اللغة العربية، ص: 279 الأب رفائيل نخلة اليسوعي.

(كارتون) تحشى بارود اً، ورصاصاً، ... وكلمة فشك تركية الأصل، أما كلمة البلاصكة، فإنها إسبانية النزعة" [1]، أما البلغة، فهي معروفة عندنا، ولعل أجود منها ما يصنع حتى الآن في فاس وتلمسان، وغالباً ما ينتعلها الناس في صلاة العيدين وأيام الجمع، ومما قد يتحاجى به العوام عندنا قولهم: "حَاجِيتَكْ، جاتْ حَتَّى لَدَّارْ، أُحَشْمَتْ" (جاءت حتى الدار وَحَشِمَتْ)، فيكون فَكُّ الأُحْجُوَّة: "البَلْغَة" كناية عن الضيف أو الغريب الذي لا يدخل داراً دون صاحبها.

(6) للطباخ سبع ريالات... وله كسوة الأولى من بيت المال، وهي من الشائق".

شرحها المحقق أنها الكتان العادي، بينما فسَّرها بعض الأوروبيين بنوع من الأقمشة الصوفية الرقيقة الضيقة العرض" [2]، وهي تركية، ولا أدري كيف تنطق، لأنها على وزن اسم الفاعل من "شاق" العربية من حيث الرسم الشكلي.

1- وشائح الكتائب، ص: 51 هـ: 5.

2- وشائح الكتائب، ص: 59 هـ: 4.

(7) هذا إلى جانب كلمات تركية فارسية دخلت اللغة التركية، ثم امتزجت بالعربية في الجزائر، ومنها:

- الطنبورجي، وتطلق على الطبال أو رئيس الطبالين، وأخذت من tambour الفرنسية.

- الشاوش، رتبة في الجيش، يقابلها العريف في وقتنا، أي caporal، وغدت تطلق اليوم عادة على ما يسمى البوّاب أو الحاجب le concierge.

وخلّف العهد التركي وراءه ثروة لغوية مزيجة من لغات شتى، كالفارسية، والإسبانية، والفرنسية، واليونانية، والسريانية، ... ما لبثت أن وُظّفت في دولة الأمير عبد القادر من بعدهم، وخاصة ما تعلق منها بالجندية، والأسلحة، والرتب والأوصاف العسكرية وقوانينها "لصاحب الطنبور سبع ريالات ونصف،... وله خبزتان في كل يوم من مطلق الخبز، أو رطلان بقسماطاً، وينزل مع الآغا في المحلة [1]، وأما مطلق الطنبورجي فله سبع ريالات"[2].

1- الجيش البري، والكلمة إقليمية.

2- وشائح الكتائب، ص: 60.

وممّا نراه جديراً بالتنبيه إليه أن مسلَّم بن عبد القادر لا يمثل نموذجا على سمات عصره الثقافية والأدبية، بقدر ما يمثل ثقافة فردية في الغرب الجزائري في نهاية العهد التركي، لأن النصوص التي سبقته، مثلما نجد ذلك في "التحفة المرضية في الدولة البكداشية" لمحمد بن ميمون، تجعلنا نجزم القول بأن نصوص مسلَّم تمثل نفسها أكثر مما تمثل عصرها، رغم أننا لا ننكر أنها مطبوعة بطابع الضعف الذي انعكس سلبا على الحركة الإبداعية الشاملة في البلاد العربية كلها. وإشارتي بأنّ مسلَّماً الوهراني دليل على نفسه أكثر مما هو دليل على عصره، قد أجد له ارتياحاً واستئناساً فيما ذكره الدكتور محمد بن عبد الكريم بقوله: "وعلى ضوء هذه النصوص، يتبين لنا أن الثقافة في القطر الجزائري، قد كانت جهوية إقليمية أكثر منها قطرية عمومية، وأنها كانت محصورة في أشخاص معينين، وأماكن محدودة"[1].

1- التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص: 55.

وردّ الباحث الجزائري ضعف الحركة اللغوية والأدبية والثقافية في الفترة العثمانية بالجزائر إلى سببين[1]:

(1) الدولة التركية الجزائرية كانت عجمية اللسان، لا تفقه شيئاً مما ينشده الشعراء، فهي دولة حرب، لا تهتم إلا برجال الحرب.
(2) التوجيه التعليمي كان توجيهاً دينياً أكثر منه أدبياً.

وأما المنتوج الأدبي، فكان مضمونه "يغلب عليه طابع التقليد الأعمى من حيث التفكير، تارة لعلماء المغرب الأقصى، ... وتارة لعلماء المشرق العربي، وتارة لعلماء بجاية أو تلمسان، أو الأندلس، ... بيد أن هذا التقليد لم يكن يجري في الأسلوب مجراه في المضمون، فقد أصبح أسلوب علماء القطر أغلبه مشوب بألفاظ عامية، زيادة على ركاكة في التركيب"[2].

1- نفسه، ص: 56 – 57.
2- نفسه، ص: 61 – 62.

التهجين في الجزائر
(مدينة تيزي وزو أنموذجا)،
"دراسة وصفية تحليلية"

أ/ حياة خليفاتي (جامعة تيزي وزو)

J

يعد التهجين في عصرنا الحديث الأسلوب اللغوي الراقي الذي يهيمن على أغلب لغات العالم لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وحضارية... الخ. ولقد شغل هذا الموضوع تفكير العلماء والباحثين الذين يقومون على حماية فصاحة اللغة وبقاءها مهما كان مقدار التطور الذي يطرأ عليها. ولا يمكن أن نتنبأ بأحداث اللغة وطبيعتها في المجتمع إلا بدراسة الواقع اللغوي الذي يخضع إليه ذلك المجتمع.

إنّ دراسة الوضعية اللغّوية لبلد ما عادة ما تعتمد على البرامج التلفزيونية أو اللافتات الإشهارية لذلك البلد، ولكن هذه الدراسة تبقى ناقصة. والمجتمع الجزائري واحد من هذه المجتمعات الذي

يحوي خصوصيات لغوية مميزة ، مختلفا عن غيره من المجتمعات نظراً للظروف التاريخية والسياسية التي مرّ عليها. ويعد انتماؤه الإسلامي وهويته العربية وكذا توسعه الإقليمي الذي ساهم في تشكيل كتلة لغوية واحدة والتي وإن بدت مختلفة في الظاهر فهي متجانسة ومتفاعلة فيما بينها. وانطلاقا من الدراسات السوسيولسانية الحديثة ارتأيت أن أعالج التهجين اللغوي في الجزائر وأثاره على اللغة العربية الفصحى. ونظرا أن دراسة الوضع اللغوي في الجزائر يتطلب وقتاً طويلا جداً وربما قرونا ، للتنقل إلى كل مناطق البلاد شبرا شبرا حتى نتمكن من حصر كل اللغات وأنواعها ، لتحديد طبيعة الهجين أو العدوى اللغوية المنتشرة فيها. اقتصرت دراستي على أخذ عينة من المجتمع في مدينة تيزي وزو وخاصة بالمدينة العليا لنثبت مدى أهمية التعايش اللغوي في ذلك الحي رغم اختلاف الفئات من حيث السن والجنس والمكانة الاجتماعية والثقافة والمستوى التعليمي من ناحية؛ ومدى أهمية استعمال ذلك الهجين لدى الأفراد في البيت والشارع

وأثاره على لغة التعليم في المدرسة من ناحية أخرى. سأحاول من خلال بحثي الإجابة عن بعض الإشكاليات التي تتمثل في: ما هي أثار التهجين اللغوي على اللغة العربية الفصحى ؟ وهل الفرد الواحد قادر على استعمال أكثر من لغة أثناء تواصله مع غيره؟ وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التحليلي الإحصائي ، نظراً لطبيعة الموضوع والدراسة. وينقسم البحث إلى عنصرين هامين وهما:

1- واقع التهجين اللغوي في الجزائر (المدينة العليا بتيزي وزو أنموذجا).

2- أثار التهجين على اللغة العربية الفصحى.

1- واقع التهجين اللغوي في الجزائر (المدينة العليا بتيزي وزو أنموذجا): يتسم المجتمع الجزائري في عصرنا الحالي بتعدد اللغات أو اللهجات أو الدارجات والنوعيات اللغوية التي تحتك وتتصارع بعضها البعض لأسباب سياسية وثقافية واجتماعية وتاريخية واقتصادية وحتى حضارية ، التي تنتج استعمالات لغوية متباينة ذات مجالات ووظائف مختلفة؛ وبالتالي ينشأ ما يسمى بالاختلاط أو التحول اللغوي والدخيل

والتهجين اللغوي. وينقسم التهجين اللغوي في الجزائر إلى قسمين أساسيين وهما: التهجين اللغوي غير القصدي ، والتهجين اللغوي القصدي.

أ) **التهجين اللغوي غير القصدي:** هو ذلك النوع اللغوي الذي يستعمله الفرد أو المجتمع بطريقة غير شعورية ، دون أن يدرك كل واحد منهما مدى ترابط درجة التفاعل بين اللغات المتعايشة في المجتمع الواحد في الآن ذاته. ويعود وجود هذا التهجين اللغوي إلى أسباب تاريخية واستعمارية وثقافية وإثنية، أو إلى انتماء تلك اللغات واللهجات إلى فصيلة لغوية واحدة أو إلى فصائل لغوية مختلفة. ونأخذ على سبيل المثال اللغة العربية التي امتزجت مع لهجاتها التي تنتمي إلى اللغات السامية ، فنتج عنها مزيج لغوي بين تلك اللهجات وبين اللغة العربية الفصحى ، الذي أعطى لنا التهجين اللغوي الذي يمتد شرقا وغربا وشمالا بمقادير متفاوتة ومختلفة. إن هذه الظاهرة تنطبق على كل لغات العالم بدون استثناء ، حتى أصبحت تكوّن حدثا طبيعيا ملموسا وحتميا لضرورة وجود الاتصال بين الأجناس. ونلاحظ أن معظم دول

العالم تتصف بتعدد اللغات أو اللهجات الذي يرمي إلى وجود ما يسمى بالسوق اللغوي. ولقد عالج العلماء الغربيون كجان لوي كالفي (J.L)CALVET ورونالد بروتو BRETON(R) وبعض العرب وأشهرهم: أحمد بوكوس ودليلة مورسلي وخولة طالب الإبراهيمي قضية التهجين اللغوي بإيجاز أو كإشارة وموضوع للتعدد اللغوي. ويقول **جان لوي كالفي** في كتابه حرب اللغات La guerre des langues عندما درس التعدد اللغوي في فرنسا ما يلي: **"وأن السوق اللغوي في بلادنا عبارة عن عملية إنتاج اللغات وتشكيلها لعوامل تاريخية اجتماعية التي لا تتحدد وظائفها إلا في إطار قانون السوق اللغوي الذي يقدم لكل لغة مكانتها الاجتماعية واللغوية"**[1]. يشير **جان لوي كالفي** إلى أن المجتمع الفرنسي لا يستعمل اللغة الفرنسية الفصحى ، وإنما يستعمل إما اللهجات الفرنسية بنوعيها الإقليمي والمحلي والدارجات الفرنسية؛ أما اللغة الفرنسية الفصحى فتستعمل في الحكومة والمؤسسات الإدارية وفي التعليم ولدى فئة من المثقفين. إن هذه اللغات الراسخة في ذهن الفرنسي أو مجموعة من الفرنسيين هي

بمثابة أنماط لغوية غير مباشرة نتجت بسبب احتكاك اللغة الفرنسية الفصحى بلهجاتها أو بلغات أجنبية أخرى وهي تخضع لبعض قواعد اللغة الفصحى التي تشكل السوق اللغوي. ولا يمكن تحديد مكانة اللغات ووظيفة كل واحدة منها إلا في إطار تحديد سمات اللغة الفصحى. وتثبت الدراسات الحديثة التي أجريت على التعدد اللغوي في الجزائر، على أن السوق اللغوي الذي يوحي إلى وجود فوضى اللغات يعد سوء فهم لمكانة اللغات عند البعض ، الذين يظنون أن الاستعمال يقوم على عرض مجمل اللغات التي تؤخذ باختيار جماعة لغة دون أخرى. إن هذا الزعم خاطئ ، لأن المجتمع ليس أمام مواد يختار واحدة لميله إليها ويترك أخرى لعدم ذلك؛ بل أن اللغة تصوير لكفاءات يملكها الفرد أو المجتمع من أجل استنباط اللغة التي تعطي له مردودا قويا مع أفراد مجتمعه فيتجه إليها ويتحدث بها ، وهذه الكفاءة تختلف من فرد إلى آخر. وليست اللغة عرضة للطلب الفردي فقط بل هي مقصورة على الطلب الجماعي، يعني أنها ليست تجارة قائمة على العرض والطلب ، بل هي ممارسة مستمرة

وظاهرة اجتماعية يتطلبها المجتمع والفرد معا. ولا يمكن أن يكون السوق إلا تعايشا بين اللغات، بتأثرها أو صراعها مع اللغة الفصحى التي تمثل لغة الأكثر غلبة في المجتمع من حيث المكانة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية. وتنحصر هذه اللغات في الجزائر في: اللغة العربية الفصحى- اللغة الأمازيغية- اللغة الفرنسية والدارجات.

- اللغة العربية : تأتي في المرتبة الأولى، لأنها تمثل لغة الأكثرية التي اتسعت على الرقعة الجغرافية للجزائر ومن عوامل اتساعها: تاريخية، جغرافية، ثقافية واجتماعية وتفرعت منها: اللغة العربية الكلاسيكية (الفصحى) AC- اللغة العربية المعيارية AS- اللغة العربية المتوسطة AM (اللهجات+اللغة العربية المنمطة) AD والدارجات العربية.

- اللغة الأمازيغية: اللهجة القبائلية- الشاوية- الترقية- الميزابية.

- اللغات الأجنبية: اللغة الفرنسية.

يخضع مجتمع متعدد اللغات إلى صراع لغوي يتم بين لغة ذات حضارة راقية ولغة ذات حضارة منحطة، أو بين لغة البيت أي اللغة

المحلية وبين اللغة الدارجة أو اللغة العربية الفصحى، وبين لغة الأكثرية ولغة الأقلية. ويمثل هذا الصراع اللغوي قانونا اجتماعيا يحدث بين اللغات المتداخلة [2] بعضها البعض ، بسبب الصراع الاقتصادي والثقافي، ومن نتائج هذا الصراع حالات منها :

- **الحالة الأولى:** حدث الصراع اللغوي نتيجة نزوح عناصر أجنبية إلى البلد إثر فتح أو استعمار أو هجرة، أي أن ينزح عنصر أجنبي ينطق بلغة غير لغة أهله، فتشابكت اللغتان في صراع ينتهي إلى إحدى النتيجتين: فأحيانا تنتصر لغة على أخرى، فتصبح لغة جميع السكان قديمهم وحديثهم. وأحيانا لا تقوى إحدى اللغتين على الأخرى، فتتعايشان معا. بالنسبة للنتيجة الأولى تبين أن تعايش تلك اللغات أدى إلى اختلاطها الذي يحدث الصراع اللغوي الذي يتخذ طابع السيطرة ، بتغلب لغة قوية على لغة ضعيفة فيكتب النصر للغة الراقية حضاريا[3]. فتصبح لغة جميع السكان، وإن قل عدد أفراده عن عدد أفراد الشعب المغلوب ، شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة طويلة، وأن تتموقع بصفة دائمة حتى يتكيف معها

أفراد المجتمع الناطق بها، وأن يمتزج بأفراد هذا الشعب الغالب. ويشترط أن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة، أو من شعبتين متقاربتين. وهذه الحالة نجدها أثناء انتشار اللغة العربية على كل المجتمعات الأجنبية التي اتصلت بها حضاريا وثقافيا. وقد نجم عن فتوح ات العرب في آسيا وإفريقيا أن تغلبت لغتهم على كثير من اللغات السامية الأخرى وع لى اللغتين القبطية والأمازيغية في شمال إفريقيا[4] فأصبحت اللغة العربية لغة الحديث في شبه الجزيرة العربية في مصر والعراق وشمال إفريقيا مع العلم أن الجالية العربية في هذه البلاد أقل بكثير من عدد السكان الأصليين. كان للعرب شأن كبير في عملية الاحتكاك وخاصة عندما عاشوا تأثيرات أجنبية كثيرة. ونظرا لازدهار التجارة في المغرب في القر نين الثاني والرابع الهجري دخلت في تيار اقتصادي عالمي، وأصبحت الثقافة مكتوبة بالعربية، والحياة العلمية والفنية في المغرب الأوسط لا تنفصل عن بعضها البعض، وهي مزيج من الإنتاج الشرقي والأندلسي. إذ أن العرب جزء من إفريقيا، ويؤكد أن

وجوده هو وجود متكامل جغرافيا وبشريا، فهما يلتقيان في الزمان والمكان وفي السعي. وقد بنوا حضارة مشرقة، ولم يدخل العرب إفريقيا غازين، وإنما تفاعلوا وامتزجوا وأسسوا دولا مشتركة. وكانت الجامعات الإفريقية العربية والمؤسسات العلمية من الروافد الكبرى للثقافة العربية لتبادل العلوم والدراسات فيما بينها، هو الأخذ بلغتها وبكتابتها وبالحروف العربية، وأنتجت بها في مختلف المعارف. وقد ظلت اللغة العربية أكبر اللغات في شمال إفريقيا عامة وفي الجزائر خاصة إلى يومنا الحالي.

- **الحالة الثانية:** تتمثل في انحطاط اللغتين اللتين تنتميان إلى فصيلة لغوية واحدة أو إلى فصيلتين لغويتين متقاربتين أو مختلفتين لانحطاط الشعبين حضاريا وثقافيا مع زيادة عدد أفراد أحدهما عن أفراد اللغة الثانية. ففي هذه الحالة تتغلب لغة الأكثر عددا سواء أكانت لغة الغالب أم المغلوب [5]. وتحدث هذه الحالة عند انتماء اللغتين إلى شعبتين متقاربتين بتفوق وتغلب الكم على الكيف لضعفه؛ لأن الأقلية لا تستطيع أن تبجح في الحديث عن

الشعب بأسره؛ وبالتالي تشتد النزاعات بين اللغتين. ولقد عاشت بلادنا هذه الحالة على أن اللغة العربية واللغة الأمازيغية شقيقتان كما كان يقول **محمد الفاسي** في مقال عنوانه: **" البربرية شقيقة العربية"** وكان ذلك على أساس انتماء اللغتين إلى نفس الفصيلة اللغوية وهي السامية فيؤكد ذلك في قوله: **" وإني أشتغل منذ سنين بأثر اللغة العربية على هذه اللغات وهي لغات الأمم العجمية التي بقيت مستعملة في البلاد التي اعتنقت الإسلام؛ ولكنها حافظت على لغتهم في المخاطبة، وفي نظم الشعر مع استعمال العربية في التآليف الخاصة بالعلوم النقلية والعقلية"**[6].

وتقترب اللغة العربية باللغة الأمازيغية من حيث اشتراكهما في الخصائص اللغوية ، ومن حيث الأحداث التاريخية والعادات الاجتماعية ومن حيث المعتقدات الدينية. ولقد أصيبت اللغتان بالضعف والانحراف في الفترة التي فرض فيها الاستعمار الفرنسي لغته وأشكاله التعبيرية على الشعب الجزائري، ولم تسترجع اللغة العربية سيادتها ومكانتها إلا بعد قرون. وفي هذه

المرحلة حدث الصراع بين اللغة العربية واللغة الفرنسية، فانتصرت اللغة الغالبة وهي اللغة الفرنسية على اللغة المغلوبة وهي اللغة العربية. ولكن هذا النصر لم يدم طويلا فكتب النصر بعد ذلك للغة العربية وكان ذلك بعد الاستقلال. وهكذا أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في البلاد أمام اللغة الفرنسية التي تستعمل في المدارس والمؤسسات، بينما انحطت اللغة الأمازيغية والدارجات التي اختلطت باللغة العربية أو اللغة الفرنسية، بوجود الدخيل اللغوي والرطانات اللغوية التي أخذت تتسرب إليها. ولاشك أن هذه المرحلة لا تأتي إلا بعد مدة طويلة من الصراعات وذلك بالمخالطة الدائمة بين المتكلمين باللغتين، فيزداد بذلك تكيف الناس بالتقاليد النطقية الجديدة. ويزداد تمثلهم لألفاظ اللغة الغالبة، فيأتون بوجهها الصحيح أو القريب منها. ومن هنا يزداد أيضا ابتعادهم عن تقاليدهم النطقية الأصيلة. كما يترتب في اللغة المغلوبة أن ينحل النظام الصوتي ل تحل محله بالتدريج تلك النظم الدخيلة، غير أن اللغة المغلوبة في هذه المرحلة تحاول

أن تقاوم الغزو، فيتشبث أهلها بقواعد تصريفهم الكلمات، وقواعد تركيبهم للجمل، وبما امتازت لغتهم من عبارات مأثورة، وأمثلة محفوظة تحمل في نظرهم خلاصة تجارب القرون. إن قضية اعتماد الكم هو أساس تغلب لغة على أخرى يتحقق لانتماء اللغتين إلى فصيلة واحدة أو إلى فصيلتين لغويتين متقاربتين. وإذا تخلت اللغات عن هذا العنصر الأخير نحصل على حالة مغايرة للحالتين الأولى والثانية.

- **الحالة الثالثة:** تتغلب لغة على أخرى لتمتعها بمكانة اجتماعية عالية قادرة على حماية نظامها ونظام مجتمعها[7]. وقد تنقرض اللغة بسبب تغلب لغة على أخرى أو تنهار انهيارا تاما فتستسلم للصراع، لأنها لا توجد ظروف أو عوامل اجتماعية تساعدها في الدفاع عن نفسها بوسائلها الخاصة ، فتسقط أسسها وأساليبها اللغوية وتؤثر على القواعد النحوية للغة.

وفي كلتا الحالتين السابقتين لا يتم النصر غالبا لإحدى اللغتين إلا بعد مدة طويلة ليصل أحيانا إلى قرون. ويترتب عن

هذا الصراع اللغوي الازدواجية اللغوية أو الثلاثية والتعددية اللغوية.

الازدواجية اللغوية : تحدث عند بلوغ اللغة درجة قوية من الصراع اللغوي بتصاعدها حينا وهبوطها حينا آخر. وهكذا يكتسي اختلافا شكليا للغتين يمكن أن يوحدهما أو يجعلهما تستعملان لأهداف ومواضيع متساوية لاعتزاز الأقليات بالقوميات، والاعتراف بهويتها ومكانتها على مستوى المجتمع بواسطة ثقافتها وعاداتها التي تغلبت عليها نفوذ اللغة العربية. وبواسطة الدين الإسلامي الذي أنزل باللغة العربية الذي اعتنقه المجتمع الأمازيغي وتمسك به أجدادنا الذين اكتسبوا اللغة العربية، وتعلموها وعلموها حتى أصبحت تستعمل لدى جماعات مختلفة. وتتصف الجماعة التي تستعمل اللغتين بانحرافها أحيانا إلى استعمال اللغة الأصلية أو اللغة الثانية بالازدواجية اللغوية. وعندما تبلغ اللغتان نفس الدرجة في الممارسة تنشأ الثنائية اللغوية. وفي ظرف سنوات تنفرد من الثنائية اللغوية لغة ذات نفوذ أقوى ومهيمنة في مقابل اللغة المنحطة والمغلوبة التي تقتصر في الحياة العامة والبيت حسب **فيرقسون FERGUSSON** الذي

يُعدّ أول من وظف مصطلح الازدواجية اللغوية في عام 1959 ، حين تطرق إلى وصف حالة اللغة العربية. وبعد ذلك جاء **وليام مارسي MARçAIS (W)** الذي قسم اللغة العربية إلى قسمين وهما: اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية. ويبين فيرقسون أن الحالة الازدواجية المثالية للغة هي أساس الثنائية بين اللغتين بحيث أن اللغة ل 1 لغة لها مكانة أعلى، واللغة ل2 ذات مكانة منحطة[8]. لا يحصر **فيرقسون** الازدواجية اللغوية بعدد الأفراد مزدوجي اللغة وبسلوكهم الفعلي، وإنما يحصرها في حالة وجود الاحتكاك بين لغتين تنتميان إلى نفس الفصيلة اللغوية. ويرى **قمبرز GUMPERZ** أن تحليل التغيرات الاجتماعية يتم باختيار نظام لغوي أو آخر في الجماعة الاجتماعية. والازدواجية توظف على المجتمعات أحادية اللغة أو ثنائية أو متعددة اللهجات. وأما **فيشمان FISHMANN** (1971) فهو يؤيد **فيرقسون** أثناء تحديده لمفهوم الازدواجية ، ويعارضه في فكرة **" القرابة اللغوية بين اللغتين "** لأنها لا تكفي لحدوث مثل هذه الازدواجية ، فتبقى مجرد حالة تاريخية مرتبطة بأصل اللغات، والتي تتنافى تماما مع الدراسة

الآنية لواقع اللغات التي تحتك بعضها البعض في المجتمع. فالازدواجية هي إدماج عدة وحدات لغوية وثقافية في مجتمع واحد، وهي تعني بالضرورة وجود لغتين تتمتعان بقدر متساو من الانتشار، إلا أن هذا التعريف يجعلنا نمزج بين مفهوم الثنائية المتوازنة التي تقتصر على تساوي استعمال اللغتين لدى جماعة في منطقة معينة، فتكون ما اصطلح عليه بازدواجية اللسان [9] للإشارة إلى حالة في أحد المجتمعات. ويؤكد **قمبرز** ذلك قائلا: **" لا يمكن حصر الازدواجية اللغوية في مجتمعات متعددة اللغات التي تشكل عدة لغات رسمية لدى الدولة، ولا في المجتمع الذي يتصف بارتقاء لغته أو انحطاطها فيه، بل أن المجتمع الذي تمثله هو مجتمع متعدد اللهجات ذات الأهداف والوظائف المختلفة "**[10]. إن الازدواجية اللغوية التي تكونت من الصراع اللغوي بين اللغات لا تشكل لغة واحدة رسمية ، مثلما حدث في مجتمع متعدد اللغات حين ظهرت عدة لغات رسمية؛ فمثلا إذا ارتقت اللغة العربية الفصحى واللغات الدارجة واللغة الأمازيغية إلى مستوى اللغات الرسمية في الجزائر فينعدم الصراع اللغوي تماما ،

وكذا حين تكون اللغة راقية أو منحطة. واللغتان المتصارعتان تتصفان بالاختلافات العميقة من حيث مقدار الاستعمالات الاجتماعية والاقتصادية. وهكذا ترتبط الازدواجية اللغوية بنظام الحركة الاجتماعية ذي التأثير الثقافي الداخلي أو الخارجي؛ أي أن اللغة تتغير بتغير الوظائف الاجتماعية ولها تأثير قوي على الازدواجية اللغوية. وتبقى اللغة فعل ونتاج ثقافي تؤدي غرض التبليغ والتواصل. ويقول **بيير بورديو BOURDIEU (P): " وتتجاوز الازدواجية اللغوية حدود الوظائف التبليغية والتأثيرية التي تؤديها اللغة إلى إخضاعها للوصف في المجتمع الجزائري بواسطة إعطاء الأهمية للغات في السوق اللغوي لدى الناطقين بها"**، ويضيف قائلا: **"تتطور الازدواجية اللغوية حسب تطور وتغير الظروف الاجتماعية"**[11]. ويترتب عن الازدواجية اللغوية الفروع اللغوية التي مرت عليها الأجيال في الجزائر التي أبينها من خلال هذا الرسم التالي:

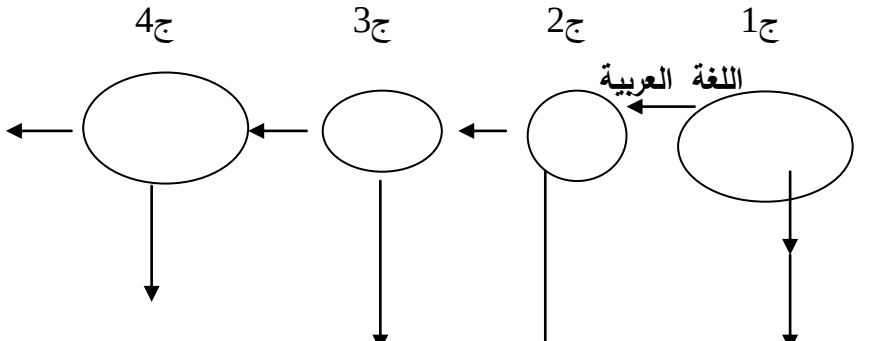

أحادي اللغة الثنائية اللغوية الازدواجية اللغوية الازدواجية اللغوية

اللغة العربية

اللغة العربية أو اللغة الأمازيغية اللغة الفرنسية أو اللغة العربية اللهجات الأمازيغية

اللغة الأمازيغية + اللغة العربية

اللغة العربية + اللغة الفرنسية

اللغة العربية الفصحى(لغة رسمية ووطنية)

اللغة العربية المعيارية

اللغة الفرنسية(لغة خاصة في الإدارات وبعض المؤسسات)

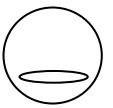

الدارجات العربية (لغات خاصة لجماعات اجتماعية معينة)

ج1: **الجيل الأول** : مارس اللغة الأمازيغية أو اللغة العربية، فهو **أحادي اللغة.**

ج2: **ثنائي اللغة** : بين اللغة العربية واللغة الأمازيغية أو بين اللغة العربية واللغة الفرنسية. إن الثنائية اللغوية الفرنسية-العربية هي ثنائية على مستوى المدرسة فقط في عهد الاستعمار وبعد الاستقلال إلى غاية السبعينات. وبعد عشر سنوات مضت، أصبح هذا المفهوم يعطي نتائج سلبية للمدرسة ، بحيث أن المتعلمين يستعملون اللغة الفرنسية أكثر للتعبير

خاصة عن المواد العلمية والتقنية التي لا يمكن أن نعبر بها بواسطة اللغة العربية. ونجد أن التلاميذ لم يتوصلوا لا إلى اكتساب اللغة الفرنسية ولا اللغة العربية ويطلق عليهم " ***نصف لغوي لا ثنائي*** "[12]: "***استعمال ناقص غير متكامل للغتين***".

وتتحدد الثنائية اللغوية (اللغة العربية الفصحى/واللغة العربية المعيارية وبين الفرنسية) في مجموعة لغوية صغيرة ، التي فرضت عليها السياسة اكتساب اللغة العربية والفرنسية. أول ما ظهرت الثنائية اللهجية بين (العربية-الأمازيغية) والفرنسية التي انتشرت في الأماكن الشعبية والمدن وترتب عنهما الدارجة والعامية.

ج3: الجيل الثالث : يتصف **بالازدواجية اللغوية** التي شرحناها في العنصر السابق التي تحدث بين الأمازيغية والعربية أو بين الأمازيغية والفرنسية. إن اللغة الأمازيغية حاليا لغة منحطة، لغة الأقلية التي تمثل مجموعة من الأنظمة اللغوية المتباينة من الناحية الإثنية والتاريخية. وأما اللغة العربية فهي لغة الأكثرية وبالتالي يحدث **التتابع اللغوي** le

continum linguistique على اللغة المغلوبة من اللغة الغالبة فتخضع دائما إلى تحول المتكلم من ل 1 إلى ل 2 أو من ل 1 إلى ل 3 باعتبار أن اللغة الأمازيغية تحتل نفس المكانة مع الدارجات العربية. ويطلق على هذه التسمية الثنائية الكتلية لتصبح في فترة معينة لغات ذات وظائف خاصة في مجالات معينة وذلك بالانتقال من ل 1 إلى ل 2 ، أو إلى ل 3 ، أو بالانتقال من لغة الأقلية إلى لغة الأكثرية في الجماعة اللغوية Qasi continum. إن الثنائية اللغوية المتناقصة تختلف عن التتابع اللغوي الذي حدث باتصال اللغة الفرنسية بالدارجات العربية أو اللهجات الأمازيغية. ويتم التتابع اللغوي على مستوى اللغة العربية بانتقال المتكلم من مستويات مختلفة من سجل لغوي عربي إلى آخر بتغير سلوك المتكلمين الجزائريين الذين اكتسبوا اللغة العربية المعيارية بطريقة جيدة وهي بمثابة اللغة الموحدة والمشتركة في كل الأقطار العربية. ولذا تفوقت مكانة هذه اللغة في المجتمع الجزائري. ويتجلى ذلك في أن رجال السياسة والعلم والثقافة يستعملون اللغة

العربية المشتركة وهي اللغة التي يتفاهمون بها؛ وغالبا ما يدخلون إلى لغتهم تراكيب ومفردات الدارجات أو العاميات لأنها تتصف بالمرونة ويسر التداول والتواصل وفهم الفكرة من قبل الجمهور. وتظهر هذه اللغة في المدارس والجامعات والإعلام والإذاعة والتلفزة. وعلى سبيل المثال نلاحظ أن الأستاذ الجامعي يستعمل اللغة العربية الفصحى ، ثم ينتقل إلى اللغة العربية المعيارية ، ثم اللغة المعيارية المتناقصة SUB STANDARD التي تقول أن الخطأ الشائع خير من الكلام المهجور ، وأخيرا يستعمل الدارجات العربية أو اللهجات اللغوية وبهذا الشكل يتكون التتابع اللغوي Le continum linguistique. وتنبثق من هذا التتابع اللغات التالية: اللغة العربية الفصحى- اللغة العربية المعيارية الحديثة نطقا وكتابة- اللغة العربية النصف المعيارية المقننة كتابيا فقط ولا نطقيا- الكلام العربي المستعمل لدى الدارسين ، وأخيرا اللهجات(غير مقننة) التي يمكن أن تشترك في لغة واحدة.

ج4: الجيل الرابع : عندما تشكل التتابع اللغوي الذي أدى بدوره إلى وجود صراع بين اللغات المتعايشة التي ذكرناها آنفا، مع أن اللغة العربية المعيارية هي الغالبة في المجتمع الجزائري مع الدارجات وتكونت الازدواجية اللغوية من ناحية والثلاثية اللغوية من ناحية أخرى بين اللغة الفرنسية واللغة العربية واللغة الأمازيغية. وهذا هو النظام اللغوي المتعدد الذي تشهده الجزائر في هذا اليوم، وتسير وفقه وكل جماعة تمارس لغتها الخاصة، بها مما أدى إلى التهجين اللغوي القصدي.

ب) التهجين اللغوي القصدي : هو ذلك النوع اللغوي الذي يحدث بطريقة إرادية ، يتم باحتكاك اللغات المتعايشة في مجتمع معين، لاحتكاك أو صراع حضاري واقتصادي ، أو بسبب تعدد الثقافات التي خلفتها المستعمرات باعتبار المجتمع أن لغة الاستعمار أو لغة الاقتصاد والحضارة العالمية هي لغات التعامل اليومي والتحضر والتطور الاجتماعي؛ وكأن الوضع الاجتماعي الراقي هو الذي يقتضي ذلك الاستعمال دون إعطاء أية أهمية للغتهم

وحضارتهم التي يرونها منحطة دائما.
تعاني الجزائر في عصرنا الحاضر غزوا حضاريا وثقافيا لتشعب الثقافات والحضارات التي خلفها الاستعمار من ناحية؛ ونظرا للصراع الحضاري الذي أخذ يهيمن على دول العالم ، لانفجار الثورة التكنولوجية، وتدفق العلوم وتسخير الأجهزة العلمية والتقنية التي أتاحت فرص التبادل العلمي بين الدول المتطورة والدول النامية، مما جعل الجزائر تتأثر بحضارة الدول المتقدمة، وتستعمل وسائلها من أجل مواكبة مستحدثات العصر وتستغل آفاقها في سبيل بناء حضارتها القومية.
ولقد انتشرت حضارات كثيرة في الجزائر وهي عريقة جدا كالحضارة الأمازيغية والحضارة الإسلامية اللتين تعايشتا معا فشكلتا حضارة واحدة وقوية فتعايشت اللغتان اللت ان استجابتا بدورهما إلى الثنائية اللغوية التي تحولت بدورها إلى الازدواجية اللغوية عند دخول الاستعمار الفرنسي الذي أخذ يفرض حضارته ولغته على الشعب، وبالتالي حدث الصراع بين اللغات العربية والأمازيغية وبين اللغة الفرنسية، وتغلبت لغة المستعمِر على لغة

المستعمَر وتركت بصماتها في نفوس الجزائريين، ثم أضافت إليها الوافد الذي جاءت به الجماعة النازحة أو المهاجرة بسبب الهجرة وتبادل البعثات العلمية بين الدول العربية والدول الغربية. وفي عصرنا الحالي أصبحت السيادة للحضارة الإنجليزية للتطور المذهل لوسائل الإعلام والانترنيت، وللحضارة اليابانية لتطور اقتصادها. وهكذا أصبح الشعب الجزائري يقلد الأجانب، وخاصة الفرنسيين في اللباس والموضة وفي العادات إلى درجة التبني بتلك الأجناس التي تختلف معه في الدين وفي التقاليد الاجتماعية. وهو في الحقيقة تقليد أعمى لا يقوم على احترام الدين وعاداتنا، وهذا يؤدي حتما إلى انحراف المجتمع وانهياره لأننا يكفي أن نكتسب معارفهم وثقافتهم ونتبادلها فيما بيننا، ولأن الأصل في المجتمع أن يستعين بالتحضر الفكري والعقلي وليس بالتحضر المظهري والمادي. إن هذه الظروف التي تحيط بمجتمعنا تؤثر سلبا على اللغة ، بحيث تتغلب لغة الحضارة الراقية على لغة الحضارة المغلوبة كتغلب اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية على اللغة العربية ،

فتقوم الفئات المثقفة بإدخال الألفاظ والتعابير الأجنبية إلى لغة الأم. ولقد لاحظ **كويسي كوابرا KWESSI KWA PRAH**، أستاذ علم الاجتماع في جامعة غانا، وجود هذه الظاهرة لدى بعض الغانيين؛ فكتب يقول: " **ويرجع ذلك لوجود حالات من البشر الذين يدعون، بعد غيابهم لسنتين أو لثلاثة في أوروبا، بأنهم لا يستطيعون التحدث بلغة الأم...إن استخدام لغة غربية في إفريقيا هو أمر ذو قيمة بحيث أن الكثير من الأفارقة والذين يستخدمون لغة الأم، يحولون خطابهم وينثرون لغتهم بمفردات وتعابير إنجليزية أو فرنسية، وذلك لإظهار مستواهم الثقافي الرفيع** "[13]. انتشرت هذه الظاهرة بكثرة عندما أخذت اللغات الدارجة تحتل رقعة جغرافية محددة في المجتمع الجزائري، والتي تعود إلى عهد الاستعمار الذي فرض سياسته اللغوية على المجتمع باستعمال لغته على المستوى الرسمي في الحكومة والإدارة ، والمؤسسات التعليمية وفي المدارس ، وحتى في بعض المنازل التي تتصف بالعائلات البورجوازية، ذات المكانة المرموقة والعالية. أما الطبقة البسيطة فكانت

تمارس إما اللغة العربية أو اللغة الأمازيغية، وخاصة الم تواجدة في المدن والسواحل وفي الجبال لدى أهل القرى.

ونظرا للظروف الاجتماعية السيئة من اضطهاد وظلم الاستعمار، أصبح من المستحيل أن يستخدم الشعب الجزائري لغته الأصلية ، فلجأ إلى استعمال وسيلة لغوية أخرى تعبر أكثر عن حاجياتهم وأحاسيسهم وتلبي أغراضهم، وهي اللغة العربية الدارجة ، التي تتكون من لغتين أو أكثر، لغة غالبة ولغة مغلوبة ، أو أنهما تحتلان نفس المكانة فتتأثران معا وتتداخلان لتمتزجا وتكونا لغة ثالثة تستعمل في الحياة اليومية بين أفراد العائلة والأصدقاء في البيت والشارع والمزرعة والتجارة.

وامتدت هذه اللغة التي تتداول بين موظفي المصانع والشركات والمؤسسات العمومية أو الخاصة وبعض المدارس في عصرنا الحالي.

وتحتل اللغة الدارجة مكانة عظيمة من الناحية الشفوية لأنها نتاج لظروف اجتماعية قصوى تعكس الأحوال والمواقف الاجتماعية التي تحيط بأفراد المجتمع من عادات وتقاليد وقيم اجتماعية وطقوس دينية...الخ. وهي تختلف عن اللهجات

المحلية أو الإقليمية أو الجغرافية التي تهتم بدراسة خصائص الفروع أو السجلات اللغوية والتغيرات التي تطرأ عليها في حدود جغرافية محددة خاصة لمجموعة من الأفراد الذين ينتمون إلى بيئة معينة. كما أنه لا يمكن اعتبار اللغة الدارجة لغة تحمل في باطنها سمة المعيارية التي تؤدي وظيفة التواصل بين المجتمعات؛ ولا سمة اللهجة التي تعتبر جزءا من الكل ، أي من اللغة التي تفرعت منها تلك اللهجات. لا تعتمد اللغة الدارجة على معطيات جغرافية أثناء نشأتها بواسطة اختلاط مناطق تلك الحدود بالمناطق المجاورة لها، وإنما تعتمد أساسا على درجة الاتصال القائم بين تلك المناطق المجاورة بعضها البعض، لعوامل اقتصادية واجتماعية وحضارية. وإنّ اختلاط الدارجات مع اللغة العربية الفصحى أو اللغة الفرنسية يؤدي إلى ظهور اللغة المتوسطة أو اللغة المعيارية، التي تتكون جذورها من اللغة الأجنبية وتركيب يخضع لقواعد اللغة العربية الفصحى. ونرجع هذا التهجين اللغوي إلى عامل الهجرة بنوعيها، الداخلية والخارجية.

1) الهجرة الداخلية: تتمثل في هجرة الجماعات الاجتماعية وانتقالها من القرى إلى المدن طلبا للعمل والعلم. فتتصف هذه الجماعة بلغتها الأصلية وبموطنها الأصلي الذي تحافظ عليه ، وبمجرد أن ترحل وتمكث عدة سنوات أو قرون فتتأثر بلغة أهل المدينة فيظهر التهجين اللغوي ، وعندما يعودون إلى موطنهم الأصلي يمارسون هذا التهجين بشكل إرادي، يدعون فيه أنه يشكل نوعا من التحضر والرقي الحضاري ، حتى عم كل أرجاء مدن الجزائر في العاصمة وعنابة ووهران وتيزي وزو وغيرها ، وامتد حتى إلى الدول الأوروبية بعامل الهجرة الخارجية.

2) الهجرة الخارجية: وتتمثل في هجرة الجماعات الاجتماعية إلى الخارج ، للعلم والعمل ولتبادل المعارف والثقافات ونقل الحضارات الأجنبية إلى اللغة العربية أو لأسباب اقتصادية. ولقد هاجرت هذه الفئات إما إلى فرنسا أو إلى إنجلترا منذ الاستعمار الفرنسي فاختلطت لغتهم الأصلية (اللغة العربية أو اللغة الأمازيغية) فتكونت لغة دارجة تدعى بربر-أوروبي beurs ، بحيث أنهم حافظوا على عاداتهم ودينهم رغم أنهم يستعملون أسلوبا لغويا فرنسيا

مفاصله عربية أو أمازيغية ، مما جعل بعض الأحياء بفرنسا تستعمل مثل هذا النوع من اللغة لدى الجزائريين أو الإفريقيين المقيمين هناك، وهذا يؤدي بهم إلى فقدان لغتهم الأصلية ، وعدم اكتسابهم للغة الهدف (الفرنسية) ، وعندما يعودون إلى موطنهم يمارسون هجينهم اللغوي ، ويظنون أنه هو الأصيل وأنه يمثل موطن التحضر والرقي الفكري في العصر الحالي. وهم في الحقيقة لم يكتسبوا لا ثقافتهم ولا الثقافة الأجنبية الوافدة ولا يدرون في أي اتجاه لغوي يتجهون وينتمون، إلى درجة أنهم ينسون أصلهم ويفقدون هويتهم في غالب الأحيان؛ وهكذا تكتسب الفئات الأصلية ثقافة اللغة الأجنبية التي تحملها بعد مدة إلى وطنها، باستعمال تعابير تلك اللغة في لغة الأم ، إلى درجة أنه يريد أن يظهر لمجتمعه على أنه مثقف وملم بلغة التحضر ، وهو في الحقيقة يريد أن يبين من وراء ذلك ما يخفيه من عقد نفسية ولا الغرض العلمي؛ فيمتزج حديثهم الأصلي بكلمات أجنبية لها مقابلها في اللغة العربية مثلا. ويظنون أن اللغة العربية لا تسد حاجياتهم فيقترضون من اللغات الأجنبية أو يستعيرون بالانتقال

والاختلاط اللغويين. لقد كثر التفرنس والتأنجلش (التأنجلز) في دول المغرب والمشرق تقليدا ومحاكاة ميكانيكية للاستعمار الفرنسي على المغرب، والإنجليزي على المشرق؛ وهو ما نشاهده في واقعنا اللغوي الحالي من هيمنة اللغة الإنجليزية على خطاب بعض العرب مثل المصريين والأردنيين. ويقول عالم اللغة الفلسطيني **إلياس عطا الله: "...المثير للشفقة لا للقلق هم أولئك الذين يتحدثون بغير العربية من أبناء السراة وطلبة الجامعات وغيرهم من بعض الشرائح المجتمعية، ولكل دافعه المرفوض...كنت أتخيل أن أبناءنا الجامعيين في العواصم العربية، ولم أزر إلا القاهرة وعمان، يتحدثون العربية بينهم، وكم كانت الإنجليزية الفصحى لغة الحوار في جلساتهم شيء ما مأزوم فينا، ولعل الأمر عارض، وهذا ما أرجوه...أما إن كانت وراءه أزمة خبو انتمائي أو جهل بالعربية، فهذه هي الطامة...ونحن المسئولون أولا وأخيرا "**[14]. ويظهر التهجين اللغوي جليا في بلادنا عندما كان المثقفون يحصرون كل استعمالاتهم اللغوية على اللغة الفرنسية حتى في البيت إلى درجة أن

أبناءهم يتلقون العلم في المدارس والمعاهد الخاصة، فضلا عن اللغة العربية التي يرون فيها التخلف الذي يرجع في الحقيقة إليهم؛ لأنهم لا يقدمون الأهمية للغتهم ولا يخدمونها. ولقد تحدث **علي درويش** أستاذ الترجمة في جامعة **ميلبورن MELBOURNE** بأستراليا، على ما يلي في وصف الظاهرة:

"هناك من يزعم أن اللغة العربية آخذة في الانحسار والتراجع في الوطن العربي ولعل في هذا الزعم شيئا من الصحة. فثمة طائفة من الناس تعتقد أن التشدق بلغة أجنبية هو السبيل الوحيد إلى الرقي الاجتماعي والوصول إلى مراكز مرموقة في مجالات شتى. فتجدهم ينصرفون عن اللغة العربية ويرسلون أبناءهم إلى مدارس أجنبية ويتحدثون معهم بلغة أجنبية ويحادثانهما بلغة إنجليزية أو فرنسية منقوصة محدودة في أغلب الأحيان، وكأن أبويه شكسبير وشارلوت برونتي أو فولتير أو ماري أنطوانيت، ما شاء الله. ولكن هذا لا يعدو كونه نزوة وزيغا وانحرافا لا يتخطى طبقة قليلة مترفة متخمة من المجتمع أو فئة موسرة من النخب المثقفة أو المستثقفة أو المستلبة أو طائفة مُنعَمة مُستنعَمة من البشر"[15]. لقد تفرنس المثقفون

في بلادنا وتفرنست عائلاتهم حين كانت الثنائية اللغوية قوية بين اللغة العربية واللغة الفرنسية. وبعد ذلك زالت هذه الثنائية واستبدلت بالازدواجية اللغوية بتغلب اللغة العربية على اللغة الفرنسية التي تقلص استعمالها كلغة رسمية رغم أنّ آثارها مازالت باقية إلى الآن وأخذت محلها اللغة العربية. وتفرع من هذه اللغات المتشابكة فيما بينها التهجين الذي يتصف بانتقال تراكيب أو مفردات لغة الهدف إلى لغة الأصل أو بين لغة ولهجة أخرى أو بالاختلاط اللغوي بين أساليب تلك اللغات المتبادلة التي تتصف إما بالثنائية اللغوية أو الازدواجية أو التعددية اللغوية؛ وهذه بعض الأمثلة وهي كثيرة منها:

1- رحت لنفرسيتي l'université وقريت هذاك لكتاب نتاع لسفلزسيون la civilisation واستفدت منو بزاف* ينفرميك yinformikويبربوزيك yepropozik نظريات هائلة تستخدمها في الموضوع ديالك.

ذهبت إلى الجامعة حيث اطلعت على كتاب في الحضارة فاستفادت منه وهو يعطي لك كل

المعلومات ويقترح لك نظريات هائلة تستخدمها في موضوعك.

2 -كروحت دارنا حبسني* واحد طاكسي كبير قد الليموزين تعجبت منه وخلعتني* وتبكمت.

عندما قصدت دارنا توقفت سيارة كبيرة مثل الليموزين فأعجبتني ودهشت فتبكمت.

3 -نقولك واحد الخطرة كونفوكاني konvokani المدير مافهمتش وعلاه على السكنة ولا على العمل. أومبعد كدخلت البيرو le bureau ساقسيتو* وعلاه قال لي: و الكوزينة راهي تمشي؟

أقول لك ذات يوم دعاني المدير لم أفهم لماذا أبسبب السكن أو العمل. وبعدئذ دخلت المكتب فسألته لماذا قال لي: هل يسير المطبخ بطريقة جيدة؟

4 -زعفت* عليه كي ما جاش باه يسلم علي هذا اليوم.

لقد غضبت عليه كثيرا عندما لم يأت ليسلم علي.

5 -غاضني* بزاف* الحال كي سمعت بلي هدر* علي.

تألمت كثيرا حين سمعته يتحدث علي.

ونلاحظ أن الألفاظ أو المفردات التي وظفت في هذه الجمل تنتمي كلها إلى تركيب عربي من حيث البنية ولكن بعض عناصر اللغة العربية امتزجت ببعض عناصر اللغة الفرنسية (انظر المثال الذي تحته سطر في 1، 2، 3) أو الأمازيغية (انظر المثال الذي فوقه نجمة في 4،5). ويعني أن جذور الكلمة الأصلية قد تكون فرنسية أو أمازيغية أخضعت لقواعد اللغة العربية فاتخذت البنية التركيبية الخاصة للغة العربية. إن هذا التهجين المتواصل يؤثر سلبا على لغة الفرد الذي لا يتوافق مع قيم وثقافة ولغة مجتمعه فيصبح فردا غريبا؛ وما بالك بمجتمع حين يصيبه كل هذا التهجين سيصبح مجتمعا غريبا ومنعزلا عن المجتمعات الأخرى. ومن المعروف أن المجتمع الجزائري مجتمع متعدد اللغات، فمن الضروري وحاجته هي الملحة للتعبير عن حاجياته لعدم تمكنه من اكتساب كل اللغات بطريقة متساوية وبنفس الدرجة من الإتقان دفعه الأمر إلى ممارسة هذا النوع من اللغة ليوصل فكرته بكل سهولة إلى غيره.

2- أثر التهجين اللغوي على اللغة العربية الفصحى: لكي نلاحظ هذا الأثر يقتضي أن نخضع الدراسة إلى الميدان ، لأنها تقدم لنا الدقة والموضوعية لاستنباط كل القوانين التي تقوم عليها تلك اللغات المختلطة. وفي هذا الصدد قمت بالبحث عن هذه القضية في الواقع الاجتماعي المتعايش في مدينة تيزي وزو أي بالمدينة العليا la haute ville بأخذ بعض العينات وتسجيل المدونة.

ب- تحديد العينة: العينة التي تناولناها تعتبر جزءا من المجتمع الكلي المراد تحديد سماته ومميزاته من الناحية اللغوية. والعينة المعتمدة في هذا البحث انتقيناها من المجتمع عشوائيا ، وتضم كل فئات المجتمع: شباب، كهول، شيوخ، نساء ورجال، مثقفون وغير مثقفين وعددهم ستة منهم ثلاثة رجال: **شاب** يدعى **سمير** تاجر ، و**كهل** يدعى **كمال** مقاول ، و**شيخ** يدعى **أرزقي** صاحب معصرة زيتون ، وثلاث نساء هنّ: **زهية ربة** بيت و**وردة** شابة **طالبة** جامعية ، و**فريزة** شابة **عاطلة** عن العمل. وهذه العينة أخذناها دون تمييز وذلك قصد الوصول إلى كل الاستعمالات اللغوية لمختلف

فئات المجتمع. أما عن التسجيل فكان في أماكن مختلفة: دكاكين، معصرة زيتون، منزل، هاتف عمومي.

ج- أدوات العمل: ولجمع المدوّنة اعتمدنا على التسجيل السمعي البصري (audio visuel) بواسطة جهاز كاميرا (CAMERA) من نوع (SONY)، وشريط كاست (VHS)، وتحرينا فيه مختلف شرائح المجتمع ، وكانت مدة التسجيل تتراوح من خمسة عشر دقيقة إلى حوالي ستين دقيقة حسب ظروف العمل وطبيعة الأشخاص. أما المواضيع التي تناولنا فيها التسجيل فارتأينا أن تكون من اختيار الأشخاص المتحدثين، بحيث يكون الموضوع من اختيار المتحدث قصد وضعه في حرية تامة وفي ظروف مريحة دون عوائق أو قيد أو إحراج، وتراوحت المواضيع بين الرياضة ورأس السنة...

د- المنهج المعتمد عليه: إحصائي تحليلي؛ سنقوم في هذه الدراسة بإحصاء كل المفردات التي تحويها المدونة ، وذلك بتحليل كلام كل شخص وإحصاء عدد كلماته القبائلية، العربية والفرنسية والإنجليزية إن وجدت ، ثم تحليل النماذج الكلامية التي وردت في المدونة ثم نقوم

بإحصاء عام للمدونة. وفي الأخير نخرج بحوصلة عامة حول اللغة المستعملة بكثرة في المدينة العليا وذلك بالاعتماد على الجدول لتوضيح الإحصاءات.

الشخص	سمير	زاهية	كمال	فريزة	وردة	أرزقي
عمره	24 سنة	58 سنة	46 سنة	37 سنة	23 سنة	67 سنة
أصله	العاصمة	مقلع (عزازقة)	المدينة العليا (تركي الأصل	المدينة العليا	ذراع بن خدة	المدينة العليا تركي الأصل
عمله	يعمل في محل الهاتف العمومي	ربة بيت	مقاول	بطالة	طالبة جامعية	صاحب معصرة الزيتون
مدة التسجيل	15 د.	25 د.	45 د.	25 د.	55 د.	30 د.
مكان التسجيل	داخل محل الهاتف العمومي	الشارع	معصرة الزيتون	المنزل	الشارع	معصرة الزيتون
تاريخ التسجيل	08/12/31	/01/15 09	09/03/25	/01/12 09	09/01/15	/04/28 09
الموضوع	رياضة	حديث عام	معمار ولاية تيزي وزو	حديث عام عن العائلة	يومياتها	حول جني وعصر الزيتون

المعلومات الخاصة بالعينات

دراسة تحليلية ووصفية للمدونة: جدول خاص للمتحدث سمير:

القبائلية	العربية	القبائلية	عدد الكلمات	المتحدث
16	42	/	58	سمير

المتحدث سمير: نلاحظ أن المتحدث استخدم حوالي 58 كلمة وحرفا. فبخصوص الكلمات العربية فعددها 58 كلمة من بينها 45

كلمة إضافية إلى 13 حرفاً و16 كلمة فرنسية منها REAL ALGER -SPORT -MADRID. وإذا حاولنا إعطاء قراءة مختصرة للمتحدث سمير فإنه استعمل كثيراً اللغة العربية الدارجة لأن أصوله عاصمية. أما اللغة الفرنسية فلجأ إليها حين تكلم عن الرياضة بالخصوص، لأن المصطلحات أسهل له في الفرنسية فاقتراضها بالخصوص إلى العربية. أما انعدام اللغة القبائلية في حديثه فلأنه غير متصل بالقبائل لا في الوسط العائلي ولا العلمي حسب ما ذكره.

قال مثلا : نحب le gardien surtout تاعهم.

نحب: فعل ماضي رباعى عربي يدل على جمع المتكلم، وهو فعل صحيح أَحَبّ، يُحِبُّ، حُبًّا.

Surtout: كلمة فرنسية تعني خصوصاً أو على الخصوص.

Gardien: كلمة فرنسية تعني حارس المرمى.

تاعهم: مفرد ة تستخدم في الدارجة ومعناها "لهم".

جدول خاص للمتحدثة زاهية:

الفرنسية	العربية	القبائلية	عدد الكلمات	المتحدثة

	ت			
زاهية	85	03	82	0

لجأت المتحدثة زاهية أثناء حديثها إلى استعمال 85 كلمة من بينها 82 كلمة عربية دارجة منها 19 حرفا و63 كلمة منها (حنايا، سْمَعْت، مسكين)، ثم لجأت إلى استعمال بعض الكلمات القبائلية حيث يستعصى عليها إيجاد تلك اللفظة في العربية مثل (غاضني ثمغرا) بدل(أشفقت وعرس) وهذا راجع لكون أصول هذه المتحدثة قبائلية ولم تلجأ إلى استعمال الفرنسية كونها غير متعلمة.

قالت مثلا: غاضني مسكين، حكماتو لحامو

غاضني: فعل قبائلي ùavni ومعناه بالعربية أشفقت عليه.

ḤAKMATO حكماتو

حكمت: جذره حكم بمعنى أصيب

واو ضمير متصل

في محل رفع الفاعل: هو

لحامو:lêamo كلمة قبائلية تعني الحرارة.

جدول خاص للمتحدث كمال:

المتحدث	عدد الكلمات	القبائلية	العربية	الفرنسية
كمال	91	0	45	46

استعمل المتحدث مزيجاً لغويا يتمثل في استخدام اللغتين العربية والفرنسية. ونلاحظ أن عدد الكلمات العربية يكاد يكون متساويا للكلمات الفرنسية. فالمتحدث متمكن من اللغتين معاً فالعربية لغة المنزل والشارع، وأما الفرنسية يتحدثها بطلاقة لأنه دارس في الجامعة. ويبلغ عدد الكلمات التي تحدث بها 91 كلمة منها 45 كلمة عربية مثل(لبنيان، لحتا، الترك). أما الكلمات الفرنسية فعددها 46 كلمة مثل (architecture surtout grande taille). ونلاحظ أنه لم يستعمل اللغة القبائلية لأنه كما قال جذوره تركية لهذا لا يعرف اللغة القبائلية.

قال مثلا: Concernant l'architicture كلمتان فرنسيتان ومعناهما بالعربية، فيما يخص هندسة. D'origine كلمة فرنسية بمعنى من أصل.

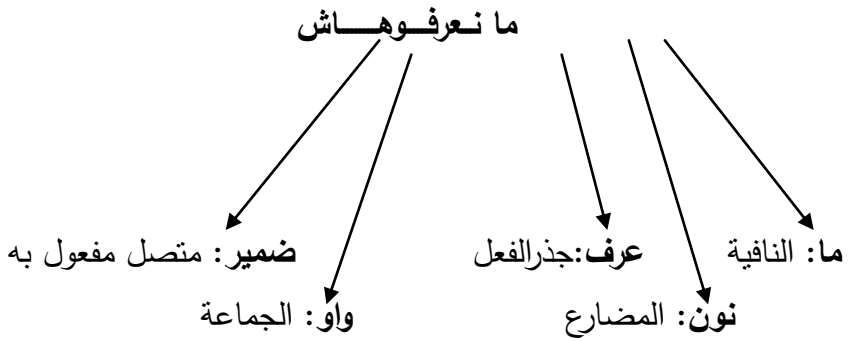

نلاحظ أن علامة النفي العامية هيّ {ما+ش} بمعنى لا نفهمها.

جدول خاص للمتحدثة فريزة:

المتحدثة	عدد الكلمات	القبائلية	العربية	الفرنسية
فريزة	91 كلمة	0	58	33

استعملت المتحدثة أثناء كلامها 91 كلمة بين عربية وفرنسية. ونلاحظ أن نسبة الكلمات العربية تكاد تكون متقاربة حيث استعملت 58 كلمة عربية بين حرف ولفظة. واستعملت 33 كلمة فرنسية فهي متمكنة من اللغتين معا. فالعربية لغة الأم عندها أما الفرنسية فهي متمكنة منها لمستواها الدراسي. ولم تستعمل المتحدثة اللغة

القبائلية لعدم تمكنها منها وأصولها غير قبائلية. (لكوزينة: وأصلها فرنسي CUISINE وتعني المطبخ. APERS أصله من اللغة الفرنسية، وهو ظرف زمان un adverbe de temps ومقابله في اللغة العربية هو فيما بعد أو بعدئذ ولكنها تستعمل في العربية والقبائلية معًا بنطق" R" راءً وليس غيناً كما في الفرنسية ويستعمل هذا الظرف كثيراً دون انتباه على أنه كلمة دخيلة.

باش: كلمة تستعمل في الدارجة ومعناها (بماذا).

ذروك: هو اختزال لكلمة هذا الوقت ويستعمل كثيراً في العربية الدارجة.

جدول خاص للمتحدثة وردة:

الفرنسية	العربية	القبائلية	عدد الكلمات	المتحدثة
30	59	6	95	**وردة**

استعملت المتحدثة هجينا لغوياً بين العربية والفرنسية والقبائلية لأن ظروفها سمحت لها بذلك فهي من أصل عربي ولكن اتصالها بالقبائل سمح لها باكتساب اللغة القبائلية، ودراستها بالجامعة سمح لها بتعلم الفرنسية والإنجليزية. ونلاحظ أنها

استخدمت حوالي 95 كلمة ككل، منها أكثر من 50 كلمة عربية و 30 كلمة بالفرنسية كما نجد بعض الكلمات الإنجليزية مثل net, cite.

بزاف: مفردة دارجة تعني الكثير.

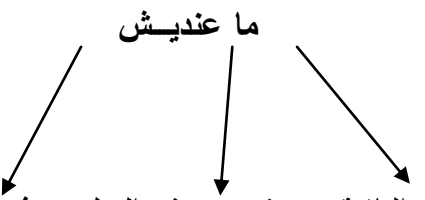

صوالح: كلمة عربية دارجة بمعنى أشياء.

MICRO كلمة فرنسية معناها جهاز إعلام ألي ويكتب micro ordinateur. لبحار lebêar أصلها عربي بحر وتستعمل بالقبائلية أيضا بنفس الدلالة والكلمة الصحيحة بالقبائلية alal ولكنها قليلة الاستعمال.

جدول خاص للمتحدث أرزقي:

الفرنسية	العربية	القبائلية	عدد الكلمات	المتحدث
10	49	0	59	**أرزقي**

استعمل المتحدث 59 كلمة منها 49 كلمة عربية منها (معصرة- لعواد - تمشي) وهي مفردات دارجة. كما استعمل عددا من الكلمات

الفرنسية منها (depuis, année, électricité). ولم يستعمل المتحدث الكلمات باللغة القبائلية، لأنه من أصول تركية لذا لا يعرف القبائلية وهذا لا يمنع له أن يفهمها. وفي الأمثلة التالية: A peut pres من شهر نوفمبر حتى 1 mad mars A peut pris من اللغة الفرنسية بمعنى تقريبا. L'mad mars هو اختزل لكلمتين هما Mois de mars بمعنى شهر مارس.

سنتعرض الآن لتحليل شامل لكل المدونة وفيه سنعرض بعض الظواهر اللغوية الواردة في الجزء النظري.

1) الاشتقاق: - عايش[1] ما عاش يعيش وهو فعل ثلاثي معتل الوسط فبدل أن تقول المتحدثة يعيش استعملت لفظة عايش وهي لفظة تستعمل في الدارجة.

- تْبْنَاتْ [2] من الفعل بني يبني بناء وهو من الفعل الثلاثي المعتل الآخر فبدل أن يقول بُنِيتْ استعمل لفظة تبنات بإدخال التأنيث على الفعل كما هو شائع في الدارجة (انظر 1- فريزة، 2- كمال).

2) **المعرب:- الكوزينة** [1]: لفظة فرنسية الأصل أدخلت إلى العربية وأصبحت تستعمل كلفظة معربة بتطبيق الأحكام اللغوية عليها كالتأنيث والجمع مثلا الكوزينة cuisine والمتحدثة أدخلت عليها آل التعريف العربية وتاء التأنيث على ما جرت عليه العادة في العربية ويقال في الجمع كوزينات على وزن فاعيلات.

فاميليات[2] وهي لفظة فرنسية معربة بدل أن يقول المتحدث les familles أخذ اللفظة الفرنسية وطبق عليها أحكام العربية مباشرة فقال فاميليات.

الدخيل: La ville: هي كلمة دخيلة على اللغة العربية أصلها فرنسي تستعمل للدلالة على لفظة المدينة وهي شائعة الاستعمال.

Stage: كلمة دخيلة على اللغة العربية أصلها فرنسي تقال للدلالة على التكوين وهي متداولة بكثرة في الدارجة.

النحت: J.S.K وهي كلمة منحوتة وتكتب كاملة jeunesse sportive de Kabylie فبدلا أن ينطق المتحدث العبارة كاملة ولطولها لجأ إلى النحت في الحروف الثلاثية الأولى ومعناها بالعربية شبيبة القبائل.

S.M.S وهي كلمة منحوتة وتكتب كاملة باللغة الانجليزية وتكتب كلية كما يلي: Short message service ومعناها خدمة الرسائل القصيرة.

الترجمة: MICRO : ويعني الكمبيوتر أو جهاز الإعلام الآلي.

الاقتراض: هذه الظاهرة وردت كثيرا في المدونة ومن أمثلة ذلك [1]MUSIQUE: بمعنى موسيقى.

[1]L INTERNET: وهو الأنترنيت اقتراض اللفظة مباشرة من اللغة الفرنسية.

[1]RADIO: بمعنى الإذاعة.

[1]LBHAR: بمعنى البحر وتستعمل كثيراً في القبائلية بنفس المعنى

[1]TELEPHONE: بمعنى الهاتف وهو مستعمل بكثرة في اللغتين القبائلية والعربية.

[2]APERS: بمعنى حينئذ وتستعمل كلفظة عربية أو قبائلية. (انظر (1) وردة (2) كمال).

التداخل:

Style d'une ville turk لي يشوف لبنيان تاعها la haute ville

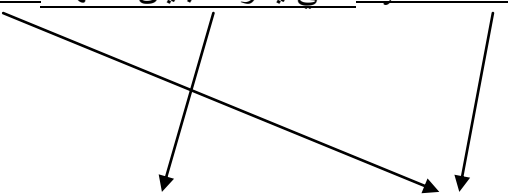

لغة فرنسية لغة عربية دارجة

نلاحظ في هذا المثال البسيط تداخل لغتين مختلفتين حيث مزج المتحدث بين العربية والفرنسية فبدأ بالجملة الفرنسية ثم لجأ إلى الجملة العربية وأخيراً عاد إلى اللغة الفرنسية.

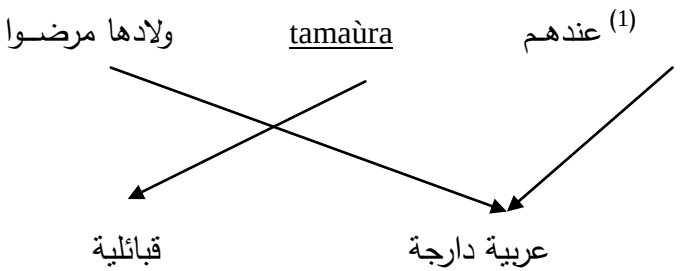

في هذا المثال هناك تداخل بين اللغة العربية والقبائلية حيث بدأت المتحدثة الكلام بالعربية الدارجة ثم لجأت إلى القبائلية في كلمة tamaùra بمعنى عرس وأخيراً عادت إلى العربية الدارجة.

الهجين اللغوي: مثل:

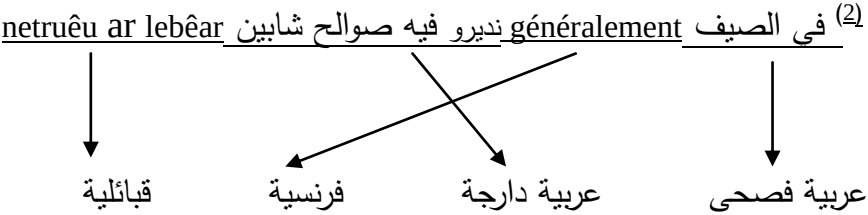

التحوّل:

المعصرة كاينة depuis 1800 وأطلع chaque année نفتحوها

عربية دارجة عربية دارجة عربية — فرنسية فرنسية

نلاحظ في هذا المثال أن المتحدث استعمل لغتين مختلفتين في هذه الجملة البسيطة وهي: عربية دارجة ← فرنسية ← عربية دارجة فرنسية ← عربية (انظر (1) زاهية:(2) وردة).

الثنائية اللغوية : اشتراك بين الفصحى والعامية مثل:

كانت تمشي بالعواد [1]

جملة عربية فصيحة — لفظة دارجة وتعني الجياد أو الخيول

في النهاية راني نتمنى لك ياختي النجاح في هذه المذكرة وتصيبي خدمة توالمك

عبارة فصيحة عبارة دارجة عبارة فصيحة عبارة دارجة

الإزدواجية اللغوية:

(1) يهدرو a cause بالقبائلية quelque mots لمخالطة

لغة عربية دارجة — لغة فرنسية

ازدواجية بين العربية الدارجة والفرنسية

(2) أوذاغن جماغ أذسلغ ← قبائلية

la radio ← فرنسية

ازدواجية بين القبائلية والفرنسية

المجاز: (3) مابقاتش عرايسكانت عَرْصَاتْ لغة عربية دارجة

العرصات: تعني في القبائلية نبات الصّبار ذوي الأشواك وهي مستعملة هنا مجازاً للدلالة على سوء معاملة العروسة لأم زوجها ((1) أحمد(2) وردة (3) زهية).

أ-النسب المئوية لكل لغة: تمثل اللغة العربية نسبة : 69,93 % نسبة المتكلمين بها. تمثل اللغة الفرنسية نسبة: 28,18 % من مجموع المتحدثين بها. تمثل اللغة القبائلية نسبة : 1,87 % من مجموع المتحدثين بها.

ب-اللغات المتعايشة في الجزائر:

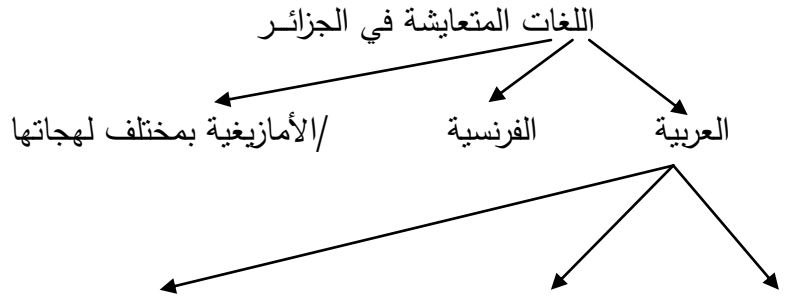

-المستوى العامي – المستوى القريب من الفصحى – المستوى الفصيح

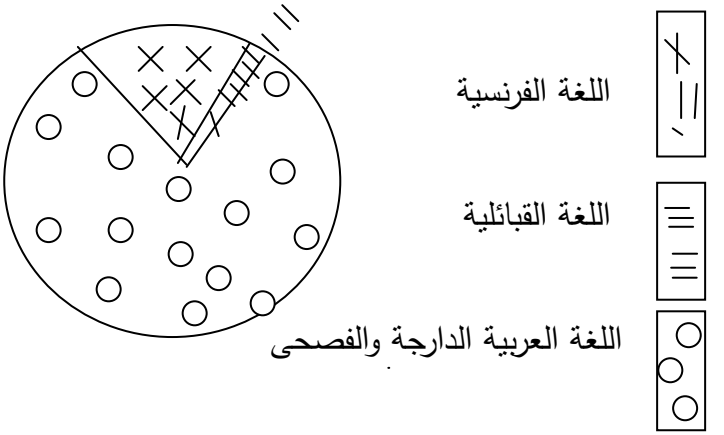

الدائرة النسبية للغات المتعايشة في الجزائر(la haute ville).

4 - بعض الأرقام والإحصاءات على المدونة ككل:

الفرنسية	العربية	القبائلية	العدد الإجمالي للكلمات
135	335	09	479

أ **-قراءة الجدول وتحليله:** نلاحظ من خلال هذا الجدول الذي يمثل عدد الكلمات الكلية الواردة في المدونة، أنها تتكون من 479 كلمة وحرفا وتتمثل في الكلمات القبائلية، العربية والفرنسية. نلاحظ طغيان استعمال اللغة العربية الدارجة عند المتكلمين بنسبة كبيرة رغم كون المنطقة la Haute Ville متواجدة في وسط

قبائلي. وتأتي بعدها اللغة الفرنسية في المرتبة الثانية وذلك بنسبة أقل. وفي الأخير تأتي اللغة القبائلية ونسبة ظهورها قليل جداً. كما نجد بعض المفردات الإنجليزية وهي منحصرة في الاستعمالات العلمية والتكنولوجية.

ب- رسم بياني للغات:

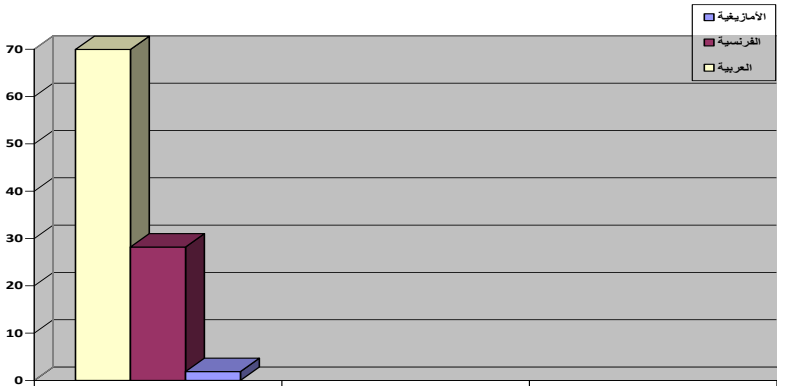

د- مخطط للغات المتعايشة في الجزائر:

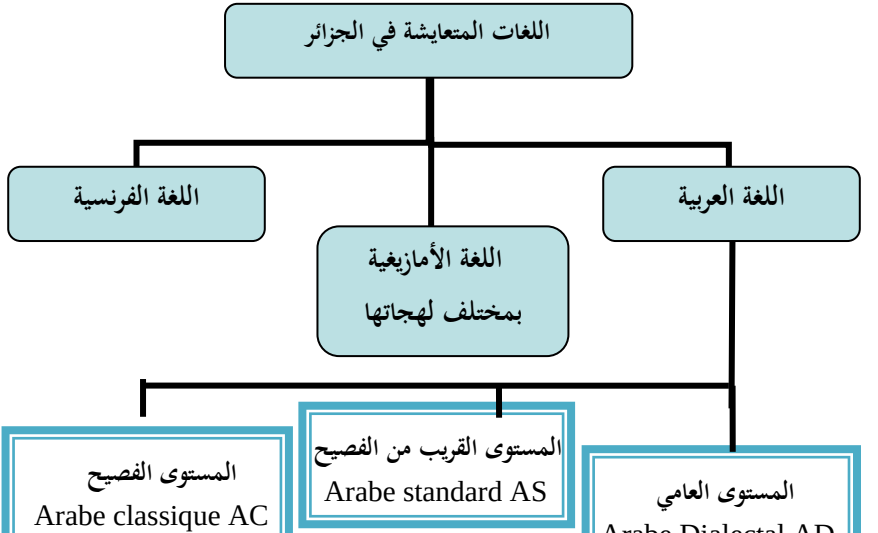

5- ربط التغيرات اللغوية بالتعدد اللغوي لدى الفرد والمجتمع:

كما عرّفنا التعدد اللغوي هو معرفة الفرد أكثر من لغة ولهذا فتحصل التغيرات اللّغوية لدى الفرد أو المجتمع لعدة عوامل منها الاجتماعية، الثقافية والنفسية وغير ذلك. ولهذا يمكن حصر هذا التغير في النقاط التالية:

أ- الناحية الاجتماعية: عند تجوالنا في المنطقة العليا لاحظنا أن هناك فروقا اجتماعية بين الأفراد. هناك عائلات فقيرة وأخرى غنية ولهذا فمن البديهي أن تكون فروق لغوية بين الأفراد أثناء الاحتكاك، وحتى من حيث اختلاف اللغات واللهجات. فالمحيط الاجتماعي يساهم كثيرا في هذا التعدد ولهذا نلاحظ اختلافا كبيرا بين لغة الشارع، المدرسة، الحي، لغة الأدب والمؤتمرات الأدبية.

وفي تيزي وزو هناك فروق حتى بين الأحياء، فمثلا لغة مدينة تيزي وزو (centre

(ville تختلف عن المدينة العليا وعن حي بوعزيز أو المدينة الجديدة رغم أن كل هذه المدن توجد في رقعة جغرافية واحدة. إنّ العينات التي تحدثنا معها كانت كلها من الحي الشعبي الذي ينتمي إلى المدينة العليا فاختلافها في التحدث يعود إلى أن بعضها لها مستوى دراسي مثل كمال وفريزة؛ وأما بعضها الأخرى فهي أمية أمثال زاهية وأرزقي.

ب – الناحية الثقافية: لاحظنا أن سكان المدينة العليا يوجد فيه امتزاج الثقافات والعادات والتقاليد رغم انتماءها إلى حي واحد، فالثقافة تساهم وبشكل كبير في عملية إبداع الكلام لدى الفرد والمجتمع. إن الاحتكاك بين فرد تركي والأخر قبائلي ينتج لهجة ثالثة تساهم في عملية التواصل بين الأفراد. وهكذا ومع مرور الوقت تصبح تلك اللهجة الثالثة هي المسيطرة على ذلك المجتمع وهذا ما حصل في المدينة العليا.

إن اختلاف التعابير الكلامية لاحظناه كثيرا في المدينة العليا خاصة بين فئة المتعلمين وفئة الأميين حيث أن الفئة المتعلمة وثقافتها الواسعة تمزج كثيرا بين اللّغات الثلاثة في الغالب مثل كمال

أو وردة أما الفئة الأمية فهي تمزج فقط بين العربية والقبائلية.

والشيء الأهم من كل هذا أن الفئة ذوي الأصول التركية تميل أكثر إلى العربية الدارجة عند الأميين والعربية الدارجة مع الفرنسية لدى المتعلمين لاختلاط الثقافات وتعدد اللّغات حصل ما يسمى بالتعددية اللغوية.

ج-الناحية النفسية: إن علماء النفس واللغة أكدوا على أن الحالة النفسية لدى الفرد والمجتمع أثناء التواصل مهمة جدا حين تساهم في إبداع الكلام. و تختلف اللغة حسب المقام الذي يقع فيه ذلك الفرد أو المجتمع، فمثلا الحزن والفرح تكثر فيهما المصطلحات الخاصة بالمقام الذي هو عليه فأثناء التواصل بين شخصين يتحدثان لغتين مختلفتين (القبائلية والعربية) خاصة إذا كانا متعلمين نلاحظ أنهما يمزجان اللغتين، فإن استعصت عليهما كلمة يميلون إلى اللّغة الثانية ويستعينان بألفاظ اللّغة الفرنسية خاصة إذا كانت من المصطلحات العلمية مثل ما حدث مع المتحدثة وردة. ولهذا فالحالة النفسية أيضا ساهمت في التعدد اللغوي، ما جعل

العديد من المتحدثين يمزجون اللغات لإنتاج لغة هجينة على حد تعبير الدكتور صالح بلعيد.

ومن خلال هذه الدراسة المتواضعة التي قمنا بها، توصلنا إلى أن التعددية اللغوية لا تخدم كثيراً اللغة العربية الفصحى لأن هذه التعددية سمحت للمتكلم بالانتقال من لغة إلى أخرى أثناء كلامه. وهذا ما جعل اللغة العربية الفصحى تتقلص مساحتها، ويضيق مجال استخدامها، فانحصر تواجدها في المجالات الرسمية كالملتقيات والندوات العلمية وكذا مجال البحوث والدراسات اللغوية. أما في المنزل والشارع ومكان العمل فقد حل محل اللغة العربية الفصحى واللغة الفرنسية والدارجات المختلفة التي أنتجت هذه التعددية.

C

حاولنا في هذا البحث دراسة الواقع اللغوي في الجزائر، وأخذنا المدينة العليا (haute ville) لمنطقة تيزي وزو كعينة للدراسة، وذلك باعتمادنا على

مدونة منطوقة لأفراد تلك المنطقة دون تمييز، وتوصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى مجموعة من الملاحظات والنتائج وهي كالتالي:

- تبين لنا التعددية اللغوية أنها ساهمت بشكل كبير في تشكيل جماعة لغوية يتكلمون هجينا لغويا، على حد قول الأستاذ صالح بلعيد وأنتجت لغة رابعة وهي لغة التواصل فيما بينهم.

- السكان ذوي الأصول التركية، يميلون إلى استعمال اللغة العربية الدارجة بكثرة، كما نلاحظ انعدام تام للغة العربية الفصحى أثناء الكلام.

- الفئة المتعلمة، والمثقفة، تفضل استعمال اللغة الفرنسية أكثر من غيرها من اللغات أثناء التواصل.

- اللغة القبائلية تلاشت وبشكل كبير في هذه المنطقة رغم وجودها في وسط قبائلي.

واستخلصنا في الأخير أن الفئة الأكثر استعمالا لهذه اللغات الثلاث، هي فئة الشباب والأطفال أو ما نسميهم أبناء الجيل الجديد، وهم أبناء اللغة الواحدة،

واللهجة الواحدة، حيث يختلفون كثيرا عن لغة الشيوخ.

وأخيرا فإن القصد من كل هذا هو السعي لمعرفة واقع الاستعمال اللغوي في منطقة تيزي وزو في خضم هذه التعددية اللغوية؛ والمدينة العليا (haut ville) تمثل عينة من عينات المجتمع القبائلي بمختلف خصوصياته وتغيراته من حيث تعابيره وسلوكاته الاجتماعية، وهذه الدراسة ضئيلة جداً لتشعب الموضوع وغناه من حيث المادة. ولذا وضعت بعض الاقتراحات التي تقوم على ما يلي:

1) دعوة المثقفين إلى حماية لغتهم القومية والاعتراف بها لسانيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا. والاعتراف على أن هذه اللغة تشكل الوسيلة الأساسية للتواصل والتفاهم والتخاطب بين أفراد المجتمع.

2) العمل على تطوير هذه اللغة مع مواكبة مستحدثات العصر والتحضر وخاصة أن هذا القرن هو عصر التطور العلمي والتقني.

3) تجنب تقديس اللغات الأجنبية على أنها لغة التحضر مع التدني باللغة القومية أو

الحط من قمتها؛ وهو بالعكس لابد أن نعتز ونسمو بها، لأنها أطول عمرا وأغنى لغة كما يقول **إلياس عطا الله : " أن اللغات الحية، والعربية أطولها عمرا وأغناها، تتقارض، تعير وتستعير .."**[16]. ويبين أن اللغة العربية غنية بمفرداتها وتعابيرها ومصطلحاتها. فأخذت عنها الإسبانية 8000 كلمة و2300 اسم مكان، وتشكل العربية 57 % من لغة البوشتو، و 42 % من الأوردو، و 30 % من الفارسية وحوالي 20 % من اللغة الأمازيغية. وتأثرت بها اللغة السواحيلية الإفريقية. أما اللغة الوطنية لجزيرة مالطة، والتي تكتب بالأحرف اللاتينية، فتعتبر إحدى لهجات اللغة العربية ومصدرها شمال إفريقيا. واستعارت لغة البيمبا الألفاظ منها (لغة في زامبيا وجنوب جمهورية الكونغو الديموقراطية وجنوب تنزانيا). وتأثرت بها اللغة الأوروبية منها الإنجليزية والألمانية.

وتقول المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكة** في كتابها **" شمس العرب تسطع على الغرب ": "أجل، إن في لغتنا كلمات عديدة، وإننا لندين-والتاريخ شاهد على ذلك-في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب، وكم أخذنا**

عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان يوما من الأيام قاتما كالحا باهتا، زركشته بالتوابل الطيبة بالعمبر العابق، وأحيانا باللون الساحر، وزادته صحة وجمالا وأناقة وروعة".[17]

4) إن تعبير المجتمع عن استعمال لغوي معين هو الذي يفرض شرعيته ورسميته بين الاستعمالات اللغوية الأخرى (تعايش لغة في حالة الثنائية اللغوية، استعمال لغة في حالة انقسام المجتمع إلى طبقات). ويقتضي أثناء تعدد اللغات في المجتمع الواحد أن توحد اللغات على مستوى السوق اللغوي؛ وأن تخضع كل الأنواع أو السجلات اللغوية أو اللهجات (الطبقة والمحلية والإقليمية أو الإثنية) إلى معايير وإلى الاستعمال الرسمي للغة الشرعية والمعيارية في المجتمع. وتتحدد هذه اللغة على أساس غلبة اللغة على أخرى لمكانتها السياسية والاجتماعية والحضارية واللسانية. ويبقى الأمر معقدا حين نضع المجتمع في استعمال اللغات الرسمية لأن الأفراد لا يملكون كل الكفآت والقدرات لاكتساب لغات متعددة

بنفس الدرجة من الإتقان وهذا يتطلب قطع مسافات حوارية وإجراء خطابات مستمرة للوصول إلى اكتساب معايير اللغة الرسمية. وبالتالي لابد من حصر كل اللغات وكل اللهجات والدارجات وكل الأنواع اللغوية التي تتعايش في المجتمع؛ ثم دراستها مع بيان خصائصها وأصلها ومكانتها.

الهوامش:

1- (J.L)CALVET, la guerre des langues et politiques linguistiques. PARIS : édition Payot, 1978, pp281-282.

2- IDEM, p283**.**

3- محمود السعران، اللغة والمجتمع . جامعة الإسكندرية: المطبعة الأهلية بنفاري، 1958، ص 174.

4- محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين. الرباط: دار الكلام للنشر والتوزيع، 1959، ص86.

5- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط2. القاهرة: الناشر مكتبة الخانجي، 1980، ص176.

6- محمد الفاسي، الألفاظ العربية في اللغة البربرية، بحوث مؤتمر الدورة55، مجلة مجمع اللغة العربية القاهري. مجمع اللغة العربية القاهري: 1988، ج64، ص 187.

7 - المصطفى بن عبد الله بوشوك، تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها (دراسة نظرية ميدانية)، ط2. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1994، ص27.

8- (MICHEL) BENIAMINO, diglossie, ds (MARIE LOUISE) MOREAU, sociolinguistique concept de base. Mardaga : 1997, p125.

9- (MBAREK) REDJALA, les berbères et leur langue. Extrait de bulletin d'études berbères : 1974, p12.

10- (W.F)MACKEY, initiation à la linguistique, bilinguisme et contact des langues (problèmes et méthodes). PARIS : éd KLINGKSIEECK, p38.

11 - خولة طالب الإبراهيمي ، تر محمد يحياتن، الجزائريون والمسألة اللغوية، ط 1. الجزائر: دار الحكمة، 2008، ص26.

12- (PIERRE) BOURDIEU, « ce que parler veut dire », économie des échanges linguistiques. PARIS : éd FAYARD, 1982, p27.

13 - زهير الصباغ، التهجين اللغوي للخطاب العربي، مجلة التراث والمجتمع. مدينة البيرة: مركز دراسات التراث والمجتنع الفلسطينية، 2005-2006، ص 12.

14 - إلياس عطا الله، فكرة عجز العربية عن مواكبة الطفرة التكنولوجية، قرية قديمة. حاور: عادل سالم، تجمع الأدباء والكتاب الفلسطينيين www.arabs48.com 2005/05/31 نقل بتاريخ: 2009/12/12 على الساعة: 15:10.

15 - علي درويش، لغة أجنبية وأصوات عربية، ظاهرة الاستغراب الفكري واللغوي في اللغة العربية الحديثة. www.elaph.com 2009/12/13 على الساعة: 10:15.

16- إلياس عطا الله، فكرة عجز العربية عن مواكبة الطفرة التكنولوجية، قرية قديمة. حاور: عادل سالم، تجمع الأدباء والكتاب الفلسطينيين www.arabs48.com 2005/05/31 نقل بتاريخ: 2009/12/12 على الساعة: 15:10.

17- زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ط 9. بيروت: دار صادر، ودار الآفاق الجديدة، 2000، ص17، ص20.

18- دون مؤلف، ولاية تيزي وزو، 2009/5/4www.google.fr ، 23:00.

19- مجلة "جمعية الشطار الصغار" لولاية تيزي وزو، معرض العلوم والتكنولوجية في دار الثقافة مولود معمري لولاية تيزي وزو، 2007.

20- د.م، ولاية تيزي وزو، /5/5www.goole.fr 2009، 21:00

21-وازين فاتحة، من مظاهر الازدواجية اللغوية في قصبة تيزي وزو. جامعة مولود معمري تيزي وزو: 2001، ص38 (بتصرف).

22- FEREDJ (Mohamed Seghir), histoire de Tizi Ouzou des origines à 1954. Edition ENAP, n°144, 1990, p49.

23- وازين فتيحة، من مظاهر الإزدواجية اللغوية في قصبة تيزي وزو، ص37.

الملاحق

وصف المنطقة (جغرافيا، تاريخيا، ثقافيا).

1- تعريف ولاية تيزي وزو والمدينة العليا:

" تقع مدينة تيزي وزو في ولاية تيزي وزو، وتعتبر من أهم المدن الجزائرية وأكبرها. ويختلط فيها طابعان للبناء، أوروبي وأمازيغي، يتكلم معظم سكانها اللغة القبائلية "[17]. وهي ولاية ساحلية يصل طول شريطها الساحلي سبع ين كلم ولها حدود جغرافية مع ولاية البويرة من الجنوب وبجاية من الشرق ومن الغرب ولاية بومرداس ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط. تقع الولاية على بعد مئة كلم من العاصمة وثمانين كلم من المطار الدولي هواري بومدين، تبلغ مساحة الولاية (295793 كلم^2) مائتي ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين وثلاثة وتسعين كلم^2 أي ما يقابل 0،13 % من المساحة الإجمالية للجزائر نجد في الولاية 80% من مساحتها مناطق جبلية[18] . "تنقسم الولاية إداريا إلى 21 دائرة و67 بلدية ويغلب الطابع ان الفلاحي والتجاري على نشاطها، علما بأن الكثير من مواطنيها يجلبون قوت عيشهم عن

طريق النزوح نحو المدن والهجرة إلى الخارج ويعيش السكان في المناطق الريفية أي في القرى التي يصل عددها أكثر من 1400 قرية"[19].

تتكون المدينة من أحياء ومناطق صغيرة من بينها:

- المدينة العليا (Haute ville)
- المدينة الجديدة (Nouvelle ville)
- بوخالفة (Boukhalfa)
- بوعزيز (Bouaziz)
- مركز المدينة (Centre ville)

أما نحن فميدان بحثنا كان في المدينة العليا Haute ville

2- نبذة تاريخية عن المدينة العليا (Haute ville)

[20] إنّ قلة المصادر والوثائق التاريخية لا تؤهلنا لتحديد الفترة التي بدأ فيها تعمير واد سيباوو Sebaou بصفة دقيقة، لقد كانت أراضيه الخصبة حقولا يعمل فيها سكان المناطق الجبلية المجاورة صباحاً ويرجعون إليها مساءً، وبقي الأمر كذلك لمدة طويلة. ومع بداية القرن ظهرت سلطة تتمثل في شخصية **أحمد بلقاضي**، وهو من المنطقة بعينها وقد

كان صاحب نفوذ كبير على كل الرقعة التي كانت تغطي هذه المنطقة، وفي هذا السهل أسس بعض المراصد التي جلبت كثيرا من الناس فيما بعد، وأتوا كلهم من مناطق مختلفة، واستقروا هناك. ومن هنا تسميتهم بحسب شارل **دوفو**(CHARLES DEVAUX) **" قبائل عمراوة"** من العربية الدارجة عمرو لبلاد بمعنى عمرّوا المكان. أما نشوء المدينة العليا أو كما عرفها **روبان** (ROBIN) **القرية الجزائرية** (قرية تيزي وزو بالتحديد) كإحدى هذه القرى التي تشكل اتحاد عمراوة فهناك عدد قليل من المصادر والوثائق التاريخية حول هذا الموضوع.

ومن المؤكد أن تسمية تيزي وزو لم تكن معروفة لدى المخبرين التاريخيين إلاّ بعد تأسيس الأتراك للبرج التركي سنة 1640 تقريبا هذا الذي أطلق عليه فيما بعد برج تيزي وزو وتعني هذه اللفظة القبائلية هضبة بالنسبة لتيزي "والوزال" بالنسبة لأوزوOUZOU وهو نبات كان وافرا في هذه المنطقة. و"في سنة 1720 بعثت حكومة العاصمة " **علي خوجة** " لمراقبة منطقة القبائل من أجل بسط نفوذها. وفي سنة 1855 بدأ النفوذ الفرنسي على المنطقة وبسط

سيطرته الكاملة عليها، وبعد ذلك تم تأسيس مركز أوروبي من قبل الحكومة الفرنسية، ومصير المدينة العليا بعد الاستقلال لم يختلف كثيراً عن ذلك الذي عرفته في العهد الفرنسي"[21].

3- الموقع الجغرافي للمدينة العليا (Haute ville): في وصفه الذي يعود إلى القرن 19 التاسع عشر يحدد **روبان** ROBIN القرية الجزائرية (المدينة العليا) كما يلي: «يقع المكان في أقصى الوادي على أرض غير متساوية. ويشرف البرج على تل تركيا قديما أعيد ترميمه في 1851، لكي يقيم فيه باشاغا سباو **" بلقاسم أوقاسي "** في شمال البرج وعلى مساحة صغيرة يرتفع جبل **بلواحيث** نجد فيه سيدي بلوا، الذي لا يقل ارتفاعه عن خمسمائة متر فوق التل الفاصل بين هذا الجبل والقمة التي تحتضن البرج...القرية الجزائرية تقع أعلى القرية الأوروبية، وقد كانت تفصل بينهما مساحة واسعة تقلصت بعد ذلك...أهم البنايات التي نجدها فيها هي إقامة حكام بشاغات سباو والمدرسة العربية الفرنسية»[22]. ومن خلال هذا سنحدد الفضاء

الجغرافي للمدينة العليا حسب ما جاء في الخريطة الجغرافية:

- يحدها من الشمال: جبل بلوا ومنطقة أرجاونا، ومن الجنوب: شارع العقيد عميروش امتدادا إلى شارع نوري مصطفي وحي الموظفين.les Fonctionnaires ومن الغرب: شارع Les Carrières ومنطقة التجهيزات، فندق عمراوة، المسبح الأولمبي وغير ذلك. ومن الشرق: شارع رجاونة ومجمع حموتان.

تقع المدينة العليا على هضبة ترتفع بمائتين وسبعين مترا على مركز المدينة، وتمتد على مساحة تبلغ واحدا وثمانين هكتارا. ومن أحيائه نجد: حومة عين السلطان، زلال، برج أحمد...[23].

4- لمحة عن الوجه الثقافي والعلمي لمنطقة المدينة العليا*: توجد المنطقة في قلب ولاية تيزي وزو المعروفة بتراثها وعراقة تاريخها. وقد عرفت ركودا في الساحة الثقافية والعلمية، في الفترة السوداوية التي عاشتها الجزائر ككل، ولكن في السنوات الأخيرة ومن خلال دراستنا الميدانية التي قادتنا إلى المنطقة نلمس انتعاشا ملحوظا في كل المستويات

الثقافية والعلمية ويمكن أن نذكر ما يلي: إن العائلات المنحدرة من الأصول التركية أو العربية لازالت محافظة على تقاليدها، فتميل هذه الأسر للألبسة المعروفة عند العرب كجبة فرقاني والمنصورية وتعايشهم اليومي مع مجتمع قبائلي جعلهم يتزاوجون ويتخالطون ، فنرى تزاوجا ثقافيا وحضاريا في كل المجالات ، فنجد عائلة تركية ترتدي لباسا قبائليا والعكس صحيح. وفيما يخص أماكن الترفيه والتسلية المتواجدة في المنطقة نجد:

مركز التكوين المهني والتمهين: في منطقة عين الحلوف.

CFPA Centre de Formation Professionnelle et d'Apprentissage

مركز الإعلام والتنشيط للشباب:

CIAJ- Centre d'Information et d'Animation des Jeunes

ودار الشباب بوسراق فاطمة ودار الشباب بوليلة أعمر وفرع الكشافة الإسلامية الهلال أصدقاء بوراس سعيد. كما توجد عدة متوسطات وثانويات وإبتدائيات منها: ثانوية لالة فاطمة نسومر رمز البطولة والشجاعة. متوسطة حموتان علي ومولود فرعون. ابتدائية صليحة واتيكي.

وباعتبار المنطقة وكغيرها من المناطق الجزائرية مسلمة نجد عدة مساجد ومراكز إسلامية ومن أشهرها وأعتقها نجد مسجدين عتيقين رمز ي الأصالة والحضارة الإسلامية هما:

مسجد لالة سعيدة وقد بني في العهد العثماني حوالي سنة 1878.

مسجد لالة دمامية والذي يوجد في نهج قاسي إحدادن بني حوالي سنة 1896.

كما يوجد في المنطقة عدة مبانٍ وأثار للأجناس والشعوب التي مرت بالمنطقة خصوصا التركية:

إقامة عائلة أيت أولقاسي التي تعتبر من مؤسسي منطقة المدينة العليا، حيث بنيت في 1858 كإقامة للباشاغات محمد أولقاسي وتوجد الإقامة في نهج بوليلة أعمر.

ونجد في المنطقة معصرة زيتون تقليدية تعود لسنوات 1800 فما فوق وأصحابها عائلة تركية استقرت بالمنطقة وهي عائلة كوروغلي.

- ويوجد برج التركي كإرث حضاري شاهد على الفترة التركية.

هكذا يعيش سكان المدينة العليا la Haute Villeرغم اختلافهم في أصولهم التي تعود إلى الماضي البعيد ، إلا أن اليوم وبعد مرور قرون على تواجدهم في المنطقة صاروا كتلة واحدة متحدة ومتجانسة ، فقد حملوا السلاح معا وحاربوا العدو معا في يوم من الأيام، واليوم يعيشون بسلام وطمأنينة فوق أراضي الجزائر الحبيبة ، متناسين تلك الظروف الطفيفة في الأصول والأجداد ، ويكفيهم شرفا واعتزازا انتماؤهم إلى دين واحد وهو دين البشرية جمعاء الدين الإسلامي الحنيف وكلام الله عز وجل الذي حمله لنا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

5 –ملحق العينات:

الكتابة الصوتية الأصلية:

سمير : «...واش نحكي لك ختي، في عمري واحد وعشرين سنة حبست لقرايا في نافيام أني، ذرك راني نخدم في تاكسي فون... حنايا في الدار نهدروا غير العربية ما نعرفوش لقبايلية مي نحبوها باسكو جينا من ألجي... في سبور نحب جي أس ك نعشقها للموت، نحب سورتو لقارديان تاعهم شاوشي أوفي لوروب نحب لوجوور راوول تاع ريال مدريد...».

الترجمة إلى العربية الفصحى: «...ماذا أحكي لك يا أختي، ابلغ من العمر واحدا وعشرين عاماً، توقفت عن الدراسة في السنة التاسعة أساسي، والآن أعمل في محل الهاتف العمومي...في البيت نتحدث بالعربية فقط، ولا نعرف القبائلية ولكننا نحبها، لأننا جئنا من الجزائر العاصمة...في الرياضة أحب شبيبة القبائل أعشقها للموت، وأحب اللاعب راوول الذي يلعب في فريق ريال مدريد...».

الكتابة الصوتية العالمية:

/mada/ aħki/ laki/ya/ uxti/ abluùu/ mina/ alɛumri/ waħid/ waɛiʃrina/ ɛaman/ tawaqaftu/ an/addirasati

/ fi/ assanati/ attasiɛa/ asasi/ walan/ aɛmalu/ fi/maħal/ alhatif/ alɛumumi/.

Fi/ lbayti/ nataħaddatu/ bilɛarabiya/faqat/ wa/ la/ naɛrif/ alqaba iliya/ wa/ lakinna/ nuħibuha/ gidan/ li/ anana/gi na/ min/ algaza ir/ lɛasima/. /fi/ rriyada/uħibu/ sabibat/ lqaba il/ aɛsaquha/ li/ amawti/ uħibu/ ɛala/ lxusus/ ħaris/ marmahum/ sawsi/ amma/ fi/ uruba/ uħibu/ llaɛib/ rawul/ lladi/ yalɛabu/ fi/ fariq/ riyal/ madrid/.

الكتابة الصوتية الأصلية:

زهية : «...يابنتى حنايا ماندروش عشا تاع العام جديد، على خاطر هدّ تاع نصارا، حنايا نديرو عشا تاع يناير هذاك صح تاعنا، نطيبو فيه طعام باللوبيا ومعاه

نديرو جاج قبائل إذ كاين، أما لعام جديد تاع نصارا ماندیرو فيه والو لخاطر ماشى تاعنا...

...يابنتي مكاش عرايس ذرك، أنا عروستي أدات ولادها صغار لأقبو، ضربهم الريح وأدرك صغير فيهم راهو مسكين فيسبيطار، غاضني مسكين حكماتو لحامو بسبتها...لوكان سمعت لرايي قلتها ماتديهومش أرثمغرا في شتا كيما هاذي...».

الترجمة إلى العربية الفصحى: «...يا بنتي نحن لا نحضر عشاء العام الجديد ، لأن هذا الاحتفال خاص بالغرب، أما نحن فنحضر عشاء يناير لأنه لنا حقا ، فيه نطبخ الكسكسى باللوبيا ومعه نحضر الدجاج القبائلي إذا كان ممكناً، أما العام الجديد فهو للغرب ولا نحضر فيه شيئا، لأنه ليس خاصا بنا....

...يا بنتي لا توجد عرائس (كنات) الآن، فأنا كنت أخذت أولادها الصغار لأقبو، وبالتالي أصيبوا بالأنفلونزا والآن حفيدي الصغير دخل المستشفي، أشفق عليه مسكين فقد ارتفعت حرارته بسببها...فلو سمعت لرأيي فقد قلت لها لا تأخذيهم إلى العرس في مثل هذه الحالة الممطرة».

الكتابة الصوتية العالمية:

ya/ bunayati/ naћnu/ la/ nuћadir/ ɛasa / alɛam/ lgadid/ li anna/ hada/ liћtifal/xas/ bil£arb/ amma/ naћnu/ fanuhayi u/ ɛasa / yannayar/ li annahu/ lana/ћaqqan//fihi/ **natbuxu/** alkuskus/ billubya/ wa/ maɛahu/ nuћadiru/ addagag/ alqaba **ili/** ida/ kana/ mumkinan/ amma/ alɛam/ algadid/ fahuwa/ lil£arb/ wa/ la/ nuhadiru/ fihi/ say an/ li annahu/ laysa/ xassan/ bina/ /ya/ bunayati/ la/ tugadu/ ɛarais/ l an/ fa/ ana/ kannati/ axadat/ awladaha/ assi£ar/ liaqdu/ wa/ bittali/ usbu3/ bil infilwanza/ wa/ l an/ ћafidi/ assa£ir/ daxala/ almustasfa/ asfiqu/ ɛalayhi/ miskin/ faqad/ irtafaɛat/ ћararatuhu/ bisababiha/ falaw/ samiɛat/ lira yi/ faqad/ qultu/ laha/ la/ ta xudixim/ ila/ alɛurs/ fi/ mitli/ hadihi/ alћalati/ lmmutira/

الكتابة الصوتية الأصلية:

كمال: «...كونسرنو لارشتكتور دولا ولايا دو تيزي وزو فيل أو لا أوت فيل إل يا أون قروند دي فرونس...لا فيل تبات مع لا كولو نزاسيو مع فرنسا أ بارتير دو 1830 بار كونتر لا أوت فيل تبنات مع الترك لي دخلوا لدزاير قبل فرنسا، سي بورصا راكوا تشوفو لا ديفرونس، لا فيل لتحتا عندها ستيل دون فيل أوروبيان مي لا أوت فيل لي يشوف لبنيان تاعها يشبه ستيل دون فيل ترك...حنايا لي زميرلي لا فامي تاعنا سي أون دي فامي دورجين ترك، جددنا جاو مترك. أو إليا واحد ربعة ولا خمسة فاميليات دورجين ترك هنايا في تيزي وزو، إليا بار إكزومبل حنايا لي زميرلي،

كوروغلي، قارا وفرج إكسترا. لا لونق كابيل حنايا ما نعرفوهاش نهدروا غير لعربية أكوز واش حكيتلكم قبيلات...».

الترجمة إلى العربية الفصحى: «... فيما يخص الهندسة المعمارية لولاية تيزي وزو -المدينة- والمدينة العليا هناك فرق كبير ، المدينة بنيت مع دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر أي ابتداء من ألف وثمانمائة وثلاثون (1830). وعلى العكس فالمدينة العليا بناها الأتراك الذين دخلوا للجزائر قبل فرنسا، لهذا نلاحظ الفرق في النمط المعماري، فالمدينة لديها نمط معماري يشبه النمط الأوروبي، لكن المدينة العليا فالذي يراها ويرى معمارها يشبهها بالنمط التركي... نحن عائلة زميرلي، عائلتنا واحدة من العائلات ذ ات الجذور التركية فأجدادنا جاؤوا من الترك وهنا في تيزي وزو يوجد تقريبا أربع أو خمس عائلات ذ ات أصول تركية يوجد مثلا نحن زميرلي كوروغلي، قادا وفرج إلى آخرة، اللسان القبائلي نحن لا نعرفه نتكلم فقط العربية للأسباب التي حكيتها قبلاً...».

الكتابة الصوتية العالمية:

fima/ yaxus/ alhandasa/ almiɛmariya/ liwilayat/ tiziwuzu/ -almadina- /wa/ madina/ alɛulya/ hunaka/ farq/ kabir/ almadina/ alɛulya/ buniyati/maɛa/ duhul/ alitilal/ alfaransi/ lilgazair/ ay/ ibtida an/ min/ alf/ wa/ tamani/ mi atin/ wa/talatun/ wa/ ɛala/ alɛaks/ falmadina/ alɛulya/ banaha/ al atrak/ alladina/ daxalu/ lilgaz air/ qabla/ faransa/ lihada/ nulaħidu/ alfarq/ fi/ annamat/ almiɛmari/ falmadina/ ladayha/ namat/ miɛmari/yusbihu/ annamat/ al urubi/ walakin/ almadina/ alɛulya/ falladi/ yaraha/ wa/ yara/ miɛmaraha/ yusabihuha/ binamat/ atturki/ naħnu/ ɛa ilat/ zimirli/ ɛailatuna/ waħidatun/ min/ alɛa ilat/ du/ gudur/turkiya/ fa agdaduna/ gaw / min/ atturk/ wa/ huna/ fi/ tiziwazu/ yugad/ taqriban/ arbaɛ/ aw/ xamsa/ ɛa ilat/ du/ usul/ turkiya/ yugad/matalan/ naħnu/ zmirli/ kuru£li/qara/ wa/ farg/ ila/ axirihi/ allisan/ alqaba ili/ naħnu/ la/ naɛrifuha/ natakallamu/ faqat/alɛarabiya/ li asbab/ allati/ ħakaytuha/qablan/.

الكتابة الصوتية الأصلية:

فريزة : «جومابال فريزة في عمري ترونت ساتو، نيفو ديالي ترمنال، حبست أبري، درت ستاج فسونتر ، كي كملت مون ستاج خدمت دون زون سوسيتي بريفي بوندو تروازو، أو مبعد لاسوسيتي ديكلارات فايت إي منتونو جو شوم... كيما راكو تشوفو راني قاعدة فدار نذير فشغل ساكنا مع ياما، خوتي قاع فالغربة، لكبير عايش في لألمان مع مرتو وولادو والصغير واسمو رشيد تزوج صيف هذا ودرك راهو عايش في فرنسا

هو أو سافام، أو ماعندهمش دراري، مازال أودرك سمحولي نروح للكوزينة باش نوجد لغدا...».

الترجمة إلى اللغة الفصحى: «...اسمي فريزة أبلغ من العمر سبعة وثلاثين سنة، المستوى الدراسي هو الثالثة ثانوي ثم توقفت عن الدراسة وبعدها قمت بتربص في مركز التكوين المهني، عندما أنهيت التكوين وتحصلت على الشهادة عملت في شركة خاصة لمدة ثلاث سنوات وبعد ذلك الشركة أعلنت إفلاسها والآن أصبحت بطالة دون عمل...كما تلاحظون أنا الآن ماكثة بالبيت أقوم بالأعمال المنزلية أعيش مع أمي، إخوتي كلهم في المهجر، أخي الأكبر يعيش في ألمانيا مع زوجته وأولاده أما الصغير اسمه رشيد تزوج هذا الصيف والآن يعيش في فرنسا مع زوجته،وليس لهم أطفال ليس بعد والآن اسمحوا لي سأذهب إلى المطبخ لتحضير الغذاء...».

الكتابة الصوتية العالمية:

Ismi/fariza/ablu£u/mina/ alɛumri/ sabɛata/ wa/ talatina/ ɛaman/ almustawa/ ddirasi/ huwa/ atalita/ tanawi/ tumma/ tawaqaftu/ ɛani/ ddirasa/ wa/ baɛdaha/ qumtu/ bitarabusin/ fi/ markaz/ attakwin/ almihani/ wa/ taħassaltu/ ɛala/ assahada/ ɛamiltu/ fi/ sarikatin/ xassa/ limuddati/ talatati/ sanawat/ walan/ asbaħtu/ batala/

duna/ɛamal/kama/ tulaħidun/ ana/ lan/ makitatun/ bilbayt/ aqumu/ bilaɛmal/ almanzilya/ aɛisu/ maɛa/ ummi/ ixwati/ kulluhum/ fi/ almahgar/ axi/ alakbar/yaɛisu/ fi/ almaniya/ maɛa/ zawgatihi/ wa/ awladihi/ amma/ assa£ir/ ismuhu/ rasid/ tazawwaga/ hada/ assayf/ walan/ yaɛisu/ fi/ faransa/ maɛa/ zawgatihi/ wa/ laysa/ lahum/ atfal/ laysa/ baɛd/ wa/ lan/ ismaħu/ lii/ sa adhab/ ila/ almatbax/ litaħdir/ al£ada/.

الكتابة الصوتية الأصلية:

وردة : «...جوموبرزنت أنا حياة كيما قتلك في عمري فان تروازو نقرا في لافاك نتكلم العربية الدارجة ماشى مليح لقبايلية شوية لونقلي أو بيان سور لو فرونسي.

في هاد دنيا كاين بزاف حوايج نحبهم سورتو طياب بصح نكره لو مناج تاع الدار بارسكو سي فاتقو، وأنا نعيا بزاف . في صيف جينرالمو لنديروا فيه صوالح شابين نتسروحوارلبحار أرثمغروين، إي جيم بايا لا موزيك بوكو. نحب لانترنات بلبزاف دايور بابا شرالي أن مكرو كي جبت لباك تاعي في لون دوميل كات2004، ودوك سافي ماعنديش أوكا بروبلم فانات، عندي دي سيت فور،نسحقهم خاصة في الدراسة الجامعية تاعي، أوذغن حملغ أذسلغ إي لا راديو لبهجة فيها دي زيميسون هايلين...».

الترجمة إلى العربية الفصحى: «سأقدم نفس أنا حياة أبلغ من العمر كما قلت لك ثلاثة وعشر ين سنة أدرس في الجامعة أتكلم العربية الدارجة، القبائلية ليس جيداً الإنجليزية قليلا وطبعا الفرنسية...في هذه الدنيا هناك أشياء كثيرة أحب القيام بها خصوصا الطبخ، ولكن أكره تنظيف المنزل لأنه متعب كثيراً وأنا أتعب كثيرا.

في الصيف عادة ما نقوم فيه بأمور رائعة نذهب إلى البحر والأعراس، أنا لا أحب الموسيقي كثيرا أحب الأنترنيت كثيراً حيث اشترى لي أبي كمبيوتر عند ما تحصلت على شهادة البكالوريا في سنة ألفين وأربعة 2004 والآن ليس لدي مشكل فيه لدي مواقع رائعة حيث أستعملها خاصة في الدراسة الجامعية ، كما أحب الاستماع إلى إذاعة البهجة وفيها حصص رائعة...».

الكتابة الصوتية العالمية:

Sa/ uqaddimu/ nafsi/ ana/ ħayat/ abluʕu/ mina/ alʕumri/ kama/ qultu/ laki/ talata/ wa/ ʕisrina/ sana/adrusu/ fi/ lgamiʕa/ atakallamu/ alʕarabiya/ ddariga/ wa/ alqabailiya/ laysa/gayidan/ alingliziya/ qalilan/ wa/ tabʕan/ alfaransiya/ fi/ hadihi/ addunya/ hunaka/ asyaun/ katira/ uħibu/ alqiyama/ biha/ xususan/ attabx/ wa/ lakin/ akrahu/ tandif/ lmanzil/ l innahu/ mutʕib/ katiran/ wa/ ana/ at ʕab/ katiran/ fi/ assayf/ ʕadatan/ ma/ naqum/ fihi/ biumur/ raiʕatun/nadhabu/ ila/ lbaħr/ walaʕras/ ana/ la/ uħibu/ almusiqa/

katiran/ uħibu/ alantirnat/ katiran/ ħaytu/ istara/ abi/ li/ kumbyutar/ ɛindama/ taħassaltu/ ɛala/ sahadat/ albakalurya/ fi/ sanat/ alfin/ wa/ arbaɛa/ walan/ laysa/ ladayya/ muskil/ fihi/ ladayya/ mawaqiɛ/ ra iɛa/ ħaytu/ astaɛmiluha/ xassatan/fi/ ddirasa/ lgamiɛiya/ li/ kama/ uħibu/ listimaɛ/ li idaɛati/ lbahga/ wa/ fiha/ ħissas/ raiɛa/ .

الكتابة الصوتية الأصلية:

أرزقي: «... هد لمعصرة انتاع جدودي، ورثتها على بابا لي خلاها لو باباه... كاينة دوبوي 1800 وإطلاع ، نفتحوها كي يبداو ناس يجيبو زيتون تاعهم لعندنا أبو بري من شهر نوفمبر حتي لما مارس، هذ لمعصرة تمشي بتريستي بصح بكري كانت تمشي بالعواد...يجيبونا زيتون بارتو من لجبال لقريبة لينا كيما رجاونة بار إكزومبل أومن هنايا صحاب لا أوت فيل...»

الترجمة إلى العربية الفصحى: «...هذه المعصرة لأجدادي ولقد ورثتها عن أبي الذي تركها له أجداده، هذه المعصرة تعود إلى سنة 1800 ألف وثمانمائة فما فوق ، وكل عام نفتحها عندما يبدأ الناس بإحضار زيتونهم إلينا ابتداء من شهر نوفمبر حتى شهر مارس تشتغل هذه المعصرة بالكهرباء الآن أما قديما فكانت تشتغل بمساعدة الجياد...

... الناس يحضرون لنا زيتونهم من مناطق عديدة من الجبال القريبة لنا مثل رجاونة وأيضا من هنا سكان المدينة العليا.»

الكتابة الصوتية العالمية:

Hadihi/ lmaɛsara/ li/ agdadi/ wa/ laqad/ warittuha/ ɛan/ abi/ lladi/ tarakaha/ lahu/ agdaduhu/ hadihi/ lmaɛsara/ taɛudu/ ila/ sanat/ alf/ wa/ tamanimiatin/ fa/ ma/ fawq/ wa/ kulɛam/ naftaħuha/ ɛindama/ yabdu/ nnas/ bi iħdar/ zaytunahum/ ilayna/ ibtida an/ min/ sahr/ nufambar/ ħatta/ sahr/ mars/. Tasta£ilu/ hadihi/ lmaɛsara/ bilkahraba / lan/ amma/ qadiman/ fakanat/ tasta£ilu/ bimusaɛadati/ algiyad/. Annas/ yuħdiruna/ lana/zaytunahum/ min/ manatiq/ ɛadida/min/ lgibal/ alqariba/ lana/ mitl/ rgawna/ wa/ aydan/ min/ huna/ sukan/ almadina/ alɛulya/.

واقعنا اللغوي بين تقويم اللسان وتيسير ضوابط التعبير والبيان

د/ عبد الكريم بكري- جامعة وهران

يتفق علماء اللسانيات الاجتماعية على أن هناك نواميس عامة تخضع لها لغات المجتمعات المختلفة من حيث تراجع بعض اللغات (أو بعض ما فيها) لفائدة لغات أخرى أو استبدال كلمات أجنبية بكلمات من نسل اللغة الأصلية، نتيجة لما تعرفه الأمم أو القوميات والمجتمعات من تحولات ثقافية أو اقتصادية، أو عسكرية، أو غيرها من العوامل التي تؤدي بالأفراد إلى التكيف اللساني والتعامل مع المتغيرات التي تطرأ على جانب من جوانب حياتهم.

وفي ضوء هذه المعطيات اللغوية الاجتماعية نحاول من خلال استعراض المراحل التاريخية أن نتابع العربية الفصحى منذ نشأتها في العصر الجاهلي وما كان يحكمها من تقاليد وثوابت وضوابط، وسوف نرى عندما نتقدم في هذا البحث، كيف أن هذه النواميس والثوابت ظلت مستقرة مصاحبة

للغتنا الفصحى على الرغم مما عرفته عبر العصور من محن وشدائد جراء الهجومات الشرسة والمؤامرات المتوالية التي تعرضت لها، ولنا وقفة استقصائية بعد ذلك عند واقعنا اللغوي الراهن لمعرفة جملة من الحقائق والظواهر ولرصد عمليات المد والجزر الذي تعرفه اللغة اليومية المتداولة بين الأوساط والشرائح المختلفة في الجزائر والعالم العربي. وليس غريبا إذن أن يحدث تبادل لغوي بين اللغات الحية - كما رأينا- نتيجة للروابط والجسور التي يتم إقامتها بين الشعوب من أجل التعاون وتبادل المنافع. فاختلاف الألسنة - كما جاء في القرآن الكريم نعمة من النعم التي منحها الله لعباده لما فيها من مكاسب تعود بالخير على البشرية.

والعربية لم تكن بدعا من هذه اللغات فلقد ظلت تمد اللغات الأخرى -عبر التاريخ- بقائمة من الكلمات والمسميات التي شاعت في لغات الأمم القريبة منها والبعيدة، كالفارسية والأردية واللاتينية والتركية، كما كانت تستمد من اللغات الأجنبية ما تضطر إلى إدراجه وإدماجه في كلامها، غير أن هذا الا قتراض من اللغات

الأخرى كان يتم بسلاسة وإحكام، بحيث تروّض الكلمة ويعاد تشكيلها وتهذيبها حتى تصبح جزءا من النسيج اللغوي الأصلي ولا تسبب أي نشوز او اضطراب في التركيب كما يحدث الآن في بعض مستويات التخاطب والتواصل بين الأفراد والجماعات. ولعل ما يلفت الانتباه في هذا الموضوع هو أن اللغة العربية قد سمحت لبعض الألفاظ بالتسرب في كيانها منذ العصر الجاهلي، على الرغم من عزلة قريش وبعدها عن بلاد العجم، فلقد انضمت إلى اللغة العربية- في ذلك العصر- أسماء معربة عن الفارسية مثل الدولاب والكعك والجلنار، وعن السنسكريتية، الفلفل والجاموس والشطرنج وهي مسميات ظلت تجرى على السنة الناس في حياتهم اليومية وأثناء معاملاتهم لأنها انسابت واندمجت في النسيج اللغوي العربي بحيث ورثناها نحن الخالفين على أنها من بنات لغتنا.

ولقد ضم القرآن كثيرا من الكلمات التي عربت في العصر الجاهلي حتى قيل: **" في القرآن من كل لسان"** حيث نزل كتاب الله باللغة التي كان يستعملها العرب في ذلك الوقت بما فيها الألفاظ والمسميات التي وردت عليهم من لغات أخرى في تعاملهم مع

الشعوب. ولقد استقر رأي العلماء في ذلك الوقت على أن هذه الأحرف أصلها أعجمية ولكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ المعجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الأحرف بكلام العرب، ومن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال إنها أعجمية فهو صادق. (1)

ولعل ما يؤيد هذه الواقعة اللغوية التاريخية هو أن ابن دريد قد خصص بابا في معجمه "الجمهرة" سماه (باب ما استعملته العرب من كلام العجم حتى صار كالعربية) 2

إنّ المتتبع لمراحل التطور والتمدد الذي عرفته العربية، يجد أنها قد سلكت مسلكا مكنها من أن تظل محتفظة بمكوناتها وخصائصها الصوتية ونظامها التواصلي، فلقد حرص الناطقون العرب على أن يعدّلوا في الكلمات الداخلة إلى لغتهم بما يتناسب مع أصوات لغتهم كالباء المهموسة (P) والفاء المجهورة (V) والجيم الخالية من التعطيش .(G) ولقد نبّه إلى ذلك سيبويه في كتابه، (وهو أول تأليف شامل

تعرفه علوم اللغة العربية) وخصص لذلك بابا سماه، (باب اطراد الإبدال في الفارسية) وبين فيه أنهم "يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم وإلى أقربها وربما أبعدها مخرجا.(3) ويعلل الجواليقي لذلك فيقول : الإبدال لازم لئلا يدخل في كلامهم ما ليس في حروفهم ، ولقد ظل هذا العامل الصوتي المعيار الأول عند العلماء للتفريق بين الكلمات الأصلية والكلمات الدخيلة فيقول سيبويه:" من علاماتهم التي فصل بها كلامهم عن كلام العجم، إدخالهم القاف في آخر الإسم في موضع الهاء كقولهم: الإستبرق (وهو الغليظ) وهو: استبره بالفارسية وقولهم يلمق وهو يلمه ، وإدخالهم الجيم في آخر الحرف كقولهم مزوج وديابج وهو: موزه وديباه (5).

ولقد سبق أن رأينا - من هذا المنبر - كيف تمت ترجمة كثير من الفنون: في الطبيعة، والكيمياء، والفلك والرياضيات، والفلسفة في العصور الذهبية للإسلام. حيث أصبحت هذه العلوم عربية إسلامية في الشكل والمضمون لأن ه ما زالت التراكيب والمسميات فيها صالحة للتعبير عن العلوم المستحدثة التي تعرفها حياتنا اليومية.

ولعل ما يستدعي الملاحظة، واستخلاص العبر في هذا الصدد ، أن نرى كيف تبنت الأمم الأوروبية هذا المنهج الحاسم القويم في تأصيل المصطلحات من معارفهم وإلباسها لبوس لغاتهم، حتى ليصعب على القارئ غير المطلع أن يعرف أنها كلمات دخيلة وما على الواحد منا إلا أن يمعن النظر في معظم المصطلحات أو المسميات وال علوم العربية التي نقلوها إلى لغاتهم كيف تحولت صورتها الخارجية وتركيبها الداخلي إلى كلمات جديدة مغيبة الأصول مثل "ابن رشد" و "الكحول".....

إنّ هذا الازدهار الذي عرفته العربية في تلك العصور الذهبية يجب إلا ينسينا ما تعرضت له من أنواع الهجمات الاستعمارية الاستئصالية التي حرمتها من الوسائل التي تحميها وترد عنها أسباب التشويه والانحلال. ولعل من أشد ما عرفته العربية من عنت في متنها وبنيتها هو وقوع جانب كبير من العالم العربي تحت الحكم العثماني منذ أوائل القرن السادس عشر فلقد طغت العجمية على العربية في تلك الفترة فاضطربت تراكيبها وشوهت أساليبها

ولم تسلم من هذه الآفات حتى لغة الدواوين والدراسات الإدارية.

يقول الشيخ محمد عبده وهو يصور أحوال العربية في العهد العثماني "كانت أساليب الكتابة تنحصر في نوعين: كلاهما يمجّه الذوق وتنكره لغات العرب: الأول ما كان مستعملا في مصالح الحكومة وما يشبهها، وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات بين رث خبيث غير مفهوم، ولا يمكن رده إلى لغة من لغات العالم، لا في صورته و لا في مادته والنوع الثاني: ما كان يراعي فيه السجع، وان كان باردا وتلاحظ فيه الفواصل ، وأنواع الجناس ، وإن كان رديئا في الذوق ، بعيد عن الفهم، ثقيلا في السجع، غير مؤد للمعنى المقصود(6). ولقد أورد الأستاذ أنور الجندي عدة نصوص تبين المستويات المنحدرة التي بلغتها اللغة العربية في تلك الفترة منها رسالة صادرة من حاكم مصر جاء فيها: "إعلان إلى مديري الأقاليم ، قبلي وبحري ونظار محطات السكة الحديدية ومأمور وابورات بحر النيل. رافعة مسيو كابير جرى انتخابه بمعرفة مأمور الأنتيقة لضرورة الإطلاع على الكتب والآثار الموجودين بالديورة القبطية

الكائنة على شاطئ النيل، والديورة التي بالصحراء.... إعلان بإعطاء ما يلزم من الجمال وما يلزم من المشالات والأنفار الكفاية.... تم إذا كان قاصدا جهة من لزوم هذه المأمورية ، ويكون وابور قائم من وأبرات السكة الحديدية....فقد أصدرنا هذا الإعلان وأعطى له بيده لاعتماده الأجرى بموجبه في الجهات التي يمر بها."(7). كما وصف جورجي زيدان أسلوب الكتابة الذي كان سائدا في ذلك الوقت بأنه: قد بلغ من الضعف والعجمة. بحيث يتعذر على الإنسان الوصول إلى المعنى لما حوله من الصور المبهمة، وكما يظهر ذلك في إنشاء المؤلفين من أهل تلك الفترة كالجيرني (المؤرخ) ومعاصريه(8). هذا هو المستوى الذي وصلت إليه اللغة العربية في عصر تراجع فيه كل ما يدفع عنها أسباب الضعف والتلوث وهذا ما يمكن أن تتعرض إليه، بل إلى ما هو أسو أ (في عصر تطورت وتكاثرت فيه أدوات الهجوم والهيمنة) إذا تخلينا عن حمايتها وإكسابها أسلحة الحماية وأسباب التطور والارتقاء لمجاراة كل ما يستحدث من علوم ومعارف وهذه هي العبرة أو النتيجة التي نريد الوصول إليها من

خلال تعرضنا لهذه الأحداث التاريخية التي تعرض لها اللسان العربي. وهي أن لغتنا العربية إنما وصلتنا محتفظة بكل طاقتها وخصائصها وعنفوانها لأن أهلها في تلك العصور عرفوا كيف يحيطونها بالرعاية والسقاية والإثراء وكل أسباب المنعة والمقاومة على الرغم من الظروف القاسية (الاستعباد، الجهل، قلة الوسائل التعليمية) التي كانت تحبط بهم حيث يتفق المتتبعون لهذا الشأن أن اللغة العربية إنما استطاعت أن تسترجع عافيتها- بعد هذه الفترة المظلمة- بف ضل صلابتها وعراقتها وبكونها لغة القرآن ثم (وهذا هو الأهم والأجدر بالاعتبار) بف ضل تضحيات رجال الدين وزعماء الإصلاح كعلماء الأزهر والزيتونة وجمعية علماء المسلمين في الجزائر وتجند رجال الإعلام في جميع أنحاء العالم العربي. يحدثنا أحد الإعلاميين عن الانطلاقة التي عرفتها لغة الإعلام بعد المرحلة المريرة التي مرت بها، وعن المراحل التي قطعتها من أجل أن تصل إلى هذا المستوى المتطور الذي جعلها تساير صحافة العالم، وتساهم بشكل فعال في تنوير الرأي العام وذلك بف ضل نفاذها

وانتشارها عبر الأجهزة الإعلامية المختلفة إثر الثورة التي عرفتها اللغة الإعلامية في متنها وتراكيبها وفي أصالتها. يقول د. عبد العزيز شرف: "لم تعد لغة الإعلام كما كانت لغة الصحافة في القرن الماضي (يقصد القرن التاسع عشر) خليطا من العامي والدخيل بعد هذا التحول العظيم بنهضة التعليم ، وشيوعه وبتوافر وسائل الإعلام والتثقيف ، وبانتشار الوعي الجماهيري، أيما انتعاش وانفتح الطريق أمام لغة الإعلام الفصيحة لتتسرب في كل مكان ، وليكون لها من التعبير الجماهيري سلطان (9)

وأود قبل أن أمضي بعيدا في هذا البحث أن أشير إلى أمرين هامين الأمر الأول: هو أن تعرض اللغات، للغزو أو السعي، إلى الهيمنة على بعض مجالات الحياة فيها ليس مقصورا غلى اللغة العربية وحدها. فلقد أصابت هذه الآفة كثيرا من اللغات الأوروبية الحية مثل اللغة الفرنسية والإسبانية والألمانية والروسية وغيرها من اللغات التي وجدت نفسها م جبورة على التسليم بمنطق القطب الأوحد، أو الصوت الأوحد المسموع في المجالات العلمية

والاقتصادية والعسكرية. فإنها عملت على أن تظل لغاتها سليمة من التشوهات محتفظة بخصائصها التركيبية وطرائقها في التعبير.

الأمر الثاني هو أن الشكوى من ظواهر اللحن والعجمة والتهج ين قد عرفته العربية حتى وهي تتمتع بكامل السيادة ولكن علماء اللغة عرفوا كيف يسارعون إلى علاج هذه الآفات. فقد وضع محمد عبد الهر بن محمد الأزدي العماني المتوفى سنة 426 معجما سماه الماء" يقول في مقدمته " إنه لما كان الغالب على أبناء صنعتنا (يقصد مهنة الطب) اللحن والغلط، وقد نفشت فيهم العجمة والشطط، عزمت على أن أكتب كتابا يجمع بين اللغة العربية والطب، مسعفا للطبيب الراغب في تعريب لسانه ، ولوازم صحته ، وآلات مهنته...." إلى أن يقول : بلغنا عن أطباء عصرنا، وصيادلته وعطاريه، وأهل الجراحة والتشريح والكحالين ما بلغنا من خروجهم على لغة العرب، وتفض يلهم كلام العجم يتمادحون بذلك فيما بينهم إظهار لقدرة لا تستحق الإظهار، وعجمة لا تستوجب الافتخار ، فجهدت جهدي أن أعيد الأعجمي إلى رسوم العرب.(10). ويصرح ابن منظور في مقدمة

معجمه (لسان العرب)، أنه إنما وضع هذا المعجم لحفظ أصول اللغة يقول: " وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن معهودا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية وتناصحوا في غير اللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفرحون، وصنعته كما صنع الفلك نوح وقومه منه يسخرون(11).

ولكم كنا نود أن نتوسع في متابعة التطورات والتحولات التي عرفتها العربية بأشكالها المختلفة : الفصحى، العامية والخاصة خلال مسيرتها الطويلة، مما كان يسمح لنا برسم خريطة لغوية شاملة للهجات والعامية واللغات الخاصة في مختلف الأقاليم والأوساط ولكن طبيعة هذا البحث تجعلنا نكتفي بالاقتراب من بعض جوانب الواقع اللغوي بشكل عام في العالم العربي ولذلك فإننا نعود إلى علماء اللسانيات الاجتماعية للاستئناس ببعض ما يصنعونه من ضوابط ومعالم لقياس التطورات والتبدلات والاختلافات التي تطبع اللغات المختلفة.

حيث وجدوا أن هناك متغيرات وعوامل ، ودوافع تؤدي إلى تقسيم المجتمع، إلى أنماط مجتمعية لسانية، تجمع بينها مفاهيم وخلفيات وظروف مشتركة مما يؤدي إلى إنشاء بيئات لغوية تختلف عن اللغة الأصلية في كثير من المسميات التي يفرضها طارئ من الطوارئ، أو واقع فرضته ظروف معينة من بين تلك العوامل.

-العمر: يعتبر العمر معيارا مهما لقياس المتغيرات اللسانية التي يعرفها الإنسان في حياته.

-حيث وجدوا أن كبار السن هم أكثر التصاقا واحتفاظا باللغات الأصلية أو اللهجات المحلية بينما نجد أن الأطفال والشباب (من سن الخامسة إلى العشرين سنة) يشكلون الوسط المناسب لتكاثر الكلمات الدخيلة أو المحرفة أو العبارات التي يمكن اعتبارها تركيبا بين العربية والأجنبية بحيث أصبح من المألوف ألا نفهم كثيرا من الكلمات التي يرددها أبناؤنا أمامنا من قاموسهم اللغوي الخاص.

-الإقليم أو الموقع الجغرافي: حيث يلاحظ أن لغة سكان الصحاري تختلف عن لغة

المدن، وأن لغة المدن الساحلية أو السياحية تتميز باستعمال كلمات ذات أنماط لسانية مختلفة. ويبدو أن هذه الظاهرة لم تكن غائبة عن أذهان العرب، وهم يضعون الأسس الأولى لعلوم اللغة والنحو، حيث أنهم لم يستشهدوا إلا بكلام العرب الموثوق بفصاحتهم ونقاء كلامهم لبعدهم عن الاحتكاك باللغات الأجنبية، فلقد وضع علماء اللغة منذ عصور الاستشهاد- الخريطة اللغوية التي ينبغي الاستشهاد بلغة سكانهم أو القياس عليها، يقول السيوطي: "ولم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كانوا يسكنون أطراف البلاد التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جدام، فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية ولا من تغلب، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من عبد القبس ، لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ولا من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم للهند والحبشة...."12

-الأوضاع الاجتماعية: المستوى والوضع الاقتصادي، والمكانة الاجتماعية للأفراد لها أثر في توليد أو استجلاب كلمات دخيلة واختفاء كلمات أخرى من اللغة الأصلية فلقد وجد أنه كلّما ارتفعت الطبقة الاجتماعية زاد اهتمامها بالمظاهر الارستقراطية والسعي إلى إبراز ثقافتها الخاصة المميزة لجديده أو الوافدة وعادة ما تلبس هذه المحتويات الثقافية بلبوس لغوي أجنبي.

-الجنس : فلقد وجد الدارسون أن القاموس اللغوي للنساء يتضمن كلمات ومصطلحات لها ألوان خاصة وأشكال متعددة إذ تبيّن أنهنّ يسعين إلى التميز بما يحسنه من كلمات ومسميات بلغات مختلفة كأدوات الزينة والألبسة وأدوات الطبخ والتأثيث وغيرها.

-المستوى التعليمي: إذ نجد أن الإنسان المتعلم تعليما عاليا يجد نفسه م جبورا على الإطلاع على ما هو جديد في مجال تخصصه وغالبا ما يكون مضطرا إلى الحصول على هذا الجديد بلغة غير لغته، أي أنه كلما اتسعت دائرة معارف واهتمامات الإنسان

المتعلم كلما كان عرضة للاختراق اللغوي ، ولذلك فإننا نجد هذه الطائفة من المجتمع أكثر استعمالا للغة أجنبية استعمالا جزئيا أو تضمينيا في كتاباتهم وخطاباتهم ومحادثتهم اليومية

-عامل الاستعمار: لم يعد خافيا على أي كان الآثار السلبية والرواسب التي تركتها لغة المستعمر في اللغة المغزوة بكل مستوياتها والمثال الشاهد الذي لا يحتاج إلى مزيد من المراجعة هو الفترة الحالكة التي قضاها الشعب الجزائري تحت الهيمنة الاستعمارية حيث ما زال يعاني من الآفات والإصابات اللسانية التي تعرض لها ، نتيجة للهيمنة الاستعمارية على منابع المعرفة ، ولسياستها القائمة على فرنسة المجتمع بكامله واستبعاد واستئصال اللغة العربية الفصحى وتشويه العامية.

-وهناك عوامل أخرى نكتفي بذكرها دون تفصيل، مثل الزواج المختلط، والهجرة إلى بلاد أجنبية ، ومثل الأسر التي تشرف على رعاية أبنائها مربيات أو خادمات من دول أجنبية أسيوية كما يحدث الآن في دول الخليج.

-وإذا كانت تلك المؤثرات والعوامل التي أتينا على ذكرها تختلف وتتعدد أو تتمدد حسب اختلاف الشعوب في التاريخ والجغرافيا، فإن هناك بعض العوامل التي أصبحت تخضع لها الشعوب والمجتمعات بكل شرائحها ومكوناتها ومختلف أنماط لسانها. هذا الفاعل الكبير الذي نتحدث عنه هو الإعلام بكل أنواعه السمعية والمقروءة والمرئية، أو بالأحرى هي اللغة الإعلامية بكل ما أصبح لها من قدرة خارقة على فر ض أبنيتها وتراكيبها على المجتمعات ، لأن هذا الاستعمال اللغوي للإعلام هو الذي ينشأ عليه الناس ويخلق لديهم بناء فكريا وسلوكيا فهي عالم لغوي وبسيط - كما يقولون- بين الواقع الموضوعي وبين الناس، أي أنها لا تكتفي بأن تنقل إليهم رصيدها اللغوي المتعدد والأنماط والبعاد بل إنها توطنهم على تبني سلوك لغوي معين فهي (أي اللغة الإعلامية) قاسم مشترك أعظم من كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة ، والعلوم الاجتماعية والإنسانية والفنون والآداب، وذلك لأن مادة الإعلام في التعبير عن المجتمع تستمد عناصرها من كل فن وعلم

ومعرفة (13). وعندما نرى ما تقع فيه هذه اللغة الإعلامية، من انزلاقات واندفاعات نحو أنماط لسانية طارئة مقحمة في الخطاب الإعلامي لأنها مجلوبة غريبة على الاستعمال اللغوي، أدركنا ما لهذه الأجهزة الإعلامية من أثر في حماية اللغة العربية إن كانت تتحرى السلامة اللغوية ، ومن تبعات سلبية على المجتمع أن أصبحت أدوات وقنوات لتسريب الركاكة واللحن والهجنة.

ومن هنا يأتي دور وسائل الإعلام في تحصين اللغة العربية ، وتوليد الكلمات والعبارات في حدود ما تسمح به أصول اللغة وقواعدها ، حيث يجب ألا يغيب عن الأذهان ما تميز به كثير من الإعلاميين الغيورين على لغتهم (ماضيا وحاضرا) من مقدرة على إدخال مائات الألفاظ في معجمنا اللغوي بالابتكار والترجمة والاستعمال المجازي. إنّ ما آل إليه حال اللغة العربية بجميع مستوياتها وفي جميع أنحاء العالم العربي تجعلنا نستشعر الخطر الداهم الذي بات يهدد هويتنا ويفكك روابطنا التواصلية تجاه هذا الهجوم الخطير الذي نعيشه في حياتنا اليومية هذا الزحف بل الذي أصبحنا نحمله بأيدينا

ونمكنه ونرسخه في أذهان أجيالنا ولو أن هذا الخطر اختصر على بعض المصطلحات الجديدة المستعصية لهان ا لأم ر، ولكنه أصاب حتى كلامنا العادي من مسمياتنا التي لها ما يقابلها في لغتنا بما هو أكثر كفاءة وسلامة. ولذلك وبعيد ا عما نتساءل عنه الإعلاميون: هل الإعلام هو الذي يحدث الإشكال والمسميات اللغوية التي تعمر حياتنا اليومية أو أن الهياكل والأشكال الأخرى للغة هي التي تساعد على تنمية الإعلام، قلت بعيدا عن هذ ه المسألة فإننا نعتقد أنه قد حان الوقت لأن تولى الأهمية اللازمة لتعليم اللغة العربية في كليات الإعلام والاتصال ، وإدراج كل الإجراءات اللغوية الكفيلة بتحصين وترقية الأداء اللغوي لدى الطالب الإعلامي في البرامج المقررة لأننا بذلك نكون قد جعلنا اللغة الإعلامية تتبوأ المكانة التي تمكنها من أداء وظائفها في تقريب المستويات اللغوية، وفي التعبير عما يحتاج إليه القارئ من قوالب تعبيرية واستخدامات لغوية في حياته اليومية ، مما يساعد على الحفاظ على حيوية اللغة العربية

وديناميكيتها ، واكتساب المجتمع هذه اللغة المشتركة المتوسطة التي ننشدها.

وما ذلك بعزيز على صحافتنا الع تيدة بتاريخها وأمجادها ، فلقد رأينا كيف استطاعت أن نواجه ما كان يتربص بها من أخطار في تلك الفترة المظلمة، وذلك بفضل ثورة أبنائها وتجند علمائها من اجل أن تتطور وتصل إلى ما وصلت إليه. ولا أريد أن أخفي على القارئ ما يشعر به الواحد منا من أسف وحسرة وهو يرى أن المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية عندنا في العالم العربي لا تخصص في برامجها المستمرة على مدار أربع وعشرين ساعة أية حصة من الحصص التي من شأنها أن تكسب المستمع أو المشاهد المهارات اللغوية أو تصحح الأخطاء السائدة بين الناس من خلال المسابقات والمباريات، ونخصص الجوائز التقديرية والمادية لذلك. ولقد أدرك العالم الغربي حولنا ما لمثل هذه الحصص من أهمية فتجندوا لبثها وتدعيمها بكل الوسائل المادية والتثقيفية والتشجيعية ، بحيث لا تكاد تخلو أية محطة من مثل هذه الحصص، ونود أن ننتهي في هذا البحث إلى ما ينبغي أن ينجز من مشاريع في الدوائر التعليمية من اجل تطويع الأدوات البيداغوجية

والمنهجية، لتصبح هذه اللغة رصيدا متحددا ووعاء جامعا لمختلف أنواع المعرفة ، وذلك بالتركيز على إكساب المتعلم مهارة التعبير الشفوي والطلاقة اللسانية التي من شأنها أن تعالج كثيرا من العاهات اللغوية التي أصبح يعاني منها أطفالنا وشبابنا ، وذلك بإفشاء أجواء حب المطالعة والتشجيع على الإقبال عليها ، بتوفير المكتبات في المدارس والنوادي الثقافية ، وحث التلاميذ على حفظ نصوص أدبية مختارة ، لتصبح زادا لغويا ونموذجيا يحتذي به الناشئ في التعبير والتحرير والإنشاء.

J:

1 -الصاحبي في فقه اللغة ابن فارس ص 61 تحقيق مصطفى الشويمي مؤسسة بدران بيروت 1964.

2 ينظر، جمهرة اللغة لابن دريد ط: حيدر أباد 136هـ.

3 -الكتاب سيبويه 4/ 305، تحقيق عبد السلام هارون ط. بيروت

4 -المعرب من الكلام الأعجمي على حروف العجم لأبي منصور الجواليقي ص 53 تحقيق محمود شاكر دار الكتاب مصر 1969.

5 -الكتاب 306/4

6 -اللغة العربية بين حماتها وخصومها. د. أنور الجندي ص 43. مطبعة الرسالة بدون تاريخ.

7 -العربية بين حماتها وخصومها ص 44.
8 -تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الأول ، طبعة بيروت.
9 -اللغة الإعلامية د. عبد العزيز شرف ص 155. المركز الثقافي الجامعي – القاهرة
10 -ينظر النص في مجلة أكاديمية المملكة المغربية ص 155 فاس المغرب.
11 -لسان العرب لابن منظور المقدمة.
12 - راجع، علوم اللغة لقنديس ص 308 وما بعدها ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص مكتبة الأنجلو مصرية 1952 والعربية بين أمسها وحاضرها لإبراهيم السامرائي ص 59 وما بعدها، منشورات دار الثقافة العراقية 1978.
13 -أنظر مقال، الأسس النظرية والمنهجية لأطلس لسان المجتمع ، د. إبراهيم الخطابي مجلة المنهل العدد 522 السنة 1993 جدة السعودية.
14 -اللغة الإعلامية د. عبد العزيز شرق ص 155.
15 -عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص 4.

1-ينظر : د. الياس عطا الله : "فكرة عجز العربية عن مواكبة الطفرة التكنولوجية فرية قديمة"، حاوره : عادل سالم/ تجمع الأدباء والكتاب الفلسطينيين www.arabs48.com، تم الدخول للموقع بتاريخ 2005/05/31.

1-عبد العزيز بن عثمان التويجري "لغة الإعلام وآثارها في تحقيق التنمية اللغوية www.isesco.org.ma، تم الدخول للموقع بتاريخ 2005/10/22.

1-د. عشاري أحمد محمود، تدريس اللهجة الفصحى للمتحدثين بالعربية الهجين في جنوب السودان، المجلة العربية للدراسات اللغوية، السنة الأولى، الخرطوم، سنة 1982، ص 92.

1-د. رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، ط1، لبنان، سنة 1982، ص 429.

1- Kwesi Kwaa Prah, « Education, MOther-Tongue Instruction, Christianity and Development of an African National culture » (Cape Town : Centre for Advanced Studies of Africain society) www.casas.co.za, accessed on 5-10-2005.

1-ينظر : رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، ص 174.

1-ينظر المرجع نفسه، ص 175.

1-ت.م جونستون، أستا ذ اللغة العربية في جامعة لندن، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، ترجمة : د. أحمد محمد الضبيب، الدار العربية للموسوعات، ط2، 1983، ص47/46.

1-الفصحى لغة القرآن، ص 97.

1-د. فريد الأنصاري "إصلاح التعليم وأزمة اللغة العربية في العالم الإسلامي"، www.albayan-magazine.com، تم الدخول للموقع بتاريخ 2005/09/30.

1-د. عفيف دمشقية، تجديد النحو العربي، نشأة النحو حتى عصر سيبويه، معهد الإنماء العربي، فرع لبنان، ط1، بيروت 1986، ص71.

التباين اللغوي بين الفصحى واللهجة العربية: "الهجين أنموذجا"

ا.د.سيدي محمد غيثري- جامعة تلمسان

إنّ إشكالية التداول اللغوي في الجزائر تعرف تبايناً كبيراً في اللغة المستعملة في المجالات المختلفة، كما أنّها في الوقت ذاته تعيش تفاعلاً وهو ما يندرج في سنة التغير والتحول في ظلّ التطور المادي والفكري للمجتمعات .واللغة العربية في كل ذلك هي القاسم المشترك بين فئات المجتمع، وباستعمالها يتمّ التأثير والتأثر.

واللسان العربي بما يحفل به من ثراء يعكس التراث الحضاري لهذه الأمّة عبر القرون المتوالية، يغطي مجالات معرفية دون عجز أو تجاوز، إلاّ أننا نجد أنفسنا في أحيان كثيرة أمام استعمال لغوي يخرج عن هذا المعجم العربي الفصيح إلى متداول عربي في بيئات مختلفة بما في ذلك التنوع المعرفي.

وتطور هذا اللسان العربي وانقسامه إلى ما لا يحصى من اللغات، هو أمر يطول الحديث عنه، لأنّه يستحيل إحصاء جميع اللهجات واللغات المحلية التي يستعملها الإنسان، فضلاً عن الإحاطة بذلك من بدء الخليقة، إذ يعدّ الانتشار السكاني وما أحاط بذلك من ظروف طبيعية واجتماعية وثقافية، من الأسباب المؤدية إلى تنوع اللغات وتفرعها.[1]

يتنقل الباحثون بين مصطلحات علمية تحمل من الدقة ما تلوّنه المدارس والنظريات ومن المعرّب ما جادت به لغات أخرى، وهذبه المتكلّم العربي إلى أن صار عربياً، والتعريب يأخذ معنى آخر في أقطار المغرب العربي، إذ يعني إحلال اللغة العربية مكان أي لغة أجنبية سواء في التعليم أ م في الإدارة، الأمر الذي يستهجنه بعض المشارقة في إنكارهم لتعريب بلد عربي، متناسين أثر الاستعمار وغزوه الثقافي، في حين إذا ظهر العجز في تعابيرنا لجأنا إلى الاقتراض وقد يكون في أغلب الأحيان من لغة المستعمر، ذلك أنّ العديد من المفردات الأعجمية دخلت اللغة العربية، وأن أسماء عدد من الأدوات التكنولوجية

والكهربائية دخلت العربية قبل تعريبها وأن هذا الأمر – في ظنّ بعضهم – يعكس ضعفها كأداة تعبير لغوي. وأكد عالم اللغة العربية الياس عطا الله أن "اللغات الحيّة، والعربية أطولها عمرًا وأغناها، تتقارض، تعير وتستعير [2]"... ومنهم من يرتكز على المولّد ويرتضيه في كلامه أو تأليفه، بخلاف من يرى عكس ذلك ، ويرفضه بالأساس، لأنّ اللغة العربية تتوفر على أدوات ضرورية لتطويرها تطوراً ذاتياً آليا " من خلال الاشتقاق والنحت والتجوز والتوليد والتعريب".[3]

إلاّ أننا في مواقف عديدة لا تكفينا هذه الإجراءات المتوفرة في ظلّ هذه المساعي اللغوية الانتقائية، ونجد ألفاظاً عبثت بها إجراءات المزج اللغوي أو المسخ الذي لا يراعي طبيعة اللغة، فيُدخل عليها أجزاء ليست من أصلها ولا من فرعها، بل هي مكوّن أجنبي لتلقيم الأصل العربي، وهذا ما لا يقبله النظام اللغوي، ولا الأداء العربي.

ولا بدّ من الإشارة في هذه المقاربة إلى أنّني لا أريد دراسة لهجة بعينها بقدر ما أريد ملامسة ظاهرة لغوية هي بدورها تخضع

لناموس التطور نتيجة التفاعل والتمازج الذي يحدث أيضاً في مجالات أشدّ ما تكون في عالم الكائنات الحية التي يزخر بها هذا العالم، ألا وهي ظاهرة التهجين اللغوي.

وسأقتصر في هذا العمل على إبراز خطر التهجين اللغوي الذي يعتبره بعض الباحثين علاقة تفاعلية تسهم في التنمية اللغوية، مع إغفال تامّ لما قد يحدثه من تشويه وطمس للغة.

فما هو التهجين؟ وأين يكمن خطره؟ وما هو البديل؟

هي تساؤلات تبحث في كشف التداخلات المفهومية لمصطلحات طالما تداولها الباحثون دون النظر فيما تلحقه بلغتنا ونحن في عصر العولمة نتطلع إلى اللحاق بالركب الحضاري بل والمشاركة في صنعه بالاعتماد أولاً على أصالتنا وإثبات وجودنا، ولا يتمّ ذلك إلاّ بلغتنا العربية الشريفة التي أثبتت ـ ولا تزال ـ تحدياتها للغة المستعمر رغم الغزو الثقافي ومحاولة طمس كلّ ما هو عربي، ولا ندّعي أننا لانعاني من مخلفات الاستعمار، والدليل على ذلك هذا التقهقر في بعض

الألسنة، وجملة من الأزمات وضعها بعض أبناء العربية في صراعات هي في أصلها واهية. ولعلّ ما يؤسفنا هو محاولة تهجين اللغة العربية بغرض إفقادها ما يميزها ويطبعها، بحجة الاستفادة من هذه اللغات في عصر العولمة.

ولا بد من إشارة إلى مصطلح **التهجين** في الاستعمال العربي، وقد استعمل في مجالات كثيرة، منها تهجين النبات والحيوان، والمقصود به كما ورد في بعض التعاريف، هو وليد الاختلاط في مثل لون البشرة الذي يميز بين الملونين، فيفضي الاختلاط إلى التهجين، ومن ولد منه دعي ***مجيناً أ*** و خلاسياً.

الهجين من كان أبوه عربياً وأمه غير عربية، والمُقْرِفُ من أمه عربية وأبوه غير عربي، والخلاسي الولد من أبوين أبيض وأسود، ويقال لمختلط النسب في اللغة خِلْط.

ويظهر التهجين في الكتابة أو النطق بلغة عربية غريبة الأطوار جزء منها عربي والباقي أجنبي .ويستخدم بعض متكلمي العربية مصطلحات إنجليزية، وأحياناً فرنسية أو عبرية ولها ما يقابلها

بالعربية، فتستعمل داخل نص عربي هزيل، أقرب ما يكون إلى العامية، ويكون مكتوباً أو محكياً، وبعضهم الآخر يضيف لكنة أجنبية للجزء العربي من الخطاب المحكي والهجين.

وظاهرة الهجين ليست خاصة باللغة العربية فهي موجودة في جميع أنحاء العالم، وفي كل اللغات، فالإنجليزية الهجين في نيجيريا وهاواي وجمايكا، والفرنسية الهجين في هايتي وساحل العاج ...وغيرها، وهذه الخصائص اللغوية تتمثل في مختلف المستويات التحليلية في الغياب الإعرابي، وأدوات الوصل، ومورفيمات الزمن...[4] وكذلك في التحقيق الصوتي، والأمر هنا لا يتعلق بتغيرات فونولوجية لأنّه في الواقع تطور استعمالي خضع للتنازل الثقافي بفعل التقهقر والضعف الذي يصيب المجتمعات.

لكن، " اللغة نراها بعد انحطاطها تنهض من كبوتها وتنتعش بعد ضعفها، وتترقى بترقي الحضارة والعلوم. فاللغة لا تموت كما يموت النبات والحيوان، بل يموت الشعب الذي ينطق بها . فإذا بقي الشعب العربي في الحياة ، تحيا لغته، ويتجدّد

شبابها ولا تنحط، بل تترقى بترقي آدابه". [5]

وتتمّ هذه الظاهرة بشكل واع و غير متعمد عن طريق المحاكاة، ويعتقد من يمارسها بأنها نوع من الرقي الحضاري، ويصبح في نظرهم من لا يمارسها متخلّف، ويقوم البعض الآخر بعمليات تعريب بهلوانية وخاطئة كقوله بركة الكار ark معناها يوقف السيارة و « car. ويرجع ذلك لوجود حالات من البشر الذين يدّعون بعد غيابهم لسنتين أو لثلاثة في أوروبا بأنهم لا يستطيعون التحدث بلغة الأم.... إنّ استخدام لغة غربية في أفريقيا هو أمر ذو قيمة بحيث أن الكثير من الأفارقة والذين يستخدمون لغة الأم يحوّلون خطابهم وينثرون في لغاتهم مفردات وتعابير إنجليزية أو فرنسية وذلك لإظهار مستواهم الرفيع» .[6]

أسباب ظاهرة التهجين في الواقع اللغوي الجزائري:

والهجين في اللغة العربية هو نتيجة صراع بين لغتين غير متكافئتين من حيث العناية والحماية السياسية وبذلك تطغى مفردات اللغة المنتصرة وتحلّ محلّ اللغة المقهورة شيئا فشيئا، وقد يكون الصراع

بين لغتين شديداً وطويل الأمد، هنا يكون للغة المقهورة حظ واسع من المفردات التي تَلقي بها اللغة الغالبة، وقد يكون الصراع ضعيفاً، فاللغة المغلوبة لا تبدي أيّ مقاومة للغة الغالبة.[7]

ومن ثمّ تكون هذه اللغة عرضة للتهجين اللغوي في مرحلة من مراحل التأثر، لا بالاستبدال اللفظي ولكن بالمزج الجزئي، ومن هنا يبدأ التهجين الذي نعتبره أخطر من الاستبدال، لأنّ الألفاظ تؤخذ على أنها من المنطوق العربي فتؤثر على تغير مخارج الأصوات ويقترب النطق بها من أصوات اللغة الأجنبية شيئاً فشيئاً، حتى تصبح على صورة تطابق أو تقارب الصورة التي هي عليها في اللغة المنتصرة، وذلك بأن يتصرّف المغلوب تصرف الغالب في النطق بالأصوات، وهذا وجه من وجوه التهجين، وبذلك تفقد اللغة المغلوبة خصائصها لتذوب في اللغة الغالبة وبالتالي تذعن استسلامها للغة المنتصرة في قواعدها اللغوية المتعلقة بالمستويات التحليلية اللغوية المختلفة.[8]

ولعلّ ما توصّل إليه الباحثون في هذا المجال الصوتي هو التذبذب الحاصل في التجليات الصوتية لهذه اللهجات الهجينة، ت.م جونستون في كتابه (دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية) في قوله: " أعني حدوث أنواع صوتية وصرفية لا يرتبط توزيعها بأسباب معينة في بنيتها الأساسية. هذا التذبذب لا يحدث فقط من متحدّث إلى متحدّث ولكن يمكن أن يوجد في كلام نفس الشخص في مناسبات مختلفة.

وهذا بطبيعة الأمر ـ خاصية عامة في اللهجات. وتقل الاختلافات في اللغات التي أصبحت منظمة بواسطة الضغوط الأدبية والاجتماعية، ولذلك فإنّ قواعد اللغة المكتوبة والمنظمة، غالباً ما تعطي انطباع الدقة والصلابة الذي يندرأن يوازي بالحقائق الملاحظة في لغة الحديث". [9]

وفي المجتمع الحديث الذي كثر فيه الاتصال بين الأمم، وسهُل نتيجة للانقلاب الصناعي والمخترعات الحديثة وسرعة المواصلات وغيرها، تظل العربية في صراع مع غيرها من اللغات .[10]

أمّا في الجزائر فقد سلكت فرنسا منذ دخولها سياسة خسيسة تعتمد على النهب والقمع والبطش ليمتدّ ذلك كلّه إلى اللسان العربي، ومحاولة منها لاستئصال اللغة العربية من الجزائر، عمَلت على نشر اللغة الفرنسية على أن تكون جزءا من الوعي الاجتماعي للجزائريين وشجعت رواد الثقافة الاستعمارية بمختلف الطرق والوسائل.[11]

ونتج عن هذا الصراع، انتقال اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية بمصطلحاتها وتعابيرها، وبقيت أسماؤها مع التحويل والتعديل .فقد دخلت ألفاظ في اللغة الفرنسية وتبنّتها الألسنة في مثل «كيف كيف»، والمراد بها تماماً أو ـ مثل بعض ـ في تعابير جاهزة من قبيل التعابير المسكوكة التي يصعب تحليلها .فهي لا تشكل في ذاتها نظاما لغويا منسجماً، بل هي بدورها وفي بيئتها الجغرافية تعدّ من العامية أو من الهجين اللهجي.

ومن هذه اللهجات الجغرافية ما يصلح لدراسة ظاهرة الزمن في حقل الهجين، بل نمط من أنماط الحديث المتباينة في مثل «دروك انجي» والمقصود (في مثل هذا

الوقت)، إذ يتبين المتكلم الزمن في «دروك» ويقصد بها الزمن الحاضر، والواقع أن هذا الاستعمال لا يرتبط بمراتب السلم الطبقي، فهو من قبيل الاستعمال الذي لا يخضع لضوابط لغوية في مستوياتها التحليلية ، وفق مواقع المتحدثين (الشعبية).

يحتل الزمن وضعاً متميزاً لأنه يمثل إدراكاً إجرائياً خاصاً فهو يعبر عن أحوال الأحداث ، لذلك يظهر بأشكال مختلفة ، وهو عند مجموعة لغوية ينقسم إلى ماض وحاضر ومستقبل،بينما يقسّم عند مجموعة أخرى إلى ماض وحاضر (تحقق أو حدوث، Accompli/inaccompli) هذا على مستوى الإدراك، في حين نجده في المستوى اللغوي يتحقق على أشكال مختلفة ، بنبر وتنغيم، وتحول في الصيغ عن طريق التغير المورفولوجي، وكثيراً ما تكون للتراكيب وظائف، وللسياقات قراءات، وأحياناً للألفاظ دلالات زمنية.

إنّ انزياح الهجين عن ضوابط اللغة العربية مثل ما يحدث في باقي لغات العالم، لا يعدّ لحناً كما كان يعتقد في

سابق عهدنا بالعربية، بل هو تجاوز لشرف هذه اللغة لأنها لم تعد مجرد أداة للتواصل الاجتماعي بل هي فوق ذلك وعاء النص المقدس والسبيل إلى فهم العقيدة .[12]

هذه الميوعة اللغوية في التفاوت البيّن بين الفصيح والهجين، طالت التغير الإعرابي، حيث الغياب الكلي لها عند شريحة من المجتمع الأمي، وهي في مجتمع متعلم تهتزّ استعمالا في الحياة العامة أو خارج الأطر الرسمية، وتكون في كلّ الأحوال اللهجة هي المتداولة.

نخلص في الأخير أن العربية الهجين تختلف عن العربية الفصحى بل وتختلف عن العامية العربية الجزائرية لأن الهجين في بعده يأخذ من الأجنبي ولا يهذبه كما هو الشأن في أغلب العاميات التي تقترب من الفصحى لذلك هي أخطر على لغتنا العربية، وإنّني إذ ألامس الموضوع في بعده الشكلي إلاّ أنه يحتاج إلى عمل دقيق وعميق يخص البعد الاستراتيجي للمسألة من زوايا نظر تتماشى والمستويات التحليلية المختلفة .

الهوامش :

[1]عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983 ، ص 4.

[2] ينظر :د .الياس عطاالله : "فكرة عجز العربية عن مواكبة الطفرة التكنولوجيّة قرية قديمة"، حاوره: عادل سالم/ تجمع الادباء والكتّاب الفلسطينيين، **www.arabs48.com**، تم الدخول للموقع بتاريخ 31/5/2005

[3] عبد العزيز بن عثمان التويجري "لغة الإعلام وآثارها في تحقيق التنمية اللغوية " **www.isesco.org.ma**، تم الدخول للموقع بتاريخ 22/10/2005

[4] د .عشاري أحمد محمود، تدريس اللهجة الفصحى للمتحدّثين بالعربية الهجين في جنوب السودان، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، السنة الأولى، العدد الأول، الخرطوم ، سنة 1982، ص92.

[5] د .رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي،ط1، لبنان، سنة 1982، ص 429.

[6] Kwesi Kwaa Prah, "Education,Mother-Tongue Instruction, Christianity And Development of an African National Culture" (Cape Town: Centre for Advanced Studies of African Society) **www.casas.co.za** , accessed on 5-10-2005

[7]ينظر :رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ، ص 174

[8]ينظر المرجع نفسه ، ص 175 .

[9]ت.م جونستون، أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، ترجمة : د.أحمد محمد الضبيب، الدار العربية للموسوعات، ط2، 1983، ص 46/47.

[10]الفصحى لغة القرآن، ص97 .

[11] د .فريد الأنصاري "إصلاح التعليم وأزمة اللغة العربية في العالم الإسلامي "، **www.albayan-magazine.com**، تم الدخول للموقع بتاريخ 30/9/2205

[12] د.عفيف دمشقية ، تجديد النحو العربي، نشأة النحو حتى عصر سيبويه، معهد الانماء العربي، فرع لبنان، ط1، بيروت 1986، ص 71

اللغة العربية الفصحى في الممارسة اللغوية لمتعدّدي اللغات

أ/ كريمة سالي - جامعة تيزي وزو

ملخص المداخلة:

E

يعرض علينا المشهد اللغوي الجزائري قضايا وإشكاليات عديدة ومتداخلة تتعلّق في عمومها بالممارسات اللغوية ومظاهر التواصل اللغوي الاجتماعي وهي، كما هو مؤكّد، من إفرازات وضعية التعدّد والتنوّع اللغويين، وأضحت الممارسة اللغوية لدى متعدّدي اللغات بعدا هامّا من أبعاد القضية اللغوية في الجزائر.

يعتبر التنوّع اللغوي أمرا طبيعيا في المجتمعات اللغوية ومظهرا من مظاهر عدم تجانسها، وهو الأمر الذي يعدّ من المنطلقات الأساسية في الدّراسات اللسانية الاجتماعية التي تقام في ذلك المجال المتشعّب المتّصل بعلاقة اللغات بالبنية الاجتماعية ونظام العلاقات في المجتمعات

التي تتواجد فيها. وتتّخذ من الفرد مركز اهتمامها لأنّ علاقة اللغة بالمجتمع لا يمكن أن تتحدّد بعيدا عنه، فهو الّذي يُقيم العلاقات الاجتماعية، وهو الذي تقع عليه الأحداث الاجتماعية، وفي نفس الوقت هو الذي يحرّك عواملها، يعتبر بالتّالي المحرّك الأساسي لما يُمكن أن يحدث بين اللغة والمجتمع.

إنّ تعايش عدّة لغات باستمرار يجعلها في احتكاك دائم، ويكون موضع هذا الاحتكاك السلوك اللغوي لدى مزدوجي اللغة أو متعدّدي اللغات الذين لا يلتزمون لغة واحدة أثناء الحديث، وبحكم إتقانهم لأكثر من لغة يُحدثون ما يعرف بظاهرة التداخلات اللغوية **أو** المزج اللغوي، « يستعمل اللّسانيون مصطلح (**mélange codique**) أو المزج اللغوي، في غالب الأحيان، في معنى واسع جدّا لتحديد كل نوع من التفاعلات بين نظامين لغويين أو أكثر في وضعية احتكاك. يشمل هذا التعريف إذن الاقتراض (استعمال عنصر معجمي من لغة **أ** بتكييفه صرفيا وتركيبيا في نظام اللغة **ب**) والتعاقب اللغوي (استعمال نظامين لغويين بالتناوب في نفس

الملفوظ)... ويضمّ أيضا الهجين اللغوي (عبارة عن لغات ثوان تُنشأ من قبل جماعتين لغويتين تستعملان لغتين مختلفتين لتلبية حاجات التواصل)، لكن إذا كان الهجين نتيجة المزج اللغوي فلا تؤدي كل وضعيات هذا المزج إلى ظاهرة الهجين اللغوي »[1].

هذا المزج بين الأنظمة اللغوية في حديث المتكلّمين يُصحب في غالب الأحيان بعملية تكييف الوحدات الدّاخلة إلى نظام آخر وفق قواعده، وهي عملية لا يشعر بها المتكلّم بالضرورة. وبعيدا عن كونها ظاهرة مرضية تلحق باللغات، كما يمكن أن نتصوّر، فإنّنا نعتقد أنّه ليس فيها ما يُمكن أن يؤدّي إلى المساس بثوابت اللغات أو الإخلال بنظامها القواعدي، وهذا ما تمّ إثباته في دراسات تطبيقية لظاهرة الاحتكاك اللغوي إذ بدا واضحا أنّ هناك مقاومة داخلية تُظهرها اللغات إزاء بعضها، حتى في حالة الاحتكاك المستمر، يقيها من الانحلال فيها. ويُعزى هذا الأمر إلى عاملين اثنين، يتمثّل الأوّل في أنّ ما يؤخذ في إطار ظاهرة التداخل يتمّ تكييفه عادة وفق النظام المستقبل لها، ولا تبقى

الوحدات الدّاخلة بطبيعتها الأصلية التي يُمكن أن تُخلّ بالمحيط اللغوي الجديد الذي يستقبلها، ومن هذه النّاحية لا يُمكن أن تؤثّر على النظام في صلبه، ويتمثّل العامل الثاني في أنّ التداخلات تحدث على مستوى الكلام كمظهر من مظاهر الازدواجية اللغوية أو التعدّد اللغوي، قد تُثبَّت على مستوى الاستعمال وقد تكون عرضية، لا تؤثّر على الاستعمال العام. « فالتداخل هو استعمال عناصر من لغة ونحن نتحدّث بلغة أخرى أو نكتب بها، وهي خاصية الخطاب وليست خاصية اللسان، تختلف نوعيّا وكميّا من مزدوج لغة لآخر ومن وقت لآخر، ويتغيّر عند الفرد نفسه »[2].

وتبعا لهذا، تتراءى لنا ظاهرة التداخل اللغوي أو التهجين في مظهر آخر من مظاهر اللغات ويتعلّق الأمر بالثابت والمتحوّل. يتحدّد الجانب الثابت فيما تُوفّره أنظمتُها كبنى مستقلّة بذاتها من قوّة وتحدّ لأي خرق لحدودها وبنيتها الدّاخلية، ولعلّ هذا ما يفسّر مقاومة اللهجات الجزائرية التي كُتب لها البقاء عبر العصور، ولم تنحلّ في لغات الأمم المستعمِرة التي احتكّت بها، وبقيت حدودها مرتسمة وواضحة، وهذا رغم

أنّها لم تعرف التدوين وتناقلتها الأجيال المتعاقبة شفهيا، بينما يمثّل الجانب المتحوّل فيها في هذا التغيّر الذي يعتريها جرّاء الأخذ والاقتراض من لغات أخرى، ويكون في معظم الحالات لمسايرة الحاجات التعبيرية المتجدّدة باستمرار في محيط يُتيح لها فرص الاحتكاك والتأثر.

وتبنّي هذه الفكرة يُمكّننا من تجاوز الجدل القائم حول خطورة أخذ اللغات من بعضها بشكل مفرِط، إذ يرى البعض أنّ في ذلك ما يُهدّد مصير اللغات. فالجانب المتحوّل فيها أمر طبيعي يضمن لها المرونة والحيوية بينما يزيدها الجانب الثابت صمودا وتحدّيا، وعلى مستوى الممارسة اللغوية تبقى التداخلات اللغوية من مميّزات سلوك متعدّدي اللغات أو مزدوجي اللغة، وإن كانت في المبدأ ابتعادا عن المعيار، وهذا ما تؤيّده بعض التعريفات للتداخل، ومنها أنّه يُشكّل « أمثلة للانزياح عمّا هو مألوف في اللغتين المتداخلتين »[3].

وتحدث التداخلات اللغوية على كل المستويات اللغوية، ولذلك قد تكون

صوتية، صرفية، تركيبية أو معجمية، وفي الأساس هي عبارة عن تلك العناصر الخاصة بلغة ما، والتي تتخلّل حديثَنا بلغة أخرى مختلفة، لكن على مستوى الأداء الفعلي يمكن أن يؤدي ذلك إلى المزج التام بين عناصر لغتين أو أكثر في آن واحد، وينتج عن ذلك كلام غير عادي، ولا يمكن تحديد اللغة التي ينتمي إليها، « ففي حالات كثيرة، غالبا ما يستعمل المتكلّمون الجزائريون، مزدوجو اللغة بالفرنسية واللغة الأم، بالعربية الدّارجة والفرنسية أو بالقبائلية والفرنسية، اللغات الثلاث في الوقت نفسها كما توضّحه هذه الجملة الشهيرة:

« [dəpʏi smatɛ nħwəs aζlik ziR ilqahwa jθli] ⵣ

Depuis ce matin, je te cherchais alors que toi tu étais au café

Français arabe kabyle » [4].

بمعنى: (كنت أبحثُ عنك منذ الصبيحة في الوقت الذي كنت فيه في المقهى)

والمتكلّم من هذه النّاحية لا يبالي بالأمر مادام ذلك لا يعيق عملية الفهم والإفهام، وبالنّسبة له هي إمكانية لاستغلال معرفته باللّغات، وما ينتبه إليه بالدّرجة الأولى

هو مدى وصول مقاصده إلى الآخر. ومن ناحية أخرى، « فإنّ نوع التداخلات وكميتها في السلوك اللغوي العام لمزدوج اللغة يختلف من وقت لآخر، من فرد لآخر ومن وضعية لأخرى. يمكن أن تكون التداخلات أحيانا عرضية، عابرة، لكن أحيانا أخرى يمكن أن تثبّت ويتمّ التنبؤ بها، وتصبح جزءا من السلوك اللغوي العادي للفرد »[5].

يسعى الفرد إلى ضبط سلوكه اللغوي وفق مجموعة من المتغيّرات الاجتماعية والعناصر المقامية، وتتمثّل في علاقاته بالحاضرين والمشاركين في عملية الحديث، موضوع الحديث نفسه وزمان ومكان حدوثه، إلى جانب أدواره الاجتماعية والسجلات اللغوية التي يستعملها. يمكن لفردين من جماعة لغوية واحدة أن تختلف العلاقة بينهما من ظرف زمني لآخر ومن مكان لآخر، فعلاقة الموظّف بمدير المؤسّسة التي يشتغل بها مثلا، قد تتحوّل طبيعتها من علاقة مهنية إلى علاقة صداقة أو أخوّة خارج المؤسّسة، وبطبيعة الحال تتغيّر وفق ذلك سلوكاتهما اللغوية ليطبعها نوع من الألفة والحميمية.

إنّ كل ممارسة لغوية هي، في الأساس، سلوك لغوي اجتماعي، وعلى خلاف ما يمكن أن نعتقد فإنّه لا يؤدى بالكيفية التي تحقّق للفرد حاجاته التبليغية فحسب، وإنّما بالشكل الذي تتجسّد به كذلك حاجات أخرى، هي اجتماعية وترتبط بإقامة علاقات اجتماعية وتأكيدها وتأدية الأدوار الاجتماعية.

ومن هذا المنطلق، يعتمد متعدّد اللّغات أو مزدوج اللغة على ملكاته في أكثر من لغة ليتحرّك اجتماعيا ويدخل في شبكة واسعة من الاتصالات الاجتماعية، ومن النّاحية العملية يصعب تصوّر إمكانية توقّف متعدّد اللغات عند حدود كلّ لغة أثناء أدائه اللغوي وفي بعض الحالات يقتضي استعمال لغة واحدة من بداية إلى نهاية الحديث بذل مجهود أكبر في مراقبة ذاتية لأيّ خروج عنها وهو ما يلغي جانبا هامّا من العفوية التي تطبع الكلام اليومي، ثمّ إنّ محدودية اللغات في بعض المجالات وعجزها عن نقل بعض المعاني تجعل المتكلّم يلجأ إلى لغات بديلة لا يجد بدّا في الاستعانة بها. والأمر أكثر اطّرادا لدى متعدّد اللغات بالنظر إلى تمكّنه من عدّة

لغات وهو ما يضاعف إمكانياته التعبيرية، وهذا ما لا يتحقّق لأحادي اللغة.

يمكن أن نشير كذلك إلى أنّ الممارسة اللغوية لدى متعدّدي اللغات لا تكون دائما بنفس الدّرجة من الإتقان، وحين يغلب على كلامه بإحدى اللغات استعمال وحدات أو تراكيب من لغات أخرى، يكون ذلك، في بعض الحالات، نتيجة لعدم تمكّنه منها بشكل مطلق.

تعيدنا هذه الفكرة إلى إحدى الإشكاليات التي تطرحها الازدواجية اللغوية ويمكن أن تنطبق على التعدّد اللغوي، وتتّصل بإمكانية وجود ما يعرف "بالازدواجية اللغوية التّامة" وهي الحالة التي يؤدّي فيها المتكلّم لغتين مختلفتين بنفس الدّرجة من الإتقان في كل مجالات الاستعمال، وهذا طبعا لا يشكّل ظاهرة عامة. ولا شكّ أنّ العامل الذي يتحكّم إلى حدّ بعيد في إتقان اللغات هو الممارسة المستمرة لها، ذلك أنّه مهما كان عدد اللغات التي يتحدّث بها الفرد، ومهما كان التسلسل الزّمني لاكتسابه لها فإنّ اللغة التي يتقنها أحسن هي التي يستعملها أكثر. وترتبط هذه

الممارسة بمجالات متنوّعة، قد يستعمل الفرد لغة في مجال ولا يستعملها في مجال آخر. وفي حقيقة الأمر، يتأتى إتقان اللغات عن طريق الممارسة والاستعمال الفعلي لها في كلّ المجالات، ولمّا كانت مجالات الحياة كثيرة ومتنوّعة فلا يتسنى إتقانها بصفة تامّة في كلّ المجالات.

إنّ واقع استعمال العربية الفصحى في المجتمع الجزائري يبيّن ممارستها في سياقات خاصة تتّصل بمجالات منها: وسائل الإعلام المكتوبة والمنطوقة، المنظومة التربوية، التعليم الجامعي والإدارة، وتحظى بكونها اللغة الوطنية في هذا المجتمع المتعدّد اللغات، ومن ناحية أخرى، لا تحظى باستعمال كلّ الفئات رغم ما لها من تأييد ودعم، ولعلّ أسوء ما يلحق بها هو غيابها على مستوى التداول اليومي وضيق حدود استعمالها الشفوي.

ينظر إلى الصراع اللغوي في المجتمعات المتعدّدة اللغات على أنّه ظاهرة طبيعية إذ من غير المعقول أن نتصوّر تعايشا سلميا في وضع لغوي متنوّع تسعى فيه كل لغة إلى أن ترقّى وتدعّم، وهذا ما يعكسه

الواقع اللغوي الجزائري. وتبدو لنا العلاقات الصراعية بين اللغات متعدّدة الأبعاد، تثيرها وتغذّيها توجّهات ثقافية واجتماعية مختلفة ومتضاربة، وتنقلها خطابات المثقّفين ومواقف المتكلّمين من لغاتهم وعلاقاتهم بها.

والعربية الفصحى التي لا يمكن أن تكون بمعزل عن هذه الصراعات تعرف منافسة اللّهجة الجزائرية لها، أي وجهها الدّارج، قبل تلك التي تقابلها باللهجات أو اللغات الأخرى. ونعتقد أنّ قرب العربية الدّارجة من الفصحى يمكن أن يجعل منها اللغة البديلة التي تعتمد كسند مباشرة لدى مزدوج اللغة بالفصحى والدّارجة، وفي كثير من سياقات التواصل الشفوي بالعربية الفصحى يحاول المتكلّم تفادي العوائق المتعلّقة بالتصريف والإعراب بالانتقال إلى مستوى العربية الدّارجة دون أن يثير ذلك قلقا أو حرجا. وأكثر من ذلك، يحدث أن تنوب الدّارجة عن الفصحى تماما وتزاحمها حتى في تلك السياقات التي تحظى فيها باستعمال قويّ، والأمر المحتمل هو أنّ مثل هذه الممارسات قد تؤدّي إلى تقلّص تدريجي لمساحة استعمال العربية الفصحى وتراجعها

في السياقات الخاصّة بها. وفي مثل هذه الوضعيات بالذات لا نكون إزاء ظاهرة المزج بين اللّغات بقدر ما يطغى فيها استعمال الدّارجة مع ما يتخلّله من عناصر لغوية من الفصحى.

ويمكن ربّما تفسير مثل هذا السلوك في كون العربية الدّارجة لغة من اللّغات الأم بالنّسبة للمتكلّمين الجزائريين، وأمر معروف أنّ اللغة الأمّ هي أعلق في النّفوس من أيّة لغة أخرى يمكن أن نتقنها، وهي التي تلازم الفرد في معظم سياقات القول ممّا تحقّقه له من طلاقة وعفوية. وممّا يؤكّد ذلك أنّه في وضعيات الغضب وما شابهها من حالات انفعالية تنتاب الإنسان، وهي وضعية ينقص فيها تركيزه على ما قد يتلفظ به من كلام ، يعود بشكل طبيعي إلى لغته الأم. ونرى في هذا السلوك مقياسا بسيطا يمكن أن تقاس به علاقة الفرد بلغته، ناهيك عمّا تحقّقه له من انسجام مع نفسه وتوافق مع فكره.

وتحيلنا هذه الحقيقة إلى التساؤل عن علاقة الفرد الجزائري باللغة العربية الفصحى، ونتصوّر أنّ الإجابة عن ذلك، ستبيّن

إلى حدّ بعيد ما وراء ممارسته لهذه اللّغة في مختلف السياقات الاجتماعية. وممّا يبيّنه واقع استعمالها أيضا أنّها قلّما تكون موضع اختيار أمام لغات أخرى يتقنها ويستعملها، وتؤدى في سياقات محدّدة ومغلقة هي التي تفرض استعمالها على المتكلّم، ولا مجال فيها إلى استعمال إلى جانبها لغات أو لهجات أخرى، وتكون تأديتها بذلك في موقف انقباض، ولنا أن نحكم بعد ذلك على طبيعة هذه التأدية.

وبذلك لا تختلف وضعيتها كثيرا عن تلك التي تعيشها في البلدان العربية الأخرى إذ أنّ «ظاهرة التّواصل بالعربية الفصحى ظاهرة معقّدة وشائكة في الوطن العربي كلّه منه في أوطان أجنبية أخرى، ذلك أنّنا ما سمعنا مواطنا عربيا رسميا خارج الرسميات، ولا مواطنا شعبيا خارج المدارس والجامعات تنحلّ عقدة لسانه بجملة عربية واحدة مستقيمة إلاّ نادرا ولفتة ممّا حافظت عليه البنية السليمة للغة العربية الطبيعية، حتى أضحى اليوم العجب باديا على ألسنة قلّة ممّن يتحفّظون في اللّحن في المحافل والمنتديات والقمم من متحدّث عربي يراقب لسانه من اللّحن »[6].

وفي افتراضنا لا يمكن الإجابة عن الإشكاليات التي تطرحها ممارستها في كلّ أبعادها ما لم يفتح النّقاش حول علاقة المتكلّم الجزائري بها ومدى انسجامه معها في أدائه الفعلي لها.

والبحث في موضوع الممارسات اللغوية يعيدنا إلى منطلق أساسي يتمثّل في أنّ أهم وظائف اللغة أن تنقل خصائص متكلّميها، ولعلّ المسألة التي تطرح نفسها بإلحاح هي وظيفية العربية الفصحى بالنسبة للمتحدّثين بها، ونرى أنّ توضيح ذلك يتطلّب حصر السياقات الاجتماعية لاستعمالها وتحديد دوافعه وخصوصياته بالمقارنة مع استعمال لغات ولهجات أخرى، إلى جانب تحديد ظواهر التداخل التي يكثر ورودها على ألسنة المتكلّمين بها، وطبيعة الكلمات والعبارات الدّاخلة في كلام متعدّد اللغات هي التي يمكنها توضّيح السجّل اللّغوي الذي يعود إليه المتكلّم في إحداثه للتدخّلات، وتشكّل هذه العناصر كلّها مؤشرات هامة في معرفة حقيقة استعمالها.

ومن المتغيّرات الأخرى الجديرة بالاعتبار ما يتّصل بمواقف المتكلّمين من اللّغات،

والتي توجّه إلى حدّ كبير الممارسة اللّغوية وتحدّد الطابع الذي يأخذه الكلام، وفي وضعيات اجتماعية كثيرة يتعمّد مزدوج اللّغة مثلا إحداث تداخلات من الفرنسية في حديثه بالدّارجة، ليس لسدّ نقص معجمي ما فيها بل من حيث ما تجلب له من أحكام قيمة إيجابية، على أساس ما تتمتع به الفرنسية من حظوة، وهي تمارس جاذبيتها على الكثير من الجزائريين باعتبارها لغة ثقافة وتحضّر، وبالنّظر إلى تلك القيم الرمزية التي تعطى للغات « فإنّ التبادل اللّغوي هو كذلك تبادل اقتصادي، يتشكّل في نوع من علاقة قوى رمزية بين منتج يتمتّع بنوع من الرأسمال اللغوي ومستهلك (أو سوق)، وهي قائمة لإنتاج نوع من الرّبح المادي والرمزي. وبتعبير آخر، فإنّ الخطابات ليست فقط (أواستثناء ليست فقط) علامات وجدت ليتمّ استيعابها وفك رموزها، هي كذلك علامات دالّة على الثّراء، مؤهّلة للتقييم والتقدير وعلامات دالّة على السلطة مؤهّلة للتصديق والطاعة »[7].

بهذا تبرز هذه الحقيقة الاجتماعية لكل ممارسة لغوية من حيث أنّها سلوك لغوي اجتماعي، ولا نقصد تلك التي تُبيّنُها علاقة

الكلام بموقف الأداء وإنّما تلك التي تؤكّدها الوظيفة الاجتماعية للغات.
والحديث عن هذا الجانب هو أيضا حديث عمّا تحقّقه لمستعمليها من ترقية ومصلحة اجتماعية، فوضعية اللّغات في دول المغرب العربي، مثلا، توضّح «أن الاستعمال الحصري للفرنسية في التعليم العلمي والتقني إضافة إلى استعمالها المعمّم في القطاع الإداري، وحتى الاقتصادي جعل منها لغة النجاح الاجتماعي إن لم تكن ببساطة "لغة الخبز"، اللغة التي تمكّن من الحصول على منصب شغل»[8]، وهذا رغم المجهودات الكبيرة والإمكانيات الضخمة التي سخّرت لإنجاح سياسة التعريب الشامل للمؤسّسات.

إنّ ما يتشكّل عن اللّغات من قيم وتمثّلات لا يعدو أن يكون جزءا من الخصائص المميّزة لها، والتي تضاهي في قوّتها وأهميتها تلك الخصائص الداخلية المحدّدة لماهيتها. ولا يمكن أن يستهان بتأثيرها على أدائها ووجودها الاجتماعي. ومن هذا المنظور أصبح من الأجدر، في الاهتمام بموضوع الممارسة اللّغوية، اعتبار ما يرتبط باللغات من مواقف وقيم اجتماعية. وهو ما يقوم أساسا وراء اختيارات الفرد في سلوكه اللغوي

اليومي ووعيه بأنجع السبل لتحقيق التواصل اللغوي الاجتماعي. ومن المؤكّد أنّ اللغة « بقدر ما هي متساوية مع نفسها، فهي متقلّصة أو متباينة مع استعمالات أصحابها لها، مما قد يضطر مستعملا من مستعمليها إلى الاقتراض من لغات أخرى، ليست أكثر منها تطورا أو أفضلها ديناميكية، بل لأنها أكثر منها تداولا واستعمالا في مجالات حية»[9].

ولهذا يمكننا القول إنّ استعمال العربية الفصحى يرتبط بشكل أو بآخر بالصورة التي تمثّلها في الوسط الاجتماعي الجزائري، وفي الوضع العام، « فإنّ المتكلّم الجزائري، على غرار المتكلّم العربي عموما يتأرجح دوما في علاقاته باللغة العربية بين جانب إيجابي وجانب سلبي، متردّدا بين وفائه لأصالة النموذج ولماضي وقيم التّراث الذي تنقله له لغته وانجذابه نحو حداثة هذا القرن التي يصبو إلى الوصول إليها حتى وإن كان ذلك بلغة الآخر »[10].

ومن جهة أخرى، لا يغيب عن الملاحظة ما يحدثه المتكلّمون بها من انزياحات وأخطاء دون أي انزعاج أو تحفظ ممّا ينمّ عن

مواقفهم منها. يبدو هذا الأمر، لأوّل وهلة، ابتعادا عمّا يجب أن يكون عليه السلوك اللغوي، لكن ما يمكن اعتباره استخفافا بقواعد اللغة من جهة قد يعتبره المتكلّم نفسه مجرّد طريقة للتحرّر من القيود التي تفرضها الضوابط النحوية في اللغة العربية، أو إمكانية لتقريبها من المستوى الدّارج، ونفس هذا الموقف قد يؤدّي به إلى توظيف معرفته باللغات الأخرى، مخفّفا من شعوره بالانقباض ومحدثا ظاهرة المزج اللغوي أو التداخلات اللغوية. هذا، وما لا يمكن تجاهله إذن هو أنّ البحث عن أسباب التهجين أو المزج بين اللغات في سياقات استعمالها لابدّ أن يكون على مستوى أعمق ممّا يمكن أن يبدو على مستوى السلوكات.

هذا جانب بسيط ممّا يطرحه استعمال العربية الفصحى في الواقع اللغوي الجزائري من قضايا، ولا يمكن أن تبقى الدراسات منحصرة في وصف هذا الواقع ورصد تجليات الاحتكاك بين اللغات المتعايشة فيه. وأمام أهمية موضوع علاقة العربية الفصحى بغيرها من اللغات في وسطها الاجتماعي نتصوّر إمكانية وضع مشروع طويل

المدى، ويقتضي فتح ورشة كبرى تأخذ على عاتقها تحديد الإشكاليات العامة المتعلّقة بالعربية الفصحى واستعمالها، ونرى أنّ أهم القضايا التي تفرض نفسها في الوقت الحاضر هي: وظيفيتها، المواقف والتمثّلات المرتبطة بها ومسارها الاجتماعي التحوّلي.

لا نقصد في الحديث عن وظيفية العربية الفصحى تحديد دورها في الحياة العامة للمتكلّمين وإنّما، وبصورة أدق، حصر السياقات التي تظهر فيها أنجع من أية لغة أخرى، وتلك التي تُلزم المتكلّم بالتحدّث بها دون غيرها، ونعتبر ذلك خطوة أولى في عملية ضبط سجلاتها اللغوية وتدعيم فاعليتها في أهم المجالات، ولا شك أنّ ما تزخر به هذه اللغة كفيل بأن يفتح لها آفاقا أخرى إن تمّ تفعيله واعتماده وفق تخطيط محكم، ولا بأس أن نذكّر هنا بأنّ من اهتمامات اللسانيين الاجتماعيين دراسة إمكانية التغيير من وضعية اللغات وجعلها قابلة للاستعمال في الميادين التي تُظهر فيها عجزاً، وتفادي تقلّص دائرة استعمالها.

أمّا الخطوة الثانية فنراها في تدعيم أكبر للأداء الشفوي بهذه اللغة، وهو ما يشكّل ربّما نقطة ضعفها، بربطها بواقع الممارسة الفعلية لتثبت فاعليتها. وفي الحقيقة، الإعلام والمدرسة مسؤوليتهما كبيرة في هذا المجال، فوسائل الإعلام المسموعة تتيح فرصا مهمّة لتلقي وترويض السمع على اللغة العربية السليمة لتألفها الجماهير العريضة، وهو ما يوفّر لها سبل اقتحام الأوساط الاجتماعية. ومن منظور آخر، « ما يميّز لغة الصحافة في عصرنا أنها أقرب إلى لغة التخاطب، لغة المجتمع، لغة الاتصال اليومي، وهذا ما يدعو إلى اعتبارها لغة التعامل الإعلامي حيث يتم الاتصال بواسطتها لتبليغ ما نريد إيصاله للآخر بسهولة تامة »[11]. ونعتبر المدرسة المحيط المهيأ لترقيتها بامتياز إذ فيه يتمّ إرساء الأسس الأولى لممارسة العربية الفصحى لدى المتعلّمين، وعليه تقتضي الضرورة التركيز على استعمالها الشفوي وإدراجها بشكل أهم في عملية تقييم النشاط التعلُّمي على خلاف ما هو قائم الآن، حتى على المستوى العالي. ونرى أنّ ترقية العربية الفصحى من هذه النّاحية بالذّات هي السبيل، كي لا نقول

الخلاص الوحيد، لتثبيتها على مستوى الاستعمال.

وحَريّ بنا أن نتساءل كذلك عن موضوع التمثّلات المرتبطة بالعربية الفصحى في المجتمع الجزائري، والتي تنقل انطباعات المتحدّثين ووجهات نظرهم حولها، والمعروف أنّ مجموع الاعتبارات التي تعطى للغات من حيث أنّها لغات التحضّر، لغات الشارع، لغات الحظوة، لغة الشعر والعواطف، لغة الدين، لغة العِلم... إلى آخر ذلك تتشكّل في الأوساط الاجتماعية ويتمّ تمريرها وتناقلها عبر شبكة الاتصالات الاجتماعية. ومجموع مواقفنا من اللغات المستعملة يمكن أن تتّضح من خلال الصور المقترنة بها والتي يمكن تحديدها ممّا يقال عنها في الخطاب اليومي. وتعلّق المتكلّمين ببعض اللغات ورفضهم لأخرى له ما يفسّره من هذه الناحية بالذات، فالأمر بعيد عن ارتباطه بقانون أو قرار رسمي، والميل إلى اللغات تنقله أحاسيس وطموحات المتكلمين في أن ترقى وتدعّم.

تقتصر دراسة استعمال اللغات على الوصف الآني للممارسات والاحتكاك اللغوي، وذلك على أساس ما توفّره من ظواهر قابلة للملاحظة المباشرة، لكن نرى أن النظرة

التاريخية كذلك تعطي إمكانية أخرى لفهم عملية تفاعل اللغات واحتكاكها عبر فترات متعاقبة، لذلك نتصوّر أنّه بالإمكان توسيع دراسة هذا الموضوع بمحاولة تتبع تاريخ احتكاك اللغات وممارستها في حدود ما توفّره البحوث والوثائق التاريخية عن المجتمع الجزائري، مثلما تقترحه بعض الدراسات فيما يتعلّق بالتواجد التاريخي للغات في الفضاء المغاربي[12].

وتبقى النظرة التطورية في افتراضنا مهمّة كذلك في محاولة رصد التحوّلات التي عرفتها ممارسة العربية الفصحى في الجزائر، والتغيرات في مواقف المتكلمين إزاءها، وقياس تقدّمها وتراجعها على مستوى استعمالها في السياقات العامة: التعليم، المعاملات الإدارية، التأليف العلمي والأدبي، الصحافة والإعلام...الخ. ويسمح ذلك بالوقوف على أهم المعالم التي تجسّد مسارها الاجتماعي التحوّلي.

الهوامش:

1 - Marie – Louise MOREAU, Sociolinguistique, Ed : MARDAGA, Belgique, 1997, p 207.

2 - W F. MACKEY, Bilinguisme et contact des langues, Ed : KLINCKSIECK, Paris, 1976, p414.

3 - Uriel WEINREICH, cité par Georges MOUNIN in Les problèmes théoriques de la traduction, Ed : GALLIMARD, Paris, 1963, p 03.

4 - Rabah KAHLOUCHE, Bilinguisme et énonciation – Etude descriptive et pragmatique des interférences réalisées par des locuteurs bilingue - Mémoire de Magister, Université d'Alger 1985, p 04.

5 - W F. MACKEY, Bilinguisme et contact des langues, p 416.

6 - عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 47.

7 - Pierre BOURDIEU, Ce que parler veut dire – L'économie des échanges linguistiques- Ed : FAYARD, France, 1982, pp 59-60.

8 - Gilbert GRANDGUILLAUME, Arabisation et politique linguistique au Maghreb, Ed : MAISONNEUVE et LAROSE, Paris, 1983, p36

9 - عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ص 43.

10 - Khaoula TALEB IBRAHIMI, Les Algériens et leur(s) langue (s), Ed : EL HIKMA, Alger, 1997, p86.

11 - عبد الغني أبو العزم، لغة الصحافة وسلامة اللغة، "عربية الصحافة" منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، ماي 1998، ص 03.

12 - Abdelahad SEBTI, Espace des disciplines et temps des langues in Trames de langues – usages et métissages linguistiques dans l'histoire du Maghreb, Ed : MAISONNEUVE et LAROSE, Paris, 2004, p 144.

الإذاعة وسبل التقريب بين العامية والفصحى
"من أجل نشر اللغة العربية بين الجمهور"

أ/ عمر ديدوح - جامعة تلمسان

E

إشكالية البحث عن لغة وسيطة للتوفيق بين العامية والفصحى مسعى ظلت تنشده المجامع اللغوية، ومكاتب تنسيق التعريب والملتقيات والندوات والمؤسسات الحكومية في العالم العربي، وبذلت جهود معتبرة في هذا الصدد لتخليص العربية الفصحى من براثن شبح التهجين اللغوي الذي قد يذهب مع استفحاله رونق اللغة العربية الجميلة، و في هذا المسعى أحاول الإسهام بهذه الورقة المتواضعة في اليوم الدراسي الذي يعقده المجلس الأعلى للغة العربية الموقر، ووقع اختياري لهذا الموضوع لأسباب عديدة ، أظهرها الكشف عن دور لغة الإعلام المسموع في تهذيب المستعمل، في الخطاب اللغوي العربي لدى شرائح المجتمع المختلفة . وحاولت ملامسة الاستعمال اللغوي العربي السائر في الخطاب اللغوي

الإذاعي، لكونه خطابا مسموعا ، ولأن السماع أصل من أصول الاكتساب اللغوي ، بل أبو الملكات اللغوية ، لذلك قصرت المداخلة على دور الإذاعة في التوفيق بين الفصحى والعامية، اعتمادا على نماذج لغوية من الخطاب اللغوي المسموع عن طريق الإذاعة. وتناولت المداخلة ملخصا ومقدمة، وتمهيدا، وعرضا، وخاتمة. في الملخص إبراز للخطوط الرئيسة للبحث ملحقة بالكلمات المفتاحية. وفي التمهيد أعربت عن حقيقة الإذاعة ودورها الرائد في مجال الاستعمال اللغوي الجيد ، وفي العرض تناولت عناصر محددة تسير ضمن المحور الرئيسي للبحث تمثلت في:

1 - الخطاب الإذاعي والوساطة بين الفصحى والعامية،

2 - لغة الإذاعة ووساطة الألفاظ الدخيلة،

3 - دلالة النبرة الصوتية في النص الإذاعي،

4 - دعم النشرات الإخبارية والبلاغات تنمية اللغة العربية الفصحى.

وفي الخاتمة عمدت إلى استخلاص فعالية دور الوسائل الإعلامية ا لمسموعة في نشر

اللغة العربية وتنميتها ، والعمل من أجل تهذيب العامي والدخيل ، وتهيئة علماء اللغة واللسانيات لفتح باب الاجتهاد للبحث اللغوي الخاص بعلم الإعلام اللغوي .

٢

يضطلع دور الإذاعة في المجال اللغوي بتهذيب المستعمل والدخيل، وتأصيل اللفظ العربي الدارج وجعله مستساغا لدى المستمع، وبعثها للمهمل في لغة الخطاب في المحيط، والمجالات الحيوية المختلفة، فالإذاعة بحكم كونها مسموعة تسهم في تنمية الوضع اللغوي بسهولة ويسر ، ولا جدال في أن الإذاعة استطاعت أن تحتل مركزا مميزا في أوائل هذا العصر، فقد احتلت مكانها في عادات الشعوب وتغلغلت في جميع الأوساط، وفرضت وجودها في شتى النواحي، وتعتمد الإذاعة على حاسة السمع وتفتقر إلى بعدي الحركة والرؤية، خاصة وأن التربية الحديثة تعلق أمنية كبيرة على قاعدة رئيسية، هي أن التعليم يكون أبقى أثرا وأقل عرضة للنسيان كلما تعددت الحواس التي يستعان بها، ومع ذلك فقد أخذت الإذاعة على عاتقها - [2] اضطرارا -

مختلف المسؤوليات كالترويج، وتلقين المبادئ السياسية والاجتماعية والثقافية والصحية والدينية، فضلا عن بعض البرامج التي تقترب من الطابع التعليمي، ولذلك تحتل التربية عن طريق الإذاعة موقفا غير واضح، لإقحامها في ميادين لا شأن لها فيها، أو لتحملها مسؤولية أعمال خارجة عن رسالتها.[3]

وتصبح الإذاعة تعليمية إذا كانت البرامج التي تقدمها وثيقة الصلة بالمناهج المدرسية على أن تكون ملائمة لمستوى التلاميذ، وأن تنال قدرا كبيرا من عناية وتوجيه معلمي الفصول ، وبذلك يمكن القول أن الإذاعة تعد تعليمية إذا ما صممت وأخرجت لتحقيق غايات تعليمية ، وذلك يعني أن التعامل مع التنظيم والإشراف والتوجيه أمر ضروري لأي عمل تعليمي، والإذاعة التعليمية بذلك، تختلف عن الإذاعات الثقافية، ذلك أنها لا تتقيد بمثل هذه الشروط، ويكفيها أن توصف بأنها إذاعات ثقافية، إذا ما كرست جهودها على مجرد نقل التراث الفكري والفني[4].

تعتبر الإذاعة من أهم الوسائل المحققة لأهداف تربوية، كما أكد ذلك علماء التربية والتعليم، لما لها من تأثير فعال ومباشر في تنمية قدرات المستمعين وتشجيع مواهبهم . وهناك نوع آخر من البرامج في إطار الإذاعات المختلفة ، ويتمثل في البرامج الثقافية :وهذه البرامج الثقافية موجودة بالضرورة في مختلف الإذاعات بصفة عامة، إذ إن الثقافة والتثقيف وظيفة أساسية من وظائف الراديو، وكل إذاعة تخصص مساحات زمنية محددة للثقافة والتثقيف [5]. تشمل البرامج العديد من الموضوعات منها : الدينية مثل القرآن الكريم والأحاديث النبوية والقصص الدينية، ومنها ما يتعلق بالبيئة المحيطة بالمدرسة والمجتمع.

"ومقاييس نجاح البرنامج الإذاعي المسموح للأطفال تخضع لخصائص كل مرحلة من مراحل الطفولة :المبكرة، والمتوسطة، والمتأخرة، وكما هو معلوم في هذا المجال، فإن لكل مرحلة خصائص متميزة تتعلق بالنمو العقلي والجسدي والنفسي والانفعالي والخبرات، لذلك لابد للبرامج الإذاعية من أن تراعي هذه الخصائص، حتى

تستطيع أن تقدم الخدمة المتوقعة منها في تحقيق أهدافها التربوية.[6]"

العرض: لقد طغت العامية في وسائل الإعلام المختلفة، وفي أحاديث الصحافيين الذين لا يجدون حرجا في توظيف العامية على حساب الفصحى، خاصة إذا تعلق الأمر بالبرامج الثقافية التي يكثر فيها ترويج الأغاني العامية الهابطة، أمام تقلص البرامج بالعربية الفصحى، يوما بعد يوم، فلقد أصبح الصحافيون يولون الأهمية للمعلومة وكيفية إيصالها إلى المتلقي، ولو على حساب اللغة الفصحى، وفي هذا الصدد تقول مها قنوت: إذا أردت أن تسمعك الجماهير وتستجيب لندائك، فلا مفر من التضحية برونق الفصحى، ومن مخاطبة هذه الجماهير باللغة التي تحيي بها القومية، وتعبر عن انفعالاتها، وتشرح من خلالها أحاسيسها [7]. ويعلل الصحافيون هذا الهبوط إلى مستوى العامية، بضعف مستوى التلقي في المجتمع، وتفشي الأمية، وسيطرة الخطاب باللهجات العامية، ولا شك أن لهذا النزول إلى العامية في استعمال العربية مسوغات في نظر مسيريها والقائمين على أمورها، ومن أهم تلك المسوغات، أن يخاطب الناس

بما يفهمون، والناس طبقات في العلم والثقافة [8]. وربما تبجح الإعلاميون بهذه المسوغات التي تبرر استعمال العامية ، الملفت للنظر أن هذا مبرر واه، لأن الأغلبية الساحقة من المجتمع الجزائري يتابعون المسلسلات التاريخية والدينية والوطنية والمد بلجة باللغة العربية الفصحى، ولا يشكون من الفهم والاستيعاب لما يقدم. وأما الدخيل من الألفاظ فنجده يطغى على الخطاب اللغوي الإذاعي ، فسرى ذلك على المتلقين بواسطة الإعلانات الإشهارية المقرونة باللغة الأجنبية والعامية، بصورة فائقة، أعيد عرضها ، وأتبعت بمقاطع موسيقية، تشد الانتباه ، فبعضهم يركن إلى استعمال عبارات وكلمات دخيلة وأخرى عامية ، ولا مبرر لاستعمالها سوى تلك القوى المثيرة التي يثيرها هذا النوع من الكلمات والعبارات لعمق انغراسها في لغة المجتمع [9]، والصحافيون في لجوئهم إلى اللفظ الدخيل في الخطاب الإعلامي إنما يقصدون بذلك الكلمات الشائعة والمستعملة بكثرة في الخطاب اليومي، وبذلك تعذر استئصالها من لغة الحديث اليومي، وتلك هجرة من الفصحى إلى

العامية والدخيل، وطبيعي أن تِؤدي هذه الهجرة اللغوية إلى هجرة الثقافة والقيم المرتبطة بها ، وينتج عن ذلك فراغ لغوي وثقافي، وعن طريقهما تتسرب اللغات والثقافات إلى المجتمع [10]، ومن ذلك ينتج التهجين اللغوي ، والمسخ الثقافي ، المؤديان إلى الاستيلاب الحضاري الذي تذوب في ضوئه الخصوصيات الحضارية للشعوب العربية ، ومداواة هذه الظاهرة تكون بالعمل [11] الواعي لوسائل الإعلام عامة والإذاعة خاصة للحيلولة دون استشراء داء التهجين اللغوي بأعمال وقائية على رأسها التوفيق بين العامية والفصحى ، مع تغليب الفصحى على العامية .

الخطاب الإذاعي والوساطة بين الفصحى والعامية

الخطاب الإعلامي هي لغة تمتاز عن اللغة الأدبية المتصفة بالتذوق الجمالي ، واللغة العلمية وما تتميز به بتحرير نظري وإنما هي اللغة المبنية على نسق عملي اجتماعي عادي ، فلغة الإعلام عمل فني تستخدم فيه لغة الإعلام بصفة عامة. وهذه الخاصية تتضح في اللغة العربية من تركيب مفرداتها وقواعدها تركيبا ،يسعى إلى

تحقيق المذيع للهدف المنشود جراء خطابه، غير أنه يخرج الخطاب عن اللغة الفصحى باجتياز قيود النحو، والصرف، وقواعد العربية بصفة عامة، في شكل لهجة عامية ، ويعزو الأخصائيون في علم الإعلام اللغوي هذا التجاوز إلى المستويات الاجتماعية، لأن المجتمع يضم طبقات متفاوتة الثقافة والمدارك ، ومعظم المهتمين بالبرامج الإذاعية في الفترة الصباحية مثلا عبر الراديو من النساء الماكثات في البيوت، والمسنين ، وما أعلنته نتائج سبر الآراء في كثير من الدول العربية ، وبالتالي فإن المذيع مضطر إلى أن يوصل رسالته الإعلامية مخاطبا المستمعين باللهجة العامية ، ويبرز أصحاب هذا الاتجاه بأن الهدف ليس اللغة في ذاتها ، بقدر ما هو استعمال هذه اللغة في تحقيق الغاية من الخطاب ، وبالتالي فإن العامية كاستعمال في الخطاب الإذاعي السائر ضرورة لا مفر منها، مراعاة للفئات الاجتماعية التي لم تؤهل علميا وثقافيا لإدراك الألفاظ الفصيحة البعيدة الإدراك ، ما يفرض الجنوح إلى استعمال الكلمات الشائعة في

الحياة اليومية المتعلقة بالاستعمال اليومي في البيت والشارع والأسواق. فمن معاينة الخطاب الإذاعي يبرز إلى الواقع اللغوي العربي معطى جديدا، أسهمت في انبثاقه التحولات السريعة في مجالات الحياة اليومية ، وذلك المعطى هو طغيان استعمال اللفظ العامي في التقارير ، والتحقيقات الإعلامية ، فأصبح الاهتمام بالمعلومة أهم من أصالة الكلمة ، ويرجع ذلك إلى طبيعة المرحلة التي يجتازها المجتمع .فهي مرحلة تهدف إلى احتواء المستمع بتكلفة اقل في الوقت و اللغة ، باعتماد مبدأ الاقتصاد اللغوي ، فرخص الأخصائيون في علم الإعلام اللغوي للمذيع استعمال العامي الشائع ، ولو كان ذلك على حساب الفصحى ، وتسنى بهذا المعطى الجديد مقولة جديدة مفادها يجوز للصحفي ما لا يجوز لغيره ، قياسا على المقولة القديمة يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره.

فدور الإعلامي إفهام القارئ في المحيط العام فيلزمه استخدام للفظ المألوف المعتاد فإن عدل عن المألوف المتعارف عليه للفظ غريب غير مأنوس ، جديد غير

شائع أظلم قوله، وغم تعبيره وانقطع ما بينه ،وبين قارئه، من هذه الفئة فيضطر للإبانة والإفهام . [12] وبخصوص هذه النقطة يذهب مازن الوعر إلى أن المسألة ليست مسألة فصحى وعامية، وأيهما أنسب للاستعمال في تكنولوجيا الإذاعة المرئية والمسموعة ، و لكن الأمر يتعلق بالإستراتجيات الاتصالية المرتبطة بكل لغة ، ومن هذه الحقيقة تنبثق ثلاثة أمور هي:

1 -هناك موضوعات لابد من كتابتها وتقديمها بالعربية الفصحى ضمانا لمحتوى الخطاب بغض النظر عن معيار محلية اللهجة، و وظيفتها التي تشكل جزءا صغيرا من أسماء متناثرة باللهجات العربية المحلية

2 -هناك موضوعات لابد من كتابتها باللهجة العامية ، ضمانا لمحتوى الخطاب ، بغض النظر عن معيار محلية اللهجة التي تشكل جزءا صغيرا من أسماء متناثرة باللهجات العربية .

3- هناك موضوعات لابد من كتابتها وتقديمها بالعربية الفصحى المستفيدة من استراتيجيات اللهجة العامية ، لتكون أكثر حيوية وتألقا وانسجاما، وتوصيلا مدعما هذا الرأي برؤيته الخاصة، انطلاقا من لمبدإ تطوير اللغة الفصحى، وجعلها أكثر

مرونة وحداثة وعصرنه ، من خلال اهتمام البرامج المذاعة شكلا ومضمونا[13].

وبناء على هذه الفكرة إن المهم هو إنجاح العملية والتواصل بين المذيع والمستمع، وذلك للتأثير في الجمهور، والسيطرة على قلوبهم وعقولهم بـ:

1 - استفادة البرامج المذاعة من الحقائق اللسانية التي تدرس واقع اللغة وكيف أن كل موضوع مذاع له طبيعته وخصائصه ، ولغته ، فالبرامج الثقافية الترفيهية تقدم من خلال إطار لغوي حيوي ، مستفيدا من إستراتيجية اللغة الفصحى، وإستراتيجية اللهجة العامية

2 - دراسة إستراتيجية الخطاب سواء تعلقت باللغة المنطوقة أم اللغة المكتوبة، بالتراث الشفوي، أم بالتراث المكتوب، وذلك لمعرفة العوامل التي تكوّن كل خطاب لغوي يمكن توصيله ، وعليه فالعلاقة ليست قائمة على نسبة الأميين، والمتعلمين، وإنما تتعلق بالموضوع المقدم، والاستراتيجيات التي ينبغي أن ترافقه أجل توصيله .

3 - الاهتمام بدراسة الفروق القائمة بين لغة النساء ،ولغة الرجال في المجتمع

وذلك أجل معرفة الاستراتيجيات المستخدمة في كل شريحة من الشريحتين الاجتماعيتين وبهذا فإنه يمكننا من استغلال العوامل المكونة للخطاب لدى النساء العربيات من أجل تطويره تطويرا يرفع من مستوى المرأة العربية إلي قمة التطور المعرفي.

4 - الالتفات إلى قضية الثقافة الواحدة والثقافات المتعددة في المجتمع الواحد فكل ثقافة لها سلوك وتفكير معين لا يمكن توصيله إلا من خلال الإستراتيجية الخاصة به.

5 - التوفيق بين الفصحى والعامية أمر ممكن ولكن ليس على صعيد الجمع اللغوي المنتج لثوب لغوي مرقع يدل على صعيد جمع الاستراتيجيات المتعلقة بكل خطاب شفوي ومكتوب من خلال الاستفادة من اللسانيات الاجتماعية [14]

6 - إن النتائج اللسانية الاجتماعية الحديثة تتطلب النظر إلى الكيفية التي من خلالها تتم معرفة الحقائق وكيفية الوصول إليها في المجتمع العربي ،هل نتوصل إلى الحقائق والنتائج عن طريق اللغة المكتوبة ،أم عن طريق اللغة المنطوقة إن المجتمعات المعتمدة على التراث المكتوب تنظر إلى لحقائق

والنتائج على أنها موجودة في السجلات المكتوبة .

الإذاعة ووساطة الألفاظ الدخيلة :

من الكلمات الفصيحة كلمات صارت كلمات دخيلة ،تمكنت واستقرت حتى لم يكن أحد يحسب أنه في الإمكان إقلاعها وإحلال غيرها محلها في مجال الاستعمال ولئن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن استقرار الكلمات الأجنبية إن ذلك ليس مدعاة لاستعمالها واليأس من تغييرها، فالمحاولات المتجددة الدائبة كفيلة ببلوغ الغاية مادام تغليب الفصيح نزعة النفوس ،ووجهة الأذواق لهذا صنع الإعلام العربي للغة الإذاعة ثوبا جديدا فوفر لها عددا كبيرا من الكلمات العربية فاستعاض المذيع بكلمة المباراة الماتش وبكلمة الهدف عن الجول وبالهاتف عن التلفون ويتم استخدام هذه المفردات كمحاولة لإقصاء نظيراتها الأجنبية الدالة على مسميات في ميادين الحياة العامة ومن هنا يمكن القول بأن لغة الخطاب الإعلامي العربية الحديثة توصف بالنمذجة والتبسيط فذهب الباحثون العرب إلى أخص صفات النموذج وأبرزها أو إلى عمله الأساس ووظيفته أكثر من ذهابهم إلى

ظاهره وشكله الخارجي أو تركيبه وأجزائه فيما الفرنسي مثلا يطلق لفظ) بسيكلات (أي ذات الدولابين على أداة الركوب المعروفة بهذا الاسم عندهم، أطلق عليها العربي لفظ الدراجة فالفرنسي حللها إلى أجزائها ونظر إلى تركيبها، وإلى حالتها الساكنة بينما نظر العربي إلي وظيفتها وعملها فيما هي دراجة وسمى الفرنسي السيارة MOBILE AUTO أي الشيء المتحرك بنفسه، وسماها العربي بلفظ يدل على عملها السيارة ، إن هذا التكيف للغة الإعلام العربية جاء تحقيقا لأغراض المجامع اللغوية ،وهيئات التعريب مشيعا فصيح ألفاظ الحضارة ما يشاع و يسهم في تطور الوعي العربي [15]

إن استعمال اللهجة العامية في الخطاب الإذاعي العام أصبح جزءا من الخطاب الإعلامي الهادف لإيصال الرسالة الإعلامية بالتساوي لكل أفراد المجتمع الواحد على اختلاف مستوياتهم لكن مع محاولة الحد منه ،واستعماله في برامج ذات طابع ترفيهي بالدرجة الأولى ولا بأس في إعادة شرح الخطاب مرة ثانية أو إعادة صياغته باللهجة العامية إذا تطلب الموقف ذلك لأن

الصراع بين اللغة الأم، واللهجات المتفرعة أخف ضررا من الصراع بين لغتين مختلفتين من حيث الثقافة، والديانة والأصول الاجتماعية والمبادئ والمذاهب.

إن هذه العقبات المواجهة للغة الفصحى في الخطاب الإعلامي المذاع تسهم في إيصال المعنى إلى المستمع أو المتلقي لذلك فإن العلاقة بين اللفظ والمعنى موضوع دراسة أيضا في لغة الإعلام ولما كانت الدلالة هي التي تتحكم في تصرفات الناس وسلوكهم فإن من يستطيع تغيير الدلالات يمكنه تغيير السلوك وتعديله ومن الواضح أن هدف الاتصال الجماهيري هو تعديل السلوك بطرق مختلفة وليس تعديل الدلالات أو المفاهيم كما يبدو للوهلة الأولى لأن المعاني والدلالات أو تصورات الناس للعالم الخارجي تكون نتيجة لعوامل مختلفة بعضها وراثي والأخر تربوي وإعلامي فشخصية الفرد وثقافته وحضارته هي التي تخلع على الألفاظ والرموز معانيها الإشارية في المستوى العلمي والتذوقي الجمالي في المستوى الأدبي، والمعرفة العلمية في المستوى العادي كالتعامل في الحياة اليومية [16] على أن التطور الدلالي لا

يلحق معاني الألفاظ وإنما يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكوين العبارة كقواعد الاشتقاق والصرف والأساليب وكذلك كما حدث للغة الكتابة القديمة تحت تأثير ترجمة البرقية والاحتكاك بالآداب والصحف الأجنبية فرقي التفكير وزادت الحاجة إلى الدقة في التعبير عن حقائق العلوم والفلسفة ويسهم الإعلام في هذا التطور الدلالي عن طريق استخدام الكلمات العامية في بعض ما تدل عليه فيزيل عموم معناها ويقصر مدلولها على الحالات التي يشيع فيها استعمالها أو عن طريق استخدام الخاص في معاني عامة التوسع أو استخدام الكلمة في معنى مجازي وتتدخل في ذلك عملية تكوين المدلولات للعالم الخارجي أو استخدام الكلمة في وتتدخل في ذلك عوامل كثيرة فالفرد لا يستطيع أن يصل إلى المعاني والمفاهيم بالطريقة العلمية أو بالأسلوب القائم على المشاهدة والاستنباط لوجود عقبات كثيرة تقف في سبيل ذلك وينبغي على الإعلامي أن يوضحها ويقررها فمعلومات الناس في وقتنا هذا يستقونها من الإذاعة والصحافة وغيرهما من وسائل وهذه

الوسائل عادة ما تلوث الأخبار للدعاية و لخدمة مصالح معينة سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك ولا شك أن مجال التعامل الاجتماعي يؤثر على صحة المدلولات فميول الناس ومركزهم الاقتصادي وطريقة تربيتهم تحدد المجال الاجتماعي الذي يعيشون فيه ويخص هذا المجال بالإطلاع والثقافة والمخالطة بالانزواء والجهل والتعصب.

لذلك نجد أن مدلول كلمة الغني مثلا غير دقيق بالنسبة للعامل الفقير وكذلك مدلول فقير غير دقيق في ذهن الغني الذي لا يخالط الفقراء ولا يعرف عنهم إلاّ ما يقرؤه في الصحف من المجلات والقصص، وبعض المشاهدات التافهة السريعة .

وهنا يأتي دور الإعلام في إعادة التوازن وإبراز سياسة البناء، وقوة الخبر وهي عملية عسيرة جدا ولكنها جليلة القدر في مجتمعنا الحديث، لصيرورة المجتمع نحو تعدد المشارب الثقافية والسياسية فكانت الحاجة ماسة للتجانس، بعد ما أحدثته الصناعة والمواصلات الحديثة من تغيرات سريعة في النظم الاجتماعية .[17] وعليه

فإن اللغة ظاهرة اجتماعية عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها لهذا السبب يجب على الدلالة أن تتعامل مع لغة الخطاب الإذاعي بنوع من الخصوصية، خاصة وأن هذه الأخيرة تتميز المشافهة من المذيع ، وإلى المستمع، وليس بإمكان المستمع في هذه الحالة الرجوع بذهنه لاستدراك معنى الكلمات كما هو الشأن في حالة الخطاب المكتوب كالجريدة، وطبيعي أن تختلف اللغة في سياقها الجماهيري الجديد عن لغة الاتصال المباشر انطلاقا من الأسس التقليدية لفنون التحرير الصحفي، والكتابة للأجهزة الجديدة كالإذاعة والتلفزيون والسينما.

وعليه فإن بناء الرسالة الإعلامية لغويا ينبغي أن ينشأ من المقتضيات الأسلوبية، والبلاغية، لكل وسيلة من وسائل الإعلام، والاتصال الجماهيري، وفق الخبرات والمفاهيم المشتركة بين المرسل والمرسل إليه، والتغلب على الحواجز والقيود التي تحول دون ذلك .

ومن ذلك نستنتج أن اللغة الإعلامية المذاعة بصفة عامة تستعين بعلم الرموز، والمعاني والقيم، الدلالية للرموز

وقدرتها على الإبانة، أو التمويه والغموض .

دلالة النبرة الصوتية في النص الإذاعي :

إنه من الضروري وضع إشارة (الوقفة المنطقية في مكانها، وإلاّ فإنها ستؤدي إلى تعريف معنى الفكرة وتشويه النص الإذاعي، خاصة وأن المستمع ليس بإمكانه الرجوع إلى النص لأنه غير مكتوب وبالتالي فإن وضع الوقفة المنطقية في غير محلها فلغتها ستعارض المنطق أصلا، وتزيل كل الغاية المطلوبة من المادة المقروءة .

وإن استعمال وقفة واحدة خلال عملية الإلقاء، مسالة غير واردة أبدا، ولا ينبغي الاعتماد على هذا النوع من الوقفة، لأنها عاجزة عن تحقيق التعبير، وعاجزة أيضا عن الإيضاح البسيط لمعطيات الفكرة التي يتضمنها النص الإذاعي لنأخذ مثلا أي جملة لفظية وعندها سنلاحظ كلمة واحدة ، أو مجموعة كلمات هي من الأهمية بمكان حيث تعبر بشكل كامل عن الفكرة [18].

وعلى ذلك يمكننا تقسيم هذه الكلمات من خلال الحديث، بل أن نقسمها أثناء القراءة، وهذا التقسيم، والتأثير عليها

يعتبر تأثيرا على النبرة الصوتية المنطقية، كما أن عملية تقسيم الكلمات والتأثير عليها يمكن أن تختلف في الطريقة[19] .

ومثال على هذه الطريقة استعمال التلفظ الأكثر بطئا فمثلا لغرض التأكيد على النبرة الصوتية بالنسبة للكلمة المطلوب إبرازها، كما يمكن التأثير على الكلمات الرئيسة التي ينبغي الضغط على مخرج لفظها بنبرة صوتية أكثر من غيرها، وينبغي ملاحظة أنه كلما كانت الكلمة أو مجموعة الكلمات الأكثر أهمية كلما فرضت بالضرورة أن يكون نطقها أكثر قوة من غيرها، ولهذا فإن قواعد الربط بين النبرات الصوتية لعدة كلمات منعزلة في حلقة لفظية واحدة، أو عدة حلقات طلب جملة مفيدة تساعد على تقديم فكرة النص بشكل كامل .

أما في حالة الجمل القصيرة التي تتألف من كلمة واحدة فإنه من الطبيعي جدا أن تكون النبرة المنطقية مركزة على تلك الكلمة بالذات، وبالنسبة للجمل المؤلفة من مبتدأ وخبر - جملة اسمية - يمكن

تقديمها في جملة واحدة مع الحفاظ على ارتباطها بفكرة النص، كما يمكن وضع إشارة النبرة على أية كلمة كانت [20].

وبذلك يجب تحديد الفهم الصحيح للفكرة بوضع النبرة الصوتية على الكلمة الحاملة للمفهوم الأساس، وهو أمر يتوقف على قاعدة الفهم الجيد والجديد الذي يعتبر من أهم الطرق التعبيرية للقراءة، أو الإلقاء وهو ما يجب على المذيع أن يدركه ، ويستوعبه جيدا، أي يطبقه في مجرى العمل، وقراءة النص في تعامله معه كما يجب عليه أن يفهم بجلاء ووضوح أن الفن الإذاعي يقتضي تجزئة الكلمات الرئيسة من حيث الأهمية، ولا يهتم بتجزئة الكلمات الغير مهمة، وما يسمى بالكلمات الثانوية، التي يعتبر وجودها كعدمه [21].

وبناء على ذلك يجب على الدراسة الصوتية للغة الخطاب الإذاعي، أن تحقق لغة فعالة، ومؤثرة، و لن يكون هذا إلاّ بوضع قواعدها، وصياغة طرق لكتابتها، قصد النهوض باللغة الفصحى ومكافحة ما يطرأ عليها من لحن وتحريف، من خلال توسيع نطاقها في

الاستعمال بعد ترقية لهجاتها، وتطوير مناهج توظيفها في كل مناحي الحياة .

دعم النشرات الإخبارية والبلاغات تنمية اللغة العربية الفصحى:

تستقطب نشرة الأخبار الرئيسية اهتمام الشعب الجزائري بكل شرائحه، كما تسترعي حفاوة بالغة من مسيريها والساهرين على إنجازها، الصحافيون، والمبرمجون، والمخرجون، والمدققون اللغويون، وأولو الأمر القوامون عليها، فكل أولائك يسره، أن ينظر المستمع للخبر وقد صاغه رونق الخبر بلغة عربية فصيحة سليمة من عيوب النطق والإسفاف والركاكة، ونتيجة لتلك العناية بالصحافة العربية في الجزائر تميزت لغة الخطاب الإذاعي من حسن طالعها بمذيعين أوتو قسطا وافرا من الفصاحة والبيان، والآداء السليم لمخارج الأصوات العربية، وحرصهم الكبير على توظيف اللفظ الفصيح على اللفظ العامي والدخيل والمستهجن، وهذا سنن الصحافة العربية الناطقة في الجزائر من إذاعة وتلفزيون فهم يميلون إلى بعث الكلمات الفصيحة على قدمها ويؤثرونها على الكلمات الهابطة وإن كانت شائعة في الاستعمال المعاصر

وفيما يلي بين لتلك الموافقة الموفقة للغة الصحافية العربية الجزائرية من خلال عرض عينات من الصحافة العربية الناطقة.

انتقاؤهم للعبارات الآتية:

عرضت على بساط البحث بدلا من عرضت للبحث

انتهت الحرب عوضا عن وضعت الحرب أوزارها

اشتدت الحرب عوضا عن حمي وطيس الحرب

ويدرج في هذا السياق اتكاء الصحافة الرياضية العربية الناطقة على جزالة اللفظ وقوة معناها وفصاحته ويعرضون عن استعمال لألفاظ الدخيلة التي يعوزها التهذيب اللغوي، يبرز هذا الاختيار الموفق من خلال التعاليق الأحداث الرياضية فعلى سبيل المثال لا الحصر ترد الكلمات الآتية:

- مباراة بدلا من ماتش

وهدف بدلا من جول أو بيت

وفريق بدلا منإيكيب وضربة جزاء بدلا من بنالتي.[22]

وأولئك الكلمات كلهن على درجة فائقة من الفصاحة ة والقوة والجزالة والصالة بمكان ومن هذه المعطيات نقرر، ولا نبالغ إذا قلنا بأن أسلم لغة عربية رياضية خالية من الألفاظ الأجنبية على مستوى الأقطار العربية هي اللغة العربية الرياضية المستعملة من قبل الصحافة الرياضية الجزائرية [23].

لقد لاح لكل متبصر بأحوال العربية الفصحى في الخطاب الإذاعي العام والرياضي بصفة خاصة عناية الجميع بخدمة اللغة العربية وهو أمر يحمل على التفاؤل بالمستقبل الزاهر للغة العربية على مستوى المعمرة وفي الجزائر العزيزة بصورة أوضح .

E:

عرضت المداخلة لأهمية دور الإذاعة في نشر الاستعمال اللغوي بكل مستوياته، وبينت أن وقوع بعض الخطابات اللغوية في

سيل الكلمات الوافدة عن طريق الدخيل المستهجن والعامية سبب لها نشازا عن الفصحى ليس معنى ذلك أن ما تقوم به الإذاعة، يصب في مهاوي الإطاحة بالعربية الفصحى بل أن ذلك فيما أرى سيخدم العربية الفصحى على المدى المتوسط والبعيد عندما يدرك الجميع هذا دخيل وذاك عامي وآخر هجين عندما يشعر الجميع بالظاهرة، وتوضع اليد على مركز الألم عندئذ نهب جميعا بجدية للعمل في إطار البحث المتخصص في فقه اللغة واللسانيات والمعجمية، على استيعاب الدخيل ودمجه في الفصحى بمعايير قياسية عربية واستيعاب العامي الشائع بكثرة، ودمجه في الاستعمال الفصيح شريطة غلبة الطابع الفصيح عليهما، في إطار تحقيق ذلك توضع حواجز أمام اكتساح وباء التهجين اللغوي الذي يعيث فسادا في لغتنا التليدة، وتضحى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة أداة بناء، وانتعاش للاستعمال اللغوي الفصيح وتلك الخطوات يمكن للباحثين المتخصصين التوصل لوضع اللغة الوسطى التي حاولت أن أثيرها في إشكالية هذه المداخلة ، ونسهم في وضع

الحجر الأساس على طريق بناء لغة وسطى توفق بين الفصحى والعامية بمراعاة نظام الفصحى وخصائصه الصوتية والصرفية ، والنحوية والمعجمية.

الهوامش

-[1]تخصص لسانيات تطبيقية أستاذ بجامعة تلمسان

-[2] ينظر: الاتصال والوسائل التعليمية (قراءات أساسية للطالب المعلم): مصطفى عبد السميع محمد ومحمد لطفي جاد وصابر عبد المنعم محمد: ط2، القاهرة، 2003م، ص 130.

-[3] ينظر : المرجع نفسه و الصفحة نفسها

- [4] ينظر: المرجع السابق، ص .132

- [5] ينظر: الإذاعة المدرسية في ضوء تكنولوجيا التعليم: عبد الحميد شكري مرجع سابق، ص 52.

- [6] ينظر : أثر وسائل الإعلام على تعليم الأطفال وتثقيفهم: عبد الفتاح أبو معال مرجع سابق، ص .136

- [7] ينظر : مها قننون : اللغة العربية و الإعلام ، و اقعها و و آفاق تطورها مجلة اللغة العربية منشورات المجلس الأعلى للغة العربية – العدد الثاني – ص/190

-[8] ينظر: ابراهيم بن مراد: في قضايا الاستعمال اللغوي في البرامج الإذاعية والتلفزيونية العربية – دمشق – 2005- منشورات مجمع اللغة 190 -العربية – ص13 /

-[9] مجلة المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر العدد 2 سنة 1999/ ص117

-[10] ينظر: علي ليلى - الثقافة العربية و الشباب، 2003- الدار المصرية اللبنانية للكتاب ص/54

- [11]

-[12] ينظر : خيري خليل الجميلي - الاتصال و وسائله في المجتمع الحديث - المكتب الجامعي الحديث - محطة الرمل - ص/33

-[13] ينظر : مازن الوعر- دراسات لسانية تطبيقية - -دار طلاس للترجمة و النشر ط/1- 1989- ص/99

-[14] ينظر الرجع نفسه ص/100-102

-[15] ينظر عبد العزيز شرف -مدخل على وسائل الإعلام -م/س/ص/144

-[16] إبراهيم إمام -العلاقات العامة و المجتمع -الدر العربية للعلوم -ص/235

-[17] ينظر عبد العزيز شرف : علم الإعلام اللغوي م/س/ص/36/35

-[18] ينظر : إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - القاهرة - 1971 -ص/17

-[19] مجلة الإذاعة و التلفزيون العراقية - العدد /16/ 1989

-[20] ينظر : إبراهيم أنيس : المرجع السابق -و الصفحة نفسها

-[21] ينظر : مجلة الإذاعة و التلفزيون العراقية - م/س/ ص/20

-[22] ينظر: عمر ديدوح -دور الصحافة الرياضية لجزائرية في نشر اللغة العربية - مجلة اللغة العربية -عدد خاص -ص/140

- [23] ينظر الرجع نفسه و الصفحة نفسها

الهجين اللغوي في الإعلانات الإشهارية الصحفية.

أ.خلوفي صليحة - جامعة تيزي وزو

J

تعتبر وسائل الإعلام السلطة الرابعة في عصرنا الحالي من حيث أهميتها وقوة تأثيرها في الناس بمختلف فئاتهم وأعمارهم ومكانتهم في المجتمع، وتشكل الممارسة الإشهارية جزءا من حياتنا اليومية، إذ تسرّب الإشهار إلى جميع وسائل الإعلام الجماهيرية فاحتل حيّزا كبيرا منها، فهو في التلفزة والراديو إذا شغلتهما، وفي الجريدة والمجلة إذا اقتنيتهما وفي الأنترنيت، وحتى في الطرقات والملاعب على شكل ملصقات، وعلى الألبسة وأغلفة المنتوجات...وتسعى كل المؤسسات بمختلف أنواعها اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية من أجل استغلال هذه الوسائط المهمة وذلك من خلال عرض منتجات المعنيين وسلعهم لجلب أكبر قدر ممكن من الزبائن، أو تمرير إلى الجمهور الواسع

والتأثير في الرأي العام، وكان الإشهار أفضل وسيلة تحقق لهم غاياتهم نظرا لقوة تأثيرها في المتلقين، بفضل ما يمتلكه من خصائص ومميزات تؤهله لأداء هذه المهمة بجدارة، فيجتهد كاتب النص الإشهاري دائما من أجل صياغة خطاب إشهاري متميز فيضفي على لغته لمسات سحرية جمالية، ويختار كلمات معبرة ومؤثرة في الزبون، ويصمم لها أشكالا وصورا بألوان مغرية ويتبعها أحيانا بمقاطع موسيقية جذابة..

وهنا نتساءل ماذا نعني بالإشهار؟ إذا كان الإشهار موجها إلى فئة ما من مجتمع معين، فلا بد أن ينطق بلسانها، ففهم محتوى الإشهار من فهم اللغة التي جاء بها، فبأي لغة نطق الإشهار الجزائري؟ بلغة العامة؟ عربية دارجة أم لهجة أمازيغية؟ باللغة الرسمية؟ أم بلغة أجنبية؟ فرنسية أم إنجليزية؟ أم بهما معا؟ أم مزيج بينه ما؟ ومن يهتم بكتابته وصياغته حتى يخرج إلينا سجعا أحيانا، ومزيجا بين اللغات أحيانا أخرى؟ ما هي مواصفات النص الإشهاري و ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في كاتبها؟ وماذا عن حضور الفصحى في الصحافة المكتوبة؟ لماذا

تتنوع الظواهر اللغوية في الإشهار؟ هل هي مقصودة من قبل صاحب النص أم أنها عفوية؟ وما أثرها على القراء و اللغة العربية على حد سواء ؟

ومن أجل الإجابة عن كل هذه التساؤلات قسمت دراستي إلى جزئين: جزء نظري: قدمت فيه تعريفا لغويا واصطلاحيا لمصطلح إشهار وما يتعلق به من مصطلحات كالدعاية والإعلان وبيان الفرق فيما بينها، وتحدثت بإيجاز عن تاريخ الإشهار المكتوب، وعن مبادئ الإشهار، والعناصر الرئيسية فيه، وقدمت تعريفا موجزا للنص الإشهاري وطرق إعداده، والشروط التي يجب أن تتوفر في كاتب النص الإشهاري، ثم تحدثنا عن مميزات الجريدة كوسيلة إشهارية.

أما الجزء التطبيقي: فقمت فيه بجمع بعض الإعلانات الإشهارية الصادرة عن جريدة الشروق اليومي، لدراسة لغة الإشهار المستعملة فيها، ومعرفة إلى أي مدى احترمت هذه الإعلانات الإشهارية . اللغة العربية الفصحى خاصة وأنها منشورة في جريدة صادرة باللغة العربية ولها جمهور واسع من القراء، وبالتالي سيكون لها أثر

كبير على هذه الشريحة الواسعة إيجابا أو سلبا وهذا حسب طبيعة اللغة التي صيغت بها هذه الإعلانات الإشهارية، ولا أهدف من خلال هذه الدراسة إلى تتبع الأخطاء اللغوية الشائعة في الإعلانات الإشهارية ولا إلى رصد كثرة الأخطاء النحوية والصرفية والتركيبية ومحاولة تصويبها أو تقديم حصيلة لتلك الأخطاء، ولكنّني سأكتفي بالوقوف أمام إشكالية قد تبدو هيّنة عند البعض من أهل العربية، ولكنها في واقع الحال أشد خطرا على اللغة مما تقدم بكثير، ألا وهي احتلال العامية حصة الأسد في لغة الخطاب الإشهاري، ولا يقل عنها خطورة ذلك الخليط الهجين من العامية والعربية، واللغة الأجنبية الذي يعرض على القارئ كلما تصفح جريدة أو شاهد التلفاز أو استمع إلى المحطات الإذاعية، فتأثير الإشهار يكون قويا في جميع هذه الوسائل، ولكننا سنركز فقط - في دراستنا- على الصحافة المكتوبة الصادرة بالعربية كونها تهدف فيما تهدف إلى نشر اللغة العربية وترقيتها، وهنا نتساءل إلى أي مدى احترمت الإعلانات المنشورة في جريدة الشروق اليومي لغتنا الوطنية؟

تحديد مفهوم الإشهار :

قبل الدخول في تعريف الإشهار والحديث عن استقلاليته كنوع قائم بذاته، أرى الحاجة إلى عقد فرق بين المفاهيم تجنّبا للبس أثناء الدراسة، فنجد في مقابل مصطلح الإشهار: الإعلان والدعاية، وفي الفرنسية نجد .Réclame، Propagande، Publicité ، فمن الدراسات العربية ما ترجمته بـ Publicité " إعلان" ومنها ما ترجمته "بالإشهار"، في حين تتفق أغلبها على ترجمته بمصطلح " Propagandeدعاية."

أما مصطلح "Réclame" فلا نجد له ترجمة دقيقة فهو في القاموس إعلان.

أ- الدعاية: (La Propagande) :

تعريفها لغة : وردت في لسان العرب بمعنى الدعوة: «في كتابه- صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل: أدعوك بدعاية الإسلام: أي بدعوته وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها «[1]بينما» رجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين [2] «ويقترب المعنى الاصطلاحي من اللغوي".

اصطلاحا : الدعاية مصطلح «مشتق من اسم قسم تابع للكنيسة الكاثوليكية، أسسه

البابا جريجوري عام (...)1622 ومهمة هذا القسم المركزي توجيه وتنسيق الأنشطة التبشيرية بين غير المسيحيّين «[3]بعدها «أدرج في القاموس الأكاديمي سنة 1740 [4] « ويعرّف ليونارد دوب الدعاية على أنها «محاولة على الشخصيات والسيطرة على سلوك الأفراد في مجتمع ما، في وقت معين لتحقيق أهداف تعتبر غير علمية أو مشكوك في قيمتها.[5]»

فإذا كان هدف الإشهار الأساسي تجاري فإن الهدف من الدعاية هو سياسي أو عقائدي، ولتحقيقه تعمل على « نشر معلومات (حقائق أو مبادئ أو مجادلات أو إشاعات أو أنصاف حقائق أو أكاذيب [6]«(ولهذا «تتّخذ أسلوب التّزييف في نشر المعلومات «[7] فالدعاية إذن محاولة للتّأثير في الرأي العام وفي سلوك الفرد.

ب- الإعلان والإشهار:

الإعلان لغة: جاء في لسان العرب في مادة (ع ل ن): «العلان والمعالنة والإعلان: المجاهرة (...) الإعلان في الأصل إظهار الشيء، والمراد به أنّها كانت قد

أظهرت الفاحشة «[8]إذن ارتبط الإعلان بالمجاهرة والإظهار".

الإشهار لغة :نجد في مادة (ش هـ ر) في لسان العرب:«الشهرة ظهور الشيء في شُنْعَة حتى يشهره الناس(...) الجوهري: الشهرة وضوح الأمر (...) والشهرة الفضيحة «[9]وبهذا »ترتبط كلمة إشهار وكلمة تشهير فأشهره يشهره إشهارا، بمعنى أظهر محاسنه، وبين إيجابياته ومنافعه وشهر به تشهيرا بمعنى أظهر مساوئه وبين سلبياته ومضاره.«[10]وهذا المعنى أقرب إلى المعنى الحالي من لفظ "أشهر" الذي ورد في المرجع السابق: «أشهر القوم: أتى عليه شهر وأشهرت المرأة:دخلت في شهر ولادتها «[11]وهذا بعيد عن المفهوم الحالي للإشهار إذ يعبّر عن فترة زمنيّة.

الإعلان والإشهار اصطلاحا :كلا المصطلحين ترجمة للمصطلح الفرنسي Publicité وفي الإنجليزية .advertising: فالأصل إذن هو المصطلح الغربي publicité الذي سنتوقف عنده:

La publicité لغة : مصطلح مشتق من "puplic"وفي اللاتينية "publicus" ، ورد

هذا المصطلح في القاموس الأكاديمي سنة 1694...»[12] بعدها تخصصت دراسات في الإشهار فتوسع المفهوم وتحدّد.

في هذا التعريف نجد إشارة إلى أنّ الإشهار هو عملية اتصالية بين طرفين أساسيين. مرسل منتج ومتلقي مستهلك أو مشتري، زبون أو تاجر إلى غير ذلك. بالإضافة إلى أنه يركز على ضرورة دفع المقابل من طرف المعلن للوكالة الاشهارية نظير الخدمات التي يحصل عليها. والأمر الآخر المهم هو كشف هوية المعلن حتى يتعرف عليه المتلقي .

اصطلاحا : تتالت الدراسات التي تحاول حصر مفهوم الإشهار وتعتبره موضوع دراستها؛ تتمثل أولى هذه الدراسات حسب جان ميشال آدم ومارك بونوم (Adam et Bonhomme)، في تلك التي قام بها اللغوي ليوسبيتزر (Léo spitzer) ، بعنوان: "الإشهار الأمريكي كفن شعبي". بعدها تأتي دراسات أخرى منها مقالة أصدرها لويس كسنال (Louis Quesnel) بعنوان: "الإشهار وفلسفته" وفيها عرض مجموعة من التعريفات

تفتح أمامنا مجموعة من المجالات الخصبة لدراسة الإشهار منها:

مجال الاقتصاد : "الإشهار سلاح التسويق (marketing) في خدمة الإستراتيجيات التجارية (...) في "الحرب" الاقتصادية «[13] وتتكرر مثل هذه التعريفات كثيرا عند أصحاب الاقتصاد والتسويق، فالرابطة الأمريكية للتسويق أوردت التعريف الآتي: «الإشهار هو الوسيلة غير الشخصية الهادفة إلى تقديم الأفكار عن السلع أو الخدمات بواسطة جهة معلومة نظير جهد مدفوع، ويعتبر الإعلان من أهم وسائل الاتصال بين المنتجين والمستهلكين في الأسواق المستهدفة" [14] ويعرفه ستانلي أولانوف» :(Stanley Ulanoff). الإعلان هو أداة تسويقية لتوصيل الأفكار والمعلومات والخدمات إلى مجموعة ما، ويقوم باستغلال الحيز والوقت المدفوع أجرهما في الوسائل الإعلامية، أو يستخدم أية وسيلة اتّصالية أخرى لنقل رسائله، ويقوم الإعلان بتوضيح هوية المعلن وعلاقته بالسلعة المعلن عنها «[15] فالملاحظ أن هذه التعريفات وظيفية تلخص الجانب الاقتصادي بذكر: الهدف، الوسيلة، المقابل الذي هو المبلغ المدفوع والذي يتغير بتغير الوقت

والحيز الذي يحتله الإشهار في الوسيلة الإعلامية.

في حين وفي تعريف آخر للإشهار، يركز كسنال على الجانب التواصلي.

المجال التواصلي :" الإشهار "نظام للتواصل" يجمع بين منتجين ومستهلكين عبر موزعين ووسائل إعلام[16]" وفي هذا المجال ينصب تعريف هاس :(Haas)" الإشهار تقنية من تقنيات الاتصال هدفه إما تسهيل الدعاية لأفكار معينة، وإما العلاقات ذات الطابع الاقتصادي بين رجال لهم سلعة أو خدمة يقدمونها، وآخرون مؤهلون لاستعمال هذه السلعة أو هذه الخدمة [17]" أما بوتيي (pottier)فيعرف الإشهار على أنه «قوة تواصلية جماعية مدفوعة الثمن هدفها الوحيد تطوير مواقف المستمعين واستمالتهم إلى أفعال في صالح المعلن »[18] تعتبر هذه التعريفات الإشهار وسيلة تواصل بين معلن عن سلعة ومحتاج مفترض لهذه السلعة.ومع أولوية الجانب الاقتصادي الذي يتم ضمن نظام تواصلي، تبقى عوامل عديدة شديدة الأهمية في تحديد الإشهار منها: المجال الأدبي الفني، المجال السيميائي، المجال الثقافي..

أعطي الإشهار العديد من المفاهيم نذكر منها:" هو مجموعة الطرق والوسائل الفنية المتبعة من قبل المنشآت التجارية في سبيل ترويج وتوسيع المبيعات، وفي سبيل الحصول والمحافظة على عملاء كثيرين "[19] ويعرف أيضا على «أنه مختلف الوسائل المستعملة للتعريف بمؤسسة صناعية أو تجارية من أجل بيع منتوج ما[20]".

تاريخ الإشهار المكتوب: اعتبر الاشهار من قبل الدارسين ممارسة قديمة، تعبر عن حاجة المرء لأخيه، والدراسات التاريخية للإشهار حاولت تحديد بداية لهذه الممارسة «عائدة إلى اليونان والرومان(...) وأحيانا إلى مصر وبابل [21] «حيث اكتشف علماء الآثار نقوشا تعود إلى ما قبل التاريخ تعبر عن أولى الإشهارات، ففي بابل مثلا« عثر على نقوش عمرها أكثر من خمسة آلاف سنة تشيد بمهارات حرفي[22]".

وإذا عدنا إلى التاريخ العربي حدثتنا مصادره عن ممارسة إشهارية كانت تتم في الأسواق، مثل عكاظ، وذو المجنة وذو المجاز؛ حيث عرض الشاعر إنتاجه وألقاه بأحسن أداء «ليلقى شعره الرواج في تلك

الأسواق، وليحتل الشاعر مكانته اللائقة بمستوى شاعريته «[23]فكان الشعر آنذاك بمثابة بضاعة يتم عرضها ببراعة وتميز.

أما الإشهار بالمعنى الذي نعرفه الآن فهو ممارسة تحددت حديثا، وارتبط الإشهار المكتوب ب«تطور الطباعة وميلاد الصحافة" .[24]

مبادئ الإشهار :

يقوم الإشهار على عدة مبادئ تتلخص فيما يلي:

- أن يكون للسلع المعلن عنها فائدة حقيقية للمستهلك حتى يكون الإشهار صادقا .
- اتباع الأسلوب العملي في البحث والدراسة حول كل ما يتعلّق بالمستهلك الذي يوجه إليه الإشهار .
- تصميم الرسالة الإشهارية وإخراجها بشكل جيد وملفت لانتباه المشاهد أو المستمع .
- أن تحظى الرسالة الإشهارية بثقة قرائها أو مستمعيها أو مشاهديها لأنّ نجاحها يتوقف على هذه الثقة .
- الابتعاد ما أمكن عن كل ما هو مسيء للشعور العام للجماهير، كعرض أمور مخلة بالأخلاق .

• كفاءة وسائل النشر المستخدمة في الإشهار، وتناسبها مع إمكانيات وثقافة الجمهور المرتقب لكي يتمكن من التأثير على أكبر عدد ممكن من الأفراد .

• تجنب الإضرار بمصلحة الجمهور وصحته، بمعنى عدم تقديم سلع فاسدة أو ضارة، وعدم إيهام المرضى بحصولهم على الشفاء المؤكد بمجرد استخدامهم للسلعة المعروضة، وبالتالي منعهم من مراجعة الأطباء .

• الابتعاد عن الكذب والخداع والتضليل، والاعتماد على الصدق، وعلى مبدأ ذكر الحقيقة دائما .«[25]فإذا لم يحترم صاحب الإشهار هذه المباديء فإن مآل إعلانه الفشل خاصة إذا ما لجأ إلى أسلوب التضليل والمراوغة لبيع سلعة رديئة، أو تهدد صحة المواطنين .

العناصر الرئيسية في الإشهار: والمقصود بعناصر الإشهار «تلك الأجزاء المختلفة التي تتضمنها الرسالة الإشهارية، عندما تكون في صورتها النهائية وجاهزة لعرضها بالوسيلة الإعلامية المناسبة لها[26]"

• وهذه العناصر يمكن تحديدها فيما يلي :

1. **العنوان :** يعتبر العنوان من "العناصر الهامة في الإشهار، فهو يساهم بشكل كبير في نجاح أو فشل الرسالة الإشهارية، لذلك فإنّ واضع الإشهار يبحث بدقة وعناية عن العنوان، لأنه يريد أن يدفع المشاهد أو القارئ لمشاهدة الإشهار وجذبه إليه "[27] والعنوان الإشهاري أنواع كثيرة منها:«العنوان الآمر، مثل: جربه يوما تستخدمه دوما، وهذا من أجل البحث على تنفيذ فعل الشراء، والعنوان المثير للشعور مثل: لا تدع الفرصة تفوتك، فالمشتري يتساءل عما وراء هذا العنوان بصفة خاصة، والإشهار بصفة عامة «[28]وبهذا يتضح لنا أهمية العنوان كونه أول شيء يجذب الانتباه، فيكون تأثيره بالتالي إيجابا أوسلبا على المتلقين وذلك حسب طريقة صياغته ومناسبته للموضوع أو السلعة المعروضة، وكذا جاذبيته .

2. **الحجم والموضع :**قد يعتقد أغلب الناس أن الحجم الكبير للإشهار يترك أثرا أقوى وأعظم من الأثر الذي يتركه الحجم الصغير، ولكن الواقع لا يؤكد دائما هذا الادّعاء، فللحجم حدوده، «ولقد جعلت هذه الناحية موضوعا لعدد من الدراسات خاصة منها

مقدار تأثير الحجم على المشاهد أو القارئ، كما يحتل الموضع الذي يخصص للإشهار من الصحيفة أو المجلة مكانة خاصة في عناصر الإشهار، وتظهر هذه المكانة في المبالغ الإضافية التي تدفع مقابل الإشهار في أماكن خاصة كالغلاف في المجلة، والتنافس بين المعلنين للحصول على مكان جيد لإشهاراتهم في الصحف والمجلات «[29] فالحجم وموضع الصورة بالنسبة لمنتجي السلع عنصران هامان يجب مراعاتهما أثناء التخطيط للحملة الإشهارية، والتأكيد على الموضع خاصة في الصحف والمجلات، لأنه كلما كانت الصورة في الغلاف أو الصفحة الأولى كان لها صدى أكبر من الصفحات الوسطى .

3. **الرسوم والصور المساعدة :** يتم التركيز بشكل كبير على هذا العنصر إذ أنّ «استخدام الصور والرسوم يمكّن من جذب انتباه المشتري عن طريق إثارة اهتمامه بسبب التشويق، وهو يؤدي إلى درجة عالية من التذكر والتصور للسلعة «[30] فالصور التي تظهر في الإشهار تجذب العيون إليها وهي أكثر وقعا على نفسية المشاهد، ذلك أن استخدمها يقوي انتباه المشتري ويساعده على فهم مضمون الإشهار، وترسخ الصورة في

ذهنه وتذكره باستمرار بالمنتوج، لأنه يشاهد المنتوج أو السلعة بنوع من الواقعية .

4. **الحركة والألوان** :يحتل اللون مكانة هامة في مطالع الإشهار، نظرا لتأثيره القوي في المشاهد أو المشتري، ويلاحظ اهتمام أصحاب الإعلانات الإشهارية بهذا الجانب كثيرا، فحسب محمد جودت ناصر: «فإلى جانب توضيح الرؤية وتشكيك الإدراك، فهو يمتد إلى النواحي النفسية للمستهلك، لدرجة تثير لديه جوا انفعاليا ملائما »[31] ولهذا يجب على واضعي ومصممي الإشهار الأخذ بعين الاعتبار تناسق الألوان في الرسوم والصور بدقة، وإعطاء إشهاره صبغة جمالية من أجل إحداث التأثير المطلوب وتمرير رسالته الإشهارية على أكمل وجه. وفي عنصر الحركة يقول الباحث نعيم الرفاعي:«حين نقارن الحركة والكون، فإننا نجد أن الحركة أدعى إلى تشغيل اهتمامنا، إنها أقرب إلى معنى الحياة عن الكون، إنّ هذه الحقيقة تنتقل معنا في سيرنا في ميدان الإشهار »[32] إذن فالاهتمام بالحركة والألوان مهم جدا في جذب انتباه المشاهد وترك

انطباع قوي في نفسيته قد يدوم أثره طويلا .

5. **التباين والانفراد :** يلجأ مخرج الإشهار أحيانا إلى "جمع المتناقضات مع بعضها ليظهر ما يريده، وليجعل الإشهار جذابا، فإنّه قد يفعل ذلك بالنسبة للصورة البصرية أو للإعلان الصوتي، فمثلا صورة الماء النقي أمام صورة الماء المعكر، والجهاز الضخم المعقد إلى جانب الجهاز البسيط الصغير، فكثيرا ما نقف ولو لوقت طويل أمام إشهار من هذا النوع، وكما جرت العادة فالمشاهد أو القارئ يجد أمامه عددا من العناصر مع بعضها، ولكن رؤية النور وبسط محيط الظلام، يدعو إلى تأكيد مكانة العنصر الواحد، وله أثر كبير في جاذبية الإشهار، فعملية عزل عنصر في الإشهار أو جعله منفردا تؤدي خدمة خاصة في دعوة المطالع أو المشاهد إلى النظر والتأمل والاهتمام "[33]حيث تظهر للسلعة ميزة تنفرد بها عن غيرها من السلع، فالإشهار يساهم في جعلها مميزة وأحيانا تجعل الزبون حائرا يفكر فيها، ويعطيها جانبا من اهتمامه، وبمجرد التفكير فيها فهو إذن ينوي شراءها،

وبذلك يكون كاتب النص قد أصاب الهدف الذي تصبو إليه بسبب هذا العنصر الهام .

6. **الفكاهة والدعاية :** يفضل كاتب النص الإشهاري الابتعاد عن الروتين إذ «يعتمد الإشهار أحيانا على الفكاهة في الأثر الذي يسعى لإحداثه في القارئ أو المشاهد، خاصة وأن ربط الفكاهة باسم المنتوج ونوعه يجعل أمر تذكره سهلا مع تذكر الفكاهة أو الدعاية، فالفكاهة ممتعة دائما، وهي تعرض الوجه المرح للحياة، ومن هنا يكون تأثيرها في سمعة الإنتاج حسن »[34] ومثال ذلك استخدام شخصيات مشهورة، ويعرف بأنها هزلية، فتجذب الزبون أكثر وتشده إليها، وتشاركه في تجريب السلعة، وتظهر له مزاياها، ليقتنع في الأخير بضرورة اقتنائها، والفضل يعود للروح المرحة والمضحكة التي تتميز بها هذه الشخصيات .

7. **الابتكار والجدة :** يصعب الاعتماد على الإشهار الذي يكرر القديم وما سبق ظهوره، أما الإشهار المبتكر أو المبدع فيؤدي دورا كبيرا في تحقيق الغرض أو الهدف الذي يسعى إليه. والإشهار الجديد لا يجلب الانتباه فحسب، ولكنه يترك أثرا خاصا في

الذاكرة، ويساعد مستقبلا على دفع الفرد إلى الشراء، خاصة وأن عنصر الابتكار أو التجديد يظهر خاصة في طريقة التعبير عن صفة خاصة من صفات المنتوج .[35]فعلى كاتب النص أن يحاول دائما التجديد سواء كان ذلك في الكلمات التي يوظفها، أو الصور والتقنيات التي يستعملها، لأن الزبون يحب الجديد دائما، وينفر من تكرار الأشياء أو الكلمات أو الصور .

8. **الشدة أو النصاعة :** تظهر مسألة الشدة أو النصاعة في معظم الأحيان في الإشهارات التي تستخدم الضوء أو الألوان » فالشدة المستعملة في الإشهار يمكن أن تكون وسيلة في جذب الانتباه إلى الإشهار، أو إلى مكان العرض، وشأن اللون هو شأن الضوء، فقد تكون لشدة (اللون الشديد القوة) أثر خاص في لفت المارة إليه، ومثل ذلك ينطبق على الصوت فلتحقيق الشدة المقبولة درجة كبيرة من التأثير لا يصل إليها الصوت الضعيف أو الخافت «[36]فالضوء الشديد حتما يجذب أنظار الزبائن إليه، ويساعد أيضا على إقناعهم بمزايا السلعة بتسليط الأضواء عليها، وإظهارها على أنها الأحسن بين السلع الأخرى، وبالتالي يصل إلى فعل

الشراء والإقتناع بأنها السلعة التي يبحث عنها .

9. **الشعارات والإشارات المرافقة :** كثيرا ما ينطوي الإشهار على شعار يطبقه المعلن ويربط بينه وبين الإنتاج، فحسب محمد جودت ناصر فإنّ«الشعار عبارة عن اختصار لفكرة الرسالة الإشهارية في جملة بسيطة وسهلة للحفظ والتذكر" [37]وكثيرا ما يؤدي الشعار خدمة كبيرة في تحقيق هدف الإشهار، فهو«عامة عظيم التأثير لما فيه من اختصار في الكلمات ومن ارتباطات متنوعة بين الكلمات (كلمات الشعار)، وبين مناسبات حياتية مختلفة «[38]ونفهم من ذلك أن الفرد قد يجد في كلمات الشعار ارتباطا بأحداث عاشها في حياته، وبالتالي يكون تأثير هذه الكلمات قويا في نفسيته، ذلك أن واضعي الإشعار يستخدمون في شعاراتهم ما يعيشه الفرد في حياته اليومية. وهذه أهم العناصر التي يمكننا ذكرها، والتي تعتبر دعائم رئيسية تؤخذ بعين الاعتبار قبل كتابة أي نص إشهاري، فمن بين هذه العناصر هناك من يراعي في كتابة نص مقروء، وهناك أيضا ما يراعى في كتابة نص مسموع أو مشاهد .

مميزات الجريدة كوسيلة إشهارية: تعد الصحف من بين أولي الوسائل التي اعتمد عليها المنتجون في الإشهار لسلعهم، بعد أن كانت المناداة في الأسواق هي الوسيلة الوحيدة في العصور الماضية فأصبحت الصحف تتمتع بمكانة مهمة لما لها من صدى واسع بين القراء، وبانتشارها انتشر الإشهار حيث«يتمتع الإعلان في الجريدة بخصائص ينفرد بها دون غيره، وحيث إنّه إعلان جديد جدة الخبر الذي نقرأه في الجريدة، فالمفروض أن يقدم السلع التي تباع اليوم أو غدا، بدليل أن بعض المعلنين لا يستخدمون الصحيفة اليومية إلا إذا كان لديهم ما يستحق أن يقال للقراء عن منتجاتهم »[39] فأصبح تصفح المكان المخصص للإشهار ضرورة لكل قارئ سواء أكان ذلك من أجل الشراء أم لإرضاء فضوله.

ومن أهم المزايا التي تتمتع بها الصحف والتي على المشهر أن يأخذها بعين الاعتبار نجد:

- أنّ الجريدة تعتبر وسيلة إعلامية واسعة الانتشار، غير أن هذا الانتشار لا يضاهي انتشار وسائل أخرى خاصة منها

التلفزة، كون الجريدة مدفوعة الثمن، ولها شريحة معينة من القراء .

- الجريدة وسيلة مقروءة، لذا فهي تخص عادة الفئة المثقفة أو غير الأمية على الأقل .

- الجريدة تمكث فترة طويلة عند القارئ يتصفحها متى شاء، وبالتالي يمكنه التمعن في تفاصيل الإشهار .

- للجريدة منزلة مقارنة بباقي الوسائل فهي وسيلة إعلامية ثقافية ذات مصداقية .

- كما أن الإشهار المقروء يكون أكثر ترسيخا من المسموع .

- لذا فعلى المعلن في الجريدة أن يأخذ هذه الميزات بعين الاعتبار، فهي والمجلات تمثل الحامل المثالي للإشهارات الموجهة للفئة المثقفة، والإشهارات متعددة التفاصيل وتحتاج إلى فترة تمعن ووقت كاف لفهمها .

- لعل أهم ما تتميز به هذه الوسيلة الإعلامية أن القارئ يستطيع السيطرة عليها بطريقة تلائمه؛ فالقاريء مثلا للصحيفة أو الكتاب يستطيع أن يقرأ بالسرعة التي تناسبه، كما يتمكّن البصريّة المكانية صالحة لنشر الموضوعات المعقّدة، والدّراسات الصعبة ذات التفاصيل

المتشعّبة، لذلك تقتضي مجهودا للقراءة، وشيئا من عملية التخييل المستمر الذي يحقق نوعا من المتعة التي تتميّز بها القراءة .[40] وهكذا تبدو الكلمة المطبوعة أكثر احتمالا في أن تظل مصدرا رئيسا للاستطلاع؛ لأنها تخدم الأذواق المختلفة، وتعبّر عن الاتّجاهات المتعدّدة. ومن هنا تذهب الإحصاءات العلمية إلى تأكيد العلاقة بين الإعلام والتعليم من خلال إثبات الارتفاع في توزيع الصحف، كما هو الحال في البلدان الغربية عموما .[41]

- "تغطية السوق أو اختراقه «[42]لكن في مقابل المزايا نجد دائما العيوب، فمن بين أهم نقاط ضعف الصحف كوسيلة إشهارية: «محدودية القدرة على التوجه لجمهور محدّد [43]". أي ليس لها جمهور واحد ومحدد تتوجه إليه إذ نجد شخصا ما يشتري الصحيفة اليوم وغدا لا يهتم بها، كما أنها موجهة فقط لجمهور المتعلّمين، أما غير المتعلّمين فلهم وسائل أخرى، لكن مع هذا يبقى لها جمهورها الخاص بها، والذي يفضلها على باقي الوسائل الإعلامية الإشهارية الأخرى والتي بلغت درجة كبيرة من التطوّر .

النص الإشهاري:

1. **تعريف :** لكل إشهار نص يكون قد أعد له مسبقا من متخصص في كتابة النصوص الإشهارية، إذ يجب أن يكون براقا يحمل تعابير جميلة، وكلمات موحية يستطيع التأثير بها في الزبائن، فهو رسالة يستقبلونها ولهم حرية الاختيار في قبولها أو رفضها، وهو: «تركيب لغوي يتحدد وفقا لمعايير اللغة التي ينتج بها، وهو تركيب جمالي لا يكتمل كرسالة إلا بمساعدة عدّة فنون أخرى تلابسه لترتسم جماليات الخطاب- وهو أشكال متعدّدة- متباينة ومتغيرة، كما أنّه من حيث بنيته أقرب إلى بنية النص الشفوي الذي يتم بناؤه وفقا للهجة المتداولة غير المدونة التي تتجاوب مع متغيرات الأحداث اليومية والتطورات السريعة التي يعيشها اللاهجون بتلك اللهجة.»[44] والنص الإشهاري يمكن أن يكون نصا تمثيليا يجسده مجموعة من الممثلين بواسطة المحاورة ويمكن أن يكون مثلا شعبيا متداولا أو فصيحا: «كأن يعتمد على الأمثال الدارجة الشائعة المقنعة، التي تشيع بكثرة في الأوساط الشعبية، لأن المثل بمجرد مروره وسريانه يصبح أكثر قابلية للتصديق ولا يناقش، لأنّه

حكمة السلف مغربلة، لا تحتاج إلى تأمل وتدبّر. وقس على ذلك الأحجية (البوقالة) والفزورة والنادرة والخرافة [45]«فالأحجية خاصة تتميز بخاصية بديعية جميلة وهي السجع في معظم الأحيان، كما يمكن أن يكون النص الإشهاري نصا قصصيا كأن يلجأ كاتب النص إلى القصة الخرافية المتعارف عليها في تقاليد المجتمعات، أو يكون شعرا قديما أو حديثا «فيتلفظ منه ما هو مشهور متداول ومحبب ترديده، وفي هذا الميدان تملك الشعوب رصيدا هائلا من الكلمة الساحرة الحالمة التي تستثير العواطف والأشجان «[46]فالشعر بأنواعه يثير مشاعر خاصة لدى الكثير من الفئات، وله تأثير كبير على قلوب محبّيه، واستعمال كاتب النص له يضمن على الأقل سماع أو قراءة هذا الإشهار، ومن ثم يأتي التفكير في اقتناء السلعة أو المنتوج المشهّر له .

الشروط التي يجب أن تتوفر في كاتب النص الإشهاري : لكي يتمكن أي شخص من كتابة نص إشهاري، يجب أن يتوفر على مجموعة من الشروط نذكر منها:

• أن يجيد اللّغة التي يشهر بها إجادة تامة، وأن يمتلك أسرارها خواصها التعبيرية بتلقائية كما يشترط أن يكون له إلمام بلهجة أو لهجات وطنه وخواصها في التعبير (الكلمة- الإشارة- الحركة- الإيحاءات المتباينة لها...)

• أن تكون له معرفة بثقافة مجتمعه المدرسية (الفصيحة) أو الشعبية (الفكرية والمادية) وأن يكون متشعبا بهما .

• أن يكون على دراية بقيم المجتمع بقيم المجتمع وتوجّهه الحضاري .

• أن يكون على دراية بعلم الإشارات أو العلامات السيميولوجية .

• أن يكون له إلمام بالتوجه الاقتصادي والسياسي والثقافي للدّولة التي يشهر فيها، وبمدى التّأثير الاقتصادي والسياسي في اختلاف الأنظمة .

• أن يجيد لغتين أو أكثر من اللّغات العالمية إلى جانب لغته الأم، التي تظل بالنسبة إليه هوية ثقافية وسياسية وعلمية .

• أن تكون له دراية بعالم التجارة والمال، وخاصة ما يتعلق باقتصاد السوق

وعلاقة الدولة والجهات المشهرة، لأن الإشهار أداة اقتصاد السوق .

• أن يكون على دراية بنفسية المشاهد أو القارئ أو المستمع، وأن ينتج النص وفي ذهنه الخلفية التالية وهي:«إن غالبية المتلقين ممن يوجه إليهم الخطاب لا يحلّلون ولا يناقشون (الموضوع) ولا يبحثون عن علاقات الأشياء، ولا مسبّباتها، ولكنّهم في كثير من الحالات يقلدون ويستهلكون، يضاف إلى ذلك السعي من خلال النص إلى السيطرة على أفكار ومشاعر الجماهير بأنواعها «[47]فكل هذه الشروط يجب أن تتوفر في أي كاتب للنص الإشهاري، سواء كان الإشهار في الوسائل المكتوبة أم السمعية أم السمعية البصرية، إذ ليس من المعقول أن يحاول أحدهم كتابة نص، وهو لا يعرف ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، وما هو متداول فيه من لهجات، كما أنه من غير اللائق أيضا أن يدّعي أي إنسان معرفته بخبايا النصوص الإشهارية وما يفضله المستمع أو القارئ أو المشاهد، وهو لا يدري عن نفسيته إلا الشيء القليل، فكاتب النص الإشهاري يجب أن يكون متمرسا ومتمكنا من أجل التّأثير في الزبائن، ومن

ثم الاستجابة والشراء، إذ يعدّ النص أهم فرد في المجموعة التي تعمل على إخراج الإشهار، وطرحه في وسائل الإعلام المختلفة حتى يؤثر في المتلقين .

لغة الإشهار وتأثيرها في اللغة العربية الفصحى : يقول الدكتور صالح بلعيد : " إنّ العربية الفصحى لها زحم وجداني تحرك فينا أسمى المشاعر، وإن التنوع في طبيعة المستمع أو المشاهد فرض تنوعا في طبيعة اللسان الذي تقدم به المادة، وقد نجم عن ذلك تقاليد معينة في استخدام اللغة التي تقدم بها برامج الإشهار [48]". والملاحظ في عصرنا الحالي هو طغيان اللغة الدارجة واللغات الأجنبية الدخيلة وبشكل كبير على الفصحى، وبالتالي أدى كثرة استغلالها إلى انتشارها في المجتمع الجزائري خاصة في أوساط الشباب والنساء، لأنّ معظم الإشهار موجه لهاتين الفئتين، وبالتالي ازداد الخطر على الفصحى، فانتشار العامية والدخيل يعيق انتشار الفصحى وتقدمها وازدهارها، فالإشهار من الأخطار التي تواجه العربية الفصحى وحتى الدارجة أيضا، لأنه غالبا ما تستعمل الدارجة المختلطة بأسماء العلامات التجارية

باللغة الأجنبية منطوقة أو مكتوبة، فيكون ذلك ترويجا لا للسلعة فقط ، وإنما لألفاظ ومعاني اللغة الأجنبية ، ومهما يكن من الخطأ في استعمال اللغة الدارجة في الإشهار، فهو ليس كاستعمال اللغات الأجنبية، لأن الدارجة جزء من الفصحى، ذلك أنّها إذا صينت من الدخيل ستكون إثراء للفصحى، ولذلك وجب علينا حمايتها من "الدخيل المتغلب عليها لأنها هي باب الإساءة للفصحى[49]" والعربية الدارجة هي حامية للفصحى واستعمالها في الإشهار ليس بالأمر المستحب خاصة إذا طغت على الفصحى أو أزالتها نهائيا من الساحة، ولكننا نفضل الدارجة عن اللغات الأخرى الدخيلة، فرنسية أو إنجليزية، لأن العربية الدارجة هي حامية الفصحى واستعمالها في الإشهار أحسن بكثير من استعمال اللغات الأجنبية، فهي على الأقل لغة المجتمع، وليست أجنبية، يمكن التمهيد بها لطريق نحو الفصحى الخالصة، لأنها ستذكر الناس دائما باللغة الفصحى وبالانتماء لها، فنستطيع بالتالي الاعتماد عليها في بادئ الأمر على أن لا تكون الهدف في الانتشار، ثم نفتح من خلالها طريقا للفصحى بعد أن تصل من

خلال الإشهار إلى اكبر فئة ممكنة من المجتمع.

الجانب التطبيقي من الدراسة : في هذا الجانب التطبيقي من الدراسة قمنا بجمع نماذج من إعلانات إشهارية نشرت في جريدة الشروق اليومي، الصادرة باللغة العربية، وذلك لدراسة اللغة التي صيغت بها النصوص الإشهارية الواردة فيها، وإلى أي مدى احترمت فيها اللغة العربية الفصحى؟ وما الأثر الذي خلفته عليها وعلى القراء الذين يقتنون الجريدة يوميا ويطلعون على هذه الإعلانات الإشهارية باستمرار؟

الصورة الأولى : وهي مقتطفة من جريدة الشروق يوم الإثنين 25 جانفي 2010 الموافق لـ09 صفر1431 هـ/ العدد 2831.صفحة:06:

وموضوع الإشهار يخص سيارات **تويوتا**، كتبت معظمها بالعربية الفصحى، وكتب بالفرنسية فقط رمز تويوتا "TOYOTA" إضافة إلى أسماء السيارات، كتب تحت صورة السيارة الأولى YARIS SD والثانية كتب تحتها YARIS HB ، إضافة إلى بعض الرموز التي كتبت بخط صغير وهي خاصة بالتأمين .

الصورة الثانية :في العدد نفسه، ص 6 : تحت الصورة الأولى مباشرة، وهي أيضا إشهار خاص بالسيارات من نوع (4×4)، وكتب النص الإشهاري كله باللغة الفرنسية من بدايته إلى نهايته، ولم تذكر العربية الفصحى مطلقا.

الصورة الثالثة :وردت في العدد نفسه، في ص 18، وتمثل الوثيقة الإشهارية صورة لسيارة هيلوكس من تويوتا، ونص الإشهار مزيج بين العربية الدارجة، والإنجليزية، والفرنسية، ويظهر ذلك من خلال النص الذي جاء على النحو الآتي:" كاين PICK-UP وكاين HILLUX ، "كما نجد رمز **تويوتا** مكتوب بخط صغير الحجم في أعلى الصورة "TOYOTA" وكذا رمز التأمين الذي كتب بخط صغير باللغة الفرنسية GARANTIE TOYOTA 2ANS OU 100 000KM . ثم نجد مزيجا من العربية والفرنسية في عبارة كتب فيها بخط كبير وبارز اسم السيارة HILUX D4: ثم تلته عبارة بالعربية الفصحى بخط صغير: مقصورة منفردة.مقصورة مزدوجة 2×4 و 4×4،) مع أو بدون مكيف هواء).وهذه العبارة مترجمة حرفيا من الفرنسية عن عبارة Avec ou): sans climatiseur) وهذا التعبير لا يمت إلى

أساليب الفصحى بصلة حتى لو كتب بالعربية فتأثير الفرنسية واضح فيها.فبإمكان كاتب النص القول على سبيل المثال: (بمكيف هواء أو من دونه)، ثم نجد أمام العبارة بخط أكبر عبارة **تويوتا** الجزائر.و بهذا يكون هذا الإشهار مزيجا من العربية الفصحى، والعامية واللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية، وهذا بدوره يؤثر كثيرا في المتلقين وعلى اللغة الفصحى التي تغيب في هذا النوع من الإعلانات.

الصورة الرابعة :في ص18، دائما في العدد نفسه: نجد إشهارا آخر للسيارات وهي دائما من إنتاج شركة " **تويوتا**"، كتب النص الإشهاري مرافقا لصورة كبيرة للسيارة المعروضة ، كانت لغة الإشهار عبارة عن مزيج من العربية الفصحى يظهر ذلك من خلال العبارة:" 150 حصان، رباعية الدفع، تخفيض 000 200 دج، "حان الأوان لتأخذ الطريق"، وهذه العبارة الأخيرة حتى ولو أنها كتبت أو صيغت بالعربية إلا أن معناها مترجم ترجمة حرفية عن الفرنسية، من عبارة:

C'est le moment de prendre la route. وكان يمكنه القول مثلا :حان الأوان لتنطلق بسيارتك .

وهذا دليل على عدم إتقان صاحب الإعلان للفصحى، وكتب تحت الإعلان اسم السيارة باللغة الفرنسية Legacy ، وتحته مباشرة نص عبارة عن هجين لغوي كتب بخط صغير، يحوي كلمات عربية، فصحى، وإنجليزية . ويظهر ذلك من خلال العبارة التالية : «LEGACY متوفرة بمحرك BOXER ديزل أو محرك بنزين ونظام رباعي الدفع Subaru Legacy تتيح لكم متعة القيادة وتخفيض يصل إلى غاية 200 000 دج. متوفرة في نقاط البيع **تويوتا** الجزائر التالية« .....:

الصورة الخامسة :في ص 23، دائما في العدد نفسه: يظهر إعلان عن سيارات **رونو**، من نوع) **كليو(**، كتب النص الإشهاري كله باللّغة الفرنسية ولم نعثر على أية كلمة عربية، وكتب بخط كبير وبارز **:Nouvelle Clio RS VE RSUS** وتحته بخط أصغر **:Noir ou Blanc, pas de compromis !** وكتبت الرموز الخاصة برونو وكذا المعلومات التي يحتاج إليها الزبون لاقتناء السيارة.

الصورة السادسة :وردت في الصفحة ذاتها (23)، وهي صورة إشهارية لهواتف من نوع" **والكمان**"، وردت فيه صورة لشخص يستمع إلى هاتفه النقال بواسطة سماعات، ويظهر جليا أنه مستمتع بما يسمعه لأنه أغمض عينيه ويبدو من ملامحه أنه مبتسم ومرتاح، وهذا لجذب الناس إلى السلعة أكثر، كما تم عرض أربع ة نماذج أو أنواع من هذه الهواتف بألوان وأحجام مختلفة أيضا.

أما النص الإشهاري فكان خليطا أيضا بين العربية الفصحى والفرنسية والإنجليزية، وهذا النص يبين ذلك » :التشكيلة الجديدة من هواتف Walkman، أظهر شخصيتك، ثم كتب بخط صغير جدا ويصعب تشفيره، بالعربية وما يقابله بالإنجليزية لما يحتويه الهاتف من مميزات وخدمات، وتحته كتب بخط بارز وكبير اسم الهاتف Sony Ericsson ، وتحته عبارة بالإنجليزية make.believe:، وأتبع بعبارة تمزج بين العربية وكلمة دارجة مكتوبة بحروف فرنسية وهي: متوفر بجميع محلات «Darkom ويكتب بعد العبارة السابقة رمز محلات داركوم، باللغة الفرنسية.

الصورة السابعة :من العدد 2837 الصادر يوم الأحد 31 جانفي 2010 الموافق ل 15 صفر 1431 هـ:تحديدا في ص 06 :يمثل إعلانا عن سيارة من نوع 44× ، وكل الإعلان ورد باللغة الفرنسية، ولم ترد فيه أي كلمة باللغة العربية الفصحى ولا حتى بالعربية الدارجة.

الصورة الثامنة:دائما من العدد نفسه، ص 19، إشهار لسيارتين من نوع **" بيجو"**، قدمتا هدايا مغرية، وكتب بخط كبير بالعامية: "شكون لي يزين سعدكم كل 10 أيام؟ "!ثم كتب بخط متوسط 2 سيارتين، ورمز السيارتين باللغة الفرنسية **"TIGGO** و."QQ" **"**

الصورة التاسعة :في ص 09، من جريدة الشروق اليومي، العدد 2224، ليوم الخميس 14 فيفري 2008 الموافق 07 صفر 1429 هـ. وموضوع الإشهار كان حول مرطب الشعر **"مانييتيك** "ووضعت صورة للمنتوج ووراءها صورة لشعر امرأة، وبالنسبة للغة الإعلان فكانت عبارة عن خليط من اللغة الفرنسية والعربية الفصحى، وهذا النص يبرز بوضوح ذلك التعاقب اللغوي في الإعلان LABO NEDJMA:

بخط كبير أتبع بخط أصغر باللغة الفرنسية Crée le nouveau baume démêlant: وأتبع بتفصيل عن محتويات المنتوج ومميزاته لجذب الزبائن، باللغة الفرنسية دائما enrichi à l'huile d'avocat Démêle et : adoucit les cheveux، ثم تعقب العبارة بجملة بالعربية الفصحى : "يرطب ويلين الشعر بلطف"، وباقي المعلومات حول المنتوج كتبت كلها باللغة الفرنسية بخط صغير جدا.

الصورة الـعاشرة :في الصفحة 15 من العدد نفسه، نجد صفحة إشهارية كاملة، وموضوع الإشهار حول الهاتف النقال من نوع "سامسونج"، عرض فيه صورة للهاتف النقال، وكتب فيه بالعامية " :واحد ليك...وواحد للّي عزيز عليك"، ثم كتب سعر الهاتف مرفوقا بجملة بالعربية الفصحى: " 8950 دج/مع احتساب كل الرسوم + 150 دج رصيد مجاني"، وأتبعت العبارة بذكر معلومات حول محتويات ومزايا الهاتف النقال سامسونغ كتبت بخط صغير باللغة العربية، متبوعة ببعض الرموز الصغيرة مكتوبة باللغة الفرنسية.

الصورة 11: في ص17، من العدد نفسه، وموضوع الإشهار هو سيارة من نوع "بيكانتو"، من (كيا موتورز (وفي هذا الإشهار نجد هجينا لغويا مشكلا من العامية والإنجليزية، العربية الفصحى ، رموز مكتوبة باللغة الفرنسية، والنص الوارد في الإشهار يبرز ذلك: كتب بخط بارز بالعامية" :بيكانتو بزّاف شابة "!ثم رمز ل) **كيا** (بالإنجليزية KIA MOTORS: ثم تحته بخط أصغر بالإنجليزية دائما The Power to Surprise :، وظهرت العربية الفصحى باحتشام كبير في بعض الكلمات التي تخللت صورة الإشهار، كالتسوق، الملعب، الأصدقاء، ضمان 3 سنوات، إمكانية القروض البنكية، وعنوان اقتناء السيارة: كيا موتورز الجزائر: المحطة البرية الخروبة- حسين داي- الجزائر. وكل رموز القروض البنكية كتبت بالفرنسية.

الصورة 12: في ص16، يوم السبت 16 فيفري 2008/الموافق لـ 09 صفر 1429 هـ/العدد 2225، حول الأنترنيت عبر الهاتف النقال: "بلاك بيري"، كتب معظم النص الإشهاري باللغة الفرنسية، وكتب على الهامش في

أسفل الورقة في شكل تعاقب لغوي عبارة : DJEZZY"باللغة الفرنسية)، ثم يليه :جازي (باللغة العربية).ثم عبارة :عيش (بالعامية) ، ثم عبارة LA VIE، (باللغة الفرنسية) ويختمها بعبارة (Berry : Blackباللغة الإنجليزية) (ويقابله من الجهة الأخرى عبارة بالإنجليزية، Internet Mobile، وأتبع بعبارة باللغة الفرنسية pour plus d'informations, appelez : …… Call 070850101 FR +33 le 101 ou le ويظهر من خلال النص الإشهاري أن اللغة التي صيغ بها الإشهار مزيج من العامية والفرنسية، والإنجليزية، في شكل هجين لغوي.

الصورة 13: في ص16، من العدد 2223، من جريدة الشروق اليومي الصادرة في 13 فيفري 2008 الموافق ل 06 صفر1429 هـ، الإشهار خاص بسيارة" **جيتز** "من إنتاج شركة" **هيونداي** " ، كتب النص الإعلاني كله باللغة الفرنسية.

نتائج الدراسة :وبعد اطلاعنا على نماذج من إعلانات إشهارية المنشورة في بعض الأعداد من جريدة الشروق، توصلنا إلى النتائج الآتية :

وجدنا بعض الظواهر اللغوية المتكررة في الإشهار تكاد تكون غالبة على النص نذكر منها:

1. **الإيجاز:** وهو في اللّغة: «التقصير، يقال أوجز في كلامه إذا قصره، وكلام وجيز أي قصير وفي الاصطلاح: اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، أو هو التعبير عن المقصود بلفظ أقل من المتعارف، واف بالمراد لفائدة»[50] فظاهرة الإيجاز في الإشهار بصفة عامة (الصحف/الإذاعة/والتلفزة) صفة غالبة، لأنّ كاتب النص يسعى دائما لإيجاد صيغة يؤثر بها في المستهلك وتجذب انتباهه دون الإطالة فيها، ومثال ذلك في جريدة الشروق: هذه الجملة التي اقتطفناها من إحدى الإعلانات الإشهارية " **: بيكانتو بزّاف شابة** "! ونلاحظ كم هذه العبارة موجزة ومعبرة في الوقت ذاته. إذ لو كانت الجمل المستعملة طويلة لتجاهلها الناس نظرا لضيق وقتهم، أو لحالة نفسية يمرون بها كالقلق أو التعب مثلا، كما أنّ الإيجاز يجنب الكاتب الوقوع في آفة الحشو التي تتمثل «في زيادة العبارة عن الحاجة التبليغية وعن الكفاية الإفهامية»[51] لهذا

وجب اختصار الإشهار والاكتفاء بمجرد إشارات إليه، أي أن أسلوب الإيجاز من أفضل الأساليب التي يعتمد عليها كاتب النص، كي لا يمل منه القارئ أو السامع أو المشاهد، وليسهل عليه فهم معنى الكلمات القليلة التي وردت فيه .

2. **السجع»** :وهو اتفاق الفاصلتين من النثر على حرف واحد، دون التقيد بالوزن، ويقابله القافية في الشعر، نحو قول سهيل بن عباد في المقامة اليمنية: لفظتني أحداث الزمن إلى مشارق اليمن (...) لا أعرف بها جليسا ولا أجد لي أنيسا «[52]ويقول الأستاذ وليد العناتي في السجع أنّ »: أن الكلام الموقع أبقى في الأذن وأدوم في السمع.وذلك يقود إلى احتفاظ الذاكرة مدّة أطول، وقديما كانت العرب تستعين بالمقامات المسجوعة لتعليم الصبية وتحفيظهم «[53]وبهذا فإن السجع يعد الظاهرة المحببة لدى أغلب كتاب النصوص الإشهارية، إذ يستعملونه في معظم تعابيرهم ولمختلف المنتوجات.لأن الإيقاع يجلب انتباه الزبائن ويستمتعون دائما بإعادته وسماعه فيرسخ بسهولة في أذهانهم، وكثيرا ما يحفظونه عن ظهر قلب ويردّدونه، ومثال ذلك

ما ورد في إحدى الإعلانات التي عثرنا عليها في جريدة الشروق، وهي " **واحد ليك...وواحد للّي عزيز عليك .** "

ج- التعاقب اللغوي في الصحف الناطقة باللغة العربية :من خلال دراستنا لبعض النماذج الإشهارية في جريدة الشروق لاحظنا أن هناك مزيجا بين اللغة العربية الفصحى والعربية الدارجة، واللغة الفرنسية. ومثال ذلك الصورة: (11) حول الأنترنيت عبر الهاتف النقال " **بلاك بيري**"، كتب معظم النص الإشهاري باللغة الفرنسية، وكتب على الهامش في أسفل الورقة في شكل تعاقب لغوي عبارة DJEZZY" :(باللغة الفرنسية)، ثم يليه : جازي (باللغة العربية).ثم عبارة :عيش (بالعامية) ، ثم عبارة LA VIE، (باللغة الفرنسية) ويختمها بعبارة Berry Black :(باللغة الإنجليزية) ويقابله من الجهة الأخرى عبارة بالإنجليزية، Internet Mobile، وأتبع بعبارة باللغة الفرنسية وكتبت رموز وشعارات باللغة الفرنسية أيضا.

- فأحيانا تطغى اللغة العربية على الإشهار، ونجد اللغة الفرنسية تستعمل فقط لكتابة شعار الشركة أو علامة المنتوج

كمثل الصورة (01) وموضوع الإشهار يخص سيارات تويوتا، كتبت معظمها بالعربية الفصحى، وكتب بالفرنسية فقط رمز تويوتا "TOYOTA" إضافة إلى أسماء السيارات، كتب تحت صورة السيارة الأولى YARIS SD والثانية كتب تحتها YARIS HB، إضافة إلى بعض الرموز التي كتبت بخط صغير وهي خاصة بالتأمين .

- ثم عكس هذه الظاهرة نجد في الصورة رقم (07) الإشهار كله باللغة الفرنسية يمثل إعلانا عن سيارة من نوع **(4×4)** ، ولم ترد فيه أي كلمة باللغة العربية ولا حتى بالعربية الدارجة، والملاحظ هنا انعدام تام للغة العربية، وتغييبا لها، رغم أنّ الإشهار جاء في جريدة يومية ناطقة باللغة العربية، وهذا يعود ربما إلى المفهوم الخاطئ الذي يحمله بعض الجزائريين حين يظنون أن اللغة الفرنسية هي لغة التقدم والازدهار والرفاهية والحياة الكريمة في حين أنّ لغتنا هي لغة التخلف لا تصلح للإشهار، أو ربما يعد هذا من مخلفات الاستعمار الفرنسي الذي حارب اللغة العربية طيلة فترة الاحتلال .

• أغلب الإعلانات الإشهارية المنشورة في جريدة الشروق هي حول السيارات أو الهواتف النقالة التي أخذت حصة الأسد في الإعلانات الإشهارية .

• استحواذ العامية على أغلبية النصوص الإشهارية، وحتى لو صاغ كاتب النص لغة الإشهار بلغة عربية إلا أنه يظهر جليا عدم تمكنه من اللغة العربية وأساليبها الفصيحة، فعباراته متأثرة بالترجمة الحرفية، ومثال ذلك العبارة التي وجدناها في الصورة (03) :**مع أو بدون مكيف هواء .**وكذلك عبارة :**حان الأوان لتأخذ الطريق** في الصورة (04) وهي تعابير فرنسية تأثر بها ، وهذا يحيلنا إلى أثر لغة المحتل في لغة المحكوم، ويحيل أيضا إلى غياب الحصانة من المحكوم .

• لغة الإشهار يغلب عليها التعاقب اللغوي أحيانا بين الفصحى والعامية ، وأحيانا أخرى مزيج من العامية واللغات الأجنبية .

• وتظهر الإنجليزية في الإعلانات لكن باحتشام كبير مقارنة باللغة الفرنسية

والعامية الجزائرية، تظهر في أسماء بعض المنتجات وفي بعض الشعارات والرموز .

• والفصحى كان حضورها ضعيفا مقارنة بالعامية واللغات الأجنبية ، رغم كون جريدة الشروق ناطقة بالفصحى ولها مقروئية كبيرة .

• والذي يدعو للاستغراب حقا هو عدم ورود الإعلانات الإشهارية في الجرائد الناطقة بالفرنسية باللغة الفصحى إلا نادرا، بينما صحفنا الناطقة بالعربية، فنجدها سباقة لعرض الإشهار بالعامية واللغات الأجنبية، وكان حريا بها المساهمة في نشر اللغة العربية وترقيتها من خلال هذه الإعلانات الإشهارية التي تؤثر بشكل كبير في القراء، خاصة إذا ما كانت الجريدة لها جمهور واسع من القراء، فكثيرا ما يرغب القراء في الاحتفاظ بصورة إشهارية للاعبين وطنيين أو عالميين، أو لمنتوجات وسلع يرغبون في اقتنائها والاحتفاظ بمعلومات عنها عندما تسمح لهم الظروف، وهذه من ميزات الصحف التي لا تتيحها الإذاعة ولا التلفزيون، خاصة إذا كان الإشهار كثير التفاصيل، فالجريدة هي التي توفر للقراء إمكانية الاطلاع على كل ما

يتعلق بالمنتوج، ويكون المتلقي مرتاحا لأنه سيعود إليها ومتى ما رغب في ذلك .

C

في الأخير نقول أن الإشهار من أنجع وسائل الترويج لمختلف السلع والخدمات منذ أن كانت التجارة تتم عن طريق المقايضة، وأكثرها شيوعا في مختلف وسائل الإعلام، وفي عصرنا هذا أصبح الإشهار للسلعة أو الخدمة ضرورة من ضرورات الحياة، من أجل التعرف على آخر ما استجد في الأسواق من سلع محلية وأجنبية، كما يمكن للزبائن اختيار ما يرغبون فيه وهم في بيوتهم يتصفحون مختلف الجرائد ويستمعون إلى مختلف المحطات الإذاعية والتلفزية، ويصر الجميع على اقتناء السلع التي سبق لهم وأن شاهدوها أو سمعوا بها في وسائل الإعلام، ويرفضون السلع التي لم يسبق وأن تعرفوا عليها فالإشهار يقوم بتقديم خدمات جليلة للمستهلك والمنتج صاحب السلعة ، ويخدم الوسيلة الإشهارية التي يتم الإشهار فيها، كما أنه يخدم أيضا الاقتصاد الوطني، ومن هنا نقول إنه من الضروري الاهتمام أكثر

بالإشهار والاعتناء به وإدراك نقائصه ومحاولة تحسينه ودفعه إلى الأمام. ولهذا وجب إعادة النظر في النصوص الإشهارية التي تنشر في الجرائد الصادرة باللغة العربية، والاهتمام بلغة الإشهار أيضا في كل وسائل الإعلام، وجعلها وسيلة فاعلة لترقية اللغة العربية الفصحى ونشرها على أوسع نطاق.

ومن خلال ما سبق فإنه بات واضحا أنّنا نواجه ظاهرة خطيرة قد تنتهي إلى إقصاء الفصحى عن المجتمع بعد أن أخذت العامية أو الدارجة واللغات الأجنبية تتسلل إلى كل وسائل الإعلام بصفة عامة ومن خلال الإعلانات الإشهارية بصفة خاصة.

وهنا يجب أن ن جعل اللغة العربية الفصيحة أداة ثقافة وعمل في جميع مرافق الحياة، فاللغة لا تتطور إلا بتطويرنا إياها..

إنّ مسؤولية تدني مستوى اللّغة العربيّة يتقاسمه الجميع؛ الأفراد والمؤسسات الرسمية في شموليتها، سواء أكانت تعليمية أم إعلامية أم سياسية.

إنّ الحالة المزرية الي آلت إليها اللغة العربية ليس لها مثيل في هذا العصر، لأن التنكر لها وجحد فضلها والتمسك بأذيال العامية هي حالة تنذر بالخطر، لا على اللّغة فحسب، ولكن على الوجود العربي، فالإعلام العربي عامة والجزائري على وجه الخصوص قد تراخى عن مسؤوليته اتجاه اللغة العربية ، وفتح الباب على مصراعيه للدخيل والعامية على حساب الفصحى ، وهنا يكمن الخطر على لغتنا القومية وهويتنا الوطنية .

الهوامش:

1- المعاجم باللغة العربية:

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط1.بيروت:1990، دار صادر.

2 - المعاجم باللغة الفرنسية:

- Nouveau petit Larousse.Paris : 1969, Librairie Larousse.

المراجع باللغة العربية:

1. صالح خليل أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، الأردن: 1999، دار أرام للنشر والتوزيع .

2. عبد الفتاح محمد دويدار، سيكولوجية الاتصال والإعلام. الإسكندرية:1999، دار المعرفة الجامعية .

3. غريب سيد أحمد وآخرون، علم اجتماع الاتصال والإعلام، الإسكندرية:2001، دار المعرفة الجامعية .
4. عن/زياد محمد الشرمان، عبد الغفور عبد الله عبد السلام، مبادئ التسويق، ط 1.الأردن:2001، دار الصفاء للنشر والتوزيع .
5. جوزيف عبود كبة، محاضرات في علم النفس التجاري، دط.سوريا:1980، دار النشر حلب .
6. إسماعيل الصيفي، بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث .ط2.الإسكندرية: 1990، دار المعرفة الجامعية .
7. بشير عباس العملاق، الإعلان، دط.القاهرة: 1998، دار الفكر العربي .
8. محمد جودت ناصر، أصول الإدارة العامة، ط1.القاهرة:1976، مكتبة الأنجلو المصرية .
9. نعيم الرفاعي، علم النفس في التجارة والصناعة، دط.دمشق:1964، المطبعة التعاونية .
10. محمد الناشد، تطبيق الإعلان، ط1.بيروت:1980، مكتبة الشرق .
11. سمير محمد حسين، مداخل الإعلان، ط1.القاهرة :1973، دار النشر .
12. حسن محمد خير الدين، دراسات في أصول الإعلان، ط1.القاهرة:دت، دار النشر .
13. منى الحديدي، سلوى إمام، الإعلان: أسسه – وسائله– فنونه، ط1.القاهرة:2005، الدار المصرية اللّبنانية .

14. عبد العزيز شرف، اللّغة الإعلامية، ط1.بيروت:1991، دار الجيل .

15. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دط.الجزائر، دار هومة .

16. يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، مقدمات عامة، ط 1.الأردن:1999، دار الأهلية للنشر والتوزيع .

17. راجي الاسمر، علوم البلاغة، ط1.بيروت:1999، دار الجيل .

3- المجلات:

1. بشير إبرير،"قوة التواصل في الخطاب الإشهاري دراسة في ضوء اللّسانيات التداولية"، مجلة اللغة العربية، الجزائر:2005، منشورات ثالة .

2. محمد عيلان، "بنية النص الإشهاري " ، مجلة اللّغة العربية، الجزائر:2002/ منشورات ثالة .

3. أبو القاسم سعد الله، "خطر الدخيل على الفصحى والعامية معا"، مجلة اللغة العربية، الجزائر:2001، منشورات ثالة، عدد04، ص26 .

4. وليد أحمد العناتي، الإعلان التجاري، مجلة التواصل، الجزائر:2005 .

المراجع باللغة الفرنسية:

1. Haas Claude Raymond,pratique de la publicité, 2éme édition. Paris: 1973, dunod.

2. Louis Quesnel "la publicité et sa philosophie " communications.Paris:1971.

3. P.H Pottier, élémment de marketing, 2eme Edition.Paris:1978, dalloz, P157.

4. David victoroff, La publicité et L ´image.paris:1978, Denoël/ Gonthier.

5. Jean-Michel Adam et Marc Bonhomme, L'argumentation publicitaire : Rhétorique de l'éloge et de la persuasion, France :1997, Nattan.

اللغة العربية بين رقي القوانين والتعبير اليقين وآفة التهجين.

د/ أحمد عزوز - جامعة وهران

C

تتعرض اللغة العربية الفصحى إلى التهجين بصورة ملفتة للانتباه وخاصة في العقدين الماضيين من القرن الماضي. وهي ملامح أوهنت العربية الجميلة في بيانها وصفاء أسلوبها، حتى لا نكاد نسمع رونقها وجلالها في المحا فل المختلفة إلا نادرا، بل إنّ وهنها بات يلاحظ في قاعات المحاضرات ومن على المنابر الدينية والسياسية والق ضائية وفي القنوات الفضائية والإذاعية وغيرها. ناهيك عن اقتراض الكلمات والجمل العشوائي وبدون ضوابط لسانية واجتماعية، وهي علامة تعكس التلازم الضئيل بين الاقتراض والاستقرار الصوتي والنحوي .

كما أنّ اللغة المعرض لهذا النوع من الضغط تعوض أنظمتها الخاصة بها بأنظمة أخرى فيؤدى هذا التوسع المتنامي إلى الضرر باللغة.

وعلى الرغم مما كتبته الأقلام منذ ما يزيد عن النصف قرن في الموضوع إلا أنّه ما يزال في حاجة إلى المناقشة والتحليل.

والواقع إنّ البحث في ترقية العربية يبدأ بالبحث في معالجة الأسباب التي عملت على إضعافها وتشويهها،وخير ما تعالج به الأمراض والعلل هو اكتشاف الدواء المتعلق بإزالة الأسباب،والدراسة الموضوعية لعلاج الظاهرة.ومن الأسئلة التي يمكن أن تطرح هي كيف نصل إ لى تعليم لغة عربية فصحى قليلة الشوائب وقادرة على التبليغ والتوصيل، وكيف نحد من ظاهرة العامية في المدرسة والإذاعة والتلفزيون والإعلان،وغيرها من الأسئلة التي تحتاج إلى الإجاية العلمية.

تفرض علينا المداخلة الإشارة إلى مسألتين وهما:

إن القول بوجود التهجين في كل اللغات لا يعني اعتبارها ظاهرة لا يعني الاهتمام بها والتصدي لمعالجتها خاصة إذا علمنا أنّ هناك من الب احثين من يصفها بالكارثة اللغوية.

ثمّ إنّ البحث في التهجين و ما يتعلّق بمثل هذه الموضوعات لا يدلّ على الخوف على

اللغة العربية بقدر ما يدلّ على الحرص أن تكون في منأى عمّا يشوبها وينقص من قيمتها التعبيرية.

ثمّ إن الخطر الذي نركز عليه هو كيف يحلو للبعض أن يسمح أن يكون الإشهار لشركة ما بلغتها وبجانب خطّها الكتابة باللغة الفرنسية ولا أحد يشير إلى غياب اللغة العربية التي يفترض أن تكون قبلهما.

وبعد؛ لقد قال أبو تمام:

فكأنّ الجرماز من عدم الأنس
وإخـــــلاله بنية رمـــــــس

فإذا ما رأيت صورة أنطاكية
ارتعت بين روم وأمـــــــــــس

والمنايا مواثل، وأنوشروان
يزجي الصفوف تحت الدّرفس[1]

فالجرماز لفظ من أصل فارسي ويعني الإيوان والقصر والدرفس يدلّ على العلم الكبير وهي أيضا كلمة فارسية.

ويقول مفدي زكريا:

سنثأر، للأكواخ، والدور والقرى،
يهشّمها (النابالم) يحرقها حرقا

[1]- ديوان أبي تمام

وللزهرة الفيحاء، في حقل قريتي يمرّ عليها (التنك) يسلقها سلقا[1].

إن مثل هذا الاستعمال للكلمات الأجنبية في الخطاب هو الذي يعد طبيعيا، إذ دعت إليه ضرورة من الضرورات، وبالتالي فهو ليس وليد العصر، وهو ظاهرة قديمة،مع التركيز على أنّها كانت خاضعة إلى سنن وقوانين يتجلّى كثير منها في مبدأ ابن جني(392 هـ) القائل:"كلّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"[2].

فخضوع اللفظ الأجنبي إلى المستوى الصوتي كانسجام الأصوات وائتلافها واختلافها، وإلى الميزان الصرفي يجعله في المعجم العربي ذا مسحة عربية.

1 – إشكالية البحث:

وتقوم إشكالية البحث على مجموعة من الأسئلة منها:

هل التهجين ظاهرة طبيعية في اللغات؟أم هو خاص ببعضها؟ وهل هو مفيد لتطورها ورقيها؟ وكيف نميّز بين الهجين اللغوي

[1]- مفدي زكريا، اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983،ص:201.

[2]- ابن جني،الخصائص، تحقي محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر،ج:1، ص:375.

مما هو تطور لغوي؟ وما هو أثر التهجين على الهوية والتعلّم وعقل المتكلّم باللغة؟

2 - مفهوم التهجين اللغوي:

من معاني كلمة هجين في المعجم العربي:

الذي أبوه خير من أمّه.

_ والولد العربي من غير العربية

_ ويطلق أيضا على العربي ابن الأمة هجينا لأنّه معيب[1].

ولا تختلف هذه الدلالات عمّا ورد من معان لمقابل هجين في الفرنسية (hybrides) التي تعني في قواميسها:

_ الأطفال الذين لهم أب أجنبي أو أمّ أجنبية.

ففي البيولوجيا والفيزيولوجيا يدلّ الهجين على الشيء الذي ينتج من جنسين مختلفين، ويطلق على شخص مولد بسبب تقاطع أنواع الأجناس المختلفة سواء في النباتات أم الحيوانات، فنقول على الحيوان الهجين الذي ولد من نوعين مختلفين[2].

---

[1]- ابن منظور،لسان العرب، مادّة هجين

[2] -Le Petit Robert Dictionnaires Le Robert , 1992 ;Paris ;T :1 ;P :947

وفي المجال اللغوي أو اللساني فالهجنة في الكلام ما يلزمك منه العيب، والهجنة من الكلام ما يعيبك[1].

أمّا عند الغربيين، فكلمة تهجين مكوّنة من عناصر مقترضة إلى لغتين مختلفتين أو كلمة مركّبة من عناصر آتية من لغات مختلفة، ويطلق على الكلمات الهجينة المولّدة[2].

والملاحظ في التعريف العربي أنّ العيب في الكلام مرتبط بالعيّ والفساد وعدم الاسترسال، وهو ما كان لحنا أو تحتواه، أي ما لم تتوافر فيه شروط البيان والفصاحة والبلاغة.

3 - أسباب التهجين أو الخلط اللغوي

يمكن إجمالها فيما يأتي:

ـ جهل كثير من المتكلمين اللغة العربية أثناء التخاطب ممّا يتطلّب الاستعانة بلغة ثانية لاستكمال نص الرسالة، وكل ذلك ناتج عن الضعف اللغوي.

ـ واستخدام الكلمات الأجنبية والجمل في الكلام إلى شعور المتكلم بعقدة النقص

---

[1]- ابن منظور،لسان العرب،مادة هجن.

[2] - Le Petit Robert,T :1 ;P :947

اتجاه لغة أو الآخر فعوّض ذلك بالهجين لإيهام الناس بمعرفته اللغة الأجنبية.

ـ والشعور بالحاجة إلى الكلمات أو المصطلحات التي لا توجد في اللغة العربية مثلا، فيلجأ المتكلّم إلى اقتراضها، وهو أمر مقبول ما لم يخرج عن طبيعته حتّى لا يصبح كارثة على اللغة.

ـ وعدم الوعي بخطر الإدخال المفرط للكلمات الأجنبية في اللغة العربية، وبالتالي فالمتكلم لا يعي بأنّ خلط الكلام بهذا التهجين إنّما هو كمن يشتري السلع الأجنبية أو يشجعها على سلعه المحلية بل أخطر، ممّا يؤدّي إلى التبعية الاقتصادية فالسياسية، وهنا تتخلف لغته وتتقدم الأخرى كما يتطور اقتصاد غيره ويتخلف اقتصاده.

ـ وضعف الحس أو الشعور بعظمة اللغة العربية لدى فريق من الناس، وهذا عكس ما نلاحظه لدى الشعوب الأخرى، فالطالب العربي مثلا أو الشركة العربية إذا ما ذهب للدراسة أو للاستثمار في دولة أجنبية أو العمل فيها يفرض عليه أن يدرس لغة البلد

وتاريخها، فها هي ألمانيا لم تعد تمنح الجنسية إلاّ لمن تعلّم اللغة الألمانية وتاريخها بل يمتحن فيها.

ـ ويعود سبب الخلط اللغوي _ أيضا_ إلى التهاون في استعمال الألفاظ والجمل الأجنبية وعدم رفضها حفاظا على نقاء اللغة العربية وصفائها، وهو عكس كثير من الشعوب التي تتحاشى الكلام بغير لغتها مثل اليابانيين والألمان وغيرهم. والتهاون في اللغة أو اللامبالاة بها هو نوع من انحطاط الأمّة وعدم تقديرها للغتها، وما عليها إلاّ مراجعة نفسها حتى لا تضيع كما ضاعت كثير من شعوب هذه الأرض.

ـ ويرى فريق من الدارسين أنّ التهجين اللغوي ظاهرة طبيعية تنتاب جميع اللغات بسبب التدفق الحضاري والثقافي، ويلاحظ ذلك في هيمنة اللغة الإنجليزية وكذا اللغة الفرنسية في حديث أهل المغرب العربي، ويعود ذلك إلى روافد لا حصر لها أو كثيرة مثل التعليم والإعلام والمهن والسلع والثقافة وما إلى ذلك، وإن كان هذا الفريق لا يميز بين الاقتراض الذي يخضع إلى شروط وقواعد وسنن وبين التهجين الذي لا ضوابط له.

4 - قضية الأنجلزة والعربيسية والعرنسة والفرنسة

تتّفق الدراسات الاجتماعية اللسانية والإعلامية أنّ التهجين ظاهرة موجودة في كلّ اللغات وتتكلمه مجموعة من الشباب، وهو يختلف عن لغة الأمّ ويرتبط بالتكلّم والحديث أكثر ممّا يتعلّق بالكتابة أو المكتوب، ويختلف في بنيته اللسانية عن نظام لغتين أو ثلاث لغات، كما أنّه غير مفهوم من قبل أهل اللغتين.

فمثلا في Franglais[1] إذا كانت العبارة مفهومة من الفرنسي فالعكس ليس صحيحا للإنجليزي.

وإذا كنّا نتحدّث اليوم عن حرب النجوم وصراع الحضارات والثقافات، وكذلك عن صراع اللغات، ونعرف أن العمود الفقري لأي حرب هو المال، فهل يمكن أن نتحدّث أيضا عن كم ندفع للمواطن لينشر لغته؟ أو ليحافظ عليها؟ وكم ندفع له لكي لا يشهر للغات العالم على حساب لغته، وكم ندفع له أمام الشركات المتعدّدة الجنسيات التي

[1] - مصطلح يدلّ على إدخال الكلمات والجمل الفرنسية في اللغة الإنجليزية.

تغزونا بسلعها ومفردات لغتها وهجينها الذي يزعج؟

وهو الهجين الذي عدّه فريق من الباحثين ضرورات العولمة بل من أخطارها.

وهي ظاهرة لسانية ثقافية فرضت حضورها في كثير من النصوص الإشهارية والدعائية وكذا على مستوى الخطاب الشفوي.

ولعلّ من الأسباب الكامنة وراء انتشار اللغة الإنجليزية بخاصة على مواقع الشابكة هي اعتبارها أهمّ الأدوات المعتمدة في عصر العولمة،فالملاحظ هو أنّها أخذت حصة الأسد بنسبة 72% وتليها اللغة الألمانية بـ 7% والإسبانية بـ 3%، و20% من اللغات العالمية غير ممثّلة على الشابكة، وعدم التكافؤ بين اللغات يعكس عدم التوازي الذي تسعى العولمة إلى ترسيخه في العالم[1].

وتوضّح هيمنة اللغة الإجليزية في مناحي عديدة من الحياة التكنولجية والاصطلاحية والحياتية مدى اختراق العولمة للغات العالمية وبالتالي مجتمعاتها، وقد اشتكت كثير من لغات العالم ومنها تلك التي تعدّ

[1]- ينظر المصطفى عمراني،الترجمة بين الثقافة والعولمة، مجلة فكر ونقد
http://www.aljabriabed;net/fikrwanakd/91.100.htm

متطورة بل تنسب إلى نفسها الحيوية والتقدم مثل الفرنسية، ولعلّ الإشهار كان من بين الوسائل التي أدّت إلى ظهور هجين يعرف بالفرنجلة FRANGLAIS وظهر مثله في الكاميرون يطلق عليه CAMFRANGLAIS وفي الهند HINGLAIS.

والأمر في كلّ ذلك هو استعانة اللغة المعيّنة بمعجم ومن لغات أخرى في التعبير.

ولقد أصبحت هذه الظاهرة تثير اهتمام الدارسين وغيرة المنافحين والمدافعين على لغاتهم حتى أنهم وضعوا معايير للاقتراض الذي يمكن التسامح معه والذي لا يمكن أن يتجاوز 15% من معجم اللغة[1].

وليست اللغة العربية بمنأى عن هذا الخطر الداهم الذي يأكل الأخضر واليابس من اللغة حيث أصبحت هذه الظاهرة تكرس كل يوم وفي كل مكان وبكل الوسائط، ومن أمثلة ذلك التعبير (FLEXILY) (عبأ لي الهاتف النقال) الذي يجمع بين العربية والفرنسية. وكذلك (TIRILY EL BALLO) "ارمي لي الكرة" فالجملة متضمنة العربية والفرنسية فهي إن فهمها

[1] - Claude Hagege, Combat pour le français au nom des diversités des langues et des cultures.Odiles jacob.Paris ;France.

الجزائري فلا يفهمها كلّ عربي وكذا الفرنسي على الرغم من أنّ الجملة فيها من الفرنسية ما فيها. ففيها الصيغة الفعلية الأجنبية المتضمنة أدوات باللغة الأجنبية.

وقد نشأ في ضوء هذه الظاهرة مصطلحان أو ظاهرتان أصبحتا واضحتين وهما (العربيزية) أو (العرنسة) و(التفرنس) وهما تؤكدان الأزمة التي تمرّ بها اللغة العربية خاصة إذا أضفنا إلى ما سبق الخطأ في استعمال اللغة العربية في الخطاب اليومي وفي وسائل الإعلام المسموعة والمرئية وضعف مستوى الطلبة اللغوي وعزوفهم عن دراستها فضلا عن توجّههم نحو لغات أجنبية.

وعلى الرغم من أنّ الموضوع قديم في اللغات وتناولته أقلام كثيرة وربطته بالدخيل أو الاقتراض والتوليد إلاّ أنّه أخذ اتّساعا وانتشارا في الآونة الأخيرة وسار في طريق وسبيل منحرف فأصبح خطرا يهدّد اللغات ومنها. كما طفا على سطح الكتابات الصحفية والإعلامية وبخاصة في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين. ومع ذلك فما يزال الموضوع لم ينل حظّه من التفكير الجدّي والبحث

الميداني فهو يحتاج إلى التأنّي والموضوعية والدراسة اللسانية العميقة والاجتماعية والنفسية.

و(العربيزية) كلمة منحوتة من العربية والإنجليزية، و(العرنسة) من العربية والفرنسية، وكلتاهما تعني إدخال كلمات وجمل غير عربية في العربية، ولمّا كان صدر الكلمة يعود إلى (عرب) فالقصد هو إدخال ما هو أجنبي في اللغة العربية.

وترتبط الهجنة بالعدوى (contamination) التي تعني غزو مادّة أو مساحة أو مكان بأجسام صغيرة تسبّب أوراما أو فسادا، وبدخولها إلى الجسم الحيّ تتكاثر وتؤدّي إلى اضطرابات[1].

وتؤثّر العدوى في اللغة التي بدورها لها انعكاس على عقل الفرد وتفكيره، فتكون للهجين القدرة على اجتياح اللغة لتصبح في جميع مكوناتها وعناصرها تحت سلطة لغة أخرى أثناء التواصل سواء في أصواتها أ م مقاطعها أم مفرداتها وجملها.

زعج يدعو اليوم كلّ باحث في اللغة العربية بل كل متكلّم بها

---

[1] -Le Petit Robert ;T :1 ; p :376

ومتحدّث التفكير فيه بعمق وبجدّية فقد أصبحت ظاهرة تنبئ بالكارثة عليها وعلى الهوية والثقافة العربية.

فقد أصبحت اللغة المولدة من الهجين عدوّة للفصحى لأنّها المنتشرة وتحملها وتعزّزها سندات أو مقويات مثل الإعلانات والإعلام وسوء استعمال الفصحى في المدرسة الجامعة والمحيط وما إلى ذلك من المصائب على اللغة العربية السليمة.

كما أنّ تهميش اللغة العربية يولّد الازدراء للذات أو الأنا كما يجعل أهلها في أروبا مثلا يشعرون بأهميتها لأنّها تميّزهم عن غيرهم وتكسبهم الإحساس بشخصيتهم والحفاظ عليها، على الرغم من أنّهم لا يتكلّمونها جيّدا، وإلاّ كيف ينعت بالعربي وهو يكره بل يمقت ويزدري اللغة العربية بل كيف ينعت بالمسلم وهو من أشدّ الجاهلين للغة القرآن الكريم، وإنّ كثيرا ممّن ليست اللغة العربية لغتهم الأمّ ومع ذلك يحبّونها ويتمنّون تعلّمها لأنّها لغة القرآن.

5- عوامل المحافظة على اللغة العربية ومحاربة الخطر عليها أو الكارثة:

لقد ذكر بعض العلماء عوامل حين التمسك بها تسهم في المحافظة على اللغة

العربية من كارثة التهجين، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

أ- عوامل المحافظة

-الوعي بالهوية والأمن اللغوي: وهو عامل قوي بين الشعوب العربية ذات الحضارة الواحدة والتاريخ المشترك وكذا المستقبل، فهو يحافظ على انسجامها وأمنها اللغوي الذي يدفعها نحو التنمية والنهضة في صيرورة جامعة بين التراث والمعاصرة.

-الجانب الجغرافي:

إنّ المساحة الجغرافية الواسعة وتقاربها ووجود حدود وهمية بينها يجعل اللغة العربية في موضع قوّة، فدول كثيرة تتكلم لغة واحدة، وهي متجاورة ممّا يجعل هذا العامل مهمّا في حفظ اللغة العربية، والإنفاق عليها لخدمتها ميسّرا وغير مكلف حين توافر الإيمان بأهمّيتها في بناء الحضارة وتطوّرها.

-التماسك العائلي والترابط الديني:

إنّ المساحة الجغرافية تجمع أمّة مؤمنة بدين واحد هو الإسلام ولسانه عربي مبين، وقلّة من الأمّة التي لا تدين به ولكنّها تتكلّم العربية، ممّا يجعل هذا العامل محافظا على اللغة العربية.

ب- عوامل محاربة كارثة التهجين اللغوي

بالإضافة إلى المبادرات التي يقوم بها الأفراد والمجتمعات لتحافظ على لغة أجدادها، نلفي:

-المدرسة: التي لها دور كبير في تعلم وتعليم اللغة العربية للمحافظة عليها وخدمتها وترقيتها، وبخاصة إذا تم إعداد برامج من قبل مختصين وكذا ممن لهم غيرة على اللغة العربية ويتطلعون إلى تكوين طلاب يعتزون بلغتهم ويتحدّثون بها في المواقف المختلفة وبأجود الأساليب وأرقاها.

-ترسيم اللغة العربية والاعتراف بها: إنّ رسمية اللغة العربية في المجتمعات العربية لا يحتاج إلى دليل وبرهان ولكن إلى تعزيز مكانتها وتفعيل هذه المراسيم والقرارات وليس بالقانون فحسب ولكن بالشجاعة والموضوعية والحكمة والعلمية.

-إشراك المجتمع بكلّ فئاته وحثّ المتكلمين للمحافظة على لغتهم، إذ في موتها أو تأخرها موت لهم أو تأخر لهم أيضا. ولعلّ الندوات التي نظّمها المجلس الأعلى للغة العربية الخاصة بالعمل الجواري وإسهاماته في ترقية اللغة

العربية ما يعزّز أهمية ذلك في محاربة كارثة التهجين.

-دور اللغويين: فهم يقومون بدور كبير في محاربة ظاهرة التهجين التي تحلّ باللغات بصفة عامّة وتقضي عليها، ويكون ذلك على مستوى البحث اللساني وعلى مستوى النشاط بجانب المتكلّمين للغة المعيّنة، ويساعدونهم على الوعي بلغتهم الذين لا يأبهون بخطورة ما يصيب ويهدّد لغتهم[1].

6 – اقتراحات لحلّ التهجين في اللغة

يضاف إلى العنصر السابق الاقتراحات الآتية:

أ -تشجيع الطلاب على المطالعة منذ الصغر، والكتب المترجمة إلى اللغة العربية، وهذا "بتنمية روحها وتعميمها وهذا بتوفير الكتاب في الفضاءات المختلفة والملائمة، وتشجيع حركة الترجمة من الآداب العلمية لتزويد الطفل والمراهق بما يكفل له مادّة غزيرة من النصوص، وتعويدهم على حفظها وفهمها واستغلالها في التحرير والتعبير، فهي خير

[1]- Voir Claude Hagege,Halte à la mort des langues, Poches Odiles Jacob ;2002 ;Paris ;P :217-241.

ما يقوّم لسانه وما يجعل لغته بين الأصالة والحداثة[1] .

ب -جذب الأطفال إلى حبّ اللغة العربية من خلال التجارب المبتكرة التي تقوم بها الفضائيات المخصّصة لهم، وذلك بالإنشاد والغناء الراقي في مفرداته ولغته وموسيقاه وأدائه، وكذلك بالقصص والحكايات المشوّقة.

كما إنّنا بحاجة إلى الاهتمام بدراسة كيفية تنمية اللغة العربية لدى الأطفال لتكون وسيلة فاعلة في اكتسابهم المعرفة بإضافة حصص تلفزيونية بل بقنوات للأطفال حتى ينشأوا على معرفة لغتهم ومحبّتهم لها وتهذب لغتهم وفق الملكة الفطرية التي تكسبهم الاسترسال في الحديث والكتابة للتعبير عن أدقّ المشاعر والأفكار[2].

ج- تخلّي الإدارة عن مخاطبة المواطن العربي بغير لغته ونحسب أنّ هذا مطلبا طبيعيا لكلّ البشر مثل الحق في الحياة

---

[1] - ينظر،د.مختار نويوات،الصلة بين العربية الفصحى وعامياتها بالجزائر،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية سنة2002،ص:139

1- ينظر البروفيسور ياسر سليمان،مدير مركز الدراسات الشرق الأوسط أوسطية، وأستاذ الدراسات العربية،جامعة كامبردج، Http /www .n.a /alarab.com/qa/

فهو مطلب الأمريكي والصيني واليابانيّ، فلماذا لا يكون حق العربي أيضا في ذلك.

د- إنشاء لجان وهيئات تهتمّ بالمصطلحات ومراقبة السلوك اللغوي اليومي وبخاصة الهجين، وتكون لها الصلاحيات في تطبيق ومتابعة الاقتراحات للحلول للوضعية التي تنبئ بالخطر والأزمة مستقبلا.

هـ - المراقبة اللغوية للإعلانات الإذاعية والتلفزيونية والصحفية.

و - مراجعة واجهات المحلات التجارية والمؤسسات.

ز- إصدار قانون لا يجيز نشر إعلان بلغة هجينة أو عامية بل يفرض اللغة العربية الفصحى.

C

وفي الأخير إنّ التعامل مع المختلف والآخر2 والتعاطي مع فلسفته وثقافته لا يجيز الذوبان فيه مطلقا، واقتلاع الذات من الجذور انبهارا بما لديه من تفوّق تقني وعلمي.

ويقتضي المنطق الإفادة من خبراته وتجاربه مع التمسك بالهوية والاعتزاز باللغة العربية وإنزالها المنزلة السامية التي تليق بها، وهي لغة القرآن الكريم والعلم والتاريخ والحضارة والتواصل اليومي.

وإذا كانت هناك مبرّرات شتى للعزوف عن اللغة العربية لدى البعض فإنّ إجادتها والكتابة بها فرض عين على كلّ عربي، ولا يقتصر الأمر على الفكر والذكر والاختصاص فحسب، وليس المقصود هو إجادة تفاصيل ودقائق النحو والصرف والعروض والبلاغة

ولكن القصد هو كيف أتكلم لغة عربية سليمة وواضحة ومفهومة وبدون هجين.

وبعد كلّ ما سبق لا ريب في أنّ للإرادة السياسية دورا مهمّا في ترقية اللغة العربية ومحاربة التهجين أو التلوّث اللغوي الذي نراه أخطر من تلوّث البيئة لأنّ في فقدان اللغة العربية ضياع للعقيدة والحضارة والهوية والتاريخ.

المصادر

1 – ديوان أبي تمام

2 – مفدي زكريا، اللهب المقدس،201

3 – ابن جني، الخصائص،ج:1،ص:375

4 – ابن منظور، لسان العرب، مادة (هجن).

5 – Le Petit Robert ;T :1,P :947

6 – ابن منظور، لسان العرب، مادّة (هجن)

7 – Le Petit Robert,T :1,p :947

8 – ينظر المصطفى عمراني، الترجمة بين الثقافة والعولمة،

9 –Voir ;Claude hagége ;Combat pour le français au nom de la diversité des langues et des cultures ;odiles jacob.2006.Paris ;France.

10 – Le Petit Robert ;T :1 P :376

11- Claude Hagége ;halte à la mort des langues ;P :217-241

12 – ينظر د.نويوات مختار ،الصلة بين العربية الفصحى وعاميتها بالجزائر،ص:.139

13 – ينظ البروفيسور ياسر سليمان، مدير مركز الدراسات الشرق أوسطية وأستاذ الدراسات العربية، جامعة كامبردج. Http /www .n.a /alarab.com/qa/

بواعث التقعيد بين التأصيل والتجديد

أ / سعاد بسناسي - جامعة وهران.

Y

نثمِّن قبل البدء في المداخلة بالجهود المبذولة من قبل المجلس الأعلى للّغة العربيَّة، ونشيد بهذه التَّظاهرات العلميَّة التي يسهر على إنجاحها؛ لأنَّ المجلس الموقَّر أخذ على عاتقه مهمَّةً شاقَّةً ونبيلةً، تمثَّلت في الاهتمام بلغة الضَّاد من كلِّ الجوانب، واستخلاص كلّ ما يعترض سبيل رقيّها وتطوّرها، بكشف الأسباب، والعمل لإيجاد الحلول وتفعيلها في الواقع العملي للّغة. وكنت أتابع جهود المجلس الموقَّر من بعيد، وأهتمّ كثيرًا بالموضوعات التي يقترحها للمناقشة، من قبل مختصّين في اللّغة، ومهتمّين بها، وغيورين عليها، وكان معي الحظّ في الحصول على أعمال آخر ملتقى، مطبوعة ومجموعة في مؤلَّف هامّ، واختتم هذا الأخير الذي تمَّ نشره سنة 2008، بتوصيات راجعتها باهتمام، ومن أبرز التَّوصيات التي سجِّلت حينها، ضرورة معالجة

مشكل تهذيب اللّغة وتهجينها، ولأجل ذلك انعقد هذا الملتقى.

ومشاركتي تندرج ضمن آخر محور من محاور هذا الملتقى، والذي يبحث في إيجاد وسائل لتقريب لغة التَّخاطب الفصحى بالدَّارجة المتداولة في البيت والشَّارع، ولغة التَّعليم في المدرسة. ومنه اخترت لمداخلتي هذه، العنوان الآتي: (بواعث التَّقعيد بين التَّأصيل والتَّجديد) باعتبار أنَّ اللّغة العربيَّة مثلها مثل اللّغات الإنسانيَّة، تقوم على ضوابط وقواعد؛ فكيف السَّبيل لإعادة النَّظر في هذا التَّقعيد اللّغوي، محافظين على الأصل، لتقريب الفصحى من أطفالنا، مع ضرورة تجاوز الأصل للتَّجديد، بإزالة كلِّ هجين يمسّ صيغها وتراكيبها، ومنه نبحث عن بواعث التَّقعيد وأسبابه، ثمَّ فهم فكرة التَّأصيل وتصنيفها هل هي ثبات أم ضرورة تغيير، وكيف يتمُّ هذا التَّغيير، وأين يكمن التَّجديد وكيف. وللحدِّ من مشكلات التَّهجين، كيف نتعامل مع الدَّارجة، وما السَّبيل إلى تقريبها من الفصحى، وكيف يمكننا تغليب النِّظام العرفي في البيت، والشَّارع، والمحيط، بالنِّظام المدرسي، وهذا يندرج ضمن مشكل

تنازع التَّقعيد. وكلّ هذه الإشكالات تقودنا إلى التَّساؤل والاهتمام بالتَّهذيب اللّغوي، فنقول: ماذا نهذِّب، وكيف، ومتى، وما الطَّريقة النَّاجعة التي من خلالها نخلق تكافؤا وتكاملاً بين المدَّة الزَّمنيَّة للمتعلِّم التي يقضيها في بيته أو خارجه، وما يقضيه من وقت في المدرسة، وكيف ترسخ في ذهنه الفصحى على حساب الدَّارجة، وتكون وسيلة تواصله بالآخرين داخل المؤسَّسة التَّعليميَّة وخارجها.

ترتبط اللّغة ارتباطًا وثيقًا بتاريخِ وثقافةِ وتفكيرِ مجتمعاتها، وبما أنَّ المجتمعَ في تطوُّرٍ مستمرٍّ؛ فإنَّ اللّغة في تغيُّرٍ وتطوُّرٍ ملحوظين، مواكبةً لما يحدث من سلبيات تنعكس على مقوِّمات اللّغة وخزينتها، إهمالاً أو تهجينًا أو تغريبًا، ويمكن أن يكون هذا الانعكاس إيجابيًّا، إثراءً أو تهذيبًا أو تعريبًا. ورجوعًا إلى تاريخ تطوُّر العربيَّة، ومراحل اكتمال قواعدها، نطَّلع على ما هو ثريّ؛ باعتبار الأمكنة والأزمنة والأعلام وأعمالهم.

بواعث التقعيد والتهذيب

نشير إلى أنَّ عمليَّة التَّقعيد اللّغوي للعربيَّة، نتجت عن بواعث وأسباب ودواعٍ دينيَّة في بداية أمرها؛ وكان ذلك منذ القرن الأوَّل هجري مع أبي الأسود الدّؤلي، إلى الخليل وتلميذه سيبويه، وانطلاقة التَّقعيد اللّغوي كانت صوتيَّة، هدفها محاربة اللَّحن، وضبط اللّغة، ومراعاة النُّطق الصَّحيح؛ باعتباره مقياسًا لسلامة المعنى في المفردات، ووضوح الدّلالة في التَّراكيب.

ويمسّ التَّقعيد مختلف مستويات اللّغة ومجالاتها وموضوعاتها، بحيث يكون في المستوى الصَّوتي باعتباره أساس اللّغة والنّطق، وفي الإفراد، والتَّراكيب، ومختلف الأساليب البلاغيَّة، مع أنَّ القاعدة تكون قابلةً للحفاظ على الأصل، وقابلةً لتقبُّل الجديد؛ أي ربط القديم بالجديد.

لقد فرضت اللّغة العربيَّة وجودها عبر الأزمنة والأمكنة، وممَّا ساعدها على ذلك هو صياغة قواعد لغويَّة، تؤدِّي إلى تحقيق التَّواصل بين النَّاطقين بها، واجتمعت عوامل عدَّة لإنتاج هذه القواعد، منها الأسواق التِّجاريَّة التي كانت تقام قبل الإسلام، واللِّقاءات والمنافسات الأدبيَّة

والشِّعريَّة، التي كانت تراعى فيها مقاييس البلاغة والفصاحة عند العربي.

بعث على تفشِّي ظاهرة اللَّحن في العربيَّة، اختلاط العرب بغيرهم من الأمم التي دخلت الإسلام، واختلاط القبائل وتعدُّد لهجاتها، انعكس سلبًا على نطق العربيَّة نطقًا سليمًا، وعلى فهم المعاني والدّلالات التَّركيبيَّة فهما صحيحًا؛ لأنَّ العربيَّة أصابها خلل من حيث نطقُها، ممَّا انعكس سلبا على شكلها ومضمونها، بعوامل كالتَّسهيل في نطق بعض الأصوات، بتخفيفها نطقا كالحروف الحلقيَّة بعامَّة، والصَّوتيَّة بخاصَّة، أو بتغييرات صوتيَّة أخرى كالإمالة، أو القلب، أو الإبدال، أو إسقاط بعض الأصوات، وكلّ هذا وغيره من العوامل كانت سببًا في توحيد العرب والقبائل المسلمة، من خلال وضع قواعد لتأصيل اللّغة وتثبيتها على أسس علميَّة مقنعة ومعلَّلة.

كما حظيت اللّغة العربيَّة بمكانةٍ تاريخيَّةٍ مرموقةٍ رفيعةٍ، في مختلف الدِّراسات، باعتبارها لغة القرآن الكريم، كما نالت اهتمامًا محموداً، ومكانةً عاليةً راقيةً مرموقةً في نفس الباحث اللّغوي العربي،

الذي راح يدرسها دراسة معمَّقة في مختلف مستوياتها اللّغويَّة واللِّسانيَّة.

والعربيَّة كانت ومازالت، وسيلة التَّعبير والتَّبليغ والتَّواصل في موطنها الأصلي، وبها عبَّر النَّاطقون عن كلِّ أغراضهم في حياتهم اليوميَّة، وفيها انصهرت في شكل واحد بفعل التَّواصل والملتقيات التي كان من أهمِّها الحج والأسواق التي كانت تقام على طول العام في مختلف جهات الجزيرة، ومن أشهرها سوق عكاظ (التي كانت معرضا تجاريًّا عامّا، لكافة أحياء العرب في سائر مناطقهم، ومنتدًى اجتماعيًّا، حافلاً بكافَّة ألوان حياتهم، ومجتمعا لغويًّا وأدبيًّا. واهتدى العرب بواسطتها إلى تهذيب لغتهم لفظا وأسلوبا، وإلى جعل لغة الشِّعر والخطابة، لغةً واحدةً بين جميع القبائل)"[1]" فالتَّهذيب هو إصلاح، وتنقية الشَّيء حتَّى يصبح خالصًا، وحسنًا، وتهذيب الكلام تزيينه، وتحسين عباراته، وقد يدلّ مصطلح التَّهذيب على التَّلخيص في مواضع أخرى، بحذف ما يكون إضافيًّا في الكلام، وغير لازم لفهمه وتدبّره. ويقابله مصطلح

[1]- أسواق العرب، عرض أدبي تاريخي للأسواق الموسميَّة العامَّة عند العرب، عرفان محمّد حمّور، ص143، دار الشورى، بيروت، ط2، 1981م.

التَّهجين، والكلام الهجين هو ما كان معيبًا مرذولاً، وهو مستقبح، وهجَّن اللّغة أدخل إليها مفردات وأفكارًا من لغة أو لغات أخرى"[1]". ومن الواضح، أنَّ القاعدة هي أصل وأساس التَّعامل اللّغوي، في ضوء تقبّل ما هو مستحسن يخدم اللّغة، ورفض ما هو مستهجن يضرّ بها، ويتمّ كلّ ذلك بمراعاة الأصيل والاهتمام بالجديد.

ينبغي إعادة النَّظر في الأسباب الدَّاعية إلى التَّقعيد، والتي تخدم العمليَّة التَّعليميَّة؛ لأنَّ المتعلِّم عبر مختلف الأطوار الدِّراسيَّة، كثيرا ما يعزف عن استعمال الفصحى في مشاركاته أثناء مختلف المواد، ويقحم الدَّارجة؛ بل نجد البعض يستصعبون توظيفهم للفصحى، فيلجئون إلى اختزال واختصار أجوبتهم، أو الاكتفاء بالرَّد إيجابًا أو سلبًا، دون تقديم تعليلات مقنعة، وتبريرات علميَّة لما يقولونه، رغم وجود أفكار وفهم صحيح.

ويقودنا التَّوقّف عند مشكل الهجين عند أطفالنا، وتوظيفهم الدَّارجة بدلاً من

[1]-ينظر، معجم اللّغة العربيَّة المعاصرة، أحمد مختار عمر، ج 3، ص2338، وما بعدها بتصرف واختصار.

الفصحى، إلى ضرورة مراجعة قواعد اللّغة، والتَّعامل معها عن طريق التَّهذيب والتَّيسير المطلوبان للحدّ من انحدار الفصحى، وذلك بإيجاد حلول سريعة وكفيلة بتقريب الدَّارجة من الفصحى.

التأصيل ثباتٌ أم ضرورة تغيير

توجد في كلِّ لغة فكرة الأصل والفرع، والتَّقعيد هو تأصيل للّغة، ومنه ينبغي الحفاظ على أصول القواعد ومضامينها الرَّئيسة، مع محاولة تهذيبها بما يناسب مستوى المتعلِّم، بحسب مراحل التَّعليم المختلفة، فمن الممكن الاستغناء في المراحل التَّعليميَّة الأولى عن الكثير من اللَّواحق في الإعراب مثلاً، بدلاً من قولنا في إعراب (أخي) من جملة (جاء أخي) فاعل مرفوع وعلامة رفعه، الضمَّة المقدَّرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحلّ بحركة المناسبة...يقول المتعلِّم: فاعل مرفوع.

ويتمُّ تقديم المهارات اللّغويَّة والقدرات الإعرابيَّة الأخرى بالتَّدريج، إثراءً وتوسيعًا، وبذلك يعتاد الطِّفل على ما هو أصيل وثابت ومقعَّد، مع التَّخلّص ممَّا هو هجين ومستقبح من خلال الممارسات اللّغويَّة، داخل المؤسَّسة وخارجها. فالتَّأصيل ذخر

اللّغة وفخرها، لأنَّه دليل استقرارها وثباتها، ولا نقصد بالثَّبات والاستقرار الجمود؛ وإنَّما هو أصل لاستخلاص الفروع منه، المعبِّرة بدورها عن ازدهار اللّغة واستمراريتها؛ ولكن لا ينبغي التَّشدّد في تبنِّي الأصول والوقوف عندها، بل من الضَّروري الحفاظ عليها بما يخدم اللّغة، مع محاولة التَّغيير والتَّجديد؛ لأنَّ الاعتزاز بالقديم والوقوف عنده يُعدُّ ثباتًا وجمودًا وهمودًا.

التجديد أسبابه وأهدافه التعليميَّة

إنَّ علاج مشكل الدَّارجة والفصحى، من القضايا اللّغويَّة التي تستوجب الاهتمام بها، اهتمامًا عقليًّا وعمليًّا، ويكون العلاج بالتَّنقية والتَّحلية والتَّرقية، وعلى هذا النَّهج سار القرآن الكريم في معالجة الظَّاهرة اللّغويَّة (الثّنائية والازدواجيَّة) فالتَّنقية عبِّر عنها بقوله تعالى: (لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وقولوا انظرنَا)"[1]" والتَّحلية تعني تثبيت كلمات جديدة في اللِّسان العربي، كما في القرآن من مفردات (الصَّلاة، والصِّيام، والزَّكاة، والحجّ) أمَّا التَّرقية فهي الإبداع في التَّوظيف والتَّركيب

1- سورة البقرة، الآية 104.

إلى درجة الإعجاز، وهي السِّمة البارزة"[1] وتتحقَّق هذه الحلول بالتَّدريج لا دفعة واحدةً.

وينبغي الحديث عن المعلِّم، الذي توكل له مهمَّة تعليم اللّغة لأطفالنا في المدارس؛ بحيث نبحث عن المقاييس الأساسيَّة للقيام بهذه المهمَّة إن توافرت، وأهمَّها أن يكون مستوعبًا للفصحى والعاميَّة، وحقيقة كلّ منهما؛ باعتبار أنَّ سلبيات الأداء اللّغوي قد ترجع إلى عامل المدرسة، رغم ما شهدته من محاولات إصلاحيَّة عبر مختلف الأزمنة والأمكنة، وكانت شاملة لمختلف أطوار التَّعليم.

وقبل المعلِّم الذي يُعدُّ قدوةً لمتعلِّميه، نشير إلى دور أفراد الأسرة؛ لأنَّ الممارسة اللّغويَّة تبدأ منذ الطّفولة، حينما تداعب الأمّ طفلها بالحنان والخطاب الغنائي الحنون، والتَّدريبات الصَّوتيَّة المتتابعة، ثمَّ يشارك في ذلك أتراب الطّفولة والبيئة المحيطة، بما يتولَّد من الحوار والمداعبات؛ فالمدرسة والمجتمع بما فيها

1- الثّنائية اللّغويَّة للعربيَّة ومشكلة الفصحى والعامية وأثرها في تعلّم وتعليم العربيَّة، عمَّار ساسي، ص 68، مقال بمجلَّة اللّغة والاتِّصال، العدد الثَّالث، 1428هج.

من وسائل التَّعليم والثَّقافة" [1]" كلّ هذه العوامل تبعث على تجديد الرَّصيد اللّغوي، وتنميته من خلال الحفاظ على الأصل، وتقبُّل الجديد المهذَّب، ومن خلال ممارسة لغتنا ممارسةً عمليَّة فعليَّة، ورِعايتها، بالابتعاد عن اللَّحن، رجوعًا إلى القرآن الكريم، والحديث الشَّريف، وتطبيق الأداء اللّغوي الفصيح المهذَّب إرسالاً، واستقبالاً، وكتابةً، وتعليمًا، وتعاملاً.

كما أنَّ تعليم مختلف المهارات أصبح من الضَّروريات، كالمهارة اللّغويَّة بعامَّة والسَّمعيَّة بخاصَّة؛ لأنَّ المهارة اللّغويَّة هاجس إنسانيّ يلازم كلَّ أمَّة في ميادين البحث والعمل والتَّعبير، وتقتضي توليد الملكة اللِّسانيَّة، وتقويمها، ورعايتها بالتَّجدُّد والإغناء والكفاية؛ ليواكب المرء لغة قومه في الخطاب والفهم والعمل والإنتاج العلمي أو الأدبي"[2]" فالتَّجديد هدف كلّ التَّجارب اللّغويَّة، لاستمرار تجدُّد الحياة الاجتماعيَّة عبر الأزمنة والأمكنة.

1- المهارات اللّغويَّة، وعروبة اللِّسان، فخر الدِّين قباوة، ص 10، دار الفكر سوريَّة، دمشق، ط 1، 1999م.

2- نفسه، باختصار، وتصرّف، ص09.

والملكة المشار إليها، تحصل لدى المتعلِّم بعوامل كثيرة منها السَّماع المتكرِّر، والحفظ، والممارسة المستمرَّة، والاستعمال المتجدِّد. وبإمكاننا الاستغناء عن الكثير من الكلمات المعرَّبة، لوجود ما يقابلها في العربيَّة.

فعامل التَّجديد مطلوب وجوده في واقع لغويّ كهذا، لأنَّ التَّجديد موجود كلَّ وقت، وفي كلِّ مكان، فالطِّفل يجدِّد ويعيش مع الجديد في بيته ويستفيد من أفراد أسرته، ومن وسائل الإعلام الموجودة في البيت كالتِّلفاز، وكم يتأثَّر ببعض برامج الأطفال والمسابقات، فحبَّذا الإكثار منها في أوقات تواجده بالبيت، وأن تكون بالفصحى حتَّى يتعوَّد عليها، ونلحظ تأثّر أطفالنا بالفقرات الإعلانيَّة والإشهاريَّة، بحيث يحفظونها بسهولة، ويردِّدونها دومًا، ولكنَّها مصاغة بالدَّارجة، كما يجدِّد من خلال سماعه للمذياع وحتَّى المجلاَّت والجرائد في مراحل معيَّنة، والكمبيوتر. ويجدِّد ممَّا يحدث في حيِّه مع أقرانه ومن يفوقونه. ويجدِّد في المدرسة متأثِّرا بكلِّ من فيها بدءًا بمعلِّمه، إضافةً إلى ما يستخدم من وسائل توضيحيَّة ومساعدة للفهم سمعيَّة كانت

أو بصريَّة. ومع كلِّ هذا يجد الطِّفل نفسه بين واقعين نطقيين مختلفين، واقع البيت والشَّارع، و واقع المدرسة ونظامها؛ فكيف السَّبيل للتَّوفيق أو الفصل أو التَّوحيد أو التَّقريب ـ إن أمكن هذا أو بعضه ـ بين النِّظامين.

بين النّظام العرفي والمدرسي

يعيش الطِّفل في أمكنة مختلفة بحسب تقسيم واقعه اليومي، بين البيت والشَّارع والمدرسة، وما يقضيه في البيت من وقت أكبر ممَّا يقضيه في المدرسة، وكلّ وسط له تقعيد يميِّزه. في البيت تقعيد عرفي، وفي المدرسة تقعيد تنظيمي؛ ممَّا يفسِّر التَّنازع الموجود بين التَّقعيد العرفي والتَّنظيمي. وفي التَّنازع تنازلٌ، فإذا كان المعلِّم قويًّا، والبرنامج، والوسط المدرسي والوسائل التَّعليميَّة كانت كذلك، تنازلَ التَّقعيد العرفي المنزلي، للتَّنظيمي المدرسي، وإذا لوحظ ضعف الوسائل والبرامج المدرسيَّة، وضعف تطبيقها لضعف مطبِّقها؛ فإنَّ التَّنظيمي يترك مكانه ومجاله للعرفي، فتحلّ الدَّارجة محلّ الفصحى، وهذا يطرح مشكل التَّكافئ والتَّكامل.

التكافئ والتكامل

يقضي الطِّفل أغلب وقته في البيت، فكيف يمكننا تطعيم هذه المدَّة الزَّمنيَّة المدرسيَّة القليلة، بمادَّة ووسيلة ناجعة، وخلق جوٍّ مناسب لاحتوائها والحفاظ عليها أو على استمراريتها وتواصلها، وكيف نستطيع تهيئة جوّ المدرسة في البيت؛ بحيث ينسي التِّلميذ ما في البيت من عوامل تتسبَّب في تراجع خزينته العلميَّة اللّغويَّة التَّنظيميّة، التي خلقتها المدرسة بكلِّ أركانها، وبذلك يمكن لهذا القليل أن يتغلَّب على الكثير بجودته.

رجوعًا إلى الجانب النَّظري المفترض، هل يتغلَّب النِّظام على العرف أم العكس، نظريًّا نجيب بتغلّب المدرسة على البيت؛ لكن عمليًّا وتحقيقًا، نجد سيطرة البيت على المدرسة من حيث الزَّمان، والوسائل، والمراعاة.

ماذا نهذّب وكيف؟

يقتضي واقع اللّغة الفصحى، وانحدارها بسبب اكتساح الدَّارجة مختلف المجالات والوظائف والإدارات، التي لها انعكاساتها على لغة أطفالنا؛ لتأثّرهم وتقليدهم كلّ

ما حولهم من وقائع لغويَّة، وبدلاً من تهذيب اللّغة في المدرسة، ينبغي تكاتف الجهود لأجل تهذيب الدَّارجة؛ مع محاولة تسهيل البرامج، والتَّقليل من التَّقعيد، بتقريب التَّقعيد من الأغلبيَّة المتعلِّمة، بحيث لا تكون اللّغة كلّها قواعد، كالتّقليل من وصف حركات الإعراب في التَّعليم الأساسي؛ لأنَّه تكوين سطحي، وفي المرحلة الموالية الثَّانوية ننتقل ممَّا هو سطحي إلى العمق، باعتبارها مرحلةً انتقاليَّة، ونصل بذلك إلى العمق في الجامعة، مع أنَّ هذا غير موجود.

ويستخلص ممَّا سبق، أنَّ أطفالنا يتأثَّرون كثيرًا بما يحيط بهم، وبمن حولهم من حيث اللّغةُ والتّصرّفات والتَّفكير والمواقف؛ لذا ينبغي العمل على حماية لغتنا الفصحى من كلِّ هجين مستقبح، في كلِّ مكان بدءًا من البيت والأسرة والشَّارع إلى وسائل الإعلام التي لها دور هامّ في تنمية الملكة اللّغويَّة؛ لذلك من المفترض وجود مسؤولين واعين في البرمجة، وعيا عربيًّا فصيحًا، والعمل باعتماد تخطيطات عمليَّة واعدة ترقى بالفصحى، مع الاجتهاد في إعداد وبثِّ حصص وبرامج تلفزيونيَّة وإذاعيَّة، وحتَّى

كتابيَّة عبر الجرائد والمجلاَّت، لاختبار القدرات اللّغويَّة لأطفالنا، ومساعدتهم على تذليل كلّ ما هو صعب يعترض فهمهم أو نطقهم، والعناية بالإعلانات والإشهارات كتابة ونطقا فصيحين، كما نسعى إلى تكثيف ترجمة البرامج والأفلام باللّغات الأخرى إلى العربيَّة الفصحى؛ لأنَّ أطفالنا يتحمَّسون لقراءة ما يكتب أثناء التَّرجمة إلى العربيَّة، ونجدهم يسألون أحيانًا عن معاني الكثير من الكلمات.

كما تعمل المدرسة وكلّ ما يستقبل أطفالنا من مؤسَّسات تعليميَّة، على إبراز أهميَّة العربيَّة، ومكامن فصاحتها، وجمالياتها، وفنِّياتها التي تؤثِّر في الأنفس دون سابق إنذار، والتَّحفيز على المسابقات القرآنيَّة، وحفظ الأحاديث النَّبويَّة، وتنشيط الذَّاكرة بحفظ أشعار العرب وأمثالهم وحكمهم، وحثِّهم على المطالعة وإرشادهم إلى عيون المؤلَّفات المناسبة لأعمارهم ومستوياتهم، مع تشجيع المشاركة الشَّفويَّة بالفصحى إلى جانب الكتابيَّة، والعمل على خلق انسجام وتكامل بين المدرسة والبيت والشَّارع، والحرص على كفاءة المعلِّم وحسن توظيفه لهذه الكفاءة،

إضافةً إلى العمل بوعي لأجل تيسير المناهج والقواعد بمراعاة المادَّة والزَّمن المخصَّص لها.

التهجين اللغوي : أسبابه ومظاهره

أ/ عمر لحسن - جامعة عنابة

C

شرف الأمة في رقي لغتها ، ورقي اللغة في مسايرتها للعلوم والفنون، واتساعها لأن تخوض في بحث كل علم أو فن، وتشرح مسائله وإن بلغت في كثرتها وخوضها أقصى غاية . ولا مراء في أن اللغات الإنسانية عموما هي انعكاس لحضاراتها ، فهي « تواكب الحضارة في مسيرتها عبر القرون وتتلاءم وحاجات المتكلمين بها ، إذ أن صفات أي لغة من اللغات تظل مستمرة باستمرار أهلها بنفس نمط حياتهم وعاداتهم [...] وتظل مفردات اللغة التي خلفتها احتياجات الحياة خاضعة لتلك الحياة لتلبي رغباتها المتنوعة، والتي لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة نفسها » [1] ومن القضايا التي لا يختلف حولها اثنان أن الأمة العربية تواجه، اليوم، مشكلة حضارية تتمثل في تخلفها الكبير عن ركب الأمم المتقدمة، واكتفائها باستهلاك ما يردها من هذه الأمم،

وتعيش مشكلة لسانية اصطلاحية تعد تابعة للمشكلة الأولى. إننا نستطيع أن نجزم في هذا السياق أنه « إذا كانت مشكلة كل شعب هي - في جوهرها - مشكلة حضارته، فإنه لا يتأتى لأمة أن تواجه حاضرها الفكري والثقافي ما لم ترتفع بفهمها إلى حقيقة ماضيها الحضاري ، وتراثها الثقافي ، من أجل الوعي بالأسس والمقومات التي تقوم عليها الحضارات في المسيرة الإنسانية » [2] .

كانت اللغة العربية في العصر الجاهلي لغة بداوة ، تقتصر على التعبير عن مظاهر الحياة البسيطة التي كان يحياها الإنسان العربي، بعيدا عن كل مظاهر الحضارة والتمدن التي كان يعيشها جيرانهم من الفرس والروم، فكانت « لا تكاد تعبر إلا على العواطف، ولا تكاد تعنى إلا بخلجات النفوس، ولا تكاد تصف إلا خفقات القلوب، ثم تدرجت إلى المرتفعات الحضارية المادية التي كانت تنبت في بيئتها الاجتماعية، قليلا قليلا، فألفت لها أسماء، وأوجدت لها إطلاقات تسميها بها، فكانت اللغة الحضارية الأولى » [3] غير أنها بقيت في مستوى مادي، بعيدا عن التجريد العلمي، فكانت تستمد

هذه المسميات من البيئة الطبيعية المحيطة بها.

إذن، فلو نظرنا إلى « الخط البياني لمسيرة اللغة العربية فيما قبل الإسلام لوجدنا هذا الخط على مستوى أفقي ثابت لا يقفز صاعدا ولا يهبط منحدرا، وإنما يقوم على المحافظة على مستواه أمة عربية جاهلية شديدة الاعتزاز بتراثها والتسامي في طرق إبداع نصوصه شعرا أو خطابة أو سجع كهانة أو وصايا أسرية أو غير ، ذلك مما تتسع له الحياة البدوية » [4] وكان انبلاج صبح الإسلام بمثابة نقطة التحول الحاسمة، التي جعلت الخط البياني للغة العربية يتحرك صاعدا بتسارع مذهل، فانتقلت اللغة العربية من حالة سكون وجمود إلى حركية إبداعية في جميع المجالات الأدبية والفكرية والعلمية.

وكان أمام العرب في ذلك العصر تحديات لسانية متعددة الأوجه، من بينها:

1 - الحفاظ على اللغة العربية من اللحن والتشويه اللذين كانا يهددانها بسبب ضعف السليقة لدى أبنائها ودخول الأعاجم في

الإسلام ومخالطتهم العرب بالمجاورة والمصاهرة.

2 - استيعاب الفكر والعلم الوافدين من مختلف اللغات والحضارات كاليونانية والفارسية والهندية، ووضع الجهاز المصطلحي باللغة العربية المقابل للمصطلحات الأجنبية.

3 - استيعاب العلوم الجديدة التي استحدثها المسلمون من العرب والعجم باللغة العربية في شتى المجالات اللغوية والدينية والفيزيائية والطبية والرياضية والفلكية.

أما التحدي الأول، فكان من أوائل ما شغل بالهم، ، استجابة لقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [5] ، لأنهم رأوا في ذلك خطرا محدقا باللغة سيؤدي إلى ضياعها، وبالتالي ضياع النص القرآني .

فظهرت حركة لغوية حثيثة على أيدي علماء سخرهم الله لخدمة اللغة العربية والحفاظ على القرآن الكريم ، الذي اعتمدوه مصدرا أولا للتقعيد النحوي والصرفي والصوتي والبلاغي، فشهد العرب دراسات ذات مستوى علمي عالٍ

على أيدي علماء من أمثال الخليل ابن أحمد الفراهيدي، وسيبويه ، وابن جني ، وابن هشام، وابن مالك وغيرهم. وقد بلغ اهتمامهم بالنحو إلى حدّ جعلهم ينقسمون إلى مدارس، كالمدرسة البصرية ، والمدرسة الكوفية، والمدرسة البغدادية. بل إنهم وصلوا به إلى درجة عدها بعضهم من قبيل الترف العلمي ، من أمثال ابن خلدون ، الذي يرى أن النحو يجب أن يقتصر على القسط الذي يجعل المتعلم يحصّل الملكة اللسانية، لأنه وسيلة لا غاية ، حيث يقول : « فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار ، فإن ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته وإيضاحا لمعانيها المقصودة . وأما العلوم التي هي آلة لغيرها ، مثل العربية والمنطق وأمثالها ، فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط [...] فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال به لغوا ، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها »[6]

أما التحدي الثاني، فقد وفقت فيه العربية أيما توفيق، إذ لم نقرأ أو نسمع

عن اختلاف في ترجمة مصطلح في لغة ما إلى العربية، رغم ظهور حركة ترجمة متسارعة بدأت « مع بداية العصر العباسي ، فكانت من أعظم الأمور خطرا في مجرى التأثر والتأثير في تاريخ اللغة العربية» [7] .

غير أن هذه الحركة الترجمية لم تعرف أوجها إلا في عصر المأمون، الذي عرف الدور الإيجابي الذي يمكن أن تؤديه في نهضة الأمة وتقدمها، وذلك أنها كفيلة بخلق جو من تصادم الأفكار وتلاقحها، مما يدفع عجلة الإبداع والخلق في شتى المجالات إلى الأمام، « فلما صارت بغداد عاصمة لملك المأمون أنشأ بها بيت الحكمة وأناط به جهود الترجمة عن اليونانية مباشرة على أوسع نطاق ممكن » [8]. ومن أشهر المترجمين في ذلك العصر أبو زكريا يحي بن ماسويه، وحنين بن إسحاق العبادي [9] ، الذي كان مشرفا على بيت الحكمة، وأشهر مترجمي المؤلفات العلمية اليونانية إلى العربية، وابنه إسحاق ، وابن أخيه حبيش بن الحسن وتلميذه عيسى بن يحي بن إبراهيم...

وموازاة مع هذه الحركة الترجمية ، نشأت حركة تأليف عربية قام بها علماء عرب وأعاجم في شتى مجالات العلم والمعرفة ، من

أشهرهم الطبيب الرئيس ابن سينا ، والفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي وأبو نصر الفارابي، والطبيب ابن زهر ، والفيلسوف ابن رشد ، والغزالي ، وابن حزم ، وابن الهيثم ، والخوارزمي...

كانت نشأة الحياة الفكرية الإسلامية من ثمرات القرآن ودراسته واستنباط أحكامه، حتى كان ذلك خيرا وبركة على اللغة العربية ذاتها ، بالنظر إلى أن جل الدراسات اللسانية والبلاغية والفلسفية والكلامية والرياضية والطبية والفيزيائية التي ظهرت عند العرب حتى أصبحت قبلة لكل علماء العالم. فكانت قبلة للإسلام، أو تدعيما للغته العربية بصفة مباشرة ، من خلال دراسة اللغة نفسها ، أو بشكل غير مباشر، بإثراء اللغة العربية بالمصطلحات العلمية في مختلف المجالات العلمية والمعرفية، « فلا أحد من المنصفين وحتى غير المنصفين يمكن أن ينكر أن العربية استطاعت أن تستوعب الحضارات والثقافات الإنسانية، وكانت واسطة بين الثقافة الإغريقية القديمة والنهضة الأوربية الحديثة التي انطلقت من مدن بجاية ، وقرطبة، وفاس، والقاهرة ، ودمشق ، وبغداد ،

وسواها من مدن الأندلس ، وبلاد المغرب وبلاد المشرق، وذلك بأن نقحت تلك العلوم وأضافت إليها كثيرا من النظريات والتحويرات والتطويرات، قبل أن تتلقفه النهضة الأوربية فتدرسه، ثم تقيم عليه أسسه الكبرى » [10] .

وهكذا نلاحظ أن اللغة العربية عرفت على مرّ العصور تحديات كبيرة، تمثلت في ضرورة احتواء العلوم المستحدثة عند العرب والمترجمة عن الأمم، ووضع المصطلحات المناسبة لهذه العلوم ، وبخاصة في العصر العباسي ، الذي عرف نشاطا علميا حثيثا لم تشهد العربية مثيلا له من قبل. واستطاعت أن تواجه هذا التحدي بكل جدارة، إذ ظهرت في مقابل هذه الحركة العلمية، حركة لغوية اصطلاحية في شتى العلوم.

إن هذا العرض الموجز لتاريخ البحث العلمي واللساني العربي في عصوره الذهبية، لا يهدف إلى البكاء على الأطلال، بل « إن العودة إليه لاستكناه تاريخنا علّه يكون المهتدي للتفعيل في عصرنا كما فعّل أولونا » [11]. فآخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها، خاصة أن الظروف التي

تعيشها اللغة العربية في هذا العصر شبيهة بالتي عرفتها في بداية العصر الإسلامي

- ظاهرة التهجين اللغوي :

تواجه اللغة العربية اليوم، في كل أوطانها ظاهرة تكاد تعصف بها، إنه وضع لغوي لدى جيل بأكلمه، قد يستهجنه الآباء والأجداد، وقد يغفل البعض عن التعليق عليه، لكن لا شك أنه واقع بدأ يؤسس لدلالات خطيرة على المجتمع، أقلها ضياع الهوية، وأعلاها التنكر للذات الحضارية [12]. إنها ظاهرة التهجين أو التلوث اللغوي، الذي أصبح يشكل خطرا محدقا باللغة العربية، ذلك أن بعض العرب، خاصة من الطبقة الوسطى والمثقفين، يتعمدون التحدث أو الكتابة بلغة عربية هجينة وغريبة الأطوار، جزء منها عربي ومفاصلها أجنبية. ويستخدم بعضهم مصطلحات إنجليزية أو فرنسية، لها ما يقابلها بالعربية، يقومون بنثرها داخل نصّ عربي هزيل ورثّ، قد يكون مكتوبًا أو محكيًا. وبعضهم الآخر يضيف لكنة أجنبية للجزء العربي من هذا الخطاب المحكي والهجين. وتشكل هذا السلوك ظاهرة غريبة ، ولكن ليست جديدة. لقد كان شعار الجزائر

بعد الاستقلال " قسما بالنازلات الماحقات، والدماء الزاكيات الطاهرات"، أما الآن فأصبح شعارها: one, two, three, viva l'algérie، وهذا يبين الاتجاه الحقيقي الذي أصبح سائدا في المجال اللغوي. فعندما يرتبط الإنسان بلغة ما تصبح جزءا من حياته، لأنها تحدد الصحيفة التي يقرأها، وبرنامج التلفزة السياسي أو الثقافي الذي يتابعه، وربما الفيلم السينمائي أو الاستعراض الغنائي الذي ينسجم معه. ويدفعه ذلك شيئا فشيئا إلى تبني وجهة النظر التي تقدم بتلك اللغة، سواء في المجال الاجتماعي أم الاقتصادي، وقد تصبح اتجاها سياسيا يحمل خلفيات معادية لوطنه[13].

وتتم هذه الظاهرة بشكل واعٍ ومتعمّد من طريق المحاكاة، أو بشكل غير واعٍ وغير متعمّد. ويعتقد من يمارسها بأنها نوع من الرقيّ الحضاري، ويصبح في نظرهم من لا يمارسها غارقًا في غياهب التخلف. ويقوم البعض الآخر بعلميات تعريب بهلوانية وخاطئة، كقوله "بركت الكار"، (من park = يوقف السيارة، و car = سيارة) واستأجرت "أوفِس مكندش ومهيّت" (من office = مكتب، وair condition = تكييف وheat = تدفئة، أو

"شطط الشباك" (من shut = يغلق) في المشرق العربي.

ومن أمثلتها كذلك الشعار الذي أنجزته مؤسسة جيزي في الجزائر: عيش la vie، أو نصوص الأغاني التي أصبحنا نسمعها هذه الأيام ، كأغاني الراي الشبابية التي هي مزيج من كلمات عربية وكلمات أجنبية. وقد قرأت في إحدى المدن الجزائرية لافتة لم أرها في أي مكان ، تبرز حقيقة التهجين اللغوي في الجزائر، حيث كتبت بالفرنسية: Cafétéria، وكتبت ترجمتها أسفل الكلمة الفرنسية : مقهاتيريا (بدون تعليق). وتتصدر وسائل الإعلام والتلفزة والسينما هذه الظاهرة ، إذ كثيرا ما نقرأ كلمات أجنبية مكتوبة بحروف عربية ، في حين نجد مقابلا عربيا لها ، ككلمة مكساج (مزج)، ماكياج أو ماكيير (تجميل)، كوافير (حلاقة)، أس أم أس (رسالة قصيرة). كما نجد بعض المصطلحات في العلوم الاجتماعية كمصطلح سوسيولوجيا (علم الاجتماع)، أو في النقد كمصطلح السيميوطيقا (السيميائية)، أو اللانقويستيك (اللسانيات)، أو السيمانتيك (علم الدلالة)...

فالظاهرة التي نحن بصددها ليست ظاهرة إزاحة واستبدال اللغة العربية كما حدث في الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي. وهي أيضًا ليست ظاهرة استخدام بعض الأسماء الأجنبية للأجهزة الكهربائية. إنها عملية إزاحة العربية الفصحى، لغة القرآن والثقافة والعلم عن لغة التخاطب وإبعادها بشكل ملموس، لتحل محلها لغة هجينة، تكاد لا تمت إلى العربية بصلة. ولا تشمل هذه المجموعة من يستخدم، عند الضرورة، بعض أسماء ومصطلحات علمية أجنبية لا يوجد لها بديل أو مصطلح عربي مقابل.

على أن هذه الظاهرة ليست خاصة باللغة العربية، بل هي منتشرة في كافة المستعمرات السابقة والحالية في العالم الثالث. يقوم جزء من المستَعمَرين بتهجين خطابهم بمفردات ومصطلحات وتعابير بلغة المستعمِر. وقد لاحظ كويسي كوا براء، أستاذ علم الاجتماع في جامعة غانا، وجود هذه الظاهرة لدى بعض الغانيين، يقول: « ... ويرجع ذلك إلى وجود حالات من الناس يدَّعون، بعد غيابهم لسنتين أو لثلاثة في أوروبا، بأنهم لا يستطيعون التحدث بلغة الأمّ ... إن استخدام لغة غربية في أفريقيا أمر يرتقي

بصاحبه، بحيث إن الكثير من الأفارقة الذين يستخدمون لغة الأم، يحوّلون خطابهم وينثرون في لغتهم مفردات وتعابير إنجليزية أو فرنسية، لإظهار مستواهم الثقافي "الرفيع" »[14].

فرض المستعمِرون لغتهم وثقافتهم على المستعمَرين، وقاموا في الوقت ذاته بتهميش اللغة والثقافة المحلية. ولنأخذ مثالاً آخر من الفلبين ، والتي استعمرتها إسبانيا لمدة 313 سنة (1585 - 1898) والولايات المتحدة الأمريكية لمدة 57 عاما (1898-1946)[15]. خلال فترتي الاستعمارين، تم فرض لغة المستعمِر على مدارس الفلبين. ونتيجة لاستعمار الفلبين لمدة 370 سنة استطاع الاستعمار، خاصة الأمريكي، فرض لغته على الشعب الفلبيني. وتبرز اليوم ظاهرة تهجين الخطاب المحكي في لغة **التاجلوج**، إحدى اللغات الوطنية المهيمنة في الفلبين .

لقد حاولت فرنسا ، بكل ما أوتيت من قوة، أن تقضي نهائيا على اللغة العربية ، وفرض لغته على الشعب الجزائري ، معتمدا منهجا واضحا، تمثل في محاربة اللغة العربية وكل من حاول تعليمها أو تعليم

القرآن الكريم، وفي اتباعه سياسة التجهيل والتضليل والحرمان ، لكنه لم ينجح في ذلك لوطنية وجمعية العلماء المسلمين في مختلف جهات الوطن، وبفضل الزوايا التي عنيت بتحفيظ القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وأصول الدين. والجدير بالملاحظة في هذا الصدد، أن عددا كبيرا من الزوايا كان منتشرا في منطقة القبائل، التي تكون بذلك قد حافظت بقسط كبير في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية العربية المسلمة .(16)

- أسباب التهجين :

وما من شك أن لهذه الظاهرة، مجموعة من الأسباب والعوامل أدت إلى ظهورها، ثم إلى استفحالها في الوطن العربي عموما، وفي الجزائر على وجه الخصوص:

1 – العامل التاريخي:

معلوم أن معظم البلدان العربية تعرضت إلى استعمار من أحد البلدان الأوروبية ، وبخاصة فرنسا وإنجلترا، وقد أدى هذا العامل إلى تفشي الأمية والجهل في الأوساط الشعبية، وإلى شيوع لغة المستعمر الذي حاول أن يطمس معالم الشخصية الوطنية، من

لغة عربية ودين إسلامي، وأن يفرض لغته، إن بالإغراء، وإن بالقوة.

يقوم الاستعمار، بعد ترسيخ الهيمنة العسكرية، بهدم البنية الاقتصادية - الاجتماعية القائمة داخل المستعمَرة الجديدة، ويستخدم من أجل ذلك سياسة خسيسة قوامها النهب والقمع والبطش والعنف الاستعماري المتواصل. ويسيطر الاستعمار، خلال مرحلة حكمه، على اقتصاد المستعمرة ، فيحوّله إلى اقتصاد تابع وأسير ليخدم المصالح النهبوية الاستعمارية. ولا تظهر التبعية للمركز الاستعماري في الجانب الاقتصادي والسياسي فحسب، بل في جوانب أخرى، أهمّها الوعي الاجتماعي الذي يساهم الاستعمار في إعادة صياغته وتشكيله، بحيث يكرّس التبعيّة - من خلال الدونيّة - حتى بعد مرحلة تحرّر المستعمَرين سياسيًا.

يرتكز الوعي الاجتماعي الذي يتشكل داخل المستعمَرة على هيمنة ثقافة المستعمِرين ولغته على المستعمَرين. ويقوم المستعمِرون، في الوقت ذاته، بتبخيس الإنسان المستعمَر والحط من قيمته الإنسانية، كما ويقومون بتهميش اللغة المحلية، والموروث الثقافي

والتراثي المحلي للمستعمَرين. وبعد مدة تصبح لغة وثقافة المستعمِر هي اللغة المهيمنة في مدارس المستعمَرين ومناهجهم، كما وفي الإدارات الاستعمارية والقوانين، وتطغى لغة الاستعمار على أسماء الشوارع ، وأحياناً كثيرة على جغرافية المستعمَرة.

ويظهر من ذلك أن الرسالة الثنائية التي يودّ المستعمِرون إدخالها لوعي المستعمَرين هي أن لغة وثقافة المستعمِرين ، هي الأرقى حضاريًا، والأفضل والأكثر تطورًا؛ وأن ثقافة ولغة المستعمَرين تمتاز بالتخلف والانحطاط، والدونية والهامشية ، وعليهم الابتعاد عنها، وتبنّي لغة وثقافة المستعمِرين.

2 – العامل النفسي :

ويتمثل في الإحساس بالنقص والضعف الذي يعاني منه العربي تجاه اللغات الأجنبية. وهو الإحساس الذي سعى المستعمر إلى أن يغرسه في الإنسان العربي، ذلك أن الإحساس بالدونية يتملك الإنسان المستعمَر والمقهور، ويستحوذ على مشاعره وتفكيره ووعيه الاجتماعي. وتشكل نظرة الإعجاب الدفين بالمستعمِر وثقافته جزءًا مهمًا من هذه الدونية. وفي مرحلة ما، يتملكه إحساس

بسلبية هذه المشاعر والأفكار ، فيحاول إخفاءها وتغطيتها بتبنّي موقف متعالٍ على غيره من المقهورين، ويبحث عن نقاط التمايز والاختلاف عنهم، لا عن نقاط الالتقاء والتوحد والتضامن معهم [17].

3 – العامل الاجتماعي :

تغيرت البنية الاجتماعية للمجتمعات العربية، بحيث ظهرت طبقات مختلفة ، متوسطة و"راقية" ، بفعل نشوء رأسماليات طفيلية ، تملك جيوبا منتفخة وعقولا فارغة، على حد تعبير توفيق الحكيم، وهي فئات مترفة إلى حد السفه، استغلت ثغرات التنمية الوطنية والكفاءة المحدودة للقائمين عليها ، كما استفادت من الوضع الأمني الذي تعيشه هذه البلدان العربية . وهي طبقات جاهلة، تحاول أن تفرض الثقافة التي تتناسب مع مستواها الفكري، تتباهى بمعرفتها باللغات الأجنبية، ترسل أبناءها إلى المدارس والجامعات الأجنبية التي استوطنت في بلداننا، لأن ذلك يتناسب مع مستواهم الاجتماعي الراقي.

ومن جهة أخرى ، فإن الأسر العربية لا تقوم بدورها في الحفاظ على اللغة العربية السليمة على ألسنة أبنائها . فالكثير من

الآباء العرب أميون ، لا يعرفون سوى اللهجة المحلية ، أو لا يعرفون إلا لغة أجنبية ، ويجهلون العربية الفصحى . فلا نجدهم يخاطبون أبناءهم في المرحلة الأولى من حياتهم إلا بالعامية أو بإحدى اللغات الأجنبية .

4 – العامل التربوي التعليمي :

لقد ساهمت المنظومة التربوية في البلدان العربية في تفاقم ظاهرة التهجين اللغوي ، ذلك أنها لم تؤدِّ الدور الذي كان منوطا بها في الحفاظ على اللغة العربية وصفائها ، بتنمية القدرات اللغوية لدى المتعلمين . وقد ظهر هذا الدور السلبي في عدم تنمية المقروئية لدى التلاميذ في جميع المراحل التعليمية ، وبخاصة قراءة القصص والروايات التي من شأنها أن تنمي الملكة اللسانية . كما أن المدرسة قادرة على جعل التلميذ ينغمس في اللغة العربية ، باستعمال الفصحى في جميع الحصص الدراسية ، مهما كانت المادة المدرسة . غير أن ما لاحظناه هو غياب العربية الفصحى في جميع المستويات الدراسية ، إذ تسود العامية القاعات من الابتدائي إلى الجامعة ، كما يتغاضى الأساتذة عن الإشارة إلى الأخطاء

اللغوية التي يرتكبها التلاميذ والطلبة في الامتحانات ، ولا يحتسبونها في سلم التنقيط ، مما جعلها تستفحل على ألسنتهم . غير أن الوضع الذي نعده الأخطر هو المسعى الجديد الذي رسمته وزارة التربية الوطنية التي أمرت الأساتذة من الابتدائي إلى الثانوي باستعمال اللغة الفرنسية في تدريس بعض المواد كالرياضيات ، والعلوم ، والفيزياء ، بحجة أن العربية لا تصلح في هذه التخصصات.

- بعض الحلول والمقترحات:

وبعض تشخيص المشكل الذي تعاني منه اللغة العربية في بلدانها، نود فيما يلي أن نقترح بعض الحلول التي نراها مناسبة للحدّ من استفحال ظاهرة التهجين اللغوي، وربما القضاء عليها نهائيا ، لنعيد الاعتبار للغة العربية الفصحى في ديارها، ذلك أن اللغة عنصر رئيس من عناصر الهوية القومية :

1 - يحتاج الوضع إلى تدخل السلطة التنفيذية في البلدان العربية، لأنها وحدها الكفيلة بفرض القرارات التي تتخذ في جميع المستويات التشريعية والتنفيذية ، وخير مثال يضرب في هذا الصدد القرار الصارم الذي اتخذ في الجزائر ، بعدم تقديم أي وثيقة بلغة أجنبية إلى المحاكم، مما

اضطر أصحاب هذه الوثائق إلى ترجمتها إلى اللغة العربية . وقد أدى هذا القرار إلى تنشيط حركة الترجمة القانونية في الجزائر.

2 - يجب أن يصبح أمر اللغة العربية الفصحى الشغل الشاغل لكل من يتحدث بها، ويرى أحدهم أن الاهتمام باللغة العربية « ليس أمرا يحتكره رئيس أو وزير أو مؤسسة سيادية ، بل هو مهمة الجميع، لأنه مهمة الجميع، والمثقفون الوطنيون هم النخبة المنوط بها السهر على نقاء اللغة وانتشارها عبر التعامل اليومي، خصوصا عندما يكون بجانبهم قانون يدعم نشاطهم ويحمي حركتهم من كل اتجاهات التلوث اللغوي، وتكون وراءهم طبقة سياسية واعية بالمعنى الحقيقي لكلمتي الطبقة والوعي » (18).

3 - وضع سياسة لغوية واضحة وموحدة ، تحتل فيها اللغة العربية مكان الصدارة، سواء في المستوى السياسي ، أ م الاجتماعي، أم التعليمي التربوي ، دون إهمال تعليم اللغات الأجنبية باعتبارها نافذة على العالم.

4 - تشجيع البحث العلمي في اللغة العربية، على أن يكون بحثا جماعيا متعدد

الاختصاصات أو الجوانب. فالبحث التقليدي في العربية بحث فردي حِرَفي الوسائل، لذلك كانت نتائجه جزئية وغير فعالة. ويقترح عبد الرحمن الحاج صالح أن يتعاون على إنجاز البرنامج الواحد مؤسسات علمية تملك عددا كافيا من فرق البحث تشترك في تحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف [19].

5 - إنشاء قسم خاص لترجمة الكتب، وكذلك المقالات، والبحوث العلمية الصادرة في كل وقت على المستوى العالمي، في إطار منسق تتكفل بتنسيق العمل فيه هيئة عليا من العلماء. ولا بد من اختيار ما يحتاج إلى ترجمته على الفور ، بالاعتماد على مقاييس موضوعية ، وبتخطيط مناسب [20].

6- اعتماد اللغة العربية في شتى مجالات البحث العلمية والتكنولوجية، وهذا من شأنه أن يثري العربية بالمضامين العلمية سيرا على خطى ابن سينا وابن الهيثم والخوارزمي وغيرهم ، ويفحم من يرمونها بالعجز عن التعبير عن المضامين العلمية . فلا حياة للغة إلا بحياة أصحابها .

7 - تفعيل دور المجامع اللغوية في عملية الخلق اللغوي ، واعتماد المصطلحات العلمية في شتى التخصصات، دفعا للفوضى السائدة، وتوحيدا للمصطلحات، مما سيعود

بالفائدة على اللغة العربية، وعلى حضورها في المحافل العلمية والملتقيات والندوات.

8 - فرض رقابة لغوية على كل الملصقات واللافتات التي تعلق في الشوارع وأمام المحلات التجارية ، أسوة ببعض الدول الرائدة في هذا المجال، كالعراق [21].

9 - التخفيف من وطأة اللهجات واللغات الأجنبية التي تزاحم العربية، وإقناع الناس بأن الدفاع عنها دفاع عن الأمة كلها، ودفاع عن هويتها.

10 - تفعيل دور الأسرة في تعليم الأطفال اللغة العربية السليمة، سواء بحثهم على استعمال العربية في تعاملهم اليومي، أ م بتشجيعهم على مطالعة القصص، أ م مشاهدة برامج الأطفال التي تقدم على التلفزيون باللغة العربية، أو بتحفيظهم القرآن الكريم منذ سن مبكرة. كل ذلك سيجعل العربية الفصحى حاضرة على ألسنتهم وأسماعهم ، فيكتسبون ملكة لسانية سليمة.

C

إن التهجين اللغوي ليس ظاهرة خاصة باللغة العربية ، بل تميزت به كل لغات

البلدان التي تعرضت للاستعمار ، ولهذا السبب وجب على كل عربي أن يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى الحفاظ على لغته من التلوث والتهجين ، ذلك أن الحفاظ عليها يعني الحفاظ على هويته وعلى وجوده . فالعربية لغة القرآن ، وبقاؤها سليمة نقية يعني بقاء القرآن الكريم والدين الإسلامي في الصورة التي أرادها الله . وقديما قال علماء العرب إن تعلم اللغة فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، من باب أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، أليست هي لغة أهل الجنة ؟

الهوامش والإحالات :

1 - طيبة صالح الشذر ، ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 1998 ، ص 329 .

2 - سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، دار الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة 1986 ، ص 7.

3 - عبد الملك مرتاض ، الكلمة الافتتاحية لندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية " ، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ، 6 - 8 نوفمبر 2000 ، ص 9 .

4 - تمام حسان ، اللغة العربية بين العوربة والعولمة ، ندوة "مكانة اللغة العربية بين

اللغات العالمية " ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، 6 - 8 نوفمبر 2000 ، ص 174 .

5 - الحجر : 09

6 - ابن خلدون ، المقدمة، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 2، 1998 ، ص 493 .

7 - المرجع السابق ، ص 180 .

8 - المرجع نفسه ، ص 181 .

9 - انظر أخبار حنين بن إسحاق عند مريم سلامة كار، الترجمة في العصر العباسي، ترجمة نجيب غزاوي سلسلة دراسات أدبية عربية ، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1998 .

10 - عبد الملك مرتاض ، المرجع السابق ، ص 14 - 15 .

11 - صالح بلعيد ، تحديات اللغة العربية في الألفية الثالثة، ندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية "، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ، 6 - 8 نوفمبر 2000 ، ص .310

12 - عمر طاحون ، تشويه لغة الضاد على يد الأحفاد ، مجلة التراث والمجتمع ، مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني ، مدينة البيرة، فلسطين ، العدد (42) شتاء 2005 / 2006 .

13 - محيي الدين عميمور ، راهن اللغة العربية في أوطانها ، ندوة العربية الراهن والمأمول ، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009، ص 57 .

14 - Kwesi Kwaa Prah, "Education,Mother-Tongue Instruction, Christianity And Development of an African National Culture" (Cape Town: Centre for Advanced Studies of African Society) www.casas.co.za.

15 - Grolier Multimedia Electronic Encyclopedia (1996) USA, Grolier Incorporated.

16 - الهاشمي هجرس ، اللغة الوطنية عماد التنمية الشاملة ، ندوة العربية الراهن والمأمول ، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009، ص 148 .

17 - عمر طاحون ، تشويه لغة الضاد على يد الأحفاد ، ص 16 .

18 - محيي الدين عميمور ، راهن اللغة العربية في أوطانها ، ص 60 .

19 - عبد الرحمن الحاج صالح، إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي، ندوة العربية الراهن والمأمول، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009، ص 70

20 - المرجع نفسه ، ص 71 .

21 - محمد الينبعي ، اللغة العربية في أوطانها بين التحديات والآفاق ، ص 96 .

اللغــة والتهجين : تجـاذبات وتنــافرات

أ/ فيصل الأحمر- جامعة جيجل

حدود الظاهرة

التهجيم ظاهرة لا مهرب منها...فتطور

اللغة بقضي التهجين بالضرورة...الا أن انفتاح اللغة على ما جاورها أو ثاقفها أو عايشما – سواء سلميا أو بشكل غير سلمي- لا بد أن يكون خاضعا لضوابط شديدة الدقة والقائم على ذلك لا بد أن يكون الدولة نفسها لأننا لا نأمن على اللغة وهي بين يدي سلطة أقل شمولا من الدولة...

الغالب في الاعتبار هو كون التهجين اللغوي إقحام مفردات وتعابير من لغة أوروبية داخل الخطاب المحكي والمكتوب للغة من العالم الثالث ،وربط الظاهرة بالظرف الاستعماري وبصلات الهيمنة السوسيوسياسية والتي تتبعها بالضرورة صلات هيمنة ثقافي...إلا أن الأمر لا يقتصر على ذلك بل يتعدّاه إلى تهجين لغة أوروبية بلغة أوروبية أخرى. إذ يقوم مثلا بعض الكنديين من أصول فرنسية، في مقاطعة الكيبيك في كندا، حيث لغة الأم هي الفرنسية، بتهجين لغتهم الفرنسية بالانكليزية. هذا ما لاحظته الكاتبة اللبنانية جمانة حداد والتي كتبت مقالاً تناول هذا الموضوع أكدت فيه وجود هذه الظاهرة، ليس في كندا فقط بل أيضًا في فرنسا.

إلا أن الجدير بالملاحظة هو الانزلاق السريع والذي لا مهرب منه من دائرة الاعتبارات اللغوية صوب دائرة الاعتبارات الايديولوجية.

الأمر الذي يسيطر على الأذهان هو تأمل الدور الخفي حينا والظاهر أحيانا أخرى للعولمة في هذا المنظور الذي نحن بصدده...إذ تنزلق الهويات بسرعة ويجد مستعمل اللغة نقسه في إطار لم يفكر فيه من قبل سببه الرئيس هو عسر المعيشة مثلا - كما هي حال المغتربين -أو التوازنات الاقتصادية - كما هي حال من تشتتهم الحروب-...الخ

ولا يلبث الباحث القلق أن يطرح السؤال الجوهري:

هل يعني تنازل شعب ما عن لغته تنازلاً عن ثقافته ومكوّناتها بالضرورة؟

إن كان السؤال يثير جدلاً فكرياً في العالم، فإنه في أمتنا العربية والإسلامية أسهل جواباً وأقل جدلاً؛ إذ ان من المكوّنات الثقافية الأساسية لهذه الأمة: القرآن الكريم والسنّة النبوية المشرّفة ـ ناهيك عن تراثها الفكري الضخم ـ حيث يندمج فيها

الثقافي واللغوي ممثلاً باللغة العربية وعاءً وحضارة.

عندها يصبح الجواب بالإيجاب عن السؤال السابق أمراً منطقياً. بمعنى آخر، نعم ان تنازل شعوب أمتنا العربية والإسلامية عن لغتها العربية يعتبر تنازلاً ثقافياً في الصميم وهدماً لأهم أركان ودعائم هذه الأمة وهويتها واستقلالها ومن ثم سيادتها وعزّتها.

وقد علمنا إدوارد سعيد والمشتغلون على الحالة ما بعد الاستعمارية الحذر والحذر الشديد من الأبعاد الخفية للظواهر التي تواجه فيها الذات الآخر، لهذا ، فعند احتدام الصراع الثقافي تحتل مسألة اللغة ودورها مركز الصدارة فيه. لذا على العاملين في مشاريع نهوض الأمة إيلاء هذه القضية حجمها المناسب.

إن اللغة هي الوعاء الحاضن للهوية، وهي قنطرة الفكر والثقافة، وتتخذ حيّزاً مهمّاً في منظومة التواصل المتعدد الأقنية التي تربط المجتمعات البشرية في عصرنا الحالي. واللغة بأشكالها الإشارية والمنطوقة والمكتوبة تمثل الوسيلة الأقدم للتواصل

البشري. والإنسان يفكر من خلال اللغة، ولولا هذا الكائن لأضحى فكره إلى العماء أقرب وإلى الصم أدنى، والفكر لا ينتقل، أو هو لا يصبح معرفة قابلة للتداول إلا من خلال اللغة، الإنسان نطفة لغوية مخلّقة وغير مخلّقة، وإنه ليعيش في رحم اللغة حياته كلها، فتشكله ثم تلغيه، ثم تعيده من بعد خلق خلقاً آخر، ولقد ينقضي أجله فيها، ولما يكتمل كائنه الكلامي تماماً وكمالا، ولعلّ هذا ما يفسر سعيه الدائم لامتلاكها، واستحواذها والسيطرة عليها، واللغة التي يعيش في رحمها حياته المعلومة، تترجم فكره وسلوكه، طرق عيشه وأساليب حياته، نظم اجتماعه 1. فاللغة ميزة إنسانية يكتسبها الإنسان بشكل طبيعي. واللغة تتطور بتطور حركة المجتمع والثقافة فتصوغ مفاهيم جديدة، أو تطور دلالات ألفاظها، للتعبير عن علاقات أكثر تطورا، وهي بطبيعتها ووظائفها ذات صبغة اجتماعية تعطيها، من حيث هي وسيلة انتقالية، صفة الموضوعية، وهي من ناحية أخرى موضع انتقاء ذاتي وموضوعي بالنسبة للأفراد والآخرين الذين يحيطون بالفرد ينتقل الإنسان من اللغة الذاتية إلى اللغة

الانتقالية إلى اللغة الموضوعية 2

يقول الفيلسوف الألماني هيدجر: إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع 3، فاللغة التي تدل على هوية الفرد وتكشف عن ذاته

تجربتنا

لقد اعتمدنا في قراءتنا الميدانية استقراء قمنا به في مكان محدد هو 4 مجلات أو مواقع أدبية لنمط محدد هو جمهور القراء الذين يدونون تعليقاتهم على النصوص والدراسات و المحاورات التي يتم نشرها....و الدافع إلى هذا الجمهور بالتحديد هو بالدرجة الأولى التخصص الأدبي الذي نعمل في إطاره ،ثم الملمح المتعدد والمتحرر لهذا الجمهور،فقد لاحظنا أن 42 تعليقا من جملة 80 تعليقا تعاملنا معها كانت بأسماء مستعارة لا تكشف هوية المعلق أصلا ،من قبيل (أم البنين - صاحب الريشة - ابن البادية - محمد.م ـ عاشق الضاد - فتاة الريف - ابن الليل - الشريد - عوادي ع - رفيق المشاعر.....إلخ) وهو ملمح نحسب أنه يسمح لجمهور المادة الأدبية بالتعبير بشيء من الحرية ، وهو عنصر نصر

عليه في قراءتنا هذه لأن التهجين - حسب اعتقادنا - آلية غير شعورية و غير واعية يحاربها الأداء الواعي الشعوري ، خصوصا إذا تعلق الأمر بجمهور المادة الأدبية الذي من المسلم به كونه أكثر حساسية للغة العربية الفصحى، و كونه أقوى ارتباطا بالصحة والنقاوة.

وسنورد فيما يلي قائمة ببعض الاسعمالات ثم نحلل محتواها محاولين وضع اليد على منشأ الظاهرة من أجل التمكن من تصور يمكن من علاج الظاهرة. نشير فقط الى أن المواقع التي تعاملنا هي معها: أصوات الشمال- جهات الشعر - صفات الابداع - موقع أحمد الشهاوي "...Facebook على"

.....ومن الطريف أن الكلمة الأولى التي سنقف عندها هي:

فيسبوك - بلوغ - بلوغات - ويب سايت - يوتيوب ...انترنت...ويب...>>

لاأجب ما في النص من نزوع صوب الحداثة الآنية Modernism:

<<برافو ...شيء يجنن ...يعقد >>.

<<النص... نص يعني نصف أوتكست Text ....

<<.....توقيف أو إيقاف أنفاسي .....>>

<<هاي...! >> ـ 5 مرات ـ

<<...شورت شورت شورت ستوري ..القصرالقصيرة جدا كما عرفناها لدى زكريا تامر لكن أقصر منها ....قصة في سطر مثلا ...." الفلاش ستوري مثلا ..."

<<لماذا لاأجد الشعراء على الشات ؟...>>

<<...الجوانب التيماتيكية للنصوص ....>>

<...بمود Mood عالي>> والمقصود المزاج

<<...أتساءل عند عمقها السيميولوجي والسيميائي ....>>

<<.بلاك بيري .../موبايلي /.....سات /رسائل قصيرة SMS /إيميلات/.....إلخ

تحليل وتعميق

إن المتأمل جيدا للأمثلة التي أوردناها سيجد إشكاليات متعددة تتجاوز بكثير ما درجنا عليه من ربط التهجين بصورة مجتمع مستلب، أو طبقة وسطى وصولية وطبقة راقية مفتونة بالغرب وبأوروبا ... إننا إزاء

حالة وجودية، بمعطيات واقعية لا مهرب منها .... وإننا هنا نفهم جيدا سبب اختيارنا لهذه العينة التي يمكن عدها لأول وهلة غريبة وغير متوقعة إلا أنها عينة مؤشرة على واقع استثنائي، والمقصود مستعملو الأعلام الآلي والشبكة الذين هم – في الوقت نفسه– من المهتمين بسلامة اللغة ونقاوتها، إذ أن ما يحدث عموما هو أن مستعملي الإعلام الآلي والمبحرين على الشبكة هم جمهور غير مهتم على الإطلاق بنقاوة اللغة.

تسمح لنا هذه العينة باستخلاص هذه الملاحظات:

1) سيطرة طاقة الاستعمال على القدرات الأخرى، مع الاعتبارات المرتبطة بها، فكلمة "انترنت" لم تجد لها مقابلا في مستوى قوتها، فإذا ما تعددت ترجمات المصطلح ازدادت الفوضى، ومال المستعمل إلى العودة إلى الأصل بتعريبه بدلا من ترجمته لتجنب تشابه البقر.

2) واقع المشاكل الناتجة عن ضعف القواعد الاصطلاحية لدى المستعمل العربي، ويتضح لنا ذلك من خلال ما ورد مع كلمة حداثة/مودرنزم، فالمصطلح الغربي دال على المعاصرة التي هي مصطلح مستقل تماما عن

الحداثة... إلا أننا سنجد نقادا وأدباء من عصر النهضة ومن الرعيل الأول يستعملون لفظة "مودرنزم" للدلالة على الجدة والتحديث والدرجة المحدثة، لا على التموقع في العصر (توفيق الحكيم نموذج صارخ لهذا الاستعمال المتهافت).

3) عدم احتضان المؤسسة الرسمية للمصطلحات ونفض الغبار عنها يجعل تداخلا غير منتظر يظهر إلى السطح بقوة، وهذا ما نشعر به لدى المعلق المتوقف مع كلمة "نص"، التي تدل عندنا على القدسية مثلا (وفي الدراجة "النصف") في حين هي في الغرب مصطلح وصفي لا يحمل أي امتداد إيديولوجي.[4]

4) عدم وجود وعي كاف بخطر الظاهرة الذي بدأنا ورقتنا بالحديث عنه، ويتجلى في الخفة واللامبالاة التي ترد بها كلمات وألفاظ يومية ضمن التعليقات السابقة وهي ظاهرة تنتشر عند الشباب، وتنتمي إلى اللغة الإنجليزية عموما، وقد يكون اثر التلفزيون والسينما هنا قويا.

ويهمنا ضمن هذه الملاحظة أن تقف عند الطابع المجاني لهذه التعابير، وبسهولة تجاوزها أو حتى تجاهلها دون المساس بروح ما هو مكتوب.

خلاصات:

يعتقد بعض العرب أن اللغة العربية جامدة ولا تتوافق مع عصرنا، وأنها لا تملك مقومات التطور بل تعيش في أزمة معينة. ويعارض الكاتب العربي فريد الأنصاري هذه الآراء ويعتقد أن: ...اللغة العربية شأنها شأن باقي اللغات؛ ليست هامدة ولا جامدة، بل هي متطورة متحركة، على الرغم مما يظهر أنها تعيش في أزمة، وأنها تسير بخطىً بطيئة. فإذا كانت تعبّر عن ثقافة وقيم متكلميها، وتصف سلوكهم وفكرهم فإن الأزمة في الحقيقة ليست فيها، وإنما هي فيهم، والبطء ليس صفة لها وإنما صفة لهم

ويعتقد عرب آخرون أن العديد من المفردات الأعجمية دخلت اللغة العربية، وأن أسماء عدد من الأدوات التكنولوجية والكهربائية دخلت العربية قبل تعريبها وأن هذا الأمر يعكس ضعفها كأداة تعبير لغوي. وأكد عالم اللغة العربية الياس عطا الله أن "اللغات الحيّة، والعربية أطولها عمرًا وأغناها، تتقارض، تعير وتستعير "... وإثباتاً على ذلك، تعتبر اللغة العربية لغة غنية بمفرداتها وتعابيرها ومصطلحاتها ولذلك أخذت عنها الإسبانية 8,000 كلمة و

2,300 اسم مكان. كما وتشكل العربية 57% من لغة البوشتو، و 42% من الأوردو، و 30% من الفارسية. كما وتأثرت كثيرًا لغة السواحيلي الإفريقية باللغة العربية فاستعارت منها الكثير من مفرداتها وتعابيرها. أما اللغة الوطنية لجزيرة مالطه، والتي تكتب بالأحرف اللاتينية، فتعتبر إحدى لهجات اللغة العربية ومصدرها شمال افريقية . واستعارت لغة البيمبا الكثير من مفرداتها وتعابيرها من اللغة العربية، وهي لغة مستخدمة في زامبيا وجنوب جمهورية الكونغو الديمقراطية وجنوب تنزانيا. وتأثرت بالعربية لغات أوروبية أخرى منها الانكليزية والالمانية اللتان استعارتا العديد من المفردات والأسماء العربية. وتصف المستشرقة الالمانية زيغريد هونكة، في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب"، قيمة هذه الاستعارات داخل اللغة الألمانية فتقول:

أجل، إن في لغتنا كلمات عربية عديدة، وإننا لندين - والتاريخ شاهد على ذلك - في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب. وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زيّنت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس، والقت

أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان يومًا من الأيام قاتمًا كالحًا باهتاً، وزركشته بالتوابل الطيبة بالعبير العابق، وأحيانا باللون الساحر، وزادته صحة وجمالاً وأناقة وروعة[6].

ليس فخرًا أن نجهل لغتنا العربية، فهي لغة الأم التي نولد ونعيش معها، وهي لغة الهُوية الوطنية والانتماء الوطني، ويستطيع من يتقنها التعبير عن كافة افكاره ومشاعره. وهي لغة متطورة ومواكبة للعصر الذي نحياه، وتعطينا الأدوات الضرورية لتطويرها أكثر من الداخل، "... من خلال الاشتقاق والنحت والتجوز والتوليد والتعريب "... مع ذلك، تواجهنا بعض العقبات والمشاكل في تدريس بعض العلوم باللغة العربية. وفي هذا الصدد، كتب محيي الدين صابر ما يلي عن صعوبات تدريس أحد هذه العلوم : فنحن اليوم نجد صعوبة في تدريس بعض العلوم كالطب باللغة العربية، في الجامعات العربية، لماذا؟ لأن الطب بالنسبة إلى منطقتنا أصبح وطنه اللغة الانكليزية، وفي بلاد أخرى اللغة الفرنسية، أو الروسية، والذين قرأوا التاريخ الحضاري يعرفون، أن كثيراً من العلوم وفي

مقدمتها الطب، كانت تعتبر علماً عربياً، وظلت كتب الطب العربية، تدرس في الجامعات الأوروبية، قبل أن تعجم لغته ...

ويمكن تخطي هذه العقبة سيما وأن.. الطب بدأت دراسته في العشرينيات من القرن الماضي في كلية الطب بالقصر العيني في مصر باللغة العربية، فترة تقرب من ستين عاماً، حتى احتل الانكليز مصر، في الثمانينات من ذلك القرن، فتحولت دراسة الطب من العربية إلى الانكليزية...

وعليه يتوجب علينا كعرب تطوير لغتنا وخطابنا المحكي وذلك من خلال الممارسة. وتشكل قراءة النصوص العربية، الجيدة لا الركيكة، جزءًا من عملية التطور اللغوي للإنسان العربي، وهذا يتطلب قراءة الكتب وعدم العزوف عن القراءة، وعدم الاكتفاء بقراءة الصحف العربية، والشريط الإخباري للفضائيات. واعلموا أيها العرب أن لا بديل للكتاب.

إحالات:

1/ .منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، ط1، 1998، ص65

2/بسام بركة: اللغوي، الذاتي، الجسدي، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع49-53، 1988، ص22

3/ أحمد درويش: إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية، تطوير اللغة العربية، نهضة مصر للطباعة، ط 1، 2006، ص18

4/ محمد مفتاح: المفاهيم معالم ، المركز الثقافي العربي المغرب ، 1998 ، ص.17

5/ - التهجين اللغوي للخطاب العربي /د. زهير الصباغ

نشرت هذه الدراسة في مجلة التراث والمجتمع، العدد (42) شتاء 2006/2005

والتي تصدر عن مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني

6/ زيغريد هونكه (2000) **شمس العرب تسطع على الغرب،** الطبعة التاسعة (بيروت: دار صادر ودار الافاق الجديدة) ص 17-20

مداخلات الورشة

استثمار وتهذيب الرصيد اللغوي للطفل في المدرسة الجزائرية :
"تهذيب وتفصيح لغة الطفل في المدرسة"

أ/ جيلالي بن يشو - جامعة مستغانم

C

تعدّ مرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان وأكثرها خطورة لأنها فترة تكوينية تتشكل فيها جميع خصائص شخصية الفرد، وتحدد فيها أبعاد سلوكه ودوافعه التي تلازمه طوال حياته المقبلة.

اهتم الباحثون بدراسة مظاهر سلوك الطفل لمعرفة أوجه النمو المختلفة، ومن بين الجوانب التي تمت دراستها: النمو اللغوي، الذي يعدّ أحد المظاهر الأساسية التي يعتمد عليها في دراسة نموه، ذلك أنّ اللغة تعد جوهر العمليات العقلية، ومن أعقد مظاهر النمو التي يكتسبها الطفل، و تأتي أهمية دراسة هذا المظهر من حياته من كونه يولد وهو عاجز عن الاتصال بالآخرين إلاّ عن طريق اللغة، التي تعد وسيلة الاتصال المتبادل بين جماعة من الناس ويمكن التعبير بها.

لعلّ من أكبر الظواهر التي يعاني منها الطفل الجزائري في مسيرته التعليمية ما يسميه علماء اللغة بالازدواجية اللغوية " Diglossie" [1] ، وهي حالة لسانية مستقرة نسبياً نجد فيها مستويين للكلام من نفس اللغة (كالعامية والفصحى) وهي وجود مستويَين للغة الواحدة: أحداهما مستوى اللغة الفصيحة أو المشتركة الذي يُستخدَم في المناسبات الرسمية والكتابة والأدب والتعليم والإدارة، والآخر مستوى اللغة العامية أو اللهجات الدارجة الذي يُستعمل في الحياة اليومية وفي المحادثات في المنزل والشارع.

عرفت اللغة العربية في جميع مراحل تطورها هذه الظاهرة التي أصبحت وسيلة في حياة الفرد الذي عادة ما يضطر للتواصل في

---

[1]- أوّل من بحث في هذه الظاهرة اللغوية في العصر الحديث اللغوي الأمريكي" **تشارلز فرغيسون**" charles ferguson ونشر بحثه عنها عام 1959 في مجلّة اللغة الأمريكية وعرّفها بقوله: " وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة التي قد تشتمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليمية متعددة لغة تختلف عنها، وهي مقنّنة بشكل متقن إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا في قواعد اللهجات، وهذه اللغة بمثابة نوع راق، يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم، سواء أكان هذا الأدب= =ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعة حضارية أخرى، ويتمّ تعلّم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية، ولكن لا يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية".

الترجمة مقتبسة من كتاب علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، مكتبة بيروت، ناشرون، الطبعة الثالثة، 2004، ص: 40.

محيطه بلغة غير اللغة العربية الفصيحة التي يتعلم بها، مما يجعله يبذل جهدا كبيرا من أجل اكتساب لغة المعرفة هذا بالإضافة إلى بذل جهد آخر من أجل تحصيل باقي المعارف و العلوم باللغة العربية.

إنّ ظاهرة الازدواجية فيما يتعلق بالفصحى و اللهجات العامية هي من بين المسائل المطروحة في محيط اللغة العربية، ذلك أنّ وجود مستويين لغويين لأمة واحدة مشكلة صعبة ومعقدة، وفيها من عوائق التحصيل ما تبقى العربية معه في مستوى أضعف، و ليس من شك أن هذه المشكلة من أبعد القضايا غورا و أعنفها أثرا لأنّها تجعل الناطقين يَحْيَون ويَشْعُرونَ و يَتَعَامَلُونَ و يَتَوَاصَلُونَ بِلُغَةٍ مَرِنَةٍ يَوْمِيَةٍ نَامِيَةٍ، فينساقون بكل عفوية إلى استعمال العامية التي اعتادوا عليها وارتاحوا إلى توظيفها في سائر حياتهم، و في مخاطباتهم و معاملاتهم و يتحلون بلغة التأليف و التدوين و هي الفصحى [1]

الطفل وظاهرة الازدواجية اللغوية:

1- ينظر: دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها، د.أنطوان صيّاح، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1955، ص: 7

أظهرت لنا معطيات الواقع اللغوي في الجزائر أننا أمام نظامين لغويين متمايزين هما نظام اللغة العربية الفصحى، ونظام اللغة العامية، الذي يكتسب فيه التلميذ وسيلة الاتصال بشكل عفوي وتلقائي عن طريق الاحتكاك بأفراد عائلته ليشيع استعمالها في المحيط الاجتماعي، وأثناء التعلم يحدث تداخل بين هذين المستويين، ويكون التأثير للمستوى الأكثر استعمالا.

وما من شك أنّ الطفل عند دخوله المدرسة يكون قد اكتسب من وسطه العائلي الاجتماعي لغة تمكنه من التفاعل والتواصل، وقد أُثِيرَت تساؤلات عدة حول طبيعة اللغة المكتسبة وحول نسبتها إل لغة المدرسة، فالطفل الجزائري ينشأ في وسط متعدد، ومُعَّقد لغوِياً، و في كنفه يتطور اجتماعيا ولغويا نتيجة تفاعله مع اللغات الموجودة فيه[1]، فهو يأتي إلى المدرسة وذخيرته من المفردات والتعبير مستمد معظمها من العامية، فهي أداته في التفكير و التواصل، و تظل اللهجة العامية هي السائدة في المدرسة بين الأطفال بعضهم مع

1- اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، حفيظة تازروتي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص: 40.

بعض و بينهم و بين معلميهم في كثير من الحالات، إنّه يفكر ويتكلّم و يغنّي ويتخاطب بلغة محكية سلسة، سيّالة تتميز بفقدان الإعراب، وبمرونة في التركيب وسهولة في التعبير ولا تتطلب منه جهدا، و لكن في المدرسة عليه أن يتلبس شخصية لغوية ثانية فيتكلم لغة معربة شديدة الإحكام في التركيب والتعبير.

قد نتصور انعكاسات ظاهرة الازدواجية على مسيرة الطفل التعليمية كالتالي:

الحالة الأولى : لهذه الازدواجية انعكاسات كثيرة على المكتسبات اللغوية في الفصحى والعامية خاصة، وعلى التنمية الاجتماعية بصورة عامّة، وتتجلّى الحالة الأولى في قلّة استفادة الطفل من مكتسباته اللغوية السابقة، فهو في هذه المرحلة يتعلّم ما يعرض عليه بسرعة كبيرة، لو يجد مجالا خارج المدرسة لتوظيف ما تعلّمه أو ما يسمّيه بعض الدارسين المحدثين الحمام اللغوي الفصيح[1]، حيث أصبحت هذه الظاهرة تؤلف مشكلة لغوية و تربوية كبرى في مؤسسات التعليم في مراحلها كافة، خاصة لدى الطفل

1- الازدواجية العربية وأثرها على انتشار الفصحى أو العربية المشتركة، د. طاهر ميلة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الطبعة الأولى، 1429ه- 2008م، ص: 185.

في سُنّي حياته التعليمية الأولى، فيجد صعوبة في التوفيق بين نمطين متقاربين من التعبير أحدهما عامي يألفه في الاستعمال و الأخر فصيح يَتَلَقن مبادئه على مقاعد الدراسة [1]، مما يؤثر سلبا على اكتساب الطفل للغة العربية الفصيحة، ويؤدي إلى اضطراب لغوي لديه.

الحالة الثانية : إنّ العادات اللغوية العامية التي اكتسبها التلميذ في مرحلة ما قبل التمدرس و أثناءه تؤثر على ما يعرض عليه في المدرسة من بُنى لغوية فصيحة وتشكل عراقيل أمام عمله الاكتسابي كما تترك أثارا في لغته ينتج عنها تَصَدُّعَات لغوية وأخطاء في مستوى الأصوات والتراكيب:

" إنّ مصدرا من مصادر قصور طلابنا في التعبير باللغة العربية الفصحى تلك الغربة اللغوية العجيبة بين لغة يتكلّمها التلميذ في البيت و في الشارع، و لغة يكتب بها واجباته المدرسية ويستمع فيها إلى محاضراته، و يقدم بها امتحاناته، فالعربي في جميع أنحاء العالم العربي يقرأ و يكتب و يؤلف بلغة و يتحادث

1 - ينظر: مشاكل الناشئة مع اللغة العربية وتصورات حلول لها، د. عاطف جميل، ص: 89، مجلّة المنطق ، العدد 78/79، ذو القعدة، ذو الحجّة 1411ه

ويغني و يروي النكات ويتشاجر ويداعب أطفاله بلغة ثانية" [1].

إنّ هذه العادات اللغوية تؤثر في شخصية الطفل، وفي طرائق تفكيره وأساليب تعبيره.

الحالة الثالثة: إنّ وجود أكثر من لغة في محيط الطفل سوف يؤثر بالتأكيد على الطفل الذي لديه استعداد لحدوث الاضطراب اللغوي، ومن واقع خبرتنا العملية لاحظنا أن هناك أطفالا تأخروا في اكتساب اللغة أو اكتسبوا اللغة بشكل غير سليم فقط بسبب وجود أكثر من لغة داخل البيت، أو أن تكون اللغة المستخدمة في الحضانة (أو الروضة) التي التحق بها الطفل تختلف عن اللغة المستخدمة في البيت، ذلك أنّ النظام التعليمي في المدرسة الجزائرية يشدّد على عمليات اكتساب اللغة في المدرسة الابتدائية حيث أنه وبالإضافة إلى الكفاءة في اللغة الأم بجميع أشكالها (القراءة، الكتابة، التعبير، النحو، القواعد، والأدب وغيرها) فإن النظام التعليمي يعتبر إتقان العربية الفصيحة وسيلة لتحصيل الموضوعات

1- الرؤية المعاصرة في اللغة العربية الفصحى، د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب.ت، ص: 124.

الأخرى. ويُعّد فهم المقروء للغة العربية شرطا ضروريا للنجاح في التعلم في المدرسة والاستعداد لخوض غمار الحياة اليومية واكتساب هذه المهارة يستقر في موقع القلب في أي نظام تعليمي حديث وعليه فإن الإتقان الضعيف للغة الفصيحة يؤدي إلى انخفاض التحصيل في فهم المقروء.

وفي سؤال حول ما إذا كانت اللغة العربية تساعد التلميذ على التعبير بدقة ووضوح، إنْ كان التلاميذ لا يستعملون الفصحى في حياتهم العلمية، فكانت الإجابة أنّ نسبة كبير من المدرسين تعتقد أنّ تدريس اللغة العربية لا يعين الطلبة على التعبير بدقة و وضوح لسببين أساسين:

- لأنّه يهمل لغة التلميذ.
- لأنّ ممارسة التلميذ الشفهية للغة الفصحى ليست كفيلة لتأدية تلك الوظيفة، بمعنى أنّ هناك شعورا عاما بما للواقع اللغوي من أثار سلبية في تدريس التعبير الشفهي[1].

1- ينظر: مشكلات تدريس اللغة العربية في مرحلة الدراسة الثانوية، إعداد صالح جواد الطعمة، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ص: 29.

الحالة الرابعة: تختلف اللهجة العامية اختلافا تامًا عن اللغة الفصيحة في بنيتها ونحوها ، وطريقة التعبير بها ، وهذه اللغة لا تكون مكتوبة أبدا لكنها تستخدم للاتصال اليومي وبالتالي، فإن الطفل وعند دخوله المدرسة يصادف تكلّمات أخرى إضافة إلى اللغة الفصيحة، وهذا يخلق مصدرًا للصعوبات الأولى في اكتساب القراءة ومهارات الكتابة وتطوير فهم المقروء خلال سنوات المدرسة المبكرة وبالإضافة إلى صعوبات التعليم في رياض الأطفال والصفوف الابتدائية، فإن ازدواجية اللغة تؤثر في شخصية المتعلّم وفي طرائق تفكيره وأساليب التعبير ونماذج السلوك والمعايير الاجتماعية والإبداعية الفنية والأدبية.

كما أنّ وجود أكثر من لغة في محيط الطفل سوف يؤثر سلبا على تطور واكتساب اللغة وذلك تبعا لوجود اختلاف بين الأنظمة اللغوية المستخدمة في كل لغة مثل مبنى الجملة والقواعد الفونولوجية وغير ذلك من المظاهر اللغوية، وهذا الاختلاف يتسبب في حدوث خلط بين اللغتين عنده، وبالتالي فقدانه القدرة على اكتساب اللغة.

لقد بيّنت البحوث الميدانية في المدارس أن الطفل و هو داخل جدران القسم أثناء تخاطبه مع معلمه يستعمل الفصحى، و إن لم تُتَح له ملكاته ذلك، أما خارج المدرسة و مع أفراد أسرته و أصدقائه أثناء اللعب فيتحرر من هذا المستوى ويستعمل مستوى أخر أقل معيارية[1].

كما دلّت التحريات الميدانية في المدارس و انطلاقا من وضعيات مختلفة داخل المدرسة أن الأطفال يتأرجحون بين ثلاثة مستويات لغوية، ففي حالة وجودهم داخل القسم وهم يتفاعلون مع معلّمهم أو شخص أخر كالمدير أو المفتش... يحاولون جاهدين استعمال اللغة المعيارية، وإن لم تؤهلهم ملكاتهم لذلك، وفي حالة مخاطبتهم بعضهم البعض أثناء مختلف النشاطات الثقافية داخل القسم أيضا فإنّهم يتحررون من المخطط المعياري، ويتكلمون لغة تسيطر عليها لغة المُتَمرِسينَ الشفهية التي يميزها النحو البسيط وسقوط الحركات وإقحام المفردات العامية، أما أثناء لعبهم في الفناء فإنّ

1- L'enfant algérien et l'apprentissage de la langue arabe à l'école fondamentale essai d'analyse des compétences narratives et textuelles de l'enfant algérien entre cinq et neuf ans ; thèse du doctorat, Chérifa ghetas, université sthandal, Grenoble, Paris 1995 , p : 62.

سلوكا تهم اللغوية تسيطر عليها ملكة تتأرجح بين الاستعمال الأقل معيارية و العربية التي يتحدثها المتمدرسون [1].

وُجّهت أسئلة إلى المدرسين تتناول أوجه مختلفة لمشكلة التفاوت الواضح بين لغة الكلام الطبيعي أو الاعتيادي "العامية" و لغة الكتابة و القراءة و الإلقاء "الفصحى" بغية تحديد مدى فهم هؤلاء المدرسين لطبيعة المشكلة وأثرها في تدريس اللغة العربية وموقفهم منها واستعمالهم الواعي أو غير الواعي لكل من الفصحى والعامية باعتبار أنّ التدريس عملية تواصل لغوية مدبرة مقصودة هادفة متعددة الاتجاهات و المراحل والمهارات يديرها المعلمون و يوفرون فيها كافة الخبرات لكي يُحنّك بها المتعلّمون و ينخرطون فيها متفاعلين معها، ليَسْتَقُوا منها آثارا خبرية عقلا ووجدانا ومهارة فتنمو شخصياتهم في شمول وتكامل و توازن [2].

1- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

2- ينظر: الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، د. حسني عبد الباري عصر، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2000، ص: 7.

وقد رأى أغلب هؤلاء المدرسين أنّ واقع تدريس اللغة العربية في مدارسنا يعن ى في أحسن أحواله بمهارات القراءة ومهارات الكتابة، ويكاد يقتصر عليها، ويدع مهارات الاستماع ومهارات الكلام يمارسها التلاميذ بصورة عفوية من غير تدريب مقصود عليها ويأتي هذا النقص من سببين رئيسيين هما:

- من فرط الاعتماد على الكتاب المدرسي والوقوف عند نصوصه، ذلك أنّ السياسات اللغوية للدول العربية تجعل لغة الكتاب العربية الفصيحة لغة غريبة نادرة الاستعمال يصعب استيعابها فلا يُقبل التلاميذ على المطالعة، وأدى ذلك، إضافة إلى أسباب أخرى كانتشار الأمية، إلى انخفاض نسبة القراءة وانحسار المعرفة في المجتمعات العربية.

- ضعف الالتفاف إلى الخبرات الشخصية المتنوعة المتوافرة لدى التلاميذ، ومن النقص في إدراك ما ينطوي عليه الاستماع والكلام من عناصر تتطلب عمليات عقلية مثل الانتباه والإدراك الحي ونطق الحروف من مخارجها الصحيحة واستشعار الثقة بالنفس

لممارسة الطلاقة في الكلام من دون خجل أو تردد.

إنّ الطرق التربوية الحديثة تميز بين أنواع المهارات وتولي أهمية لكل نوع منها سعيا لجعل الطفل فاعلا نشيطا في كل منها يمارس مهماتها بحيوية و يحسن استخدام حواسه و مداركه ويوفق بين الحركات الموائمة لها ويصلها بخبراته الواقعية. فإذا كانت مهارات الاستماع ومهارات القراءة تمارس فيها مهمات التلقي وإدراك اللغة منطوقة أو مكتوبة وفهم معاني عباراتها فإنّ مهارات الكلام و مهارات الكتابة تمارس فيها مهمات التعبير لفظا وتدوينا للعبارات[1].

وجميع هذه المهارات تعتمد على أعضاء الحس وأعضاء الحركة على تعددها ويبرز فيها السمع والبصر وأوتار النطق في الحلق وحركات اللسان كعناصر أساسية لعملية التواصل اللغوي لدى الطفل، فالنوعان الأولان (الاستماع و القراءة) للتلقي و التسليم، و النوعان الآخران (الكلام و الكتابة) للتبليغ و الإفهام.

---

[1]- العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي، عبد العزيز البسّام، ص: 46.اللغة العربية والوعي القومي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية.

لقد أظهرت الدراسات و البحوث الميدانية التي أجريت في مجال أهمية وسائل الاتصال ومدى تأثيرها في عملية التعليم، أنّ الإنسان يتعلّم و نتيجة دراسة بنسبة **83** بالمائة من خلال حاسة البصر مما يسمعه، و **11** بالمائة من خلال حاسة السمع، ويتذكر **20** بالمائة مما يسمع، و **50** بالمائة مما يسمعه و يراه[1].

وهكذا يحرم الأطفال في المرحلة الأولى في تعليم اللغة والتواصل بها من التدريب على المهارات المختلفة ومن الاعتماد على رصد الخبرات الشخصية المتوافرة لديهم.

نحو تهذيب وتفصيح لغة الطفل في المدرسة الجزائرية:

ترمي التربية اللغوية في المرحلة الابتدائية إلى تنمية المهارات الأساسية عند التلميذ مثل: الاستماع والتكلم والقراءة والكتابة، بحيث يتمكن التلميذ من الإصغاء للآخرين وفهم ما يقولونه ثمّ التعبير عمّا يُريد بلغة مفهومة وكذلك أن يتقن القراءة بأنواعها المختلفة (الصامتة، الجهرية، قراءة الاستماع) ويكتب ما يريد بلغة سليمة ومعبرة.

---

[1]- المرجع السابق، ص: 86.

إن الازدواجية التي يصطدم بها الطفل في مجتمعه في جنوحه إلى الخطأ الإملائي بفعل خلطه ما يستعمله من صيغ تعبيرية عامية في حياته العلمية و بين ما يقابله من تعابير تؤدي معناها في اللغة الفصحى، و الأطفال ميالون إلى اعتبار العامية نموذجا يقارنون به نطقا و كتابة كل اللغات الطارئة عليهم بما فيها العربية الفصحى[1].

لا شك أنّ قدرة الطفل و هو ينمو على تعلم لغة مجتمعه و نشأته على التفكير والتعبير والتواصل بها مع الآخرين، و تبادل الخبرات بواسطتها، إنما هي الأساس لأنماط سلوكه التواصلي داخل مجتمعه، فالأساس هو النطق الصحيح لكثير من الشؤون و بخاصة شؤون تعليم العربية الفصحى التي تخضع لقوانين نطقية دقيقة تحكم الكلام المنطوق دون المكتوب، و هي قضية تتطلب من مُؤَلِفِي المناهج الوقوف عندها والتركيز عليها، فعدم إدراج المسائل الصوتية في مواضيع دراسية مستقلة بذاتها في المناهج

[1]- ينظر: قضايا لغوية في ضوء الألسنية، عبد الفتاح الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1978، ص: 73.

التعليمية اللغوية في المدرسة الجزائرية يفتح مجالا لتفشي ظاهرة الخطأ اللغوي في الكتابة الإملائية وذلك بسبب عدم تدريب المتعلمين على التقدير الجيد لمخارج الحروف و صفاتها في الكلام مما يقودهم حتما إلى الخلط بين الأصوات المتقاربة في المخرج و الصفة لاسيما عندما تتجاوز فيما بينها في اللفظ أو الجملة مما ينعكس سلبا على الرسم الإملائي الصحيح، فاضطراب اللغة الشفوية لدى الطفل تؤدي إلى بزُوز أعراض مشوهة للكتابة بين الحروف المتشابهة شكلاً وقراءة، و البطء في الكتابة و التوقف عند كل حرف من حروف الكلمة في الكتابة و الخربشة... كل ذلك يحدث في غياب الممارسة اللغوية للسان العربي في الخطاب اليومي المعيشي و تعويض الكلام الدارج.

قد نتصور جملة من التدابير والحلول يجب أن تلازم الطفل خلال مرحلته التعليمية منها:

1- يجب تدريب المتعلمين على النظام المنطوق الفصيح عبر السماع والمحاكاة والتدريب، وتوعيتهم بدور الممارسة الفعلية للخطاب الفصيح في الحديث اليومي والذي يمكن من خلاله اكتساب قواعد النطق

السليم، لأن إتقان العربية لم يعد يتوقف على حفظ قواعدها، بل على ممارستها واستعمالها بشكل مستمر.فعلى كلّ مدرّس ألّا يقبل خطأً في اللغة أو لحنا في النطق أو ركاكة في التعبير، بل يعمل على إصلاح كلّ خطا وتقويم كلّ لسان، وتهذيب كل عبارة ركيكة، ولن يستطيع المدرّس أداء هذه الرسالة إلاّ إذا عرف اللغة العربية ح ق المعرفة مهما تكن المادة التي يقوم بتدريسها [1] علما أنّ الطرق التربوية الحديثة تُرَكّز على الطرق السمعية البصرية لأنها تؤسس على الفن اللغوي الأول و هو الاستماع.

2- من المعروف أنّ لغتنا العربية لغة صوتية بالأساس، ومن ثمّ فان نطقها يمثل صعوبة بسبب السياق الإعرابي للكلمات، فما الحلّ فيما يتعلق بلغة الطفل؟

يكمن الحلّ في تشكيل كتابة الأطفال، وهذا له الأثر الأكبر في تقويم لسان الطفل وبيانه، وتربيته لغويا، وبعد ذلك سيجد الطفل أنّ علوم النحو والصرف ما هي إلاّ

1 - لغة العرب وكيف ننهض بها، محمد عطية الأبرا شي، دار الكتاب العربي، مصر، ص: 32،33.

تطبيق لهذا النطق الصحيح الذي نعلّمه من خلال الضبط بالشكل، وإذا كانت هناك بعض الاستثناءات كالتنوين أو غيره فان ذلك يتم التدريب عليه من دروس التهجي والإملاء خلال السنوات التعليمية الأولى، وهذا هو الطريق أمام تنمية الحصيلة اللغوية للأطفال، ودونها سوف تتعطّل قدراتهم اللغوية.

كما ترمي التربية اللغوية إلى تطوير الاستعداد لدى التلميذ لتطوير قاموسه اللغوي وتنمية ميوله لقراءة الكتب والصحف والمجلات، فالقراءة في حياة الطفل لا بدّ أن تبدأ من البيت، ومنذ السنوات الأولى، ولا بدّ أن نحبب الكتاب إليه من خلال تشجيعه على امتلاكه وشرائه واختياره، وتربية العادات القرائية الصحيحة لديه.

كما يجب أن تحتوي مكتبة الأسرة على ركن الأطفال، وأن يقوم الطفل بالمحاولات التدريبية في تنسيق وترتيب هذا الركن حتىّ نغرس فيه غريزة حب التملك لديه وكذلك الاستماع إلى البرامج المذاعة ومشاهدة برامج التلفزيون بصورة فاعلة وقراءة الترجمات إن وجدت وغير ذلك.

3- إنّ تعليم اللغة العربية يعتبر هدفا بحدّ ذاته واكتساب اللغة العربية والإلمام بها لاحقًا هما الأمران الأهم بالنسبة للطفل، حيث أن اللغة هي الأداة التي يتم بواسطتها تعلم المواضيع التعليمية الأخرى في المدرسة والنجاح بها، وبدون تحديد فهم المهارات باللغة العربية (المحادثة والتعبير والاستماع والقراءة) وبدون هذه الأداة (اللغة الأم) سيجد التلاميذ صعوبة في فهم الموضوعات الأخرى وتحقيق درجات عالية من التحصيل فيها، ولن يتأتى ذلك إلا بإعداد المعلّم الجيد باعتباره الركن الأساسي في أيّة محاولة جادّة وشاملة لتجديد الأنظمة التربوية وتجديد الأداء فيها، وتحسين كفايتها فـ:" المدرّس المعدّ إعدادا جيّدا، والقويّ في مادته، والمتّسم بالسمات التربوية في تعامله مع ناشئيه، والمحبّ للقراءة، والمشجع عليها يعدّ مثلا حيّا وقدوة صالحة يقتدى بها الناشئة في محبّة القراءة، والمدرّس المتفهم أهداف لقراءة، والمحضّر لدروسه والمخطط لها يسهم في تحقيق الأهداف المرسومة للقراءة تزويدا بالثروة اللفظية، وفهما للمعاني والفكر

وإكسابا للاتجاهات والقيم، وتنمية للحاسة الجمالية ونقدا للمقروء وتفاعلا معه"[1].

إنّ التلاميذ الذين يقعون دون مستوى التحصيل والضعاف في موضوعات أخرى هم الذين يكونون في الغالب ضعافا في لغتهم الأم ويعانون صعوبة في معرفة الكلمات وفهم المقروء في التعبير الشفهي والكتابي...

إن العمليات التفاعلية لدى التلميذ مثل: التطور اللغوي والطلاقة في القراءات والتمكن من مستويات الفهم والكتابة وحذق الاستماع والتكلم لا تكتسب من خلال المادة التي يتم تدريسها في المدرسة فقط ولا تقتصر على حدود غرفة الصف وحسب، بل تعتمد على مدى الانكشاف والتعرض اليومي المباشر خارج إطار المدرسة، فالالتقاء مع البصمة البيئية (الخارجية) التي تعزز اللغة من شأنه أن يحقق الأهداف من وراء التربية اللغوية ويؤدي إلى التعلم منها مثلها مثل المدرسة .

1- تعلم اللغة بين الواقع والطموح، د. محمود السيّد، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، ص: 160.

4- يشدّد النظام التعليمي في المدارس العربية على عمليات اكتساب اللغة في المدرسة الابتدائية حيث أنه وبالإضافة إلى الكفاءة في اللغة الأم بجميع أشكالها القراءة، الكتابة، التعبير، النحو، القواعد، والأدب وغيرها) فإن النظام التعليمي يعتبر إتقان اللغة الأم وسيلة لتحصيل الموضوعات الأخرى. ويُعّد فهم المقروء للغة الأم (العربية) شرطا ضروريا للنجاح في التعلم في المدرسة والاستعداد لخوض غمار الحياة اليومية واكتساب هذه المهارة يستقر في موقع القلب في أي نظام تعليمي حديث وعليه فإن الإتقان الضعيف للغة الأم الفصيحة يؤدي إلى انخفاض التحصيل في فهم المقروء.

على الرغم من أن الأطفال يصلون إلى المدرسة وهم يحملون معهم العامية فإن هذا المستوى اللغوي يشتمل مع ذلك على العديد من الكلمات المتطابقة أو المتصلة تماما ببعضها البعض، والمطلوب من المدرسة أن تعزز اللغة الفصيحة وتشجيع التلاميذ على استخدامها كتابة وشفاهة للتعبير عن أنفسهم، وهي مسؤولية جميع أفراد هيئة التدريس بم ن فيهم مُدرّسُو اللغة العربية فـــ" عندما يَعْمد مُدَرّسُو جميع المواد إلى

التحدث باللغة الفصحى، والشرح بها، وعندما ينشرون في أجواء المدرسة المناشط اللغوية من صحف، ومجلّات، وتمثيليات، وقصص باللغة الفصحى، وعندما يقيمون الندوات، واللقاءات، والمنافسات الأدبية بالفصحى، فان ذلك كلّه يشكل عاملا مساعدا في النهوض باللغة، أمّا إذا كان العكس فانّ مشكلة تدني المستوى تكون واقعة لا محالة"[1]، فعلى المشتغلين باللغة الفصحى والعامية أن يتفهموا هذه الازدواجية، و أن يعملوا على توجيهها، و يحسنوا استثمار الزخم الموجود فيها إغناء للفصحى ليس إلاّ.

وتبقى المسؤولية ملقاة على عاتقي مدرسي اللغة العربية في تقبل هذا الواقع، والعمل على فهمه واستيعابه وتسخيره في خدمة فهم طلابنا عربيتنا الجميلة وإتقانها، ذلك أنه لا يمكن من الناحية البيداغوجية أن نعلّم أطفالنا الفصحى دون أن نراعي المتاع اللغوي الذي يجيئوننا به إلى المدرسة و قد اعتبر اللساني الطيب البكوش المعلّم الذي يعلّم تلميذه لغة بدون اعتبار المادة اللغوية الأولى – أي اللهجة – التي يحملها كمثل المهندس يبني جسرا

1- في قضايا اللغة التربوية، د. محمود السيّد، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، ص: 20.

على نهر بدون دراسة طبيعة الأرض فما دراسة اللهجات العربية إذن ووصف هياكلها الصوتية والصرفية والتركيبة و المعجمية وصفا ألسنيا إلاّ مرحلة تعيننا عن طريق المقارنة والمكافحة على تحسين طرق تدريس اللغات الأخرى من عربية فصحى وغيرها التي نريد تعليمها لتلاميذنا[1].

ينبغي أن نؤكد في أوّل الأمر أنّ الاستفادة من المخزون اللغوي الذي اكتسبه الطفل من بيئته لا تعني أبدا النزول بالفصحى إلى مستوى العامية، و لكنها على العكس من ذلك تعني محاولة الصعود التركيبي بالمتعلم من لغة الكلام إلى لغة الكتابة، و هو صعود لابد أن يترك أثره على الصعود بلغة الكلام ذاتها شيئا والاقتراب باللهجات إلى مستوى الفصحى، و من أجل هذا فإن المحاولة ينبغي أن تتم على أساس علمي فنحترس من الدخيل على مستوى المفردات والتراكيب، فالعالمون بلغتنا يعلمون أنّ هناك آلاف الألفاظ التي يستخدمها الطفل بصورة عامية، وهي فصيحة أصيلة، وهنالك كلمات قليلة لها وظيفة أساسية في

1- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيّب البكوش، ط2، 1978، ص: 12.

الاستخدام اللغوي، ولا يمكن الاستغناء عليها، ويجب أن تستخدم في ثوبها الفصيح.

5- إنّ الاهتمام بلغة الطفل اهتمام بمستقبل الأمّة كلّها، ومن بين الأساليب الاستعانة بالمعجم اللغوي الخاص بفئة الأطفال، و لو أخذنا في الاعتبار أنّ معظم المفردات التي يستعملها الطفل في حياته اليومية فصيحة، وأزلنا اللبس القائم في كثير من الأذهان من أنّ كلّ مألوف هو غير فصيح، و اخترنا له في مراحل دراسته الأولى معجما قريبا مما يألفه وتراكيب قريبة مما يعرفه، و تدرجنا به من لغة الكلام إلى لغة الكتابة و من مناخ التذوق الأدبي الذي يستشفه في الأغنية الخفيفة والأقصوصة الطريفة ومظاهر الجمال حوله، مع الاحتفاظ بالوسائل المشوقة ومنها الأغنية والموسيقى وقصة المغامرات وألعاب الطفولة والرسوم المتحركة وألعاب الكومبيوتر لاجتاز الطفل المرحلة الضرورية بين لغة الكلام و لغة الكتابة، و نكون بذلك قد خففنا عليه تلك الرهبة التي يبدأ في الإحساس بها مع بداية دروسه الأولى في

تعلم العربية، و لا تفارقه حتى المرحلة الجامعية و ما بعدها [1].

ومشروع إعداد معجم لغوي لتلاميذ المرحلة الابتدائية ذو أهمية كبيرة، نظرا لطبيعة المشكلة اللغوية في المرحلة الابتدائية ونذكر منها:

- انفصام الصلة بين لغة التلاميذ المنطوقة ولغة المقررات الدراسية.
- سعة الهوة بين لغة التلاميذ المنطوقة والمكتوبة.
- عدم وجود معجم لغوي موجّه للتلاميذ في هذه المرحلة، والحاجة إلى سجل للرصيد اللغوي للتلاميذ لتستفيد منه كافة الهيئات المعنية.

وقد نتصور فوائد ومزايا مشروع إعداد معجم لغوي للطفل منها:

- تزويد الطفل في هذه المرحلة بألفاظ عربية ميسّرة يعبّر بها.
- توحيد لغة الأطفال وتقريب بعضهم ببعض.

1- ثقافتنا في عصر العولمة، د. أحمد درويش، الشركة المصرية العالمية للنشر، 2003، ط1، ص: 82.

- مساعدة المعلمين والتربويين عند وضع وسائل التعليم والتقويم اللغوية المناسبة.

- الوقوف على الرصيد اللغوي للطفل يلقي الضوء على المستوى الذي يجب أن يتّجه إليه التعليم اللغوي في تلك المرحلة، لما يرصده من مفردات وألفاظ تساعد الطفل على تلبية حاجاته والتعبير عن أفكاره ومشاعره والاتصال بالمحيطين به في بيئته، لأنّ الطفل لا ينمو من تلقاء نفسه فهو يتغيّر ويرتقي لغويا بقدر ما يوفر له في هذا الوسط أو ذاك من ظروف محيطة

6- يجب أن نؤكد على أن الجهد الذي ينبغي أن يبذل في المدرسة لا بدّ أن يواكبه جهد خارجي يتمثل في وسائل الاتصال التي ينبغي أن يسير جهدها في تنسيق المؤسسات التعليمية، فيجب أن تكون الألفاظ المستعملة بين المثقفين في مختلف المؤسسات الإعلامية مبسطة سهلة واضحة يفهمها العامة من الناس، فوسائل الاتصال من شأنها ترسيخ السلوك اللغوي المنشود، وضبط المصطلحات الأساسية، وتوحيد ألفاظ الحضارة وتنميتها، ومن شأنها أيضا أن تعمل على التبصير بأهمية اللغة الفصيحة

في إطار الشعور العام بالانتماء الواحد للأمّة العربية [1] ، وقد أثبتت السنوات الأخيرة أنّ أبناء العالم العربي على استعداد لتقبل مثل هذا الأسلوب إذا تَعَوَدُوه لمدّة كافية، و خير مثال لذلك هو لغة الفصحى المستعملة يوميا في النشرات الإخبارية و البرامج الإذاعية التي تتوخى البساطة إلى حد كبير و التي بإمكانها أن تكون صلة وصل ناجحة بين الجامعة والجامع ولغة المعمل و الشارع و بذلك نسير في طريق التوحيد أو التقرّب بين الفصحى والعامية والقضاء على الثنائية المستفحلة [2]، وذلك من خلال إنتاج سلسلة من البرامج التلفزيونية والإذاعية التي تجعل الحياة اليومية مادة لها، وتجعل الفصحى لغة التعبير عنها، حتّى تأخذ الفصحى مكانها في دورة الاستعمال الحيّ فتتسرب إلى الناس جميعا، ومن نافلة القول أن نشترط أن تقوم هذه البرامج على قضايا ومواقف حيوية تشدّ النّاس إليها، وأن تقوم على نصوص أدبية متفوقة يع دّها كتّاب مبدعون،

1- اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، د. محمود فهمي حجازي، مجلّة مجمع اللغة العربية، دمشق، ربيع الأوّل، 1419ه- 1998م، ص: 478.

2- التعريب بين المبدأ والتطبيق، د.أحمد بن نعمان، شركة دار الأمّة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1988، ص: 148.

وأنْ يبذل في تدريب الممثلين على الأداء اللغوي ما يكفل له أن يقدّم الفصحى رشيقة جذّابة طبيعية عفوية مقنعة[1].

ليس من الضروري أن يأخذ التنسيق شكل دعاية إعلانية مباشرة تدعو إلى الحرص على اللغة و التمسك بها، و لكن يمكن أن يتم من خلال سنّ قانون ملزم للجميع باستعمال اللغة الفصحى فقط في جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، سواء أكانت حكومية أم أهلية، وفي جميع برامجها الدينية والسياسية والترفيهية وغيرها، وعند تطبيق هذا القانون ستضطر جميع شركات إنتاج الأفلام والمسلسلات إلى استعمال الفصحى في جميع منتجاتها[2].

كما أنّ تقديم نماذج جيدة لمذيعين وممثلين يشكل أداؤهم الصحيح و الجميل نقطة جَذْب و إعراب على التقليد، و من المنطق فإنّ الإعداد الجيّد لمذيع واحد قد

1- الفصحى وعامياتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن، أ.د.نهاد الموسى، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ط1، 1429ه- 2008، ص: 70

2- العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية د. علي القاسمي، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ط1، 1429ه- 2008، ص: 208.

يتفوق في التأثير على الإعداد الجيد لمائة مدرس [1].

قد تتيح وسائل الاتصال في زيادة الثروة اللغوية بين عامة الشعب و في توحيد نطق المفردات و في التقريب بين اللهجات، و ليس من المستبعد كذلك أن تنجح في إحلال الفصحى المبسطة محل العامية السائدة [2]، فهناك مجالات كثيرة للتنمية اللغوية عن طريق الإذاعة والتلفزة، وإذا كانت الاتجاهات المعاصرة في تعليم اللغات تتطلب تعلّم اللغة في مواقف، ومن أجل الاتصال الفعّال ، فان التعاون ضروري بين الإذاعة والتلفزة من جانب، ووزارات التربية ومراكز الإنتاج البرامجي من جانب آخر، من أجل إنتاج برامج كثيرة وهادفة إلى تنمية المهارات اللغوية لدى التلاميذ والطلّاب بشكل فعّال [3].

1- ثقافتنا في عصر العولمة، د.أحمد درويش، ص: 88.

2- ينظر: اللغة العربية والأعلام واقعها وآفاق تطورها د. مها قنوت، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد الأوّل، ذو الحجة 1419، مارس 1999، ص: 127.

3- اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، د. محمود فهمي حجازي، ص: 477، 478.

نقول في الأخير أنّ الاهتمام بلغة الطفل اهتمام بمستقبل الأمّة، كما أنّ الاستفادة من المخزون اللغوي الذي اكتسبه من بيئته لا تعني أبدا النزول بالفصحى إلى مستوى العامية، لأنّ لغة الطفل ما هي إلا فصحى مبسطة، أو محرفة، أو هي الفصحى في ثوبها العامي، فهي ليست منفصلة عن لساننا العربي، كما يجب توسيع استعمال الفصحى وجعلها لغة المدرسة والمسرح والسينما والتلفاز، لا سيما البرامج الموجهة إلى الأطفال.

كما يجب علينا الانفتاح على محيطنا اللغوي من حيث التأثير والتأثر بما يخدم عربيتنا الفصحى، وترسيخ المفهوم العلمي لصلة الفصحى بالعامية للتخلص من الأوهام اللغوية.

وعليه فمن الضروري أن نتفهم هذه الازدواجية، وأن نعمل على توجيهها، ونحسن استثمار الزخم اللغوي الموجود فيه اغناء للفصحى ليس إلا، وتبقى المسؤولية مشتركة بين البيت والروضة والمدرسة ووسائل الإعلام والاتصال، وأنّ هذا العمل يجب أن يستمر عدّة

أجيال، وتسهم فيه هيئات مختلفة لإعادة الثقة للفصحى، وتربية مواطن جزائري له الشعور والإحساس بقيمة لغته.

مصادر ومراجع البحث:

1 +لاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، د. حسني عبد الباري عصر، مركز الإسكندرية للكتاب، 2000.

2 +لازدواجية العربية وأثرها على انتشار الفصحى أو العربية المشتركة، د. طاهر ميلة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الطبعة الأولى، 1429ه- 2008م.

3 +كتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، حفيظة تازروتي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003.

4 +لتصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيّب البكوش، ط2، 1978.

5 تعلم اللغة بين الواقع والطموح د. محمود السيّد، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1.

6 +لتعريب بين المبدأ والتطبيق، د.أحمد بن نعمان، شركة دار الأمّة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1988.

7 ثقافتنا في عصر العولمة، د. أحمد درويش، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 2003.

8 -دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها، د.أنطوان صيّاح، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1955.

9 +العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية د. علي القاسمي، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ط1، 1429ه،2008.

10 -العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي، عبد العزيز البسّام، اللغة العربية والوعي القومي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية

11 -علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، مكتبة بيروت، ناشرون، الطبعة الثالثة، 2004.

12 -لغة العرب وكيف ننهض بها، محمد عطية الأبرا شي، دار الكتاب العربي، مصر.

13 -اللغة العربية والإعلام واقعها وآفاق تطورها د. مها قنوت، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد الأوّل، ذو الحجة 1419، مارس 1999.

14 -قضايا لغوية في ضوء الألسنية، عبد الفتاح الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1978.

15 -الفصحى وعامياتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن،، أ.د.نهاد الموسى، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ط1429،1ه- 2008.

16 -في قضايا اللغة التربوية، د. محمود السيّد، نشر وكالة المطبوعات، الكويت.

17 -الرؤية المعاصرة في اللغة العربية الفصحى، د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب.ت.

18 -مشاكل الناشئة مع اللغة العربية وتصورات حلول لها، د. عاطف جميل، مجلّة المنطق ، العدد 79/78، ذو القعدة، ذو الحجّة 1411ه

19 -مشكلات تدريس اللغة العربية في مرحلة الدراسة الثانوية، إعداد صالح جواد الطعمة، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق.

20- L'enfant algérien et l'apprentissage de la langue arabe à l'école fondamentale essai d'analyse des compétences narratives et textuelles de l'enfant algérien entre cinq et neuf ans ; thèse du doctorat, Chérifa ghetas, université sthandal, Grenoble, Paris 1995.

إصلاح مناهج اللغة العربية

في التعليم في ظل المستجدات:
"المقاربة بالكفاءات أنموذجا"

أ/ نصيرة زيد المال- جامعة تيزي وزو

الملخص:

من المعلوم أن سمة العصر الذي نعيشه هي التطور والتغير والتحول السريع، وقد تحقق هذا في المجال التربوي والتعليمي واللغوي؛ فلا نكاد نجد منهاجا ثابتا لفترات زمنية طويلة، ولأن هذه المناهج تتأرجح بين الإفادة من عدمها، فالمبتغى من وراء ذلك هو الوصول إلى أرقى المستويات في التعليم الذي هو قاعدة بناء المجتمعات، ولذا فإن هذه المناهج المستحدثة في العالم عامة وفي الجزائر خاصة لم توجد عبثا، وإنما وجدت لغايات نبيلة، سعى إليها المختصون كي تبني جيلا جديدا مختلف ا تماما من حيث مستواه وثقافته لتحقيق تلك الغايات. وإن ما يجب أن يؤمن به المربي عندما يتعلق الأمر بالحديث عن المقاربة بالكفاءات في الحقل التربوي، هو أنّ بناء المناهج باعتماده هذه المقاربة لم يكن محض مصادفة، وإنما جاء استجابة لمواكبة التطور السريع للمعارف، وتقدم تقنيات الإعلام والاتصال

التي تؤثر على مظاهر الحياة البشرية؛ فكان لزاما على المدرسة أن تبني مناهج جديدة تقوم على بناء الوضعيات العلمية التي يؤدي فيها المتعلم الدور الأساسي، وذلك بمساعدة المعلم الذي يمثل المرشد والموجه. وفي هذا المحتوى أتطرق إلى النقاط التالية:

- الواقع التعليمي الجزائري ومشكلاته.
- المعايير التي يتم على أساسها اختيار وتطور مادة المناهج التعليمية.
- شروط اختيار الوسائل وطرق التدريس.
- اقتراحات لتطوير منهج تربوي ، والأسس العامة للتدريس.

C

من المعلوم أن سمة العصر الذي نعيشه هي التطور والتغير والتحول السريع، وقد تحقق هذا في المجال التربوي والتعليمي واللغوي؛ فلا نكاد نجد منهاجا ثابتا لفترات زمنية طويلة، ولأن هذه المناهج تتأرجح بين الإفادة وعدمها، فالمبتغى من وراء ذلك هو الوصول إلى أرقى المستويات في التعليم الذي هو قاعدة بناء المجتمعات، ولذا فإن هذه المناهج المستحدثة في العالم عامة وفي الجزائر خاصة لم توجد عبثا، وإنما وجدت

لغايات نبيلة سعى إليها المختصون كي تبني جيلا جديدا مختلف ا تماما من حيث مستواه وثقافته لتحقيق تلك الغايات. وتهدف إصلاحات الأنظمة التعليمية إلى تحديث مقاصد وغايات التعلم، لجعلها أكثر انسجاما مع حاجات الأفراد والمجتمع، كما تهدف إلى تحقيق أهداف محددة للتكوين وتعليم الأجيال المتمدرسة وتثقيفهم بشكل أنجع، سعيا إلى مدرسة أكثر نفعا ونجاعة.

ومع التطورات الحديثة التي عرفها هذا القرن وتطورات المناهج والبرامج والوسائل التعليمية التي تتماشى والتغيرات السريعة في مجال المعرفة، كان من الواجب تحديث المناهج التعليمية وتعديلها؛ بحيث تأخذ بعين الاعتبار القدرة على تحويل المعارف وتجسيدها، في سبيل خدمة ونفع الفرد والمجتمع، بحيث تنمي كفاءاته ، وتسمح له بالتلاؤم مع الواقع المعاش.

وإن ما يجب أن يؤمن به المربي عندما يتعلق الأمر بالحديث عن المقاربة بالكفاءات في الحقل التربوي، هو أنّ بناء المناهج باعتماده هذه المقاربة لم يكن محض مصادفة، وإنما جاء استجابة لمواكبة التطور السريع

للمعارف، وتقدم تقنيات الإعلام والاتصال التي تؤثر على مظاهر الحياة البشرية؛ فكان لزاما على المدرسة أن تبني مناهج جديدة تقوم على بناء الوضعيات العلمية التي يؤدي فيها المتعلم الدور الأساسي، وذلك بمساعدة المعلم الذي يمثل المرشد والموجه.

1- تحديد بعض المصطلحات:

1- مفهوم التدريس: يمكن تعريفه على أنّه "تواصل لغوي داخل حجرات الدّرس، مخطط له تعرض فيه المواد الدّراسية شيئا فشيئا على مراحل، وبمهارات ضمن كل مرحلة ، غايتها جميعا تيسير فهمها ، ووضع سماتها في عقول التلاميذ، فيعلمون أمرها بعد جهلهم إيّاها ، ومن ثمّ ترقى عقولهم ، ويعدّل سلوكهم إلى نحو لم يكونوا عليه من قبل، فتنمو شخصياتهم في شمول وتوازن وتكامل"[1].

فالتّدريس إذن وسيلة اتصال تربوي هادف، تخطّط وتوجّه من المعلّم لتحقيق أهداف التعليم، ولكي يقوم المعلّم بعملية التدريس على الوجه الأكمل، عليه اختيار طريقة لتسهيل هذه العملية ، وبالتالي تسهيل العملية التعليمية/التعلمية.

وعليه نمثل لنموذج التدريس كما يلي:

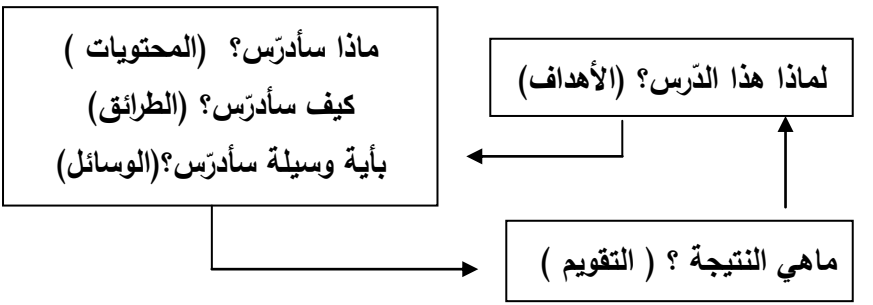

فالتدريس إذن، هو عمل يقوم به المعلم حين يريد القيام بعملية التعليم، بتذليل العقبات والصعوبات التي تعيق المتعلم أثناء التعلم. فهو ليس نشاطا عشوائيا ، وإنّما مقصود لأهداف بعينها، أهمّها تحقيق العملية التعليمية التعلمية.

وإنّ امتلاك معلّم اللّغة الممارسة الفعليّة والكفاية اللّغوية التي تسمح له باستعمال اللّغة التي يعلمّها ويتقن استعمالها في العملية التعليمية، وأن يكون على دراية بالتطور الحاصل في مجال البحث اللساني والاطّلاع على النتائج، هذا يؤدي حتما إلى إنجاح العملية التعليمية البيداغوجية وهي الأساس، والعمود الفقري الذي ترتكّز عليه ثلاثة عناصر: **المتعلم – المعلم – الطريقة.**

* **المتعلّم:** أن يكون مهيأ للانتباه والاستيعاب، وأن يكتسب المهارات والعادات اللّغوية الخاصة باللغة التي يتعلمها، وهذا لمعرفة قوانين اللغة والتحكم فيها، كما أنها عملية شعورية مقصودة لذاتها ، تتمّ بين المدرّس والمتعلم، وذلك عن طريق الحوار والتواصل، وتركّز عملية التواصل على الصراحة والاهتمام بالبنيات السطحية، كما توفّر للمتعلم فرصا لتقييم ما ينتجه من الكلام وما يسمعه، ويكون ذلك بالرجوع إلى القواعد.

***المعلّم** :من المفروض أن يكون مهيأ علميا وبيداغوجيا، وأن يتحكم في آلية الخطاب التعليمي، ويمتلك القدرة الذّاتية في اختيار الطرائق البيداغوجيّة "وإنّ المدرّس النّاجح هو الّذي يستطيع تحليل مادّته وتنظيمها وتقديمها باختيار أفضل الأساليب والوسائل، أي أن يلمّ بعمليّة التعليم، وأن يتعرّف طبيعة الطالب الجامعي ومشكلاته واتّجاهاته والتّغيّرات الّتي تطرأ عليه بسبب خبرته الجامعيّة " [1] ومن هنا فإنّ المعلّم الكفء قادر على التكيف والممارسة، وقادر على أداء رسالته التي توصله إلى مقام من يصنع التوجيه.

*** الطّرائق** :جمع طريقة وهي الوسيلة التّواصليّة والتّبليغيّة؛ وهي تحمل معنى المسلك أو المنهج، وهي الكيفيّة التبليغيّة التعليميّة الّتي يستخدمها المعلم لإيصال المحتوى التعليمي للمتعلّم لغرض تحقيق الأهداف البيداغوجيّة؛ أي إجراء عملي يهدف إلى تحقيق الأهداف البيداغوجيّة لعمليّة التّعلّم، ومن الضروري أن تكون هذه الطرائق التّعليميّة قابلة للتّطور، ونعني بالطّريقة الكيفيّة الّتي يختارها المدرّس لمساعدة التّلاميذ على تحقيق الأهداف التعليمية السّلوكيّة، وهي الّتي يقوم بها المعلّم داخل القسم، وفقا لأهداف الدّرس ومستويات التّلاميذ، ونوعيّة المحتوى الذي يدرّسه ، والإمكانيات المادّية المتاحة.

2- المنهاج : وهو خطّة عمل تتضمّن الغايات والمقاصد والأهداف والمضامين والأنشطة التّعليميّة .ثمّ طرائق التّعليم وأساليب التّقويم أوسلسلة الوحدات الموضوعيّة، بكيفيّة تجعل تعلّم كلّ وحدة يمكن أن يتمّ انطلاقا من فعل واحد، شريطة أن يكون المتعلّم قد تحكّم في القدرات الموصوفة في الوحدات السّابقة، ومن هنا يقال منهاج التّدريس، الّذي هو "مجموعة من الأنشطة

المخطّطة من أجل تكوين المتعلّم، يتضمّن الأهداف، الأدوات ومقررات المواد ، وغايات التّربية، وأنشطة التّعليم والتّعلّم [2]."
فالمنهاج يحدّد من خلال سياسة لغويّة، تعمل على تهيئته والتخطيط له؛ لترتسم مكوناته، وتتبيّن أهدافه التعليميّة، في إكساب المتعلّم المهارات والخبرات المعرفيّة لمواجهة التحدّيات الرّاهنة.

وعليه، يمكن أن نقول إنّ المنهاج عبارة عن مجموعة من الإجراءات والتقنيات، هدفها تمكين المتعلم اكتساب مهارات أو سلوكات أو مواقف جديدة مرغوب فيها.

3- المنهج: جاء في لسان العرب أنّ النهج هو "الطريق البيّن الواضح ونهج المرء منهاجا أي سلك طريقا واضحا" [1] ويقول الله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) سورة: المائدة ، آية: 48 أي الطريق الواضح الموصل إلى معرفة دين الله. وكلمة منهج اشتقّت من الكلمة اللاتينيّة " Méthodus ، ويقصد بها البحث والنظر في القضايا الفلسفية، ويعتقد أنّ أرسطو هو أول من استعمل كلمة (منهج) ، على أساس البداية المنطقية للأشياء والمفاهيم، نهاية

بالاستنتاج المنطقي المتكافئ المفضي إلى نتائج نهائيّة.

والمنهج مجموعة منظمة من الإجراءات المفصلة تسعى لبلوغ هدف ما، باعتباره نظاما تتداخل فيه مجموعة المكونات والعوامل التي يرتبط بعضها ببعض ارتباطا عضويا، فيحتاج دائما إلى تطوير مستمر لمتابعة المستجدات، فهو يدور ضمن الغايات الكبرى والأهداف العامة. **فالمنهاج يعني المحتوى، والمنهج يعني الطريقة.**

4- المنهجية : وهي مشتقة من كلمة منهج وباللغة الأجنبية La méthodologie "وهي مجموع الوسائل والخطوات المتبعة قصد تحقيق الأهداف والغايات من عملية التدريس "فهو إحدى العمليات الرئيسة للصناعة المنهجية، والّتي تختص بإدخال المنهج ونشره في التربية المدرسية ويقال قراءة ممنهجة ويعني ما تقوم على مجموعة من الخطوات المتدرجة لفهم النص وإدراك محتواه وعناصره اللغوية، ويتم هذا عن طريق :

- إدراك شامل للنّص لتكوين فرضية للقراءة.

- إنجاز أنشطة لفهم النص من خلال قراءة لغوية.
- تحويل النص أو شرحه أو تلخيصه.
- محاولة تحليل بعض معطياته من الجانب الدلالي أو المعجمي أو التركيبي أو البلاغي"[3]

وهكذا تتحدد مكونات **المنهاج** من عدة معالم كبرى، وفق سياسة لغوية تستدعي التخطيط المتكامل الذي يرسم الاتجاه العام، والذي يشمل الغايات والمرامي والأهداف التي تترجم إلى مضامين ومقررات ، مع تحديد استراتيجيات التعلم وطرقه وأساليبه، ويمكن أن نخطط لهذا بهذا الرسم:

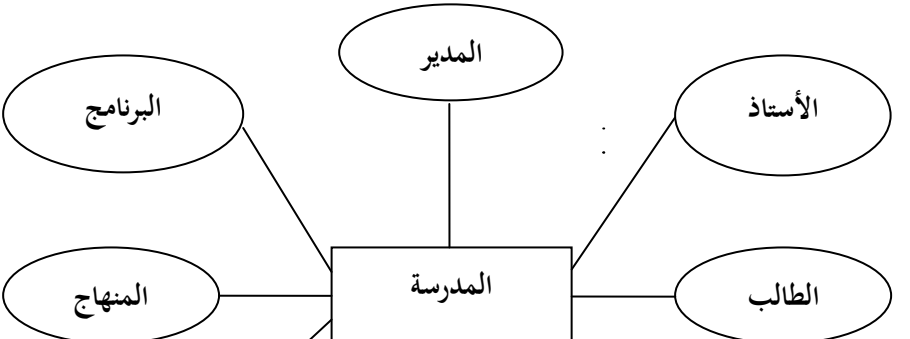

وهكذا يتكوّن المنهاج من عدة معالم كبرى، تعمل من أجل هدف واحد، وتتفاعل لتخريج رجل الغد الذي سيكون حامل لواء العلم.

2- المنهج المدرسي بمفهومه القديم أو المنهج المدرسي بمعناه الضيق:

يستخدم كثيرون اصطلاح "المنهج المدرسي" ليدل على الموضوعات المختلفة المحددة للدراسة في كل مادة من المواد الدراسية، أو ليدل على المعلومات التي يجب أن يدرسها التلاميذ في كل مادة ، "وبهذا الشكل يصبح اصطلاح المنهج المدرسي مرادفا لمقرر المادة الدراسية أو برنامجها الدراسي ، ويصبح هناك منهج لكل مادة من المواد التي يدرسها التلاميذ في كل سنة دراسية في كل مرحلة من المراحل المدرسية "[4]، والمنهج

المدرسي في هذه الصورة عادة معناه توجيه العناية إلى الناحية الذهنية أكثر من أي شيء آخر؛ فالناحية الذهنية أو إتقان المادة الدراسية يكون هو كل شيء في المدرسة " ، وأي نشاط لا يتصل بإتقان المادة الدراسية يكون في خارج المنهج، وتكون أهميته أقل كثيرا من المادة الدراسية، ويلغى في أي وقت إذا ما تعارض معها، أو حتى إذا بدا أنه سيقلل من الاهتمام الكبير بإتقانها، كما رسمها وحددها واضعو المنهج"[5]

والمنهج المدرسي في هذه الصورة يكون ضيق المعنى؛ لأن المدرسة ينبغي ألا تجعل الناحية الذهنية وحدها موضع الاهتمام، بل تعنى بالتلميذ من جميع نواحيه: الذهنية، الجسمية، الاجتماعية، الانفعالية...وأيّ مدرسة تسير في الوقت الحاضر وفق هذا المعنى الضيق، تكون مدرسة تحتاج أهدافها وفلسفتها إلى تعديل وتغيير لتتمشى مع مطالب الحياة في المجتمع الحديث، ولتتمشى أيضا مع نتائج بحوث علم النفس والتربية ، وتجاربهما الحديثة.

*** أبرز آثار التقيد بهذا المعنى الضيق:**
إن التقيد التام بالمنهج المدرسي بمعناه الضيق تترتب عليه آثار خاصة في المادة الدراسية وعمل المدرس، والحياة المدرسية عامة والتلاميذ كمحصلة لهذا كله.

- المادة الدراسية: إن التقيد التام بالمنهج المدرسي بمعناه الضيق تترتب عليه آثار خاصة في المادة الدراسية وكمها ووظيفتها، ونستطيع أن نوجز هذه الآثار على النحو الآتي:

إن المتخصصين في المواد الدراسية هم الذين يحددون الموضوعات الدراسية في المنهج بمعناه الضيق ويطلبون التقيد بها؛ فإنهم في الغالب يوجهون عنايتهم إلى منطق المادة الدراسية، على نحو يجعلهم يهملون مراكز اهتمام التلاميذ والفروق الفردية التي بينهم في الميول والاستعدادات والقدرات والحاجات والخبرات السابقة؛ فيصبح ذلك من العوامل التي تساعد على عدم إقبال التلاميذ على معظم الدروس.

- المدرس وعمله: إن التقيد التام بالمنهج المدرسي بمعناه الضيق كانت له آثار واضحة في وظيفة المدرس وأهدافه

وطريقة تدريسه والنظرة إلى عمله وعلاقاته بتلاميذه؛ حيث يرى المدرس في الغالب أن وظيفته الأساسية هي نقل المعلومات إلى أذهان التلاميذ، مع التقيد التام بما نصّ المنهج عليه من الموضوعات، وما ورد في الكتب المدرسية المقررة من معلومات عن هذه الموضوعات. وبما أن إتقان المعلومات يصبح غاية في ذاته؛ فإنّ المدرس يعنى بهذا الإتقان أكثر من عنايته بقيمة المعلومات عند التلميذ، وفي معظم الحالات يؤدي هذا بالمدرس إلى تشجيع التنافس بين التلاميذ في دراسة المواد المقررة، بدلا من تدريبهم على التعاون فيما بينهم للوصول إلى أهداف مشتركة، وبدلا من إتاحة الفرص المتنوعة أمامهم للقيام بأوجه نشاط مختلفة تساعد على نموهم المتكامل المنشود.

- **التلاميذ: إ** ن آثار التقيد بالمنهج المدرسي الضيق (أي آثاره في المادة الدراسية التي يتعلمها التلاميذ وفي المدرس وعمله وفي الحياة المدرسية عامة) قد تضمن أيضا تأثيرا في التلاميذ، يمكن أن نخلص نواحيه فيما يلي:

-إهمال مراكز اهتمام التلاميذ، وإهمال الفروق الفردية التي بينهم.

-ازدحام المنهج المدرسي بمواد دراسية وبمعلومات معظمها صعبة على التلاميذ.

-تشجيع التنافس بين التلاميذ في دراسة المواد المقررة ، بدلا من تدريبهم على التعاون فيما بينهم للوصول إلى أهداف مشتركة.

-عدم تدريب التلاميذ على تحمل المسؤولية، وعلى الاعتماد على النفس ، وشعورهم أن إتقان المادة الدراسية والنجاح في الامتحان هو هدف المدرسة الأسمى.

-إهمال توجيه التلاميذ التوجيه التربوي الضروري...

3- المنهج المدرسي بمعناه الواسع أو المنهج المدرسي الحديث: إنّ النظرة الضيقة أوالنظرة القديمة إلى المنهج المدرسي أصبحت غير مقبولة عند المربيين وأخصائي المناهج المدرسية فتحرروا منها، وقد ساعدت عوامل كثيرة على التحرر من هذه النظرة الضيقة ، ولعل أهم هذه العوامل:

- ما حدث ويحدث من تغييرات جوهرية في أحوال المجتمع، وأساليب الحياة الحديثة.

- ما حدث من تغير في النظرة إلى وظيفة المدرسة، نتيجة مطالب الحياة في المجتمع الحديث.
- ما وضحته البحوث والتجارب الحديثة في علم النفس والتربية عن خصائص نمو الطفل وحاجاته وميوله وقدراته واستعداداته....
- ما ظهر من آراء جديدة في فلسفة التربية وضعت موضع التنفيذ.

أبرز مميزات المنهج المدرسي الحديث : نستطيع أن نتتبع أبرز مميزات هذا المنهج، تلك المميزات التي تشتق من التربية الحديثة بمعناها الواسع، تلك التربية التي تعنى بنمو التلميذ نموا متكاملا من نواحيه العقلية ، الجسمية، الاجتماعية ، والانفعالية... فما أبرز هذه المميزات:

- المواد الدراسية : تنال المواد الدراسية في هذا المنهج ما تستحقه من عناية، فلا ينكر المنهج المدرسي قيمتها ولا يقلل منها " ولكنه لا يجعلها غاية في ذاتها، بل يجعلها وسيلة تساعد على نمو التلاميذ المتكامل المنشود، وهو ينصّ عليها كخطوط عريضة وميادين يختار التلاميذ منها ما يناسبهم ، ثم يختارون في ضوئه أوجه نشاط يقومون بها، أو خبرات يحيون فيها

"[6] ويتخذ المدرسون من هذه المواد مرشدا يساعدهم على توجيه التلاميذ في هذا النشاط وهذه الخبرات ، لبلوغ الأهداف التربوية السليمة المنشودة.

- **طرائق التدريس: إنّ** طرائق التدريس هي أحد أركان المنهج الأساسية ، ولا يمكن تحقيق الأهداف والمحتوى بدون المعلم وطرق التدريس، وإذا كان (المحتوى والطريقة) شقين متلازمين متكاملين للمنهج لا يمكن فصل أي منهما عن الآخر. فطرق التدريس جزء متكامل من موقف تعليمي: يشمل المتعلم وقدراته وحاجاته والأهداف التي ينشدها المعلم من المادة العلمية، والأساليب التي تتبع في تنظيم المجال للتعلم.

إن التجديد المستمر للمناهج يتطلب أيضا طرائق وأساليب مستحدثة ، لجذب الطلاب لدراسة العلوم وتقريبها إلى ميولهم وزيادة إقبالهم نحو مجالاتها الواسعة.

- **المدرس:** من خلال ما ذكرناه سابقا نستطيع أن نستخلص بسهولة أن عمل المدرس قد تغير عما كان عليه في المنهج القديم؛ فقد أصبح المدرس موجها ومرشدا ولا يهدد بالعقاب ولا يوقعه ، إنه يجعل التلاميذ يقبلون عليه، ويسألونه النصح والإرشاد.

ويشجع التلاميذ أيضا على تقديم اقتراحات خاصة بما يدرسونه، ويسمح لهم بحرية الحركة والكلام، ما دام هذا لا يؤدي إلى تعطيل سير النشاط والتعليم، ويدربهم على ما يناسبهم من أساليب النقد البناء، كما يدرّب ك لا منهم على استغلال ما لديه من مواهب، ويهيئ له الفرص لتنميتها.

- **التلميذ:** إن التلميذ يعيش في جو يوجهه فيه المدرسون و يرشدونه، ويكون التلميذ إيجابيا نشيطا، ويشجع التلميذ على التعاون مع زملائه، بدلا من التنافس المبني على الأنانية، ويتدرب التلميذ على النقد البناء، وعلى تحمل المسؤولية والاعتماد على النفس والثقة بها. ويدرك المنهج المدرسي ما بين التلاميذ من فروق فردية ويراعيها، ويعنى بأن يفهم كل تلميذ ما عنده من حاجات وميول وقدرات واستعدادات ومهارات، ويعمل على تنميتها بقدر ما يستطيع، أو يعمل على علاج ما يكون عنده فيها من نقص. وهذه أهم الخصائص التي تميز المنهج المدرسي الحديث عن المنهج المدرسي القديم ، ذلك المنهج الذي يجعل التلميذ في وضعية المتلقي ، باعتبار أنّه فاقد للمعرفة، فيتدخّل العارف لشحنه بالمعرفة المفقودة، خاصّة مع إثبات

الدّراسات العلمية الحديثة، أنّ الطفل الصغير بإمكانه استيعاب المعلومات الكثيرة وحفظها بسرعة مقارنة مع مرحلة الكبر. ولكن مع التغيّر الملحوظ في مختلف الأصعدة ومجالات الحياة، كان حري على الجزائر تبني مفاهيم ومناهج جديدة، تكون قادرة على تشكيل وإصلاح البنية التحتية للمنظومة التربوية، فجاءت بيداغوجية المقاربة بالكفاءات، لتنوب عن المقاربة التقليدية، نتيجة للتطورات السريعة، وتدفق المعارف الإنسانية والعلمية وتعقد الحضارة وتشابكها، خاصّة مع موجة التحوّل المنهجي التعليمي الّذي عرفته مختلف دول العالم، من مقاربة التدريس بالأهداف، إلى الدعوة إلى التدريس وفق أسس الكفاءات التعليميّة، فقد وجّهت للمقاربة التقليديّة عدّة انتقادات للنقائص الملحوظة عليها في المستويات التعليميّة عامّة.

4- الأسباب الداعية إلى الإصلاح : ومن دواعي الإصلاحات الّتي جعلت الجزائر تسير وفق سياسة إصلاح المنظومة التربوية، وتبنّي مقاربة جديدة ما يلي:

* تجدد المعارف في المجال العلمي والتكنولوجي.

* تحول جذري في نظريات التربية وممارساتها.
* التدهور المستمر لمستوى التلاميذ بالنظر إلى الكفاءات الحقيقية التي يتخرجون بها من المدرسة.
* شرخ بين المؤسسات.
* عجز عن تمكين المتعلم سلامة اللغة.
* التطور المعرفي التكنولوجي السريع، والتحول الجذري في المناهج التربوية عبر العالم.
* النتائج المتدهورة على مستوى التلاميذ، مقارنة مع قدراتهم ومكتسباتهم المعرفية.
* ظاهرتا الرسوب والعنف المدرسي.
* عدم التلاؤم بين المواد الدراسية، وبين الأطوار المختلفة.
* هيمنة المعلم على العملية التعليميّة.
* كثافة البرامج التعليمية التي تحول دون تنفيذها.
* اعتبار المتعلم مجرّد آلة لتخزين المعلومات.

5- المقاربة بالكفاءات : جاءت كلمة مقاربة من المصطلح اللاتيني Approche، الّتي تعني الاقتراب من الحقيقة المطلقة أو النتائج النهائية وليس الوصول إليها؛ لأنّ نتائجها

غير محددة ، فهي إستراتيجية غير محددة في زمان أو مكان ما، أمّا الكفاءة فيقابلها في اللغة الأجنبية La compétence ، والّتي نقصد من ورائها جملة من المهارات والممارسات التعليمية الّتي تسمح للمتعلّم مواجهة وضعياتها المختلفة ، وبالتالي انجاز مهمّته التعليمة المنوطة إليه. لقد قيل وصيغ عن هذه المقاربة الكثير ، ومن بين مفاهيمها تعني "مفهوم عام يشمل القدرة على استعمال المهارات والمعارف الشخصية في وضعيات جديدة داخل حقل معيّن، أو هي مجموعة من التصرفات الاجتماعية ومن المهارات النفسيّة الحس الحركي الّتي تسمح بممارسة لائقة لدور ما أو وظيفة ما أو نشاط ما "[7] ، " بمعنى أنّها مجموعة من المهارات والمعارف الّتي يلّم بها طلاب المدارس والجامعات، وتجعلهم قادرين على مواجهة التحولات والوضعيات المختلفة الّتي تصادفهم في شتى مجالات الحياة؛ حيث يكونون أكفاء في مختلف التخصصات، ثمّ إنّ مفهوم المقاربة بالكفاءات لا يعني فقط الإلمام بهذه المعارف، بل القدرة على تكييفها وتطبيقها في المجال العملي، ونظرا للتطورات والتغيرات الحاصلة على المستوى

العلمي والتكنولوجي السريع عبر أنحاء العالم، كانت الحاجة إلى تغيير وإصلاح المناهج التعليمية، ضروريّة، حيث إنّ القرن الحادي والعشرين جاء بتحديات يستوجب على دول العالم مواجهتها ، خاصة المنطقة العربية.

1- مفهوم الكفاءة : هي مفهوم عام يشمل القدرة على استعمال المهارات والمعارف الشخصية في وضعيات جديدة داخل حقل معين.

ـ هي مجموعة من التصرفات الاجتماعية الوجدانية، ومن المهارات النفسية الحس الحركي التي تسمح بممارسة لائقة لدور ما أو وظيفة ما أو نشاط ما.

تستند الكفاءة إلى نشاط يستدعي مهارات معرفية نفسية وحركية أو اجتماعية أو وجدانية ضرورية لإنجاز هذا النشاط ، سواء أكان ذا طبع شخصي أم اجتماعي أم مهني.

2- المبادئ التي تميز المقاربة بالكفاءات:

* تنظيم برامج التكوين انطلاقا من الكفاءات الواجب اكتسابها.

* تغير الكفاءات وفق السياق الذي تطبق فيه.

* وصف الكفاءات بالنتائج والمعايير.

* مشاركة الأوساط المعنية ببرنامج التكوين في مسار إعداد هذه البرامج.

* تنظيم الكفاءات ، انطلاقا من النتائج والمعايير المكونة لها .

* اعتماد التكوين على الجانب التطبيقي الخاص.

* المعارف قابلة للتجنيد والمشاريع (طريقة المشاريع).

* المعارف توظف في حل المشكلات المعقدة (طريقة حل المشكلات).

3- **المقاربة بالكفاءات وآثارها** : ينتظر من اعتماد المقاربة بالكفاءات في بناء البرنامج:

* تكييف الغايات المدرسية مع الواقع المعاصر في ميدان (السلوكيات، العمل، المواظبة والحياة اليومية)

* الاهتمام بالقدرة على تجديد المعارف في وضعيات متنوعة ، مثل حل المشكلات النفسية ، التعليل والتحليل، إصدار الحكم.

* ربط المعارف بوضعيات تسمح بالتعرف خارج المدرسة في استثمار المعارف والمهارات ، لذا يجب حث التلميذ على استكشاف ما حوله، يتصرف فيه داخل وخارج القسم، وينبغي أن تنعكس المفاهيم والتقنيات على شخصيته.

* تبني المعارف حسب قدرات التلميذ العقلية وميوله ورغباته، وتكون حسب نموه تفاديا للمعارف التي تتطلب من التلميذ الحفظ والتطبيق.

وهناك كفاءات عرضية خاصة بكل المواد وكفاءات أفقية متعلقة بالمادة الواحدة.

4- أنواع الكفاءات:

* **الكفاءة القاعدية:** وهي مجموع الكفاءات الأساسية المرتبطة بالوحدة التعليمية.

* **الكفاءة المستهدفة:** وهي مجموع الكفاءات القاعدية المكونة والمرتبطة بدورة، أو دورات أو مجال تعلم.

5- تقييم الكفاءات:

تقييم الكفاءات حسب مؤشرات الكفاءة.

*** مؤشر الكفاءة:** هو السلوك الظاهري القابل للملاحظة والقياس، الذي يبرز من خلال نشاط التعلم ويعبر عن حدوث فعل التعلم أو التحكم في مستوى الكفاءات المكتسبة. ومن خلال مجموع المؤشرات المرتبطة بالكفاءات الواحدة يمكن التأكد من تحقيق الكفاءة المستهدفة أو عدمها.

6- أنواع التقويم:

* **التقويم الشخصي:** يجب معرفة المؤشرات قبل التعلم؛ أي التأكد من المعارف القبلية للتلاميذ قصد تحديد استراتيجيات لإكساب التلميذ المعارف الجديدة .

* **التقويم التكويني :** خلال التعلم: ملاحظة سلوك وأداء التلميذ أثناء سير الأنشطة التعليمية.

التقويم بعد التعليم والتدريب : هو تقويم تحصيلي يهتم بنتائج التلاميذ وإجراءاتهم. وهناك كفاءات عرضية تهم كل المواد وهي التي تساهم في تكوين الشخصية للتلميذ. وهناك كفاءات خاصة بالمواد ، وتختلف هذه الكفاءات من مستوى إلى آخر ومن مادة إلى أخرى حسب التخصص.

مخطط المقاربة بالكفاءات*

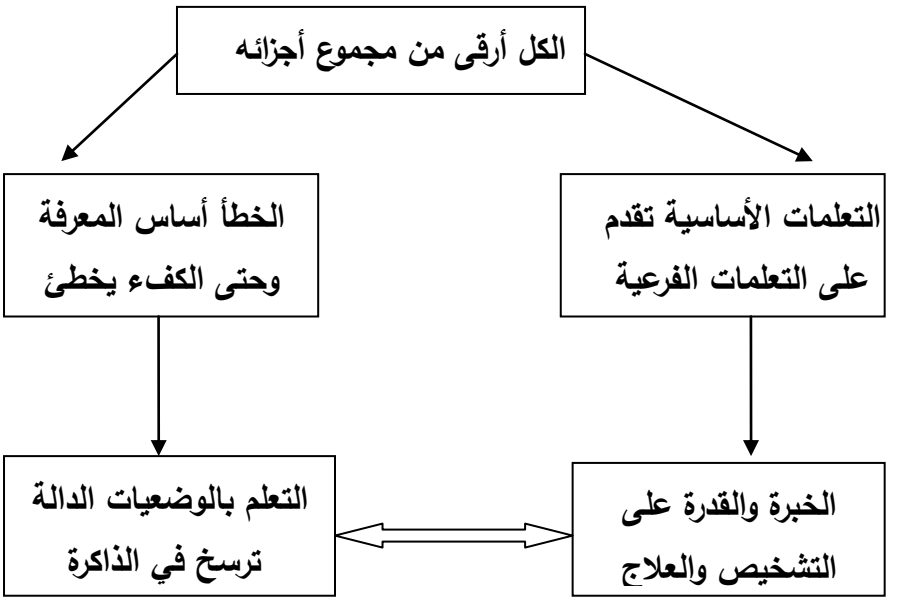

*** مقولات المقاربة بالكفاءات**

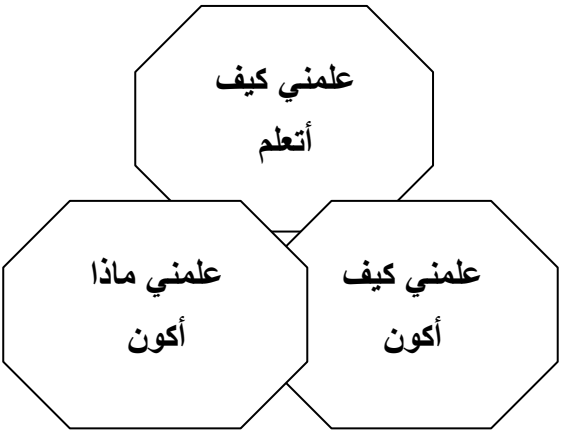

6- مقارنة بين المنهجين القديم والحديث : (المقاربة بالأهداف والمقاربة الكفاءات)

ومن خلال ما سبق يمكن أن نتوصل إلى معرفة الفروق الكامنة بين المنهجين القديم والحديث، ونلخّص أهمّ الأفكار التعليميّة الّتي تميّزهما، خاصّة مع تطبيق بيداغوجية المقاربة بالكفاءات، على مستوى المدارس، وسنحاول إبراز جوانب الاختلاف بين المقاربتين، مع الجدول الآتي:

	المقاربة بالأهداف.	المقاربة بالكفاءات.
دور المعلّم.	-المعلم هو الأساس في العملية التعليمية. -تلقين المعرفة. - المالك الفعلي للمعرفة. - يتدخل باستمرار.	+المعلم موجه ومسهل لسير العملية التعليمية عند المتعلّم. -يكون وسيطا في العملية التعليمية مع المتعلّم. -استغلال الطفل لقدراته الذاتية في بناء تعلّماته. -التدرج مع المتعلم في العملية

التعليمية. -تعويد المتعلم على المبادرة في الحديث والتدخل انطلاقا من وضعيات حقيقية.		
-الاعتماد على فن التعلّم. -عملية تكوينية يساهم فيها التلميذ. -الخطأ مؤشر لتعديل المسار. -الانطلاق من المعارف السابقة الّتي يمتلكها المتعلّم. -التركيز على التمارين والتدريبات لتحقيق الفهم. -ربط الطفل بالواقع.	- عملية تلقين المعارف والمعلومات للطفل؛ أي التركيز على المعارف والمحتوى. - التركيز على فن التعليم. - الخطأ عيب يترتب عليه الجزاء. - التركيز على الحفظ. - الاكتفاء بإعطاء معنى جزئي ومحدود للتعلم. - الانحلال والتشتت لكثرة الأهداف الإجرائية.	التعلّم.

-الاهتمام باستغلال المكتسبات القبلي للمتعلم. -الاهتمام بردود الفعل في القسم والتعرف على نقاط الضعف واستدراكها. -تمكن المتعلم من تنفيذ إجرائه الشخصي.	-التركيز على نتيجة الامتحانات (حسنة أو جيدة أو ضعيفة) -عدم الاهتمام والتعرف على المختزنات المعرفية للمتعلم. - الاقتصار على التقويم التحصيلي شكليا لا بيداغوجيا. -اعتبار المعرفة غاية في حد ذاتها.	التقويم.

C

إن النهضة الحقيقية في المجتمع لا تتم دون إعادة النظر في المناهج الدراسية، من حيث المحتوى والهدف؛ لأن التعليم هو السبيل الوحيد للتحكم في مسار التنمية ورسم خريطة المستقبل، ولقد أثبتت التجارب دائما...أن التقدم قرين العلم والمعرفة، وأن رفاهية الشعوب لابد أن تعتمد على نظام

تعليمي رشيد" أعطوني نماذج أمة أعطكم سياستها " ومن هذا المنطلق أصبح التعليم حجر الزاوية في هذه المرحلة التي تستوجب توجيه الجهود وتسخيرها لتطوير عملية التربية والتعليم، وتحسين مناهجها الدراسية في مختلف المراحل التعليمية، مع الاهتمام بالنوعية وما يوافق متطلبات العصر واحتياجات المتعلمين في ظل العولمة إعدادا للتصدي لها والمواجهة، ويعتبر المنهج (المحتوى والطريقة) من أهم المداخل ضمن الإمكانيات التطويرية في التربية يشمل عناصره: الأهداف، المعارف، وأنشطة التعلم والتقييم. ويتفق معظم دعاة الإصلاح التربوي والتعليمي، على أن زيادة فاعلية المدرسين وحنكتهم وتمكنهم اللغوي عامل حازم في نجاح الجهود التي تبذل حاليا ل لإصلاح على مستوى المنظمات الدولية والإقليمية والوطنية، كما يتفقون جميعا على تطوير البيداغوجيا التي تمد المتعلم بالتفكير الناقد وحل المشكلات المعقدة.

***الروافد العلمية:**

- حسن عبد الباري عصر، تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، ط 1. مصر: 1997 الدار الجامعية، ص 130.

- صالح بلعيد، مقاربات منهاجيّة، الجزائر: 2004، دار هومه للطباعة والنشر، ص103.
- صالح بلعيد، في المناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث، الجزائر: 2005، دار هومه للطباعة والنّشر والتّوزيع ص13.
- عبد اللطيف فؤاد إبراهيم، المناهج، أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها، مكتبة مصر، ص27
- موقع الانترنيت: Alamjia.jeeran.com/2007-

سبل تيسير النحو العربي

أ/ نسيمة نابي - جامعة تيزي وزو

إنّ واقع اللّغة العربية ولاسيما قواعدها في مؤسساتنا التعليمية يعاني من نقائص وثغرات كانت السّبب في عقم القاعدة النحوية وعدم ج دواها في اكتساب المتعلم التعبير السّليم ، فالطالب من التعليم الثانوي إلى التعليم الجامعي وهو لا يملك تحصيلا في علوم اللغة وسلامة التعبير،كونه يتلقى دروسا مكثفة في التعليم المتوسط ومتفرقات في النحو، فغالبا ما تجد الطالب يحدثك بحماس بالغ عن جمهرة المسائل النحوية التي درسها وعرفها، فيجيبك باستعراض معلوماته المعقمة في الأبواب النادرة، وما إن يشرع في التعبير كتابة ومشافهة تختفي تلك المعلومات وراء ركام من الأخطاء النحوية المريعة التي يقع فيها ، ويعود ذلك لفقدانه الصلة بين القاعدة والممارسة ، بين التنظير اللغوي والعقل الذي تعمل فيه اللّغة، وهذه الأخطاء ترجع في الحقيقة إلى أنّ الأستاذ لا يبدي أيّ اهتمام بعلوم اللغة وقواعدها

أمام الطالب ، «فلا يقيم صلة وثيقة بين اللّغة العربية وآدابها ولا يحاسبه على ما يقع فيه من أخطاء معتقدا أنّ ذلك من أستاذ النّحو وحده» [1]. وذلك علما أنّ القاعدة لا تنتهي عند شكل الكلمة وإنّما تتجاوزها إلى التراكيب وما تؤديه من معنى، وتوجيهها الوجهة التي يريدها الكاتب أو المتكلم ، كون القواعد خدم للمعاني ومؤشر للإيحاءات المختلفة التي تؤديها داخل الجملة ، إذ نجد «أنّ القاعدة لم تكن في يوم من الأيّام غاية في ذاتها، ونستشف من كلام القدماء أنّهم كانوا يحرصون على أن تكون دائرة القواعد أوسع من أن تقيّد ببحث في الإعراب والنظر في أواخر الكلمات، فحركات الإعراب ترجع إلى علل وأسباب ترد في كلامهم ، فقد أصبحت القواعد هي المنهج الذي ينبغي أن يتعارف عليه المخالفون ، وليس يعن ي ذلك أننا ندعو إلى تعلم القواعد المجردة البعيدة عن الحقل اللغوي علما أن تكون القاعدة هي الملاذ والمعلم هو الضابط يهتدي به الناطق والسامع والمتكلم والمتعلم والمعلم بعد ذلك كالإفهام والإدراك »[2].

أهمية تدريس قواعد اللغة العربية:

المهارة اللغوية:

إنّ المهارة صفة منهجية وعلمية تقوم بالإنسان، بحيث يكون متقنا للعمل أداءً له على أحسن نسق رتقا بلا فتق، وقوة بلا ضعف، ومرونة بلا تعسف، وديمومة بلا انقطاع؛ في نباهة وفطنة وحضور بديهة نابهة ، انطلاقا من معايير الخبرة والتمرس والإحسان الذي كتبه على كل شيء.

واللغة كما يقول العلامة ابن جني في كتابه الخصائص: " اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ، وفي دائرة المعارف البريطانية يقول كاتبها: إن اللغة " يمكن تحديدها بأنها نظام من الرموز الصوتية ، "أو هي على حد تعبير الكاتب نفسه في دائرة المعارف الأمريكية " نظام من العلامات الصوتية الاصطلاحية."

والمهارات اللّغوية هي أحكام النطق والخط والفهم والإتقان والتمرس والتداول للّغة كتابة وقراءة واستماعا وتحاورا ونطقا وصوتا ومعجما وصرفا ونحوا و دلالة وأسلوبا، بحيث إذا أتقن الممارس للغة هذه المستويات بنية و تركيبا و دلالة وأسلوبا على الجهة الإحكام سمي ماهرا

باللغة، وانتقلت في حقه من ثقافة نظرية إلى مهارات تداولية وآليات تطبيقية ، فيها روحه ووجدانه وبصمته الخاصة من حيث طرائق التعبير والتحرير والتفكير والإبداع.

ويشير مفهوم المهارة في اللغة أن المهارات ليست مجرد أسلوب أدائي يقوم به الممارس للغة، بل إن التمهر لا يتجسد إلا إذا اتسمت الأعمال المهارية بخصائص الشمول والمرونة والحذق والإجادة ، وديمومة التمرس للشيء من قبل المتعلمين ، فكل ما يرتبط بالمهارات الأدائية لا بد أن يكون القائم به متمكنا منه على جهة الإتقان والتمرس والحذق.

فاللغة بخصائصها التفاعلية والتداولية والتواصلية كائن حي متنام ، له خصائصه التطورية والحركية، وهي الروح الدافعة والمحركة للنشاط الفكري والعقلي للكائن الإنساني، والدالة على قدراته النقدية والحوارية والإبداعية وأساليب فهمه وتفكيره وحكمه على الأشياء وأداته المثلى في تنمية العلاقات الاجتماعية والإنسانية

والحضارية، وتسخير الكون والتحكم فيه (وعلم آدم الأسماء كلها).

وقد أشار القرآن الكريم إلى جوامع هذه المعاني واللطائف بقوله تعالى " لسان الذي يلحدون إيه أعجمي وهذا لسان عربي مبين". ويؤكد هذه المعاني والتوجيهات ما أخرجه الحاكم في مستدركه " أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام قال:" من يحسن أن يتكلم العربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق."

ومن الجدير بالذكر أن مهارات اللغة العربية التي ستكون مدارا لهذه المدونة موضوعا ومادة، وأسلوبا ومنهاجا، هي مهارات الإملاء العربي ومهارات الصرف العربي ومهارات النحو العربي ومهارات البلاغة وأوزان الشعر وبحوره، ومهارات المعجم العربي ومهارات الدراسة المصطلحية ومهارات البحث العلمي ومهارات الكتابة والتحرير، ومهارات تحليل الخطاب الشعري وتذوقه ونقده.

ولعلّه بتكامل هذه المهارات في حياة المتعلم في بيئة تعليمية متفاعلة ومتحركة تتكون لديه مهارات حيوية جديدة

مهمة في عالم اليوم ، هي المهارات الحوارية والنقدية والإبداعية ، والشعور الواعي بأهمية اللغات ومنزلتها في تكوين المشترك الإنساني والحضاري.

فقد ازدهرت قواعد اللغة العربية واستوت على سوقها كدرع يبعد اللّحن عن اللّغة ، وقانون يحكم التعبير بها ويميز الخطأ عن الصّواب، وواكب ازدهارها ازدهار الفكر الإسلامي، فقامت بأداء رسالتها في صيانة اللّغة وسلامة التعبير دون مبالغة ، وقد كانت المؤلفات الأولى زاخرة بالكثير من روائع النصوص والشواهد التي جعلت القاعدة حيّة نابضة تحدد وظيفة الكلمات في أساليبها الفصيحة، وتعمل على استمالة المتعلم إلى تعلمها والسّعي وراء فهمها (من قبل الخاصة).

فقد جمع سيبويه في كتابه أكثر من ألف بيت في الشواهد، إلى جانب كثير من آيات القران الكريم، فكان كتاب ه بذلك جامعا لكل ما يؤدي إلى سلامة اللغة في ألفاظها من إعراب وبناء ، وفي تراكيبها من تقديم وتأخير وذكر وحذف.

فكان في نحو وصرف وبلاغة من نصوص أدبية وشعر، وأكدّ ذلك أبن جني في كتابه الخصائص قائلا: «النحو هو انتحاء سمت كلام العرب، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذّ عنها بعضهم ردّه إليها »[3].

العلاقة بين الصرف والنحو:

الصرف مقدمة ضرورية لدراسة النحو، بل هو مكمل وممهد له، وذلك أنّ الصرف دراسة للكلمة، والنحو دراسة للجملة ، وقد قال ابن جني بهذا الشأن: « التعريف هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنّما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنّك إذا قلت: قام بكرٌ، ورأيتُ بكرا، ومررت ببكر فإنّك خالفت حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل ولم نعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التّصريف، لأنّ معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حالته المتنقلة»[4].

لكن رغم ما ناله النّحو من بحوث إلاّ أنّ الشكاوي ضدّه مازالت قائمة ، فهناك من

يطعن في شكلها القديم ، وهناك من يشتكي من محتواه ، ومنهم من يطالب بتيسيره ليكون ملكا للمستعمل، بحيث يستعمل في كل المواقف دون انقباض... الخ، فالنحو العربي علقت به مجموعة من المشكلات والتي تعود إلى جملة من المعطيات والأسباب نحاول أن نختصرها في الآتي:

-المادة النحوية.
-بعض طرائق التدريس لا تستجيب لمو اصفات الدروس.
-عدم تّدريس معاني النحو، مما أستدعى فصل البلاغة عن النحو.
-قلة الشواهد والتطبيقات.

فأمام هذه الأوضاع تولد المشكلة اللّغوية جراء عدم تمكننا العميق والجيدّ لمفهوم النّحو، فبقيت الشكاوي تتراكم والحلول في يد المختصين الذين لا يجرؤون على مس القضايا التي قال بها السّلَفُ ولا يمكن الخروج عن قواعدهم (فبقي النحو معقّدا).

مفهوم النّحو:

النحو لغة:

«تنص معالم اللغة العربية على أنّ النحو يعني: القصد، نحا فلان نحو فلان: قصده،

ويقال نحوت نحوه: قصدتُ قصده وجمعه أنحاء ونحو»[5].

« وهو علم ينظر في أحوال الكلمات إعرابا وبناء ، وبه يعرف النظام اللغوي للجملة، وكيف تتعلق الكلمات فيما بينها لتؤلف تركيبا يحمل الإفادة

كما ينظر في موقع الجملة، وفي الارتباط الداخلي بين الواحدة المكونة للجملة والفرض، من صوغ الكلام بمقتضى الصحة التركيبيي والمعنوية لتأدية الفائدة ، وحسب ما نطقت به العرب في سجينها الأولي وتباعا للأصول »[6].

فقد نال النحو تعريفات كثيرة، وأدرج في باب علوم اللّغة، ورأى بعضهم أنّه ذلك العلم الذي يرسم قوانين اللّغة ويضع أحكامها، بناء على ما كان سابق ا كما نجد له تصريفا أخر وهو: محاكاة أمة في كلامها على نهج ما قالوه من الكلام ، هو مرتبط بقوانين عرفية وبتأدية معينة وعلى أنساق القوم الذين يتلاغون بذلك العرق اللّغوي.

اصطلاحا:

«هو العلم الذي تعرف به الأبنية المختلفة للكلام وما يتفق منها كأبواب الفعل وأصل المشتقات والمصادر بأنواعها من التصغير والنسب (السدّ)، ويتمثل في القواعد والقوانين التي تعرف بها أصول أبنية الكلمة مما ليس بإعراب و لا بناء»[7].

وبذلك فالصرف هو العلم الذي ينظر في الكلمة المستقلة عن الجملة ، ويعالج مختلف التغيرات التي تلحق هذه الكلمات حسب قواعد متعارف عليها من تذكير وتأنيث وإفراد وتنبيه وجمع ، ومختلف أحوالها العارضة لها من صحة وإعلال ون حوهما، كما يبحث في صيغ الكلمة وتحويلها إلى صور مختلفة بحسب المعنى المقصود، وقد قيل فيه «أمّا التصريف فإنّ من فاته علمه فاته المعظم، كأن نقول وجد، فهي مبهمة ، فإذا صرف وفاصحت وقلت: في المال وجدا وفي الضالة وجدانا وفي الغضب موجدة، وفي الحزن وجدا ويقال: القاسط للجائر، والمقسط للعادل، تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل»[8].

المشاكل المتعلقة بتعليم القواعد:

إنّ الصعوبة التي يحس بها المتكلم والكاتب الذي لم يكتسب السليقة التعبيرية ولم يستوعب الحقائق النحوية والصرفية حين يحاول استعمال العربية الفصحى والتّعامل بها في مواقف الخطاب المختلفة، إنّما تعزى إلى طبيعة القواعد التي هي في الأصل قوانين وأحكام وأنساق معيارية تتبع في نظم الكلام وبناء التراكيب، تستدعي فهم النظام اللّغوي الصرفي والنحوي الدلالي والصوتي، والأسس التي بنيت عليها أحكامه ومعاييره ومصطلحاته.

ويعزو بعضهم هذا العجز في استيعاب القواعد وفهم وظائفها إلى كثرة الافتراضات والتأويلات التي تطبع الظواهر اللّغوية والأحكام الحالية، فالمناهج عندنا لا تفرق بين النحو الأكاديمي والنحو المدرسي الوظيفي، لذلك تلجأ الكتب إلى تقرير القاعدة كما هي مدوّنة في أمهات الكتب، بصفتها التجريدية وأحكامها الاصطلاحية، مما يجعلها ص عبة المنال، والذي يلفت الانتباه هو: أنّ القواعد النحوية بالرغم من أنّها تتصل بكل ممارسات الطلاب اليومية في المجال ين

الشفهي والكتابي، ورغم الحرص الشديد على الأداء الصّحيح أثناء القراءة ؛ ورغم أنّ التعبير جزء من حياته اليومية ؛ ورغم ما يبذل من جهود من قبل المعلمين والأساتذة ؛ رغم ذلك ما تزال نتائج [9] تعليمها متدنية. حيث لا تتفق مع ما يبذل من جهد ، وما يخصص لها من زمن ، وربما يعود ذلك إلى اعتبار القواعد وسيلة لتعليم اللّغة من قبل المعلّمين، لذلك تجدهم يحرصون على تلقين التّلاميذ كل ما يتعلّق بالمسائل النحوية والصرفية من مصطلحات وأحكام وتفريعات، واعتقادا منه م أنّ ذلك يمكّ ن التّلاميذ من امتلاك نا صية اللّغة والقدرة على استخدامها. وهذا ما خلق بعض الإشكالات القائمة في مجال تعليم القواعد ، وذلك أنّه:

كثيرا ما ينصب الاهتمام على التعاريف النظرية والأحكام الإعرابية ، ويهمل التدريب الإستعمالي الذي يعتبر الأساس في ذلك.

وقوع اتفاق المعلمين على أنّ القواعد وسيلة، ولذلك يقع تركيزهم في تدرسها على جانب المبنى ، مع إعطاء الأولوية للأحكام والمصطلحات. ولا يتيم التعرض إلى الوظائف

إلا قليلا، وهذا ما يجعل التلاميذ ينفرون من تعلم النحو ، لاقتصاره على الأحكام الإعرابية، وضبط أواخر الكلمات مما جعل التلاميذ يتذوقون النحو دون إدراك حقائقه.

وطغيان الجانب الشكلي على تعليم القواعد جعل المتعلمين يخلطون، يرفعون وينصبون ويقدمون ويؤخرون... الخ ... وذلك لاقتصار وظيفة النحو على حركات الإعراب ومعرفة ما يجوز.« فهي نظرة حصرت القواعد في التغيرات التي تلحق المبنى، أما جانب المعنى الذي هو أساس فقلّما يل تفت إليه، ولهذا يتصوّر الطّلاب أنّ النحو مبنى وليس منى، أو هو معنى تابع للمبنى؟، من المشكلات التي كثيرا ما ن غفل عنها ولا نلتفت إليها في مجالاتنا الإصلاحية، ولكنّها تؤثّر تأثيرا واضحا في مستوى المتعلمين، فهي مشكلة التعامل مع القواعد ونظرتنا إليها، فهل هي نظرة تتفق مع مكانتها ض من فروع اللّغة؟... الخ »[10].

ونلاحظ أيضا أنّ كثير ا من النحاة لم يفرقوا بين النحو التخصصي والذي يستعمل في البحث عن الخصائص اللّغوية لمادة ما ،

بمعنى الخوض في أعماق النحو، وفيه النحو التربوي التي تتمثل فيه الأركان التربوية، من مراعاة الطريقة والمنهج والتدرج، فمسألة تيسير القواعد النحوية أثارت الكثير من الإشكالات النظرية والتطبيقية، رغم العناية الكبيرة التي تلقتها مادة النحو ، إلى أنّ التقارير التي أسفرت عنها لا تزال تشير إلى ضعف التلاميذ في لغتهم في جميع مراحل التعليم العام فلم يسلم منها حتى طلاب الجامعة والمتخرجون منها سواء من حيث الأداء المنطوق أ م المكتوب، لذا فإنّ تيسير النحو على الناشئة والمتعلمين واجب حتمي وقد أشار عباس حسن إلى أهمية النحو قائلا: «إنّ منزلة النحو من العلوم اللّسانية منزلة الدّكتور من القوانين الحديثة، وهو أصلها الذي تستمد عونه، وتستلهم روحه وترجع إليه من جليل مسائلها وفروع تشريعها، ولن تجد علما من تلك العلوم يستقل بنفسه عن النحو أو يستغني عن معونته أو يسترشد بغير نوره وهداه»[11]، في حين يورد أحمد مدكور المقولة المشهورة «النحو في الكلام كالملح في الطعام»[12] أي أنّ النحو ضروري

ليكون الكلام مفهوما ولكن إذا تجاوز حدّه وخرج عن أصل وضعه أصبح الكلام غير مفهوم والأمر ذاته بالنسبة للملح فإذا وضع في الطعام أصبح الطعام مستساغا. لاسيما ونحن في عصر تتجه فيه اللّسانيات التعليمية إلى التجميع المستنير والاستفادة من الخبرات والدّراسات النظرية والميدانية الحديثة، لذا وجب أوّلا تحديد المفهوم الإجرائي لمصطلح تيسير النحو، وقد حدّده العلماء كالآتي: «هو تكييف النحو والصرف مع المقاييس التي تقتضيها التربية الحديثة عن طريق تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد على المتعلمين، فعلى هذا، ينحصر التيسير في كيفية تعليم النّحو، لا في النّحو ذاته»[13].

فالنحو جد ضروري في تعليم اللّغة واكتساب السليقة، لكن لا كقواعد نظرية تحفظ عن ظهر قلب، مطردها وشاذها، ولكن كمثل وأنماط علمية تكتسب بالتدريب والمران المستمرين، وقد قال ابن خلدون في هدا الصّدد «وهذه الملكة...إنّما تحصل بممارسة كلام العرب، وتكرره على السّمع، والتفطن لخواص تركيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العملية في ذلك التي

استنبطها أهل صناعة البيان فإن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللّسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها»[14].

وهذا هو الاتجاه الحديث الذي يدعو إليه المختصون في تعليمية اللّغات بشكل عام، والذي يهدف إلى عرض القواعد النحوية على المتعلمين عرضا وظيفيا من خلال تراكيب بنيوية وأنماط لغوية متدرجة في الصعوبة، وقبل الإسراف في الحديث في هذا أتوقف أوّلا عند الطرائق التقليدية لتدريس مادة النحو.

طريقة تدريس مادة النحو: ومن أهم الطرائق التقليدية الشائعة لتدريس مادة النحو ما يأتي:

-**الطريقة القياسية:** وهذه الأخيرة تعتمد على حفظ القاعدة كمنطلق للدّرس، ثم شرح الأمثلة والشواهد، فالاستنتاج، وهذا يعني أنّها أهملت جوانب التفكير الأخرى مثل الفهم والتحليل والتركيب والتقييم، أي أنّها تعتمد فقط على الحفظ، وتبدأ غالبا بالأحكام العامة والكلية والتي تكون صعبة الفهم والإدراك ثم تنتهي بالجزئيات.

-**الطريقة الاستنباطية:** وهذه تنطلق من الأمثلة التي تشرح وتناقش ثم تستنبط منها القاعدة، وهذا ما هو متبع في مختلف مناهج النحو في معظم الدول العربية ، ولقد نسبت هذه الطريقة إلى الفيلسوف الألماني « يوحنا فريد بريك هربارت» وتعرف طريقته هذه باسم « طريقة هربارت» ذات المراحل الخمس وهي: المقدمة، العرض، الربط، استنباط القاعدة ، والتطبيق، غير أنّ المختصين في مجال بناء المناهج في أمريكا وأوربا هجروا منذ مدة طريقة « هربارت» واستفادوا في وضع مناهج اللّغات عندهم وفي تدريسها بفكرة ابن خلدون ، التي ترتكز في تكوين الملكة اللسانية على دراسة النصوص الجميلة، دراسة تحليلية تقويمية تذوقية».[15]

فاعتبار النحو عبارة عن قواعد وقوانين وإهمال النصوص الفصيحة أدى بالتلاميذ إلى القصور في العربية، وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون: «... لأنّ العلم بقوانين الإعراب إنّما هو علم يكفيه العمل وليس هو نفس العمل، وكذلك تجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين، إذا سئل

في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذوي مودّته، أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللّحن».[16]

ويستأنف كلامه قائلا مُبينا أنّه لا تدرك اللغة إلاّ بتطبيق القواعد النحوية على الشواهد الكثيرة قائلا: « وأكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه، فإنّه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم، فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة».[17]

وهنا تجدر الإشارة أنّ النحاة واللغويين القدامى كانوا مُربين ومعلمين موفقين ، وذلك أنّه لم تكن بينهم خصومة تذكر حول موضوع التيسير وفكرة تقريب القواعد من المتعلمين فلم تشكل هذه المسألة قضية بالنسبة إليهم، أي أنّهم كانوا على وعي بضرورة وجود مستوى من المؤلفات النحوية المختصرة والميسرة فأدى بهم حرصهم على تعليم العربية إلى التمييز بين مستويين من النحو، مستوى نظري تحليلي ومستوى تربوي تعليمي، أي أنّهم كانوا على وعي تام بضرورة وجود وتأليف مؤلفات نحوية تعليمية تناسب الفئات المختلفة من الناشئة والمتعلمين.

ولكن لا يعني أنّ مؤلفات (القدامى) تخلو من المآخذ، وقد أجمل هذه الأخيرة (المآخذ) الأستاذ محمد صاري * كالآتي:

اهتمامها بالنحو الانفرادي على حساب النحو التركيبي، إذ يبدو النحو فيها نحو مفردات متناثرة لا نحو تراكيب وجمل وأساليب.

أمثلتها جافة ومصطنعة لا تعبر عن احتياجات المتعلم ولا تستجيب لمتطلبات العصر وبيئته.

لم تكن ترمي إلى خلق المهارات الأساسية وتنميتها (كالتعبير الشفوي والكتابي) بل كانت تهدف إلى تحليل الإعرابي وتزويد المتعلم بمعلومات نظرية عن اللّغة ، تهم السّلامة اللّغوية ولا تفيد التبليغ.

طريقة تدريس هذه المتون والمختصرات التي يقرأها أو يميل إليها المعلمون والنّحاة تعتمد على الحفظ والاستظهار ، وتهمل الممارسة والاستعمال. علما أن حفظ الأبواب النحوية لا يعني دائما فهمها، ولا يضمن القدرة على استعمالها استعمالا صحيحا في الكلام أو الكتابة.

هذا النوع من التأليف (المختصرات) لم يكن منظما بشكل يصلح مباشرة للتدريس ، حيث لم يبرأ من آثار الطابع الفلسفي النظري، لاسيما عند النحاة المتأخرين الذين وقع عندهم خلط بين العلم والتعليم وبين تعليم النحو تعليم اللّغة ، ولذا فإنّ المادة التعليمية الموجودة في بعض المختصرات مفيدة جداً ولكنّها تحتاج إلى تكيف وترتيب وفق ما تقتضيه التربية الحديثة.

إنّها مختصرات صغيرة الحجم، كثيفة من حيث المعلومات، فبعضها موجز مفرط في الإيجاز حتّى كادّ يعدّ من جملة الألغاز(كألفية ابن مالك مثلا).[18]

وفي العصر الحديث تواصلت دعوات التيسير، بضرورة تغيير النظرة إلى النحو، أي إعادة تشكيل القواعد النحوية لتوائم طريقة تفكير الإنسان العربي في القرن العشرين، حيث اعتقد بعض اللغويين أنّ الصعوبة تكمن في القواعد نفسها وطريقة تدوينها، فتعرضوا بذلك لنقد منهج البحث النحوي للّغة العربية ، ونذكر على رأسهم الأستاذ إبراهيم مصطفي في كتاب ه «إحياء النحو» والدكتور شوقي ضيف عند تقديمه كتاب «الردّ على النحاة» لابن مضاء

القرطبي، وكتاب ه «تجديد النحو» وكذلك كتابه « تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده» .....الخ.

ونجد كذلك ما قدّمهُ الدكتور حسّان تمام في كتابة «اللغة العربية معناها ومبناها» حيث حاول من خلاله أن يؤسس لنظرية جديدة يتجاوز من خلالها نظرية العامل، ونعرض فيها فيما يلي بإيجاز نقده للمذهب النحوي العربي.

والمتأمل لفكرة تيسير تعليم النحو في إطار تيسير تدريس اللّغات يجد أنّ هذا الأخير ضرورة ملحة ، لذلك ارتبط التيسير بالطريقة، وحاليا تميز التعليمية بين مستويين من النحو: النّحو كعلم والنّحو إخراج جميع التلاميذ علماء في علم النّحو أو اللسانيات»[19] ولكن ذلك يكسب المتعلم السّلامة اللغوية إلى جانب التلقائية في التعبير، ومن بين أهم النظريات التي لاقت نجاحا واسعا من ضمن النظريات الحديثة في إطار تيسير تعلم النحو لتيسير تدريس اللغات النظرية البنوية.

حيث تعتبر هذه الأخيرة من أهم الوسائل البيداغوجية التي تقترحها التعليمية على المشتغلين بتدريس اللغة عامة والنحو

خاصة: التمارين البنوية (Les exerciseur structuraux) والمشجرات (Les arbres) .

فقد شهدت الساحة التربوية نظريات تعلم كثيرة، وتأثرت طرق التدريس بهذه النظريات، محاولة الاستفادة منها في المجال التطبيقي، وأصبحت هذه النظريات تمثل أدوات مهمة يمكن أن تسهم في رفع مستوي عمليتي التعليم والتعلم وحل مشكلاتها .

ومن هذه النظريات " النظرية البنائية " Constructivism " التي تتمتع بشعبية كبيرة لدى المنظرين التربويين باعتبارها نظرية جديدة في التربية، تحوّل التركيز فيها من العوامل الخارجية التي تؤثر في تعلم الطالب، ليتجه هذا التركيز إلي العوامل الداخلية التي تؤثر في هذا التعلم .

وفقًا لهذا التيار البنائي فإن المتعلم يبني المعرفة بصورة تتسم بالفردية الشديدة معتمدًا علي معارفه الموجودة بالفعل، ومعتمدًا على خبرات التدريس الرسمية، ويركز هذا الاتجاه أيضًا عل ى أن التعلم ذا المعني يعتمد علي الخبرة الشخصية، وأن المعلومة يزداد احتمال اكتسابها والاحتفاظ بها واسترجاعها مستقبلاً إذا كانت مبنية بواسطة المتعلم

ومتعلقة به، ومتمركزة حول خبراته السابقة.

وقد تعددت الاستراتيجيات والنماذج التدريسية القائمة على النظرية البنائية التي تقوم على نموذج التعلم البنائي من منظور بايبي (Bybee Rodger).

إنّ المضمون الأساسي للنموذج البنائي "Learning Model the Five E"s Constructivist هو أن الأفراد الذين يشتركون في تعلم نشاط، وفي مجموعات تعاونية بإمكانهم اكتساب المعرفة وبناء المعنى بأنفسهم، ولذلك يركز هذا النموذج على أن يكون التعلم عملية نشطة تتم في بيئة تعاونية، ولا شك أن التعلم التعاوني جانب أساسي في أغلب مراحل النموذج.

ووفقاً للمنظور البنائي فإن هذا النموذج يساعد التلاميذ علي بناء مفاهيمهم ومعارفهم وربطها بالمفاهيم والمعرفة السابقة وفق خمس مراحل متتالية، يتم من خلالها تنمية القدرة علي استرجاع المعلومات وربط المعرفة الجديدة بالمعرفة السابقة، وتنمية مهارات التفكير العليا، ومهارات حل المشكلات.

وخلاصة القول أنّ النحو العربي القديم قدم لنا الكثير من الإسهامات العلمية ، حيث نجد لبعضها نظرا في النظريات المعاصرة، وحديثا وجدت لدى العرب نظريات نحوية عربية حديثة ، ومنها النظرية الخليلة الحديثة للدكتور عبد الرحمان الحاج صالح ، حيث أصل فيها لنحو بِنَوي عربي استمد أصوله من منهج الخليل وتلميذه سيبويه.

ونظرية النحو الوظيفي التي أقبل فيها الدكتور أحمد المتوكل نحو عربي وظيفي في إطار مبادئ نظرية النحو الوظيفي..... الخ.

المذهب النحوي عند حسان تمام (نقد):

لقد التفت بعض الباحثين إلى معاودة النظر في علم النحو، وقد ترادفت المراجعات في ذلك تحت أسماء وألقاب مختلفة مثل: إصلاح النحو وإحيا ؤه وتهذيبه وتيسيره بهدف تقويم اللّسان ، أو إصلاح المنطق أو توقي اللّحن ، وكان الحافز إلى ركب سبيل التجديد استظهار وجوه القصور في القديم، حيث تبيّن من جل المحاولات على أنّه في القديم قصورا. ونذكر على رأسهم الأستاذ حسان تمام من خلال كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها".

حيث تعرض لنقد النحو العربي معتمدا في ذلك على ركائز من الفكر اللساني الحديث ، كذلك من خلال كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية"، حيث عمد فيه إلى التمييز بين المنهجين المعياري والوصفي رغبة منه في معاودة النظر في تراث النحاة ، وقد تجاوز بذلك جل أو جميع محاولات التهذيب والتسيير، محاولا سبر أغواره منوها بذكر جهود كل من سيبويه وعبد القاهر ، ومعترفا بفضلهما في الدراسات اللّغوية في الثقافة العربية، حيث نوّه بفضل سيبويه في ميدان التحليل، وبفضل عبد القاهر في حقل أو ميدان التركيب، ومما ورد من آراء بشأن نقده للنحو قوله أو بيانه أنّ علم النحو قديما كان نحو تحليل لا نحو تركيب، حيث وقع اهتمام النحاة بمفردات النحو من خلال تقسيم الكلم ، وتبيين العلاقات الدالة على كل قسم منها والإعراب والبناء ، أي ما يدخل في إطار الجملة النحوية ، ويتضح لنا ذلك من خلال قوله: "والمعروف أنّ هذا الجانب التحليلي من دراسة النحو لا يمس معنى الجملة في عمومه، لا من الناحية الوظيفية العامة كالإثبات والنفي والشرط والتأكيد والاستفهام والتمني، ولا من الناحية الاجتماعية التي تنبني على اعتبار الجملة بروابط مبنوية ومعنوية

ذكروها فرادى و لم يعنوا بجمعها في نظام كامل". [20]

حيث يتبيّن من خلال قوله أنّه يريد أن يكون التحليل طريقا للوصول إلى التركيب ، وذلك لأنّ التواصل لا يتحقق إلاّ من تركيب المادة اللغوية أي على هيئتها المركبة.

ولذلك دعا إلى « الانتقال بالنحو العربي من نحو المفردات إلى نحو التراكيب» ومن « نحو أجزاء الجملة» إلى « نحو الجملة» [21] و قدّم بذلك توضيحات نختصرها كالآتي:

في نحو الجملة: إذ فيما يخص نحو الجملة فقد قام باستظهار الفرق بين الصفة التراثية للنحو والصيغة المقترحة، واستظهر بذلك أربع صفات جعلها أهم ميزات القاعدة النحوية عند نحاة العرب وهي:

1) **الاطراد:** ومن ثمّ تكون القاعدة عندهم حَكَماً على اللغة الفصيحة على الرغم من اعترافهم للشذوذ بالفصاحة.
2) **المعيارية:** ومعناها أنّ القاعدة معيار للصحة والخطأ...جعلت المعيارية القاعدة سابقة على النص، فلا يرتضي النحو نصا إلاّ إذا وافق القواعد التي سبق استنباطها.

3) **الإطلاق:** بمعنى أنّ القاعدة النحوية صادقة على ما قيل من قبل وما سيقال من بعد فهي الحكم الذي يُرَدّ إليه الكلام.

4) **الاقتصار:** على بحث العلاقات في حدود الجمل الواحدة ، فلا يتخطى البحث إلاّ عند الإضراب أو الاستدراك ونحوهما ، ومن هنا صح لهذا النحو أن يسمى نحو الجملة».[22]

وبهذا جعل حسان تمّام الاطراد والمعيارية والإطلاق والاقتصار على بحث العلاقات داخل الجملة الواحدة قاعدة نحوية عند العرب.

وقد اعتمد هذه الأخيرة أي (الصفات أو السمات) لبيان الفرق بين نحو الجملة ونحو النص ، وقد ذهب في ذلك إلى قوله: (باختصار):

-الاختلاف باعتبار خاصية الاطراد وذلك أنّ:

نحو النص يعترف بالمؤشرات الأسلوبية لإثارة انتباه المتلقي.

-الاختلاف باعتبار المعيارية وذلك أنّه:

نحو النص نحو تطبيقي ويتجلى هذا من قوله: « نحو النص أبعد ما يكون منها ، لأنّه نحو تطبيقي غير نظري فلا ينشأ إلاّ بعد أن يكتمل النص، وبعد أن يكون النص حاضرا

ومعرّضا لتطبيق النحو عليه مستخرجا من مادته». [23]

-**الاختلاف باعتبار الإطلاق:** نحو النص « يطبق على نحو الكلام قبل أن يصاغ هذا الكلام ولا في أثناء صياغته».

أمّا فيما يخصّ الاختلاف باعتبار اقتصار أولهما على معالجة العلاقات في داخل الجملة دون الثاني فهو أمر واضح.

أوجه التشابه أو النقاط المشتركة بين النمطين:

وقد استظهر منها حسان تمّام نمطين وهما التّضام والاتساق، وبيّن في ذلك أنّ التّضام يتناول اللّفظ، والاتساق يتناول المعنى، ونتبين هذا من خلال هذا النص: « والصفة الأولى تتناول اللّفظ على حين تتناول الثانية المعنى، فالتّضام علاقة تشمل أمورا مثل الافتقار والاختصاص والتلازم والمطابقة وعود الضمير... والاتساق علاقة بين المتضامين تجعل أحدهما غير ناب في الفهم عن الآخر» [24] فمثلا القول: فهم الجدار أو القول: الأرض فوقنا غير مقبول في الظروف العادية لاستعمال اللغة، في حين قد يكون مقبولا في المواقف غير المعتادة كإرادة السخرية.

وهناك أيضا ما يستقل به نحو النص دون نص الجملة ، وهي القصد والتناص ورعاية الموقف والإعلامية والقبول (وهو مقابل لمطابقة القاعدة)...الخ.

هنا نجد الإشارة إلى أنّ نحو الجملة هيمن على صياغة القواعد في جميع لغات العلم ذات النحو المكتوب بدايات النصف الثاني من القرن العشرين ، ولذلك فإنّ ليس بدعا في النحو العربي من حيث خضوعه المطلق لفكرة نحو الجملة.

ويمكن تلخيص أهم ما ورد عنده على النحو العربي كالآتي:

موضوع النحو العربي هو الشاهد والمثال.

هيمنة الوسم المعياري التعليمي على التقعيد النحوي وانغلاقه في حدود الخطأ والصواب مما حدّ من قدرته على التحليل الخالص للظواهر اللغوية.

اعتبار المقام حيزا هامشياً في التقعيد النحوي إلاّ ما كان فيها داخلا في الحيز البلاغي.

غياب فكرة المستويات التحليلية من التقعيد مما استدعى بالضرورة غياب فكرة العلاقات النظامية التراتيبية بين هذه المستويات.

إهمال إنية الجملة وتمييع مفهومها.

C:

إنّ المنهج أو الطريقة التي يعتمدها المعلم قي سير درسه يعد خطوة علمية ونقطة بارزة في مجال التعليم، ولاسيما في تقديم مادة القواعد ، قصد التقليل من قصور التلاميذ في هذه المادة. ترغيبا لهم في دراستها بدلا من التهرب منها.

إنّ النحو العربي دار حول محو نظرية العامل، بينما يضع البحث اللغوي الحديث هدفه في دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة كوسيلة للتعبير عن المعنى ، لأنه يعدّ عنصرا مهما في دراسة بناء الجملة.

* الاهتمام بالأخطاء النّحوية وتقديم الصّواب.

* حفظ القرآن الكريم و التسلح بالنصوص الأدبية لاكتساب ملكة لسانية.

* حسن استغلال الموروث اللغوي العربي والاستفادة من الدراسات الحديثة أي خلق الانسجام وحسن الرّبط منها.

* إعداد المعلم وتكوينه من الناحية العلمية والمنهجية.

* الاهتمام بتنمية النّشاطات الفكرية للتلميذ بجعله يشارك بشكل فعال في التطبيقات.

* التركيز على النحو الوظيفي كونه يقوم على إدراك الدّور الذي تؤديه الكلمة في الجملة.

* تطبيق بيداغوجية التمارين البنوية القائمة على نموذج التعلم البنائي، وطريقة المشجرات.

الهوامش:

1- سميح أبو مغلي. التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس دار الفكر للطباعة والنشر. عمان الأردن، ط1، 1997. ص: 24.

2- صالح بلعيد، إتقان العربية في التعليم، دارهومه للطباعة، الجزائر 2000. ص: 16.

3- أبو الفتح عثمان أبن جني، الخصائص، تح. محمد علي النجار، دار الكتاب مصر القاهر ة، 1957. ص: 32.

4- المرجع نفسه.

5- صالح بلعيد. الصرف والنحو دراسة وصفية تطبيقية. دارهومة. دار النشر للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2002. ص: 129.

6- المرجع نفسه والصفحة.

7- صالح بلعيد. الصرف والنحو. دراسة وصفية تطبيقية، دار هومة للنشر والطباعة الجزائر 2002، ص:71.
8- جلال الدين السيوطي. المزهر في علوم اللّغة وأنواعها. منشورات المكتبة العصرية. بيروت ج1، 1986. ص:330.
9- صالح بلعيد. النحو والصرف. دراسة وصفية تطبيقية.ص:98/99 (بتصرف).
10- صالح بلعيد. النحو والصرف. دراسة وصفية تطبيقية.ص: 99-100.
11- عباس حسن. اللّغة والنحويين القديم والحديث، دار المعارف، القاهرة،1966 ص: 60.
12- محمود أبو السيد، تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية ص:13.
13- عبد الرحمن الحاج صالح. أثر اللّسانيات في النهوض بمستوى مدرسي للّغة العربية، مجلة اللّسانيات، العدد الرابع، الجزائر 1973-1974. ص: 22-23.
14- ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص: 713.
15- نقلا: قاسمي الحسني محمد المختار، أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة 23-24 أبريل 2001 منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2006، ص: 436-437.
16- ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج2، ص: 792.

17- ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج2، ص: 730.

18- * محمد صاري. أستاذ مكلّف بالدروس بقسم اللّغة العربية وآدابها بجامعة عنابة.

19- محمد صاري. تيسير النحو موضة أو ضرورة.

20- حسان تمّام اللغة العربية: معناها ومبناها، ص:17.

21- سعد عبد العزيز مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة، ص: 208.

22- المرجع السابق، ص: 210.

23- المرجع نفسه، ص: 218.

24- سعد عبد العزيز مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة، ص: 217.

ما بين اللغة العربيّة الفصيحة والعامية
"الفصحى المعاصرة"

أ/ ويزة أعراب - جامعة تيزي وزو

C

تعتبر اللّغة كائن ا حي ا يتطور ويتحول، وهذا ما تقول به اللّسانيات الحديثة، واللّغة العربيّة منذ العصر الجاهلي، لم تتغير وهذا على الأقل ما أخبرنا به المختصون، ولكن هل حقا هذه اللّغة لم تتطور؟ وهل حقا لو خرج امرؤ القيس إلى الشارع الجزائري يفهم الكل شعره؟ وهل الفصاحة فصاحات كما يقول رشاد الحمزاوي؟ أم كما يقول عبد الرحمان الحاج صالح، الفصاحة واحدة، وهي اللّغة العربيّة التي ورثناها عن أجدادنا ، فهي باقية بقاء الدّهر، أما الفصاحات الأخرى فهي زائلة؟ وهذه الأسئلة فتحت الأبواب للبحث في العاميات من أجل تقريبها من الفصحى ، وهناك من يتحدث عن الفصحى المعاصرة، أو ما يسمى أيضا اللّغة الثالثة، أو ما يسمى اللّغة الوسطى فهل هناك حقا وجود لها في

الواقع ؟ وهل يمكن تبنيها ونعوض بها اللّغة الفصيحة القديمة، دون أن ننسى أنّ اللّغة كائن حي ، فهي تتطور وتنمو ، فهل العربيّة الوسطى هي السبيل إلى الخروج من كثرة العاميات وتوحيد العالم العربي من الخليج إلى المحيط تحت لواء لغة نسميها الفصحى المعاصرة؟ هذه كلها إشكالات حاولت دراستها باختصار ، من أجل الوصول إلى نتائج أتمنى أن تكون مرضية ومقنعة إلى حد ما.

I. **مفهوم اللّغة الثالثة:** هي مستوى لغوي موجود بين العامية والفصيحة، وإذا ما أردنا تحديد معنى المستويات الثلاثة نحصل على ما يلي:

أ- **المستوى المعياري الفصيح :** يقتصر على الخاصة، يستعمل للكتابة، وفي المحافل الرسمية، وفي الشعائر الدينية، فهو مستوى سامي يستحق الإجلال.

ب- **المستوى العامي :** يتميز بالسرعة في الأداء، والخفة في تبليغ الفكرة، دون مراعاة الإعراب، فهو يستعمل في المنزل والشارع، فهو مستوى بلا قيود ويستعمله السواد الأعظم من العامة.

ت - **العربية الوسطى :** تجمع بين المستويين ، ولقد حاولت بجدية تامة تحديد مفهوم اللّغة الثالثة أو ما يمكن أن نطلق عليها مصطلح الفصحى المعاصرة ، ولقد توصلت إلى أهم المميزات التي تتصف بها ولخصتها فيما يلي:

-أن تكون عربيّة محكية، فصيحة سليمة في تكوينها العام: أي في أصواتها ومتنها الأساسي وبناء كلماتها وتركيب عباراتها، ولكنها لا تصل إلى مستوى اللّغة الأدبية في الانتقاء والغربلة والتنقيح والصفاء واكتمال الاستقامة في النّحو العربي، وإن كان ينتظر أن تكون مهيأة لذلك صاعدة نحوه، ولو بنحو تدريجي.

-أن تكون لغة التّعليم في جميع مراحله، ولغة الإعلام الجماهيري في معظم أشكاله ولغة الثقافة والتثقيف المحكي عامة، وقابلة لأن تصبح مشتركة بين أفراد المجتمع العربي بمختلف طبقاته.

-تسير في مختلف درجاتها ومجالاتها وفق قواعد العربيّة الفصحى نفسها، وفق أساليبها المطورة المحدثة، لا تجافيها، ولا تبتعد عنها. إلا أنها في الوقت نفسه تظل

بعيدة عن كل ما يضع العراقيل والعقبات أمام انسيابها سائغة ميسرة، وعن كل ما يثقلها، ويوجب التعثر أو التكلف في استعمالها.

-لها من الألفاظ الأجنبية نصيب واف.

-منسجمة مع مستجدات الحياة الحاضرة وظروفها المتطورة، ومع طباع الناس وتذوقهم.

-متخففة من كل ما يمنع من ديمقراطية الأدب والفكر الذي يتم إيصاله ونشره بها، على المستويين الإقليمي والقومي. ومن هذا فهي لغة مطعمة بما في العامية من عناصر حيوية سليمة فصيحة الأصول أو قريبة منها أو دارجة ذات طابع صوتي أو إيحائي مؤثر، إلا القطاع الخاص المعارض لطبيعتها الأصلية ولنمطها المشترك.

-بعيدة عن كل ما يؤدي إلى الابتعاد عنها والنفور منها.

-ميسرة القواعد والأساليب.

-لا تفصل الجيل الحديث عن تراثه العربي الأصيل.

-سهلة التعلم والاكتساب.[1]

ومن بين الأمور التي ينبغي الالتفات إليها في هذا السياق الإجابة عن السؤال: أية لغة ينبغي أن نتعلم؟ واللّغة التي ينبغي أن تقوم عليها المادة هي اللّغة العربيّة الفصحى المعاصرة، تلك اللّغة التي تقوم على أساس أن نأخذ من لغة الكلام والحديث الألفاظ الفصيحة الشائعة فيها، ونأخذ من فصحى التراث ألفاظها السهلة البسيطة والمألوفة الشائعة المتواترة الاستخدام في الحياة الحديثة. ولعل هذا الاتجاه في تحديد مفهوم اللّغة التي ينبغي أن تبنى في ضوئها المادة التعليمة، يسعى إلى التقريب بين العامية والفصحى، وإلى اعتماد اللّغة على الألفاظ السهلة، مما يحقق مساعدة الدارسين على القراءة والاطلاع. ولقد نادى بهذا الاتجاه كثير من المفكرين والمربين العرب، ورأوا وجوب العمل على التقريب بين العامية والفصحى، عن طريق أن نتأمل في حال هذه العامية، ونحاول تحديد خصائصها مما يساعد على تصحيحها وردها إلى الفصحى، خاصة وأن الألفاظ العامية أكثرها إما قرشي وإما صحيح في لهجات العرب، وإما محرف تحريفاً قريباً يقصد به

التسهيل. وإنه لأمر مهم أن نثبت هنا أن الفرق لا يزال ضئيلاً بين العامية والفصحى، "وأننا عندما نعلم العربيّة علينا أن ندرك هذه الحقيقة ، ومن ثم تصبح الإجابة النهائية عن السؤال : أية لغة ينبغي أن تعلم ؟ محددة في أننا ينبغي أن نعتمد في تحديد هذه اللّغة على الفصيح من العامية وعلى تحديث الفصحى" [2] ومن هنا يتضح لنا أن الدعوة إلى الفصحى المعاصرة منتشرة بالفعل في الوطن العربي، ومن ثمة يجب أن ندرس هذه القضية بكل جدية ، فهي قضية أمة ودين.

II. **الإعلام واللّغة الثالثة:** تظهر معالم الفصحى المعاصرة جليا في لغة الإعلام ، بحجة إيصال الأخبار إلى كافة الناس ، وأن اللّغة العربيّة الفصيحة لغة الخاصة من الخواص فهي لغة النخبة وليست في متناول الجميع ، ولأن "الإعلام وسيلة من وسائل إعلام الجمهور وتثقيفه وتوجيهه ونقل الأخبار والمعلومات إليه. تتفاعل مع المحيط الذي تنشأ فيه وتنطق منه متأثرة بسياسات وتوجيهات الراعين لها والقائمين عليها في الغالب، ولاسيما في عالمنا العربي" [3] ويقول شوقي ضيف عن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة

والمنطوقة:" وكأن السامع شدّ إلى تيار، فهو يجري مع المتكلم، ممسكا أنفاسه، جامعا انتباهه، ليتابع المتكلم فيما يعرض من أفكار، دون أن يكون له أدنى اختيار في الموضوع الذي يسمعه أو في مراجعة شيء منه أو التوقف عنده، أو حتى في التفكير أثناء سماعه، فقد أصبح مسخّرا لغيره"[4] ويقول أيضا: "كان تأثير الجمهور أو الجماهير في الصحف والمجلات قوياً غاية القوة، لأن الكاتب يحرص غاية الحرص على أن يقرأه أكبر عدد منها، حتى تنتشر مجلته أو صحيفته وتشيع في النّاس، لذلك أخذ في تبسيط لغته ورفع كل كلفة عنها وخاصة كلفة السّجع والبديع. ولم تكتف بذلك بل أخذت تخطو في تبسيط اللّغة الصحفية خطوة بعد خطوة... ومضى الأدب العربي يتطور في مضامينه بحياة الجماهير، وتتطور معه لغته المكتوبة، وبمضي الزمن أخذت تنشأ في العصر الحديث لغة أدبية عربيّة مكتوبة مبسطة، وكان دور الصحافة في هذه اللّغة أكبر من دور الكتب والدواوين؛ لأنها اتجهت إلى الطبقة الشّعبية الدّنيا في الأمة، وحاولت أن ترفع من طريقها كل حجاب قد يفصل بينها وبين

الأدب، سواء في الأفكار أ م في الكلمات، فالأفكار مهما كانت عميقة تُعرض مبسطة، وكذلك تبسّط الألفاظ حتى تقبل الجماهير على الصحيفة وتفهم ما ينشر فيها دون أي عقبة أو صعوبة" [5]. فكما نلاحظ فالصحافة همها الوحيد التجارة والمنافسة من حيث المبيعات، فعلى اللّغويين ردعهم وكشف القناع الزائف الذي يختبؤون وراءه، فاللّغة العربيّة ليست ملك ا لهم، فهي لغة القرآن وحفظها يكون حفظ القرآن، وهذا ما نجد الكثير من اللّغويين يقومون به، فالدّكتور صالح بلعيد كتب مقا لا يقول فيه "أنقذوا اللّغة العربيّة من الصحافة" واعتقدوا أنهم حقا على صواب، فيجب إنقاذ العربية منهم، وإلا فسيكون مصيرها كما ذكره علي القاسمي حيث يقول:" كان الدين الإسلامي يمثّل الخط الدفاعي الأخير للغة العربية في فترات انهزام الأمّة العربية، بيد أنني سمعت مؤخرا رجل دين مُعمّم يفسّر القرآن في إحدى الفضائيات بالعاميّة فيقول في تفسير آية (وعلم آدمَ الأسماءَ كلها) : "يعني ربّنا **بيغشّش** أبونا آدم." مع العلم أن كلمة (علّم) أخفّ وأوضح معنى وأيسر نطقاً من كلمة (بيغشّش). إنّهم

يلوثون فضاءنا اللغوي، ويج ةّلون أبناءنا، ويحطون من أقدارنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون"[6] فأعتقد أنه لا يجب الاستسلام لمثل هذه الظواهر، لكن يجب محاربتها بكل ما لدينا من قوة فنحن على صواب وهم على خطأ، والحق دائما ينتصر على الباطل.

III. **اللّغة الثالثة والنظام الإعرابي :** الإعراب في اللّغة العربيّة هو تغير علامة آخر اللّفظ نتيجة لتغير العوامل الدّاخلة عليه وما يقتضيه كل عامل من هذه العوامل، فهي حركات وعلامات تلحق أواخر الكلمات بسبب ما يطرأ عليها من مؤثرات خارجية. لقد أشار محمد كامل حسين إلى "الفصحى المخففة" في كتابه " اللّغة العربيّة المعاصرة" "قاصدا بها اللّغة التي تقف وسطا بين العربيّة الفصحى العالية واللّغة العاميّة الدارجة.

أ - كلمات وتراكيب مصرية من الفصحى المعاصرة :

المَشْوار : تُستعمَل هذه الكلمة في الإعلام كثيرا للدلالة على الطريق، أو المسار. وهي مأخوذة من العامية المصرية. ولم تدخل معاجم اللّغة الفصحى. ويقال "ما

يزال أمامنا مَشْوار طويل" [7] وعليه ف الأصوب أن نقول: "ما يزال أمامنا طريق طويل" أو "أمامنا مَسارٌ صعب". وكذلك في قولهم: ساعَتَها ولِوَحْدِها / ساعَتها: في اللّهجة العامية المصرية يقال : "سَاعِتْها حصل كذا" و"سَاعِتْها فكرتُ في كذا" بكسر العين وتسكين التاء وخَتْم الكلمة بضمير"ها" [8]. والتعبير الأول يفيد "في تلك الساعة حصل كذا" والثاني: "في الحين فكرت في"، أو "تسارعتُ إلى التفكير في". والتعبير بساعَتَها يعود فيه الضمير إلى غير المذكور. ولا تقره اللّغة العربيّة. فالضمير يعود إلى مذكور قبله إذا كان واحدا، وإلى أقرب مذكور إذا تعدد المذكور، أو إلى مذكور بعده أو متأخر عنه وهذا قليل الاستعمال، إذ لا يوجد إجماع على ذلك من علماء اللّغة. ولكن وردت إعادة الضمير في القرآن على مذكور بعده في سورة طه في الآية : "فأوْجَسَ في نفسه خِيفةً موسى". أما عن ساعَتَها وهو تفصيح لكلمة ساعِتْها المصرية فالصواب استعمال التعابير التالية: حينَئذ، ويومئذ، أو حينذاك، أو آنذاك، وما شابهها. وكذلك يجب أن نقول: تَجارب لا

تَجارُب وهذا يدخل في إطار الأخطاء الشائعة والتي يجب تفاديها مستقبلا. وهكذا نلاحظ تسرَّب إلى العربية من لهجاتها المحلية كلمات يَنطِق بها البعضُ خطأً كما يُنطَق بها في اللّهجات التي يصفها البعض بالعامية، وعليه يجب دق ناقوس الخطر وتفادي هذه الأمور.

ب- في الجزائر: وفي كل العالم نجد عامية ينطق بها في الشارع ولغة مقننة تستعمل للكتابة، أو كما يسميها الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح **(اللّغة الإجلالية واللّغة العفوية)** "ولكن المشكل في اتساع الفجوة بين العربية في المدرسة والعربية المستعملة في المحيط الاجتماعي العام." [9] وفي عرض الأستاذة كريمة أوشيش نتائج تحليل المدونّة اللّغوية يمكن تلخيصها في ما يلي:

- أخطاء في استعمال الضمائر، في استعمال الأسماء الموصولة، أسماء الإشارة.

- أخطاء في إقامة العلاقات البنيوية بين أجزاء البنية التركيبية (ع م 1، م2)، الزيادات والإضافات، الثغرات "لأن اللهجة العامية تميل إلى اختزال الجملة إلى أضيق الحدود والاكتفاء بعدد من

العناصر دون حرص كبير على إثبات أدوات الربط بينها في كل الأحوال."[10]

- أخطاء في التعابير وقسمتها إلى قسمين: دخول بعض التعابير في الفصحى يقوم التلاميذ بصياغة جمل عامية محاولين أن يدخلوا عليها بعض التحويرات والتعديلات بحيث تصبح صحيحة في نظرهم، وتؤدّي المعنى المقصود،... وتعكس هذه الأخطاء احتكاك ا بين ل 1 ول 2 لأنهم حين يحاولون " كتابة فكرة يبدؤون بالتعبير عنها في ذهنهم باللّهجة العامية" وبعد ذلك يترجمون إلى الفصحى، وعندما يعجزون يستبدلون التعبير بالعامي المألوف لديهم.[11] ويدافع عن اللّغة الوسطى كل من: يدافع عنها توفيق الحكيم، وأنيس فريحة، وحسن زمرلي... والترجمات في المغرب العربي فقد أنجزت في كثير من الأحيان، بعربية وسطى: تتوسط بين الفصحى والعامية، بإفسادها اشتقاق اللّغة وتعديتها الأفعال بطرق لا تلائمها ونحو ذلك. كما تتوسط بين العربيّة واللّغة المنقول عنها باستخدامها تراكيب اللّغة الأجنبية. وهناك من يتجرأ ويقول العامية نوع من الفصحى بنكهة محلية، ويرى محمد

بن تتا أن الصواب في هذا المستوى الفصيح المعاصر هو السلوك الفعلي لمستخدميه قراءة أو كتابة أو خطابة، دون شعور بخطأ قاموا به ثم لا يتناهون عن شيء مما قرؤوه أو كتبوه. أما الخطأ فيه فهو ما يعده كثير منهم خطأ وإن أتاه بعضهم.

ت- بعض المظاهر النحوية في الفصحى المعاصرة:

- **الموقعية:** الأصل أن يأتي المفعول لأجله متأخرا عن الفعل والفاعل وبعض مكونات الجملة، غير أنّ العربيّة المعاصرة شهدت استخدام المفعول لأجله لا متصدراً الجملة وخاصة في لغة الصحافة من مثل: تلبية لدعوة سابقة يقوم الرئيس الفرنسي بزيارة مصر. ولم يعثر المؤلف على مثل هذا التصدر في التراث العربي، ويرى أنه نتيجة التأثر بالأساليب الأجنبية المترجمة كما في اللغة الإنجليزية. يدرس الكتاب (العربية الوسطى والتحديات الراهنة) ما اختلفت فيه فصحى عصر الاحتجاج والعربيّة المعاصرة اختلافاً نوعياً من حيث بروز ظواهر جديدة، أو كميا من حيث شيوع الظاهرة في العربيّة المعاصرة وقلتها في

الفصحى القديمة أو العكس. وعن تقدم لفظ التوكيد على المؤكد وإضافته إليه فقد نقل عن سيبويه جواز ذلك في مثل قولك: نزلت نفس الجبل ونفس الجبل مقابلي. ثم نقل نصوصا من عصور مختلفة تظهر استخدام الكتاب لهذه الظاهرة، مشيرا إلى أنها أصبحت شائعة في العصر الحالي ، وذلك بتصدير الجملة بظرف أو مجرور -وأصلهما التأخير إلا لأغراض بلاغية- في العربيّة المعاصرة بأشكال مختلفة من مثل: من ناحيتها أشادت صحيفة الرأي العام.. وعن موقف بلاده من عملية السلام أشاد..، يذكر المؤلف أن عود الضمير على متأخر لفظا متقدم رتبة مسألة قديمة لم يبتدعها المحدثون، ويورد طائفة من الأمثال العربية القديمة تسير على هذه الطريقة التركيبية: ببطنه يعدو الذكر، في بيته يؤتى الحكم، من مأمنه يؤتى الحذِر.

- **المصاحبة:** ويتناول فيه مسائل عدة أهمها مصاحبات الواو للأدوات ولبعض مكونات الجملة. ومنها أنها تأتي سابقة لشبه جملة مثل: كل ما سبق يدل وبوضوح على غياب التخطيط العلمي... وانطلاقا مما ذكرناه يتبادر إلى أذهاننا السؤال الذي

طرحه الدّكتور صالح بلعيد " الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة" [12] ويقول يجب أن نتعامل مع الواقع بذكاء، حيث نقوم باستدراج العامية لتقترب من الفصحى. ويجب أن نهتم بالعاميات. وهذا ما قام به مجمع القاهرة، حيث فتح المجال وبسخاء من أجل البحث في العاميات ، ولقد اختلف نوع الدّراسات والنوايا من هذه الدّراسات، فهناك دعوات صريحة من أجل التخلى عن الفصحى لأنها سبب تخلف المواطن المصري، وهناك من تفهم من المضمون ولم يصرح بها أصحابها. والدكتور الحاج صالح " يشرح ذلك بأن المطلوب في استعمال اللّغة العربيّة هو **المستوى المتأدّب** وهو الغالب في استعمالنا الدائم، لأن اللّغة وضع واستعمال"[13]

IV. **الفصحى المعاصرة وصناعة المعاجم:** يقوم العديد من الباحثين في صناعة المعاجم بجمع الألفاظ العامية بُغية البحث في أصولها وردها إن كان ممكن ا إلى أصلها الفصيح ، وهذا ما قام به الشيخ أحمد رضا صاحب معجم (متن اللّغة) [14] ، ولو نظرنا إلى كيفية تعامل المعاجم مع الكلمات والاستعمالات المعاصرة نظرة شاملة فسنجد أمامنا اتجاهين في

التعامل: أحدهما يرد الاستعمال المعاصر إلى القديم ثم يحكم بتخطئته، ما لم يكن له أصل عند القدماء. والثاني يغض الطرف عن القديم، ويسجل الكلمات والاستعمالات المعاصرة دون أن تكتسب الحق الشرعي في الدّخول في المعجم. وبين هذا الموقف وذاك نجد أنفسنا أمام كمٍّ هائل من الكلمات والصيغ المستحدثة والاستعمالات المعاصرة التي تتداولها الأقلام، وتنتشر عن طريق وسائل الإعلام. ولا تستطيع المجامع العربيّة ملاحقتها بالدّراسة، فتستسيغها الآذان مع كثرة التكرار[15]. ومن هنا ترى الباحثة أن يكون هناك سرعة استجابة من المجمع المصري والمجامع العربيّة، بحيث تشكل لجنتان إحداهما لمراجعة الصحف أسبوعيا، والأخرى لمراجعة الكتب الأدبية، وتقوم اللجنتان برصد الكلمات والتعبيرات المستجدة، ثم تعرض على اللجان ثم المجالس لإقرارها - إن كانت ترتكز على أساس لغوي صحيح - أو لإيجاد بديل مناسب لها. ثم توزع هذه القرارات على وسائل الإعلام المختلفة : فلابد من وصل المجامع بوسائل الإعلام ؛ كي يتحقق لقراراتها

التداول والشيوع ، عن طريق تكرار الكلمة الصحيحة .

V. **دراسة هذه الظاهرة من حيث القدم والجدة** : يقول ابن فارس :" وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه، لأن في ذلك فساد اللّغة وبطلان حقائقها، ونكتة الباب أن اللّغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن" [16]، ومن خلال هذه المقولة يتبن لنا أنّ ظاهرة الفصحى المعاصرة ظاهرة قديمة قدم الإنسان والتاريخ، ومما يدل أن الفصاحة فصاحات كما يقول الدّكتور رشاد الحمزاوي، فلكل عصر فصاحته إلا أنها تستمر لمدة معينة ثم تختفي، وتبقى اللّغة الفصيحة الوحيدة كما يقول الدّكتور عبد الرحمان الحاج صالح، وخير دليل على ما نقوله ما قال به أحمد ابن فارس في متخير الألفاظ، فأين نحن من الألفاظ التي كان يقول عنها أنها مخير الألفاظ فهي اليوم بعيدة جدا عنا ولا تستسيغها أسماعنا ولا أذواقنا، ولقد كان يدرك ظاهرة الفصحى المعاصرة وتحدث عنها بالقول:" الكلام ثلاثة أضرب: ضرب يشترك فيه العِليةُ والدونُ، وذلك أدنى منازل القول، وضرب هو الوحشي، كان طباع قومٍ

فذهب بذهابهم. وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الأول، ولا ارتفع ارتفاع الثاني، وهو أحسن الثلاثة في السماع، وألذّها على الأفواه وأزينها في الخطابة، وأعذبُها في القريض، وأدلُّها على معرفة من يختارها" [17]

فكما يقول ابن فارس تذهب بذهابهم، فالتاريخ يكشف لنا أنّ هذه التي نسميها عربية وسطى ستذهب بذهابنا، ولا أعتقد أنها ستصمد كثيرا ، خاصة مع التطور التكنولوجي الباهر الذي يعيشه ، العالم ففي كل ثانية تظهر مصطلحات جديدة تعوض سابقتها.

VI.المؤسسات العلمية ورؤيتها للعامية والفصيحة واللّغة الوسطى:

1 -**المجلس الأعلى للّغة العربيّة في الجزائر:** قام المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائري مؤخرا بع قد ندوة دولية نظم ها بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية 2007 يومي 04- 05 يونيو 2007، تحت عنوان (**الفصحى وعامياتها**، لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب) وفيها قدمت دراسات رائعة عن الموضوع. وقبل ذلك نشر المجلس في منشورات الجيب دراسات تحت عنوان (العلاقة بين الفصحى والعامية) ولقد توصل الدارس ون إلى القول أنّ العامية الجزائرية قريبة جدا إلى اللّغة

الفصيحة بنسبة 80% ، ويجب البحث في طريقة للتقريب أكثر بين العامية الجزائرية و اللّغة العربيّة الفصيحة، من أجل تسهيل تعليم الفصيحة للناشئة.

2 **مجمع القاهرة :** إنّ البحث في مسألة العامية والفصحى في هذا المجمع قديمة جدا، قدم تكوين هذا المجمع العظيم، إلا أنّه رغم قدم بداية الدراسات فيه، إنّ النتائج التي توصل إليها غير مرضية، ولا تفي بالمرغوب، وعليه فإن البحث في هذه المسألة أمر ضروري لكي نتفادى الوقوع فيما لا نرغب، ومازال المجمع يشجع الدراسات في العامية وحتى تدريسها، لأنّه لا يرى خطراً في ذلك ما دامت الدراسة واعية والهدف منها معلوم.

الخلاصة: إنّ البحث في هذا المجال شيق جدا ، واختصرت قولي في هذه الصفحات، لأنها في الحقيقة دراسة أولية فقط، إل ى أن تسمح لي الفرصة في البحث في الظاهرة بأكثر عمق، وأتمنى أن أصل إلى النتائج المرضية إن شاء الله، وما يمكنني قوله في هذا المجال: إنّه مجال فتوح للدّراسات ولن يغلق أبدا ما دامت اللّغة كائن ا حيّ ا وتتطور، وتحي ا بحياة الإنسان. فأعتقد أنّ

الدّراسة الآنية مهمة في هذا الموضوع في كل زمان ومكان، لكن اعتبار العربيّة الوسطى ح لاّ لمشاكل اللّغة العربيّة فهذا أمر مغلوط فيه، لأن العامية عاميات وليست موحدة في القطر العربي وعليه فإن بالتقريب بين العاميات والفصيحة سنحصل على عربيات وسطى، واعتقد أنّ هذا لن يخدم لغتنا العربية الفصيحة في شيء، أما أن نقرب العامية من الفصيحة من أجل تسهيل تلقين العربيّة الفصيحة للناشئة ففي هذا أمل كبير للّغة العربيّة الفصيحة.

الهوامش:

1 -ينظر، أحمد محمد المعتوق، نظرية اللّغة الثالثة، "مفهوم اللّغة الثالثة"، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

2 -محمود كامل الناقة، "أسس إعداد مواد تعليم اللغة العربية وتأليفها"، اللّغة العربيّة إلى أين؟ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ 1426هـ/ 2005م، http://www.isesco.org .

3 -أحمد محمد المعتوق، نظرية اللّغة الثالثة، ص217.

4 -شوقي ضيف، في التّراث والشعر واللّغة، ص268، نقلا عن أحمد محمد المعتوق، نظرية اللّغة الثالثة، ص218.

5 -نفسه، ص221.

6 -علي القاسمي، "العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية"، الفصحى وعامياتها، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2007، ص212.

7 -عبد الهادي بوطالب، كتاب، معجم تصحيح لغة الإعلام العربي، الموقع: المكتبة الشاملة.

8 -نفسه.

9 -كريمة أوشيش، "أثر الثنائية اللّغوية (العامية- الفصحى) في استعمال التراكيب حسب التحرّيات التي أجريت في الطور الثالث من التعليم الأساسي"، اللسانيات، عد8، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللّغة العربية، 2003، ص108.

10 -نفسه، ص 106.

11 -نفسه، بتصرف.

12 -ينظر، صالح بلعيد، ومجموعة من الباحثين، لغة الصحافة، "الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة؟"، دار الأمل، 2007، ص 11.

13 - نفسه، ص 21.

14 -ينظر، عبد الرزاق عبيد، "العربية الفصحى والعامية: متن اللّغة لأحمد رضا (نموذجا)، الفصحى وعامياتها، ص 316.

15 -ينظر، وفاء كامل، بحوث في العربية المعاصرة - عالم الكتب - القاهرة، 2003.

16 -أبو الحسن أحمد ابن فارس، الصاحبي في فقه اللّغة، تح: مصطفى الشويمي، دار العلم للملايين، بيروت، 1963، ص67.
17 -أحمد بن فارس، متخير الألفاظ، مطبعة المعارف، بغداد: 1970، ص43

W

1- أبو الحسن أحمد ابن فارس، الصاحبي في فقه اللّغة، تح: مصطفى الشويمي، دار العلم للملايين، بيروت، 1963.
2- أحمد بن فارس، متخير الألفاظ، مطبعة المعارف، بغداد: 1970.
3- أحمد محمد المعتوق، نظرية اللّغة الثالثة، "مفهوم اللّغة الثالثة"، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
4- صالح بلعيد، ومجموعة من الباحثين، لغة الصحافة، "الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة؟"، دار الأمل، 2007.
5- عبد الرزاق عبيد، "العربية الفصحى والعامية: متن اللّغة لأحمد رضا (نموذجا)، الفصحى وعامياتها، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر.2007
6- عبد الهادي بوطالب، كتاب، معجم تصحيح لغة الإعلام العربي، الموقع: المكتبة الشاملة.

7- علي القاسمي، "العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية"، الفصحى وعامياتها، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2007.

8- كريمة أوشيش، "أثر الثنائية اللّغوية (العامية- الفصحى) في استعمال التراكيب حسب التحرّيات التي أجريت في الطور الثالث من التعليم الأساسي"، اللسانيات، عد 8، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللّغة العربيّة، 2003.

9- محمود كامل الناقة، "أسس إعداد مواد تعليم اللغة العربية وتأليفها"، اللّغة العربيّة إلى أين؟ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ 1426هـ/ 2005م، http://www.isesco.org.

10- وفاء كامل، بحوث في العربية المعاصرة - عالم الكتب - القاهرة، 2003.

لغة الجزائريين عقدة أم قدرة

أ/حكيم رحمون - جامعة تيزي وزو

C

اللغة هي مقوّم أساس من مقومات الأمة، كالشعب والبقعة الجغرافية والدين وهي أداة التفكير ووسيلة يحفظ بها التراث العلمي والأدبي وتستخدم في شؤون التعليم، ويعبّر بها عن المدركات والعواطف، فلوحدة اللغة في ميدان التخاطب والكتابة أثر كبير في توثيق الروابط بين الجماعات وصهرها في قومية واحدة لكن اختلاف لغة الكتابة عن لغة الحديث لا ينطوي على شيء من الشذوذ حتى نلتمس له علاجا، بل هو السنة الطبيعية في اللغات ف الازدواج اللغوي نجده في اللغة العربية كما نجده في اللغات الأخرى ففي البلدان العربية يستخدمون في تعبيرهم وتفاهمهم وتسجيل أفكارهم أداتين لغويتين إحداهما العربية الفصحى التي تدون بها المؤلفات و في شؤون القضاء والادارة وتستخدم في الغالب في المقامات الرسمية كالخطابة و

المحاضرات، والعامية تستخدم في الشؤون العادية ويجرى بها الحديث اليومي وهذا الواقع اللغوي نجده أيضا في الجزائر اذ هناك استعمال لمختلف الأنماط اللغوية : العربية الفصحى، العاميات، اللغة الفرنسية والأمازيغيات، فالمجتمع الجزائري يتكلم لغة ملوثة خاصة في حديثهم اليومي، وذلك هل يعود الى عقدة نفسية لديهم أي كلما استعملوا مصطلحات بلغة أخرى، ذلك يعكس المستوى الثقافي الرفيع أم نتيجة لعدم القدرة على التحكم في اللغة العربية السليمة بحيث نلجأ إلى كل ما هو سهل وبسيط ؟ يعود هذا الهجين اللغوي الى ما بعد ظهور الاسلام وامداد الفتوحات الاسلامية الى شمال افريقية بما فيها الجزائر اذ نزحت إليها جاليات عربية كبيرة العدد، فاشتبكت لغتها العربية - التي تحمل رطانات لغوية - مع لغة هذه البلاد، ونتج عن ذلك لغة عربية فصحى وعاميات مع اللغة البربرية واستمر الوضع اللغوي حتى القرن العشرين، فجاء المستعمر الفرنسي الذي فرض لغته بمختلف الأساليب، فأصبحت لغة الجزائري لغة هجينة

تجد فيها كل مصطلح تبحث عنه عربيا كان او أمازيغيا أو فرنسيا أو انجليزيا.

أمام هذا الوضع، ماذا نقصد بالعامية (الهجين) وكيف ظهرت العاميات في الجزائر؟ لماذا المواطن الجزائري لا يتكلم أية لغة خالصة، لاهي عربية ولا أمازيغية ولا فرنسية؟ أ لا يمكن الاهتمام بالأداء اللغوي العفوي في الاستعمال اليومي؟ ماذا نقصد بالمستوى المستخف؟ هل نستسلم لهذا الوضع أم نستطيع أن نقلص الفجوة بين العاميات واللغة العربية الفصحى؟

ولقد عرفت اللغة العربية مستويات تعبيرية مختلفة عبر الزمن اذ تمتد الى العصر الجاهلي بحيث لما تغلبت لهجة قريش على أخواتها، طغت على ميادين الأدب شعرها ونثرها وخطاباتها وقد ساعد على تغلب هذه اللهجة عوامل منها دينية واقتصادية وسياسية[1]، فأصبح للعربي أيا كانت قبيلته مستويان لغويان بينهما فروق ظاهر ة، فأولها يتمثل في اللغة المشتركة التي يصطنعها اذا امتد خارج قبيلتها أثناء تأدية المناسك أو ممارسة التجارة وكذا

قول الشعر، ويتمثل المستوى الثاني في لهجته الخاصة التي يتكلم بها في نطاق بيئته وحياته اليومية[2]. ولما نزل القرآن الكريم باللغة العربية وأنتشر الإسلام في الجزيرة العربية، خرج العرب المسلمون إلى الامصار فاتحين، يحملون لهجاتهم المتباينة، وهناك احتكت اللهجات فيما بينها كما اختلطت واحتكت اللهجات العربية ولغة البلدان المفتوحة وكان هذا الاختلاط أحد العوامل التي ساعدت على أن تتشكل مستويات تعبيرية بحيث أنه أدى إلى تحول ألسنة العرب أنفسهم، كما أدى الى تحول العربية على ألسنة الأمم التي دخلها الاسلام كالأرامية في العراق والشام والقبطية في مصر والبربرية في شمال افريقية فاللغة مهما كان اذا انتشرت في مناطق واسعة، ويكثر المتكلمون بها من غير أبنائها، يستحيل عليها الاحتفاظ بوحدتها، فلا بد لها أن تتغير قليلا أو كثيرا في بنيتها وأصواتها وتراكيبها[3]، وذك ما سمح لظهور العامية في البلدان العربية بما فيها الجزائر.

تعريف العامية: وردت تعريفات كثيرة ومختلفة للعامية عند الباحثين ولكنها تصب في

الاتجاه نفسه، بحيث تكاد تتفق على تعريف واحد نجد العامية عند اللساني الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح بأنها هي اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمن بعيد في الحاجات اليومية وفي داخل المنازل وفي وقت الاسترخاء والعفوية[4]، كما ورد تعريفها في كتاب فقه اللغة (مناهله ووسائله) لمحمد اسعد النادري بأنها لغة الحديث اليومي التي يستخدمها العامة والخاصة على حد سواء في شؤون حياتهم العادية في البيت والشارع والسوق والمقهى حتى في حرم الجامعات. أما تعريفها في كتاب "في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى..." لصالح بلعيد أنها مستوى بسيط وظيفي آني محلي يلتجأ إليها بغية استعمال لغة الأنس التي تستعمل الاختلاس والتبسيط والاشمام , هي لسان يستعمله عامة الناس مساهمة في حياتهم اليومية لقضاء حاجاتهم والتفاهم بينهم[5] ومن خلال هذه التعريفات نتوصل إلى تعريف واحد مشترك وهو: العامية هي لغة بسيطة آنية محلية مستعملة عند عامة الناس في الحياة اليومية باختلاف فئات المجتمع في حالة انس واسترخاء، وهي

منحرفة عن اللغة الفصيحة في أصواتها وأوزانها.

أسباب ظهور العامية في الجزائر: يعود ظهور العامية إلى جانب اللغة العربية الفصحى إلى عوامل مختلفة يمكن أن نحصرها في العامل اللغوي العامل الاجتماعي والعامل الطبيعي والعامل السياسي.

1- العامل اللغوي : كما انتشرت اللغة العربية في مناطق مختلفة خاصة أثناء الفتوحات الإسلامية امتزجت اللغة العربية بلغة البلاد الأصلية البربرية (الأمازيغية) فالاحتكاك الذي يحدث بين لغتين أو لهجتين يؤدي حتما إلى تأثر كل منهما بالأخرى، رغم أن اللغة العربية انتصرت على اللغات الأخرى إلا أنها لم تخرج سالمة من التحريف في ألسنة المتكلمين لأن عاداتهم الصوتية والنطقية السابقة تؤثر في نطقهم لهذه اللغة مما يؤدي إلى ظهور أشكال تعبيرية وصوتية متباينة هذا من جهة ومن جهة أخرى إن أية لغة كانت اذا ازداد المتكلمون بها في مناطق متفرقة من الأرض وتكلم ت بها طوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا بل لا

تلبث أن تتشعب إلى لهجات. وهناك اختلاف بين من يتكلم لغة عن سليقة وبين من يتكلمها عن طريق التعلم هذا من مجتمع إلى آخر أما في المجتمع الواحد فنجد فيه الأمي والمثقف ولغتهما مختلفة فالمجتمع الذي تبلغ نسبة الأمية فيه درجة عالية تكون لغة هذه المجتمع أكثر سوقية والعكس صحيح. فاللغة العربية في وطنها عرفت تحريفات ورطانات لغوية فماذا نقول عنها عندما وصلت إلى بلدان أخرى.

2- العامل الاجتماعي: اللغة العربية عندما انتشرت جراء الفتوحات الإسلامية اختلط العرب الفاتحون سكان البلدان الأصليين بعاداتهم وأعرافهم ونظمهم الاجتماعية، احتكت اللغات فيما بينها اذ ظهرت مصطلحات جديدة تعبر عن الأوضاع السائدة في تلك المناطق، فالكلمات العربية الفصيحة المستعملة عند العرب لم يعد لها استعمال في هذا البلد وكغيرها من البلدان مما أدى إلى انقراضها، وعوضت المصطلحات تحمل مدلولات خاصة بنمط العيش لهدا الشعب وهناك مصطلحات وضعت عن طريق الترجمة أو الاقتباس لأن الظروف الاجتماعية ليست نفسها، كل ذلك أدى إلى ابتعاد

اللغة العربية الفصحى عما كانت عليه فظهرت لهجات تختلف كل واحدة عن الأخرى، فالمصطلحات المستخدمة تكون أقل فصاحة أو بعيدة عن اللغة الأصلية سواء في أوزانها أو في حروفها.

واذا تكلمنا على التغير الذي تعرفه اللغة بصفة عامة، نجد أن اللغة العربية في العصر الجاهلي ليس نفسها في العصر الإسلامي وغالبا ما نقول عنها أنها تهذبت ، هذا صحيح لكن يمكن أن نقول بتعبير آخر أنها تغيرت وتحولت لأن الأوضاع الاجتماعية والبيئية تختلف من عصر الى آخر و من مكان الى آخر.

3- العامل الطبيعي: يرى بعض العلماء (Rosselot) أن أعضاء النطق في الانسان في تطور طبيعي اذ تختلف بعض الشيء في بنيتها واستعدادها باختلاف الشعوب وباختلاف الظروف المحيطة بكل شعب، كذلك تختلف باختلاف الزمن فأعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عن أبائنا وأجدادنا الأولين، غير أن هذا التطور يسير ببطء وتدرج فلا يظهر أثره الا بعد زمن طويل[6] وكل تطور يحدث على أعضاء النطق أو في

استعدادها يتبعه تطور في أصوات الكلمات فتنحرف هذه الأصوات عن الصورة التي كانت عليها وذلك ما حدث للكلمات في اللغة العربية الفحصى وما آلت اليه في العاميات ففي بلد واحد مثل الجزائر نجد عاميات مختلفة في كثير أو قليل ' فالعامية في شرق البلاد تختلف عن العامية في غربها وفي جنوبها، لأنّ للظروف الطبيعية المحيطة بالفرد أثرا في الهيئة الفيزيولوجية بما فيها أعضاء النطق.

4- العامل السياسي: بعد اتساع الدولة الاسلامية وكثرة المناطق التابعة لها أدى الى ضعف السلطان المركزي، فلم يعد الاهتمام باللغة بقدر الاهتمام بالمصالح السياسية والاقصادية، فالعرب الفاتحون حاولوا امتصاص غضب الثائرين اذ تواصلوا معهم بلغة بسيطة سهلة حتى يحققوا أهدافهم. ضف الى ذلك أن شمال افريقيا بما في ذلك الجزائر قد تعرضت لاستعمار واحد تلوى الأخر فكل مستعمر له لغته الخاصة فما نريد أن نقوله هو أن اللغة في هذه المنطقة كانت هجينا لغويا قبل مجيء اللغة العربية. فكل هذه الظروف سمحت بظهور تحريفات على الالسنة مما أدى

الى ظهور العامية. يقول عبد الواحد وافي في كتابه اللغة والمجتمع أن انفصام الوحدة السياسية يؤدي الى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية فقل الاهتمام باللغة العربية الفصحى إذ ظهرت رط انات لغوية وأصبحت اللغة العربية الفصحى لا نجدها إلا في المكتوب. ولهذه الاسباب أصبح المواطن الجزائري لا يتكلم لغة نقية خالصة لنفسها بل يتكلم لغة هجينة ليست عربية ولا أمازيغية ولا فرنسية. لكن لا يجب الاستسلام لهذا الوضع بحيث هناك حلول ناجعة للتقريب بين الفصحى والعامية وتقليص الفجوة بينهما. لأنّ العامية في الفترة التي تحدثنا عنها سابقا، ليست بعيدة كل هذا البعد عن الفصحى ، نعم أن اللغة العربية عرفت الازدواج اللغوي مثلها مثل اللغات الأخرى ، لكن ليس بهذا القدر من الاختلاف فالسؤال المطروح لماذا المواطن الجزائري يعزّف عن الحديث باللغة العربية حتى العامية لو أنه يتقن لغة معينة، فلا تسمع منه ولو كلمة عربية، اذ نجده يتوقف حينا ويبحث عن مصطلح مناسب بلغة أخرى، فلا ينطقه بلغة امّه و ليس ذلك في حديثه عن المصطلحات التقنية أو اللسانية، بل

في حديثه العفوي بالرغم أن اللغة العربية كباقي اللغات فلا توجد لغة أفضل من الأخرى، فاللغة وسيلة للتواصل، فهذه عقدة عند الجزائريين نفضل كل ما هو أجنبي عن المحلي، فاللغة العربية ليست صعبة وتنقصنا الارادة فقط في تعلمها، فلو كانت لغة أجنبية ولأغراض اقتصادية أو سياسية ,لتعلمها بكل سهولة. فلا نتخيل أن الشعب الجزائري يتكلم لغة العصر الجاهلي ولكن لا بد أن نجتهد حتى نتكلم لغة نقية وبذلك نثبت ونبرهن عن شخصيتنا وكياننا.

غالبا ما يعزف البعض عن الحديث باللغة العربية الفصحى ويميلون الى العامية لاعتقادهم الراسخ، كما يقول عبد الرحمان الحاج صالح، أن العاميات هي وحدها جدي رة أن تقوم بدور اللغة المنطوقة في الخطابات اليومية، فظلمنا الفصحى باماتة مستواها العفوي وابقائها على مستوى واحد وهو الاداء الترتيلي[7] فاللغة العربية لها مستوى مستحفف من التعبير العفوي سليم من اللحن ومناسب للتخاطب اليومي فماذا نقصد بالمستوى العفوي المستخف؟

المستوى العفوي المستخفف (الاسترسالي):

وهو ذلك المستوى الذي يستجيب لمقام الأنس استعمله العرب عندما كانت السليقة والفصاحة اللغوية فطرة فيهم ولم تكتسب بالتلقين لهذا نجدهم يميلون الى استعماله لما فيه من التحقيق كاختزال الحركات والحذف والادغام الخ، يقول عبد الرحمان الحاج صالح أن كلما كان المقام مقام أنس كان المتكلم الى الحذف ماهو غني عنه لابلاغ مراده أميل وأكثر ارتياحا وهذا بالذات ما يمنح للغة حيويتها، وقد كانت الفصحى التي دونها اللغويون العرب الأولون تتصف بهذه الصفة، فلا بد أن نعلمه للتلاميذ ويجب على المعلم أن يكون على علم بذلك فلا يخطيء التلميذ .

خصائصه :

اختلاس المصوتات:

أ_ الحركات الاعرابية : العرب لا يبدؤون كلاما بساكن ولا يقفون على متحرك اذ يختلسون الحركات في أماكن كثيرة من الكلام ،و ذلك ما نجده في القراءات القرآنية.

ب_ اختلاس الحروف : العرب تختلس وتحذف الحروف بغية الخفة في كلامهم مثلا : ويلمه ← وي لأمه .

ج- الادغام : والغرض منه هو التخفيف في النطق والسهولة قال سيبويه وسمعنا من يوثق بعربيته قال: ثار فضجّضجت ركائبه يريد: فضجت ضجته.

د- الابدال: هو جعل حرف مكان حرف آخر في الكلمة لظرورة لفظية مثل مدح ← مده، استاديت ← استعديت.

ه- تخفيف الهمزة : وهي ظاهرة لغوية قديمة في اللغة العربية وهناك قبائل تحققها وأخرى تخففها .(تميم - قريش) مثل: قرأ أبوك قرأ بوك.

فهذه بعض خصائص هذا المستوى الذي استعملته العرب في زمان الفصاحة ونحن حاليا، لو يتكلم التلميذ ويختلس الحركات الاعرابية ويقف على ساكن لخطأه المعلم ويصر على اظهار الحركات وكذاك الشيء نفسه في تخفيف الهمزة وادغام حرف في حرف آخر. ففي هذه الحالة يعتقد التلميذ أن اللغة العربية الفصحى صعبة لا تصلح للتواصل، فعلى المعلم أن يكون على علم بأن اللغة العربية لها هذا المستوى

العفوي الذي نطق به العرب الأقحاح وقرأوا به القرآن الكريم من جهة، ومن جهة أخرى أن اللغة العربية تعاني من المصطلحات نظرا للتطور العلمي والتكنولوجي الذي يعرفه العالم في العصر الحاضر، فعلى المجامع اللغوية بما فيها المجمع الجزائري للغة العربية ان يجدوا مصطلحات أو مرادفاتها، حتى يتسن ى لهذه اللغة أن تواكب العصر. ويمكن أن نحصر أسباب الضعف اللغوي – بالإضافة إلى نقص الإنتاج الفكري – في مقومين أساسيين للغة العربية وهما وسائل للإعلام والتعليم. فوسائل الإعلام السمعية منها والسمعية البصرية وكذلك حتى المكتوبة، تستعمل لغة مبسطة عامية فقيرة، ضعيفة المستوى لأن هذه الأجهزة إعلامية من بالدرجة الأولى تهدف إلى إيصال الخبر والإعلان الرسمي والمعلومات السياسية والثقافية بشكل سريع، فلا تهتم با لغة في حد ذاتها وكونها ترفيهية تهدف إلى الإمتاع والتسلية جعلها تبسط في لغاتها ليفهمها المثقف وغير المثقف. من هنا نفذت العامية إلى برامجها وغيبت اللغة العربية الفصحى السليمة، وغالبا مانسمع

في هذه الأجهزة كلمات وعبارات وصيغ ا لغوية ليست صائبة في نطقها ولا في تركيبها ولا في صياغاتها بحيث أن المستمع سريع التقليد إذ يتأثر بالأخطاء ويرددها في أحاديثه وبمرور الوقت تصبح وكأنها صائبة وسليمة.

وكذلك يلجأ البعض إلى استخدام مايسمى باللغة الوسطى وهي مزيج بين الفصحى والعامية فتختار الألفاظ العامية القريبة من الفصحى أو المحرفة عنها، "ولكن هذه اللغة التي سميت بالوسطى لغة ضحلة مشوشة فقيرة، إلى حد بعيد في ألفاظها ومابها من إبتذال لايجد المشتغلون بالإذاعة والتلفزيون حرجا في إيرادها على ألسنتهم"[8].

هذا فيما يخص اللغة المستعملة، أما فيما يخص البرامج فوسائل الإعلام السمعية والسمعية البصرية، نجدها تفتقر إلى البرامج التعليمية والتثقفية باللغة العربية.

وهذا مايؤثر سلبا على اللغة العربية بحيث أن المستمع أو المشاهد لايجني من وسائل الإعلام شيئا له قيمته ترتقي به

حصيلته اللغوية من ألفاظ وصيغ وتعبيرات تمكنه من التعبير السليم والقويم.

أما التعليم فيعد حجر الزاوية أو القاعدة الأساسية في تعليم اللغة العربية الفصحى لكن إذا نظرنا إلى المدرسة والمقررات الدراسية وكذلك إلى النشاطات المدرسية، نجدها محيطة بنقائص مما أدى إلى تدنى مستوى التعليم في جميع مراحله.

فمدرس اللغة العربية الذي يجهل النحو والبلاغة والنطق الصحيح للأصوات ولم يطلع على آداب اللغة العربية في أهم ما أبدعه علماؤها في عصورهم المختلفة، لا يستطيع أن يعلم التلميذ لغته الفصحى وأن يجعله محبا لها. وكما يقال فاقد الشيء لايعطيه لأن المقرارات الدراسية التى درسها والمهارات التربوية التي تعلمها وتدرب عليها لاتؤهله إلى أن يقوم بما هو مطلوب منه قياما صحيحا، إذ نجد الدكتور محمد عبد الواحد حجازي يقول في هذا الصصد: "ولذلك كله نتيجة واحدة هي أن المدرس في عمله ينهج طرقا عقيمة الأفق، فاسدة تربويا، مما ينفر التلميذ من الإقبال على

اللغة حتى تتنامى رصيده من الكلمات والعبارات"[9].

ويواصل في حديثه وهو يحمل المدرس المسؤولية في الضعف اللغوي وذلك لأسباب نذكر منها، إتباع كثير من المدرسين طريقة التحفيظ والتلقين وكذلك الكثير منهم يستخدم لهجاتهم العامية في التدريس بدلا من الفصحى، مما يوسع الفجوة بين الفصحى والعامية.

أما النشاطات اللغوية المدرسية تتمثل في المسرح، المكتبات الصحافة والإذاعة المدرسية فهي وسائل متكاملة تعمل على أن يمارس التلميذ اللغة تفكيرا وكتابة ونطقا بطريقة سليمة.

لكن ما يلاحظ على المدارس تكاد تخلو من هذه النشاطات وان وجدت فذلك في المدن الكبرى فقط مثلا المسرح المدرسي يتميز بالضعف في بنائه الدرامي، فالذين يكتبون المسرحيات ليس لهم خبرة في كتابة هذه النصوص، ومن ثم تكون ركيكة مصطنعة تكون على الخطابة ورفع الاصوات، أما من حيث اللغة فالمسرح طغت عليه العامية.

فالمسرحيات أو البرامج التمثيلية للأطفال التي تبث في التلفزيون، تستخدم أحيانا اللغة العربية الفصحى بما يفوق مستوى التلميذ وأحيانا أخرى تنزل بمستوى اللغة إلى درجة العامية ، فالمسرح المدرسي في حالته الراهنة لا يمكنه أن يرتقي بلغة التلميذ.

أما المكتبات المدرسية، فأصبحت كمخازن للكتب فحسب وتزيين الشكل الظاهري للمدرسة والكثير من المدارس تفتقر إلى المكتبات، ذلك المجال المعرفي الحر الذي يتيح للتلميذ أسباب القراءة والاطلاع. فالتلميذ لا يتردد عليها مما جعله محصورا لغويا وتعبيريا في نطاق الحصيلة اللفظية التي يجنيها من الكتب المدرسية المقررة فقط ويعود ذلك إلى عدم وجود حصة للمكتبة يرافقهم المدرس، وكذلك لكثرة المواد التي لا تتركلتلميذ فرصة الاطلاع.

وكذلك الصحافة المدرسية التي تعتبر ميدانا يتدرب فيه التلميذ على التعبير على خياله وطموحه وأفكاره، لكن هذا المجال أيضا غائب على معظم المدارس حتى وان كان مبرمجا إلا أن المدرس ين لا يولون

له أي اهتمام أو يعوض بحصة أخرى. فالصحافة المدرسية تعطي للتلميذ فرصة التدريب على الكتابة والقدرة على التعبير، فهو عمل مثمر لأنه يحرر التلميذ من الانغلاق داخل المقررات المدرسية.

ونفس الشيء بالنسبة للإذاعة المدرسية فهي المنبر آو المكان الذي يكسب التلميذ الشجاعة في مخاطب الجمهور وذلك يقتضي تنمية ذخيرته اللفظية والأسلوبية لكن أهميتها تبقى كأفكار فقط، لا نجدها على ارض الواقع، وذلك لغياب كل هذه المجالات أين يجد التلميذ محررة من قيوم المواد المقررة ووظائفها الحقيقية إذ يتجه إلى تعلمها بجد وحرص ويسعى سعيا متواصلا لتطوير مهاراته فيها، واغتناء حصيلته من فرداتها وصيغها "[10].

تلك صور مجملة لظاهرة الضعف اللغوي من حيث أسبابه بالإضافة إلى أسباب نفسية يعاني منها الناطقون بلغة الضاد، يشعرون بقصور اللغة ولا يمكن أن نعبر بها في مختلف المجالات أو الإحساس بالعجز عن استخدامها بمرونة ومهارة كافية وذلك ما يؤدي بهم إلى الاعتصام باللغة الأجنبية أو العامية على أساس أنها الأسهل والأنسب.

وللتخلص من الضعف اللغوي، لابد من اتخاذ تدابير محددة تقصد إلى غرس العربية الفصحى بمستوييها (الاجلالي و الاسترسالي) في الأجيال الصاعدة وذلك ابتداء بإصلاح التعليم ثم وسائل الإعلام (السمعية والسمعية البصرية).

أولا: على مستوى التعليم

-جعل اللغة العربية الفصحى لغة التعليم وجعل إتقان الفصحى شرط في كل تعيين بهذه المهنة.

-وضع قواعد اللغة العربية المنطوقة ويراعي فيها الرخص التي يتيحها مواقف الخطاب الشفوي[11] .

- الاهتمام بالاذاعة المدرسية، الصحافة المدرسية ، المسرح.

- برمجة حصص يرافق المعلم فيها التلاميذ الى المكتبة .

- استعمال اللغة العربية الفصحى في كليات علوم الاتصال.

ثانيا: على مستوى البحوث العلمية

-إجراء دراسات مقارنة بين العامية والعربية الوسطى من جهة وبين العربية الوسطى والعربية الفصحى من جهة أخرى، لتحديد العلاقة بين المستويات الثلاثة.

+البحث المعمق للتعبير الشفاهي الفصيح من خلال ما تركه لنا العلماء الذين شافهوا فصحاء العرب، ثم استخراج الأنماط الأدائية لهذا المستوى [12].

تعميم سلسلة من البحوث والندوات العربية الفصحى، تناقش مظاهر التباين بين اللهجات العربية وما يؤدي إليه التباين من تنافر وسوء التفاهم.

ثالثا: على مستوى وسائل الإعلام

-عدم بث أي حصة إذاعية أو تلفزيونية إلا بالعربية الفصحى.

-إعداد العاملين في التلفزيون والإذاعة، إعداد ا صوتيا ولغويا لعلاج ما يبدون من تحريف في نطق بعض الحروف على ألسنتهم ومن أخطاء في ضبط بعض الكلمات.

-إنتاج سلسة من البرامج التي تجعل الحياة اليومية مادة لها وتجعل العربية الفصحى لغة للتعبير عنها، حتى تأخذ الفصحى مكانها في دور الاستعمال الحي، فتسرب إلى الناس جمعا، وذك بتدريب الممثلين على الأداء اللغوي الرشيق.

-إنتاج برامج لتعليم اللغة العربية للمبتدئين.

-إنتاج زمرا من الأغاني والأناشيد المناسبة للأطفال باللغة العربية الفصحى واستبعاد العامية عنها.

-تنظيم دورات تدريبية للمذيعين وكل الذين يشافهون الجمهور من خلال الإذاعة والتلفزيون وتدريبهم على التميز بين الأداء الترتيلي الذي يلزمه المقام كنشرة الأخبار والندوات والمحاضرات، والأداء الإسترسالي الذي يجب أن تكون عليه الموائد المستديرة والمناقشات غير الأكاديمية وكذلك لغة المسرح والأفلام التي تمثل وقائع الحياة وغيرها" [13]

الهوامش:

- [1]عبد الواحد وافي، علم اللغة، القاهرة، د/ت، دار نهضة مصر ص 175

- [2]نهاد الموسى، ثنائيات في قضايا اللغة العربية (من مصر النضة إلى عصر العولمة) ط 1، عمان 2003 : دار الشرق، ص. 128

- [3]علي عبد الواحد وافي، علم النفس، د/ط القاهرة، دت ، دار نهضة مصر، ص 172

- [4]عبد الرحمان الحاج صالح "اللغة العربية بين المشافهة والتحرير "، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة 1990، العدد 66 ص 117

- [5]المرجع نفسه.

- [6]على عبد الواحد وافي، علم اللغة، د ط . القاهرة : د ت، دار نهضة مصر، ص.289

- [7]عبد الرحمان الحاج صالح) اللغة العربية بين المشافهة والتحرير (مجلة مجمع القاهرة 1990 :، العدد 6 ص .133 -114
-المصدر نفسه، ص .118
- [8]محمد عبد الواحد حجازي، الثقافة العربية ومستقبل الحضارة، ط .1الإسكندرية، دار الوفاء، ص.32
- [9]محمد عبد الواحد حجازي، الثقافية العربية ومستقبل الحضارة،ط 1، الإسكندرية، دار وفاء، ص.36
- [10]محمد عبد الواحد حجازين التقاة العربية ومستقبل الحضارة، ط 1، الاسكندرية : دار الوفا، ص . 43
- [11]نهاد الموسى، ثنائيات في قضايا اللغة العربية نط 1عمان 2003 : دار الشروق، ص136/137 .
- [12]عبد الرحمان الحاج صالح) اللغة العربية بين المشافهة و التحرير (مجلة مجمع اللغة العربية ن القاهرة 1990:ن العدد66 ن ص) من 114الى 133)
- [13]عبد الرحمان الحاج صالح "اللغة العربية بين المشافهة و التحرير. "

واقع التهجين اللغوي في المدرسة الجزائرية
- أبعاده، و أسبابه السسيولسانية-

أ / فتيحة حدّاد- جامعة تيزي- وزو

Y

عُرفت اللّغة عبر كل العصور، ومع كل الأجيال، وعند كل الأقوام على إختلاف الجنسيات والأمصار - بداية من المصرّ يين الذين تعرفوا إليها عن طريق الصور والرسوم المعبرة عن أفكارهم [1]* مرورًا بالهنود الذين وقفوا عند مفهوم أصواتها، نزولاً عند الفن يقيّن الذين حددوا أبجديتها، و أعطوا حاضنا لمعانيها أسموه الحرف [2]- على أنّها حلقة وسط تربط كل البشر فيما بينهم أينما كانوا وأينما وجدوا كضرورة إيديولوجية ومنهجية هامة تفرضها رغبة التواصل والتبليغ لتحقيق المهام والأنشطة التي تفرضها حقيقة الصراعات المختلفة لأجل البحث عن البقاء،

* و المقصود هنا اللغة الهيروغليفية.

1- أحمد مومن، اللسانيات، النشأة و التطور، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2002، ص، ص 1، 2.

2- George Mounin, histoire de la linguistique des origines aux xx siècle, presses universitaires de France, 1967, p 39.

و التآلف والإستمرارية.
تطورت إذًا الأفكار البشرية بمحاذاة تطور الإنسان، دقّق العرب مثلهم مثل بقية الأجناس البشرية الأخرى في المفاهيم المبهمة المحيطة بهم لأجل فك إبهامها، ربطوا الوجود بمفهوم الأرض في ظل مفهوم القومية، إرتبطوا بالدّين والرقعة الجغرافية أسسوا لمفهوم القبيلة المرادف لمفهوم المجتمع في تعريفه الواسع الحديث والمعاصر عبروا عن مدى إرتباطهم بلغتهم اللّغة "العربية" الحاملة لعاداتهم
وتقاليدهم، ومعتقداتهم الدينية، سايرت اللّغة العربية منذ نضوجها - تقريباً في منتصف القرن الرابع للهجرة - الركب الحضاري الإنساني وأصبحت لغة راقية إستمدت رقيها و قوتها من غنائها المفرداتي، و بنائها الشكلي السليم **، البليغ المعنى والمفهوم تجاوبًا مع دقة وبلاغة القرآن الكريم كمرجع أساسي للباحث عن اللّغة العربية السليمة البليغة الراقية إلاّ أنّه و بأسف شديد نقولها - فبمحاذاة التطورات والإجتهادات التي عرفها مجال الدراسات اللّغوية عبر أطوارها المختلفة والمتعددة،

** - إشارة منّا إلى عملية النقط، و رسم الحروف التي عرفتها اللّغة العربية على يد نحاتها.

وفي كل ميادينها وإتجاهاتها المتنوعة أيضًا بما فيها العلوم اللّسانية البحتة التي تصب في البحث اللّساني الدقيق القائم على التحليل النظري والتطبيقي للغة في وضعها الخالص. وكذا العلوم الأخرى المحاذية لها، وذات العلاقة الوطيدة بها بصفة من الصفات نحو: الصفة الاجتماعية في علم الاجتماع اللغوي، الصفة النفسية في علم النفس اللغوي وصفة التعليمية في علم اللغة التعليمي... وغيرها، والتي تقوم بدورها على تحليل ودراسة اللغة في كنف هذه العلوم، إلا أنّ اللغة العربية، وعلى الرغم من دخولها كل هذه الرهانات الحديثة والمعاصرة في البحث اللّغوي إلّا أنها لا تزال تعرف اضطرابات شديدة حتى لا نقول أوضاعا انتكاسية في استعمالات أبنائها خاصة الفئة الشب انية منهم مما يدفعنا إلى طرح عدة تساؤلات نحصر أهمها فيما يلي: لم تعيش اللغة العربية هذه الوضعية الصعبة؟ وكيف حدث هذا ؟ وما الذي تعاني منه اللغة العربية في الجزائر؟ حتى أصبح الطفل الجزائري التلميذ المتعلم، الشاب خريج المدرسة الجزائرية يعجز عن استغلال اللغة العربية استغلالا سليما؟ هل

لأنه يتنكر لمفاهيمه الاجتماعية المحلية رافضا إياها معبرا عن هذا الرفض بخلطه ومزجه لبعض من الزاد اللغوي الأعجمي أو الأجنبي للغته القومية "العربية"؟ وهل هذا يعني أيضا أنّ طفلنا المتعلم قد وقع تحت صدمة التحضر الزائف القائم على مبادئ مغلوطة لا تمت بصلة للواقع اللغوي الحقيقي الذي يجب أن يُطبع في ذهن أي متعلم فتي " الصبي الطفل " بصفة عامة، والطفل الجزائري ذو القومية العربية، و الديانة الإسلامية بصفة خاصة؟ أم أنّ هذه اللغة " اللغة العربية " ذاتها هي التي لم تستطع مسايرة هذا الزخم من التطورات السريعة التي تشهدها الساحة اللسانية العالمية من جهة و الساحة اللسانية العربية * من جهة أخرى فأصيبت بصداع المفاهيم والاصطلاحات التكنولوجية والإعلامية الوافدة عليها، والتي أصبحت تصادر معظم مجالاتها في ظل ما يعرف اليوم بالهائل المعلوماتي في زمن العولمة الصارخة؟

اختلفت الأسباب وتعددت الطروحات، وتشريح هذه المسألة "مسألة الهجين اللغوي"

* إشارة منّا إلى زخم الترجمات و الاقتراضات اللّغوية القائمة في العالم العربي ما بين المشرق والمغرب، والنتاج الاصطلاحي المضطرب الناتج عن هذا الصراع.

والتعرف إليها يحتاج إلى دقة وتأنٍّ، والقول باستفحال الظاهرة في حنايا اللغة العربية في الجزائر يستوجب علينا الوقوف عند عدة نقاط والنسج عليها رغبة منا في بلوغ الحلول الممكنة للحد منها والتي نتصورها حسب المخطط التالي:

I- ضرورة الوقوف عند نوعين من المعطيات والتعريف بهما رغبة في الوصول إلى تحديد الفروق الدقيقة القائمة بين مصطلح وآخر، وكل هذه المصطلحات ومصطلح الهجين اللّغوي كمصطلح هدف هذه الدراسة، ومدى استفادة الباحث اللّساني والمعلم والأستاذ من هذه المصطلحات في الحد من استفحال ظاهرة التهجين في اللّغة العربية بكل مستوياتها المختلفة خاصة النحوية التركيبية والصوتية النطقية. وهي:

أ - **النوع الأوّل من المعطيات:** والذي يقوم بدوره على نقطتين هامتين هما:

1. التعريف بالمصطلح ذاته " مصطلح الهجين، الهجين اللغوي ".
2. التعريف بالمصطلحات القريبة منه "الهجيّن " من حيث الاستغلال الاصطلاحي والمعنوي نحو:

أ -الازدواج اللّغوي.
ب -التداخل اللّغوي.
ج- التعدد اللّغوي.
د- الاقتراض اللّغوي.

ب- النوع الثاني من المعطيات : والذي ينضوي تحته أيضا نوعان من المصطلحات وهي:

1 -المصطلحات الحاملة لمفهوم العملية التعليمية وسلوكاتها نحو:
أ -المدرسة.
ب - المعلم.
ج- المتعلم " الطفل ".
د- الأسرة.

2 -المصطلحات الحاملة لمفهوم العلاقة القائمة ما بين ثلاثية "اللّغة"، "المجتمع" واللغة والعلوم ذات العلاقة المباشرة بها نحو:
أ- علم اللّغة الاجتماعي.
ب- علم النفس اللّغوي.

II- ضرورة الوقوف عند أسباب التهجين.

III- ضرورة الوقوف عند الحلول المقترحة للتنظير لهذه المسألة.

I- التعريف بالمصطلحات:

قبل التعرف إلى أسباب التهجيّن، والحلول التي من الممكن الوصول إليها لأجل الحفاظ على اللّغة العربية في الجزائر - عبر كل

هياكلها، ومع كل شرائحها الإجتماعية من هذه المعضلة، فضلنا الوقوف عند مفهوم بعض المصطلحات التي وجدناها خادمة لهذه الغاية، وأولهم ا المصطلح الهدف من هذه الدراسة "الهجيّن "، " الهجيّن اللّغوي".

1-1 الهجّين، الهجيّن اللّغوي: L'hybridation linguistique, Pidgin, Hybride

تعددت التعريفات الخاصة بهذا المصطلح، و تقاربت في معطياتها، أغلبها تلك التي تقول أنّ التهجيّن هو تقاطع ما بين نوعين، جنسيين من نفس النوع، أو ما بين جنسين مختلفين[1]، هَجُنَ الأمر: قبَّحَهُ وعابه وهجُن الكلام وغيره: صار معيبًا مرذولاً[2]، فالتهجيّن إذًا في الميدان اللغوي هو تلك اللغة الثانية التي تولدت نتيجة اتصال حدث ما بين لغات مختلفة نحو ذلك الإتصال الذي حدث ما بيّن اللغات الأوربية واللغات الأسيوية أو الإفريقية رغبة في السماح لهذه الجماعات بالتفاهم فيّما بينها[3]، إلاّ أنّ الكلام الهجيّن هو كلام ناقص وليد الاختصارات أحيانًا كثيرة والتي تقع على

1- Daniel Péchoin, et autres, Dictionnaire Larousse, Compacte, éditions Larousse, 1993, p 523.

2- ابن منظور، لسان العرب.

3- Mathée Giacomo, Jean dubois et autres, Grand dictionnaire de la linguistique et sciences du langage, éditions Larousse, 2007, p 366, 367.

عاتق اللّغات التي تتواصل بها الجماعات لأهداف محدودة خاصة تلك المرتبطة بالأهداف التجارية والاقتصادية، دون أن يكون هذا النتاج اللّغوي لغة أم لأحد [1] نحو ما هو عليه الحال في الهجيّن الانجليزي الذي هو عبارة عن خليط مركب من القواعد النحوية الصينية والمفردات الإنجليزية [2] مثل ما نلمسه أيضا في لغتنا العربية التي أصبحت لغة خليط أو مزيج، لا هو بالعربية الفصيحة الخالصة، ولا هو بالأعجمية المفهومة نحو قولهم مثلاً في الجملة التالية:

نروح لدّار اليوم فلفور ڤوا*، خطر ما عنديش " طومبيل"فالملاحظ لهذه الجملة يلمس مزج ا للعامية من جهة، وإدراج تركيبة غير عربية أصلاً، منطوقة بشكل غير سليم، وهي لفظة " Automobile"، والمكونة من جزئيّن، حيث أن الجزء الأوّل منها: **"Autos"** يوناني، ويعني "مني أنا" **"-de moi même".** والجزء الثاني **" Mobilis"** اللاتيني الأصل ومعناه: الذي يستطيع الحركة، **" qui**

1- Daniel Péchoin, le petit dictionnaire Larousse, p 781.

2 -Grand Dictionnaire de l'linguistique et science du langage, p 367.

*- نوع من أنواع السيارات المستغلة للنقل الجماعي داخل المدن.

peut semouvoir"[1] فالهجيّن اللّغوي على هذه الحال هو مزج مفرداتي وقواعدي للغتيّن مختلفتين من حيث البناء المفرداتي والتركيب النحوي في أغلب الأحيان والملاحظ لهذه الظاهرة اللغوية يكتشف أنّ هذه الأخيرة تحدث ** دون عمد في أغلب الأحيان، بحيث تأتي نتيجة احتكاك جماعات لغوية فيما بينها، أين يحاول المتكلم بها والمؤسس لها الاحتكام إلى التنغيّم والترنيّم لأجل تسهيل دمجها في الوسط اللّغوي، والدائرة الاجتماعية التي ينتمي إليهما، إلاّ أنّ هناك حالات تحدث فيها العملية التهنجينيّة بشكل عمدي مقصود حددتها الدراسات السسيولسانية الحديثة في فئتين هما:

أ- فئة الكهنة والمشعوذين: وهي تلك الفئة الاجتماعية التي تشتغل بالسحر والشعوذة، وتقوم بترديد أصوات أو مقاطع صوتية تزعم أنها ذات صلة دينية مقدسة، تأتي هذه الأصوات في شكل ألفاظ مبهمة حتى تغلب عليها الرهبة والخشية لغاية

1- Ibid, p 235.

** - الدراسات السسيولسانية الحديثة نحو: فيتشمان، لابوف، و غيرهما.

التأثير في المتلقي وبالتالي السيطرة عليه.

ب- فئة من الشعراء والكتّاب الغربيين في البدايات النهضوية الأولى: نحو ما هو عليه الحال عند الشاعر والكاتب الفرنسي الشهير **" François Rabelais"** (**1494م – 1553م**)، والشاعر الإنجليزي **" Jeamse Jensen"** "جيمس جونسن" اللذ ين اعتمدا على الجرس النطقي لألفاظ مبتكرة مبهمة ذات جرس رنان [*] وعليه نقول: انّ العملية "عملية التهجيّن كظاهرة لغوية: هي عمليّة جماعية بحتة يرتقي الابتكار فيها من الابتكار الفردي إلى التقليد الجماعي المحصور، ثم بعدها التقليد الجماعي الواسع " القومي"، "الشعبي" على نحو ما يظهره هذا الشكل.

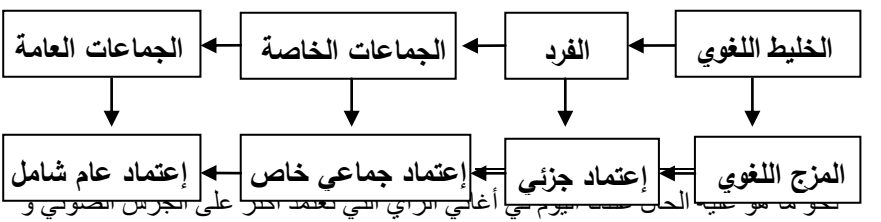

نحو ما هو عليه الحال عند اليوم في أغلبي الرأي التي تعتمد أكثر على الجرس الصوتي و النغمة، و الإيقاع، و الهجيّن اللّغوي المبتذل.

2-1 الإزدواج اللغوي: Le bilinguisme:

الازدواجية اللغوية " **Le bilinguisme** " بصفة عامة هي الوضعية اللغوية التي يكون فيها الأفراد المتحدثة مسيّرة لاستغلال خيارات لغوية بحسب المواقف والأماكن للغتيّن مختلفتيّن، وتعتبر هذه الحالة الأكثر تداولاً في التعدد اللغوي [1]، فالتعددية اللغوية إذًا هو استغلال نظاميّن لغويّن في أن واحد للشرح أو للتعبير عن وضعية معينة نحو ما هو عليه الحال هنا في الجزائر، وما يحدث ما بين اللغة العربية واللغة الفرنسية، "فالمتحدث" "المتكلم" الجزائري لا يشعر إلاّ و يجد نفسه ينتقل من لغة إلى أخرى، و تعود جذور هذه الظاهرة اللغوية الاجتماعية في آن واحد إلى الإنطباعات اللغوية اللاشعورية التي تركها الاستعمار في الأوساط الجزائرية، والتي يعود أغلبها إلى التكوين باللغة الفرنسية في الناحية الشعورية الواعية، وضرورة الانتقال إلى

1- Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique, éditions Larousse, Paris, 1989, p.p 65- 66.

اللغة الثانية لضرورة الإفهام، وتأدية المقصود كناحية لا شعورية غير واعية تصاحب المتحدث الجزائري على اختلاف أشكاله وانتمائاته الاجتماعية.

محبوبة هي كظاهرة لغوية لدى الفئة النخبة في حالات ومقامات علميّة أكاديمية تستدعي الشرح والتحليل للملتقي ذ ي القدرة العلميّة على فهم استغلال موقف الإنتقال من نظام لغوي أول إلى نظام لغوي ثانٍ، إلاّ أن الظاهرة تبقى سلبية عندما تخرج من هذا الإطار، و تُصبح عملية أو ظاهرة كثيرة التداول في الأوساط الاجتماعية بكل فئاتها.

1-3 الدخيل اللغوي: " L'interférence l'linguistique ":

وردت لفظة دخيل في المعاجم القديمة، والحديثة منها أيضا نحو ما نجده في معجم "الجمهرة" لإبن دريد (**321** هـ)، ومقاييس اللغة لإبن فارس (ت **395** هـ) للقدامى، و في معجم لسان العرب لابن منظور ومعجم الوسيط أيضا، وبعض الموسوعات مثل موسوعة "متن اللغة"، و"الموسوعة العربية" "لشفيق غربال" (**1968م**) من المحدثين وقد لخصت هذه المعاجم مفهوم الدخيل في لسان العرب لإبن منظور، قائلة: «الدخيل لغة هو ما انتسب

إلى شيء وليس منه "يُقال" هو دخيل بني فلان إذا انتسب معهم، وليس منهم... ودخيل الرجل ودخله الذي يداخله في أموره ويختص به»[1]، وتطور المعنى اللغوي للدخيل إلى المعنى الإصطلاحي الذي أصبح يخدم المفهوم اللساني كما ورد في الموسوعة العربية الميسرة: أن الدخيل هو تلك الألفاظ غير العربية التي استعملها العرب دون أن يخضعوها لصيغهم [2] أما عند الغرب فقد وردت تعريفات متعددة في معاجم ومؤلفات كثيرة أهمها: "قاموس اللسانيات" "لجون ديبوا وآخرون" وقاموس "اللسانيات" "لجورج مونان" " **Gorge Mounin**"، وعند"ل. دروي" " **L.Deroy**" وفي الموسوعة اللسانية لعلوم اللسان "لأزفلد ديكرو " **Oswald Ducrot**"، حيث توصلوا إلى تعريف هذه الظاهرة اللغوية قائليّن: نقول أنّ هناك تداخل لغوي عندما يستغل فرد مزدوج اللغة في اللغة الهدف (أ) سمة صوتية مورفولوجية، مفرداتية، أو تركيبية تحمل

---

[1]- إبن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، م11، ط2، دار صادر الطباعة و النشر، بيروت، لبنان: 1968م، ص 241.

[2]- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، م1، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: 1968م، ص 781.

خصوصية اللغة (ب) [1] والمشار إليه أن التداخلات اللغوية عملية فردية تتجسد عند الأفراد أكثر من الجماعات عكس ما هو عليه الحال في عمليتي الإقتراض **"L'emprunt "** أو النسخ **"Le calque".**

4-1-التعدد اللغوي: Le multilinguistique:

نقول عن جماعة لغوية أنها تعرف تعددًا لغويًا عندما تستغل هذه الجماعة لغات متعددة في حالات تواصلية متعددة أيضا نحو ما هو عليه الحال في سويسرا أين نجد ك لاً من اللغة الفرنسية، الألمانية والإيطالية لغات رسمية في البلاد، وينطبق هذا الحال على الفرد المتكلم المستغل للغات عدة في تواصله مع جماعته و كذا في المقامات المختلفة المفروضة عليه نحو (العائلة، العلاقات الاجتماعية، الاقتصادية الإدارية... الخ) [2].

5-1- الإقتراض اللغوي:" L'emprunt linguistique ":

إقترض بمعنى إستلف، المحتاج يقترض من المالك، والذي يملك، نفس الأمر يحدث بالنسبة للعلاقات القائمة ما بين ما كان

1- Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique, p 265.

2- Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique, p 381.

يصطلح عليه في فترة ما بعد الحربيّن- باللغات القوية، واللغات الضعيفة أي أنّ اللغة الضعيفة تأخذ، وتستلف من اللغة القوية، يُقابل هذان المصطلحان في الدراسات اللغوية الحديثة: اللغة العلمية واللغة الأدبية، حيث تقتضي اللغة الأدبية المصطلحات العلمية الواردة في اللغة العلميّة نحو ما هو عليه الحال في اللغة العربية، والأمثلة كثيرة نحو قولنا تلفاز أو تلفزيون، فهذا المصطلح في المفهوم النحوي هو اسم آلة على وزن تفعال، وعندما إقترضت هذه اللفظة وأخضعت لأوزان اللغة العربية أصبحت على وزن ترجمة تلفزة فعللة، فاللغة العربية هنا قد إقترضت لفظة جديدة أضفتها إلى رصيدها اللغوي الحديث، والإقتراض أنواع أهمها:

شكلي← سبب دلالي نحو لفظة شاي.

خاطئ← سبب إضافات خاطئة نحو الزيت + الحوت = زيت الحوت.

فونولوجي← سببه الإزدواجية اللغوية الراقية في بعض الأحيان نحو ما نجده في اللغة الإنجليزية في ظل اللغة الفرنسية مع لفظة: Smoking لفظ إنجليزي، ينطق " صوتيًا " بالفرنسية.

نحوي ← سببه ← الوحدات الوظيفية إلاّ أنه من حيث ترتيبها وليس إلاّ. **2- النوع الثاني من المصطلحات:**

2-1 المدرسة: L'école

المدرسة بوصفها مؤسسة تربوية متميّزة أمر حديث العهد على الإنسان، لأن التربية كانت تتم على مستوى العائلة، أو في العشيرة، وفي أحضان المجتمع، حيث أنّ التربية أو التعليم كان يحدث بإستأجار معلميّن أو مؤدبيّن إلى البيوت * [1] لم تعرف مجتمعاتنا هذا النوع من هذه الدور أو الهياكل إلاّ مع الإسلام [2]، فالمدرسة كلمة معاصرة تعني الجماعة التي تشكل درسًا واحدًا في بيئة معينة، يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج [3]، وهي المكان الصالح الذي يُستثمر فيه فضول الطفل وميوله بيّن أفرادها (أفراد الجماعة) وتكشف عن قدراته، وتمده بالغايات والوسائل والطرائق التي يستطيع

---

*- نحو ما هو عليه الحال عند خلفاء و أمراء العرب المسلميّن " مؤدب الأمين، مؤدب المأمون " أبناء هارون الرشيد.

[1]- المعجم العربي الأساسي، جماعة من كبار اللغويّن العرب، المنظمة العربية للتربية و العلوم، توزيع لاروس، 1962م، ص ، ص 446، 447.

[2]- فاخر عقل، معالم التربية، ط، دار العلم للسلايّن، بيروت، 1969م، ص 72.

[3]- صالح بلعيد، في أصول النحو، دار هومة، بوزريعة، الجزائر: 2005م، ص 145.

بواسطتها أن يستغل مواهبه ويحقق أهدافه [1] نحو ما أشار إليه كل من المربيّن وبعض علماء النفس والاجتماع نحو " إميل دوركايم" الذي يرى أنها التعبير المتميّز من قبل المجتمع والذي يعمل على نقل الثقافة الأخلاقية والإجتماعية للطفل [2] وكذا "جون ديوي" وغيرهما، عكس ما وجدنه في التعريف التقليدي لهذا المصطلح عند كل من المعجميين ورجالات اللغة عند العرب نحو ما هو عليه الحال عند كل من ابن منظور" في لسان العرب، وفي المجامع اللغوية العربية في معجم الوسيط، حيث أنّ الدّارس: المدرسة من درس الكتاب يدرس درسًا، عانده قوة إنقاذ كحفظه [3] وتدارس الكتاب ونحوه: درسه وتعهده بالقراءة والحفظ، والمدارس الموضع الذي يُدرس فيه كتاب ّالله والمدرسة مكان الدرس والتعلم [4]. فالمدرسة بهذا هي ذلك العامل الجوهري في تكوين شخصية الفرد وتقرير إتجاهاته

1- Louis Armilla et autres , Dictionnaire de pédagogie , éditions Bordas, Paris 2000, p.p 93,99.

2- مخلوف بن لحسن، التعليم الأساسي بين النظري و التطبيقي، رسالة ماجستير، الجزائر: 1986م، ص 15.

3- إبن منظور لسان العرب، ص، ص، 79، 80.

4- مجمع اللغة العربية، الوسيط، ط$_3$، ج$_1$، مطابع الأوقست: 1965م.

وسلوكه وعلاقته بالمجتمع [1]، من جهة، وهي ذلك المكان الذي يُسهم إسهامًا مباشرًا في تعليم الطفل المتعلم لغته أولاً وقبل كل شيء إضافة إلى بقية العلوم الأخرى من جهة أخرى، وفي هذا بعد نظر.

2-2- المعلم: L'instituteur, l'enseignant:

الشخص الذي يمارس فعل التعليم، وهو الشخص المؤهل لتدريس أو تعليم " الطفل" "التلميذ" " المتعلم"، "الصبي" في أحد الأماكن المخصصة للتعليم نحو المدرسة [2] إلاّ أنّ هذا المفهوم قد تطور إذ لم يعد المعلم ذلك الشخص الذي يُعلم مادة دراسية معينة كمحتوى وفقط، بل توسعت مهامه إلى تنمية فكر التلميذ، و تهيئة الجو المناسب للمتعلم، مع ضرورة إرشاده وتوجيهه [3]، فالمعلم إذًا هو ذلك الذي يقوم بمباشرة عمليّة التعليم قبل العمليّة التعليميّة وأثناءها. وقد إختلفت وجهات النظر في تحديد الخصائص التي يجب أن

---

[1]- محمود فتحي عكاشة، المدخل إلى علم النفس الاجتماعي، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية: 2002م، ص 61.

[2]- G. Mialard, Dictionnaire de l'éducation, éditions D.V.F, Paris 1979, p 102.

[3]- حسيّن حريري، إلياس برسوم، مصطفى زيدان سيد خير الله، المدرسة الإبتدائية، دراسة موضوعية شاملة، مكتبة النهضة المصرية، مصر: د ت، ص 79.

يتميّز بها المعلم، حدّدها معجم علوم التربية في سياسيته " 9 " و " 10 " على النحو التالي:

- سرعة التشخيص.
- سرعة التلبية والاستجابة.
- وجوب التقويم، وفحص التغيّر الحاصل لدى المتعلم التلميذ.
- وجوب ربط علاقات بينه وبين المتعلميّن.
- تطويره للمنهاج: أي ربط المنهاج بتجارب المتعلم ووضعياته المختلفة.
- تحليه بالمسؤولية الإجتماعية، وذلك بخلق الظروف الملائمة لنمو المتعلم بإعتبار وضعيته الإجتماعية.[1]

فهل نستطيع أن نفسر ميول التلاميذ إلى بعض المعلميّن أو الأساتذة دون آخرين بعد تعدادنا لهذه المميّزات أو الخصائص التي يجب أن تتوفر في الأستاذ المعلم، والمعلم المربي؟ قائلين أنّ الأستاذ اليوم أصبح يدرك متى يُعلم، وكيف يُعلم، ومع من يُعلم، وكيف يتعامل وبشكل إزدواجي: المتعلم،

[1]- عبد اللطيف الفلوابي، محمد أيت موحى، و آخرون، معجم علوم التربية 9 و 10، سلسلة علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب: 1994م، ص 102.

والمادة التعليمية أو المحتوى و كل النشاطات الأخرى.

2-3- المتعلم: L'apprenant، التلمّيذ: L'élève:

إسم لموضوع، أو مادة معينة، ناتج من فعل التعلّم، نُسخَ من اللغة الإنجليزية من فعل " Lering" بمعنى التعلّم "ظهر لأول مرة مع ظهور خطاب" تعليميّة اللغات الأجنبية" في مدار 1970م. إعتبر هذا المصطلح ولزمن طويل مرادفًا لمصطلحي "التلمّيذ، المُدَرس"، وعليه نقول أن إدراك مثل هذا يعكس أساسا النظرة السلبية أو غير الفعالة لدور الفرد المصمم لمعلومات المتلقي المُنْتَجَةَ من جهة واحدة (Unilatéralement) من قبل شخص أخر فالمتعلم الذي يُعرف على أنه الشخص الذي يُتابع تعليم ا معيّن ا (حسب لاروس الصغير ل 1997م) [1]، و الذي إعتبر من قبل البهفيوريّن " La psychologie béhavioriste" بمثابة عضو فيزيولوجي ليس أكثر، قد إحتظنته علوم النفس المعرفية والإنسانية (S. Krashen) مؤسسة لمفهوم التداخل القائم ما بيّن مصطلحي التعلم والإكتساب كمصطلحيّن من العلوم المعرفية الإجتماعية والتي عملت جاهدة على إسترجاع

1- Jean Pierre Cuq et autres, Dictionnaire de didactique de Français langue étrangère et seconde," Asdifele" clé international, Paris 2003, p.p 19-20.

ولو بشكل تدريجي المكونات الأساسية للفرد المتعلم خاصة النفسية والذهنيّة المعرفية والتي أهلته من جديد ليصبح عنصرًا إيجابيًا في العمليّة التعليميّة [1] إلاّ أنّ الأمر الذي لا يجب أن ننساه هو ضرورة الإشارة إلى أنّ مصطلح المتعلم قد كان قائمًا في الدراسات العربية التعليمية القديمة خاصة الإسلامية تحت إصطلاح "الصبي" " الصبي المتعلم" نحو ما هو عليه الحال عند الرسول "ص" كأوّل معلم في الإسلام عندما نادى في غزوة بدر بتعليم الصبية قاصدًا أبناء المسلّمين الأميّن "كبارا" كانوا أو "صغارا".[2] وكذا عند كل من علماء التربية والتعليم الذين أتوا من بعده في التاريخ الإسلامي، والذين حاولوا الإقتداء به نحو ما هو عليه الحال عند "إخوان الصفا" "ابن سينا" في القرن الرابع للهجرة، و"ابن خلدون" في القرن الثامن للهجرة، و"ابن سحنون" و"القابسي" و"الغزالي" في القرون الأخيرة.

2-4-الأسرة: La famille

---

[1]- S. Kashen, principles And practice in second language, Acquisition, Pergmou, Paris, Oxford 1982, p 11.

[2]- فتيحة حدّاد، تطوير مناهج تعليم اللغة العربية، الجزائر أنموذجا، 1830م، 1990م، رسالة دكتورة، تحت الطبع، ، ص10.

مصطلح تداولته الدراسات الفلسفية والقانونية منذ الأزل للتعبير عن مفهوم العلاقات الحميمية المشتركة بيّن الأفراد خاصة تلك المرتبطة بالأرحام، أصبح مصطلح الأسرة ذو أهمية كبيرة عند أصحاب الإختصصات نحو ما هو عليه الحال عند: علماء النفس، و علماء التربية، إذ يرون أن الأسرة بحكم كونها المهد الأول للطفل يتفاعل معها، وتتفاعل معه، فهي ذات دور فعال في إكسابه المهارات الحياتية الأولى المختلفة نحو قولهم: « ... وهي أول جماعة إنسانية يتفاعل معها، كما أنها تعتبر بمثابة العامل الأساسي في تشكيل شخصيته في مرحلة نمو تتميز بقابلية الطفل فيها للتشكيل والتكوين... كما يتمكن الطفل في هذه البيئة الإجتماعية من التعرف على نفسه وتكوين ذاته عن طريق ما يحدث من تعامل وتفاعل بينه وبين أعضاء الأسرة التي يعيش فيها»[1]، وتتكون الأسرة من مجموعة من الأفراد وهذا بحسب الإنتماءات الإجتماعية، الأسرية من جهة والإختلافات الحضارية من جهة أخرى، ففي الجزائر مثلا وبحكم أن الأسرة الجزائرية أسرة تقليدية

[1]- فاروق عبد الحميد اللقاني، تثقيف الطفل، فلسفته و أهدافه، و مصادره، و وسائله، منشأة المعارف الإسكندارية: 1995م، ص 48.

فهي كثيرة الأفراد، حيث تتكون من: الأبوين، الأخوة، الجدين، الأعمام والعمات في أغلب الأحيان.[1]

2-5- اللغة اللسان: Le langage

مصطلح أساس في الدراسات اللغوية، اللسانية، "القديمة والحديثة"، العربية والغربية في المعاجم والقواميس، والمؤلفات ذات الإختصاص اللساني "اللغوي" منذ الإرهاصات الأولى للدراسات اللغوية اللسانية.

وإذا أتينا للتفصيل في التعريفات التي قالت بهذا المصطلح لوجدنا أنّ تعريف "ابن جني أبو الفتح عثمان" (ت 392 هـ) يأتي كأقدمها وأشهرها في التراث العربي الإسلامي، حيث قال: « حد اللغة أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[2] وقد تناول هذا التعريف ثلاثة عناصر مهمة وهي: اللغة أصوات: وهي محدودة في كل لغة، نحو ما هو عليه الحال في اللغة العربية مثلا فرغم تداخل بعضها مع البعض، في بعض اللغات ذات الأصل الواحد نحو اللغات السامية

---

[1]- حفيظة تازورتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، د ط، دار القصبة للنشر،الجزائر: 2003م، ص 9.

[2]- أبو عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ص 3، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر: 1982م، ص 34.

وكذا القوم أو الجماعة اللغوية الواحدة: فلكل جماعة من الناس لغة خاصة بهم، وفي استعمالاتهم. وهي أيضا أغراض: الإنسان يستعمل اللغة لأغراض معينة كالتعبير والتبليغ... وغيرهما.

أما التعريف الثاني فهو التعريف الذي قال به العالم الأنتروبولوجي "ادوارد سابير" "ت 1939م" « فاللغة منهج إنساني لاغريزي لتبليغ الأفكار والمشاعر والأغراض بتوسط نظام من العلامات الموضوعة اختياريًا ». [1] فاللغة إذن نظام خاص من العلامات يُمَكِن أفراد الجماعة اللغوية الواحدة من التواصل فيما بينها و يتحدد حسب "F. Desanssure" في مقابل الكلام من خلال ثلاثة محاور أساسية: (أ) محاور التقابل بين الإجتماعي والفردي، بحكم كون اللغة مجموعة من العادات اللسانية التي تتيح لكل فرد التواصل مع بقية أفراد جماعته اللغوية، ولهذا ترتبط اللغة بالحدث الإجتماعي بينما يرتبط الكلام بالحدث الفردي.

(ب) محور التقابل بيّن الذاكرة والإبداع، فاللغة بمثابة مخزون في الذاكرة بينما

[1]- ادوارد سابير، اللغة "مقدمة في دراسة الكلام"، ج 1، ط2، تر: المنصف عاشور، الدار العربية للكتاب، تونس: 1997م، ص 20.

يُشكل الكلام تصرفًا فرديًا في اللغة يترجم الكلام فعلاً ذاتيًا للذكاء الإنساني... فاللغة في ضوء هذا التقابل تشبه موسوعة تشمل الرصيد اللغوي المخزون.

(ج) محور التقابل بيّن الشفرة وطريقة استعمالها... ومن خلاله تعتبر اللغة شفرة مشتركة بين جميع الأفراد فهي تشبه سمفونية يعزف بها الأفراد بواسطة الكلام على أدوات مختلفة تلتقي كلها عند التقيّد بقواعد الشفرة [1]، فاللغة على هذا الحال الوسيلة الأساس في تواصل البشر فيما بينهم إذ أجمعوا على استغلالها بأي طريقة كانت حتى يبقى مفهوم التواصل قائم ا بينهم إلى الأبد ومنه نتساءل عمَّا إذ كان هناك فرق بين التواصل السمفوني الميّسر عن طريق التحكم في الأدوات الموسيقية وحسن استغلالها "القواعد" أم لا؟، وما الفرق بين ذا و ذاك أو هل يُسبب فقدان الأدوات "القواعد" كضرورة في الإسهام في تأسيس الوضعية التهجينيّة؟.

---

[1]- أنظر كلاّ من:

a- Grand Dictionnaire de linguistique et science du langage, p 264.

b- F. Desaussur, cours de linguistique générale, éditions Talantikit, Algérie : 2002, p.p 13- 15.

ج- معجم علوم التربية، ج1، ص 175.

2-6- اللهجة: علم اللهجات: Le Dialecte "La Dialectologie"

مصطلح عُرف من قبل المختصين اللغويين، خاصة المحدثين منهم، نحو "فيتشمان" و"لابوف"... وغيرهما، تحدث به "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب" فقال: « لَهَجَ، لَهِجَ، بالأمر لهجًا ولهُجَ كلامها، واللهجة طرف اللسان واللهجة جرس الكلام... ويُقال فلان فصّيح اللهجة واللهجة هي لغته التي جَبُلَ عليها فاعتادها و نشأ عليها »[2]، على الرغم من أن القواميس الحديثة في علم اللسان الحديث تشير إلى أن المصطلح أتى كمرادف للسانيات الجغرافية[3] أين تدرس هذه الأخيرة التغيرات اللغوية ونظمها بحسب الإنتماءات الجغرافية[4]، وعلى هذا فإننا نجد أن الدراسات اللسانية البحتة واللسانيات الإجتماعية وكذا اللسانية الجغرافية تُجمِع على أن الإستعمال الفعلي للغة في المجتمع البشري يظهر من خلال الرقعة المنتمي إليها الفرد سياسيًا و حضاريا، حيث عادة

---

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص 389.

[3] - Grand Dictionnaire de linguistique et science du langage, p 144.

[4]- Ibid, p 144.

ما نجد استغلال أنماط لهجيّة متفرعة عن النظام اللغوي المشترك السائد في المجتمع. كما هو باديًا في المجتمعات العربية الحديثة، و التي تختلف بإختلاف الأنماط اللهجيّة التي تُعرف بها، كما يُمكن أن نلمس هذا أيضا في اللغة الإنجليزية التي تختلف من حيث الأداء الفعلي للكلام عن الإنجليزية في أمريكا وأستراليا [1]، فمصطلح اللهجة على هذه الحال هو ذلك المصطلح الذي يختلف بالضرورة القصوى عن مصطلح اللغة من حيث تحديد المستويات اللغوية الصوتية، الصرفية والدلالية، خاصة في حالة ما إذا كانتا منعزلتين في رقع جغرافية متباينة نحو ما هو عليه الحال بالنسبة للغة العربية التي لها لهجات متعددة ذات إنتماء جغرافي مختلف. والكلام نفسه إذ ا أتينا للحديث عن لهجات اللغة العربية الفصيحة في الجزائر، والتي نشأت تحت تأثير عوامل بيئية جغرافية وفيزيزلوجية وراثية متنوعة ومختلفة، حدّد أهم ميزاتها و أسبابها "أ/ عبد الملك مرتاض" في بحثه "العاميّة الجزائرية وصلتها بالفصحى " قائلا نلمس

أنهم يقومون بـ: « - 1 - تسهيل حذف الهمزة نحو مُؤم ← مُومَن- 2- فتحهم للمكسور والمضموم باطراد مثل قولهم: مَصْرْ← مِصْر، سِرْ ومُرْ ← سَرْ مَرْ، - 3- عدم استعمال المثنى و لاسيما المرفوع، - 4 - إبتعادهم عن إصطناع الإضافة المباشرة نحو قولهم: كتاب نتاعي ← كتاب ديلي »[1]، أي أنهم يستغلون عبارة "ديالي"، أو "نتاعي" للإستدلال عن الإضافة.

2-7- المجتمع: La société

مصطلح يراد به التجمعات البشرية الكبرى الناتجة عن تعدد الأفراد لغاية العيش معًا[2] والملاحظ لهذه التجمعات أنها قد إكتسبت عادات وقوانين، وكذا قواعد مختلفة أدت إلى تعدّد هذه الأخيرة وإختلافها نتيجة تعدد هياكلها وطرائق تفكيرها، وبالتالي

[1]- عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية، و صلاتها بالفصحى الجزائر، ط 1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر: 1981م،ص 76.

[2]- ريمون آرون، صراع الطبقات، تراعبد الحميد الكاتب، منشورات عويدات، بيروت، باريس: 1973م، ص .ص 5، 6 و ما فوق.

لغات تعبيرها، واختلافها في آن واحد، حيث نجد: المجتمعات البدائية نسبة إلى بداية الإنسان و بداية تاريخه وتواجده في الأرض، المجتمعات الإقطاعية أو الفيودلية "Féodale"، والمجتمعات الرأسمالية "المجتمعات الصناعية"، تناقضًا مع المجتمعات الماركسية الشيوعية، كما نجد في الأخير المجتمعات الديمقراطية أو التكوفيلية". [1] *

2-8- علم اللغة الإجتماعي: La sociolinguistique

تعود إزدواجية هذا المصطلح إلى ربط مصطلحين لهما شهرة واسعة في علم اللسان الحديث من جهة، وعلم الإجتماع، أو علم البحث في العمران البشري من جهة أخرى وهما: "اللغة" أو"اللسان" و"المجتمع" فكيف إرتبطا لصنع علم جديد؟

تعود النزعة الإجتماعية، في التعامل مع الظاهرة اللغوية إلى الأرضية المنهجية التي وضعها عالم الإجتماع "دوركايم"، وهو المدد النظري الذي إعتمده "سوسور" في

---

[1]- أنظر:

أ/- المرجع نفسه الصفحة نفسها.

ب/- Dictionnaire Larousse Compacte, édition, 1993, p 943.

*- نسبة إلى الباحث الفرنسي " Alexis de Tocqueville".

تعامله مع الظاهرة اللغوية بوصفها ظاهرة إجتماعية من حيث أن اللسان لا يعد و أن يكون إلاّ راسبًا إجتماعيًا لممارسة الكلام، و من ثمة فإنه لا توجد إطلاقا أي حقيقة لسانية خارج بنية المجتمع [1]، وكعلم قائم بنفسه فإنه قد تأسس في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينات مع كل من: "وليام لابوف" William Labov" و"جون قمبرز" " J. Jumperz" و"دال هامس" " Dell Hymes". هذا الإنضباط " cette discipline" قد إستفاد حسب "أوزفالد ديكرو" "Oswald Ducrot" من عدة إتجاهات من علم الإجتماع نحو الإتجاه التفاعلي"L'interactionnisme "مع" Eving Goffman" و"أصول المناهج" " L'ethnométhodologie" مع "هرولد قرفنكل" "Harolde Garfinkel" [2] في تأسيس ضوابط وعليه، فإن هذا الأخير (علم الإجتماع) قد أسس وبالضرورة لتقاطع منهجي مع اللسانيات عندما يتناول اللسان من حيث

---

[1]- أنظر:

A- Oswald Ducrot, et Jean- Marie Scheffer, nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éditions du seuil 1995, p 143.

ب- أحمد حساني دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 35.

[2]- Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, p 143.

هو ظاهرة إجتماعية، وهذا ما أمسى مألوفًا وشائعًا في الثقافة الإنسانية المعاصرة بعلم الإجتماع اللساني " La Sociolinguistique"[1] ومن أهم الموضوعات التي تكونه:

1 -اللهجات (Dialectes).
2 -اللهجات الفردية (Idiolectes)[2]
3 -علاقة اللغة بالجنس
4 -علاقة اللغة بالتفاوت الاجتماعي.
5 -الكلام المحظور.[3]

2-9- علم النفس اللساني La psycholinguistique:

بتناول المنهج النفسي للظاهرة اللغوية- بعد إكتماله بداية من سنة 1954م كتاريخ ميلاد حقيقي على يد العالم ين "أوسقاد" "Osgood" و"سبيوك" " Sbeok" في منتديات جامعة "كورنال" " Cornell" والتي جمعت النفسانيين واللسانيين الذين اهتموا برغبة التعريف بمجال علمي مشترك هو البحث في ميدان يجمع التداخلات القائمة

[1]- Ibid, p 143.

[2]- عاطف مدكور، علم اللغة بين القديم و الحديث، جامعة القاهرة، القاهرة: د ط، ص ص 44،45.

[3]- المرجع نفسه، ص 46.

ما بين علم النفس البشرية، وعلم اللغة الإنسانية، والذي عرف تنظيمات وتنقيحات عدة حتى يصل إلى ما هو عليه اليوم [1]- من حيث هي ظاهرة نفسية فإنه يتقاطع حتما مع الدراسات اللسانية، وقد نشأ ت عن هذا التقاطع ثنائية منهجية إنتشرت في مفاهيم الثقافة الإنسانية المعاصرة باسم: علم النفس اللساني، موضوعه الظاهرة اللغوية أو اللسانية من حيث هي حدث لساني ونفسي [2] في آن واحد يتطلب التنظير والدراسة.

II- أسباب التهجيّن اللغوي:

تعددت الأسباب و إختلفت، وسنحاول الوقوف عند أهمها قائلين:

1- بحكم أن اللغة واقع معاش، و« **هي القانون الأول الذي يفرض نفسه على كل فرد خلال عملية التنشئة الإجتماعية التي تقوده إلى الإنتقال من الطبيعة إلى الثقافة** [3] **فنقص التحكم في فهم الأليات اللغوية لدى "المتعلم" "المتلقي"، "الطفل" سيؤدي بالضرورة القصوى إلى اضطرابات لغوية**

---

[1]- Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, p 149.

[2]- أحمد حساني دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص، ص 38، 40.

[3]- Gilbert Grandguillame, Arabisation et politique linguistique au Maghreb, Larousse, 1983, p

للغة القومية، ومحاولة إدخال آليات وألفاظ ذات جذور أجنبية يجد فيها المتعلم سهولة وتداولاً أكثر . وعلى هذه الحال فإنك تجدنا نشير إلى أن نقص التواصل ما بين اللغة كمفهوم هام، والمجتمع كمجتمع أهم عند الفرد مهما كان إنتماؤه، سيؤدي بالضرورة إلى **سوء التحكم في الآليات اللغوية السليمة** ، حيث يقول "أوزفلد ديكرو" " Oswvald Ducrot" في هذا الشأن: « إننا لا نتكلم من أجل الكلام فقط (إذا قلت شيئا فلأنني أعلق عليه أهمية)، ولكننا نتكلم لأننا نحقق من خلال ذلك ذواتنا الإجتماعية أي هويتنا العميقة [1]، فالكلام هنا وإن كان يُحيّل على الوظيفة اللغوية " La fonction phatique" وهي الوظيفة الأكثر إمعانًا في المحلية ولا ينتج معرفة مدرسية، فإنه يقدم لنا طريقة الإحساس المشترك **وطريقة لإعادة الثقة في الآخر من خلال تحيّن القيم الرمزية المؤسسة على مبدأ التلاحم الإجتماعي** ، فهنا إشارة منا مرة أخرى إلى ضرورة الإشراك، إشراك "الطفل"، "الصبي" "المتعلم" **وجعله يلتمس**

[1]- Oswald Ducrot et T. Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, édition du seuil 1972, p 329.

مفهوم الإحساس المشترك، حتى تتأسس ثقته وتتكون، ونتمكن غدًا من فهم معنى القومية من خلال الحفاظ على لغته في شكلها السليم، والدفاع عنها بالإنشغال بها مادة ومعنى، واقعًا ملموسًا ومتصورًا سليمًا على مستوى الأذهان. كجزء هام لا يتجزأ من شخصيته إذ ا نقص منها شيء إضطربت لأنه عمليّا وفي حقيقة الأمر لا يُمكن إختزال التواصل اللساني للغة في الوظيفة النقلية لها لتبادل المعلومات و فقط، بل يُفترض دائمًا تجاوز هذه الوظيفة المباشرة إلى وظيفة **التشارك الإجتماعي، والثقافي اللذين يؤسسان لقانون الجماعة** ، فاللغة أو اللسان بهذه الحال يُعيد إنتاج قيم الجماعة الرمزية، وتأطير ارتجالات الفرد المتوحشة[1] وتحسينها. وغياب هذه المعطيات في ذهنية المتعلم يبقى سببا وجيهًا سيؤدي بالمتعلم إلى البحث عن البديل اللغوي "الأجنبي" "الأعجمي"، أو "العامي" "الدارجي" للوصول إلى إتمام رسم تصوراته والتعبير عن مبتغياته من جهة ورسم المفاهيم الإجتماعية الهجينة التي لا تتطابق ومبادئ الثقافية من جهة أخرى.

[1]- Javier Pérez de Cuellar « notre diversité Créatrice » le courrier de l'UNESCO, Septembre 1996, p4.

وهنا يظهر دور المدرسة كمؤسسة تُفهم من قبل المتعلم على أنها مركز للحياة يكتسب فيها الشاب عن طريق الخبرة من معيشته وتعامله مع غيره روح التضامن و التعاون والتشاور بالتعبئة المتبادلة بين البيئة التي يعيش فيها سواء أكانت بيئة إنسانية يكونها أقرانه وزملاؤه ومعلموه أو بيئة طبيعية تفرضها عليه الظروف المحيطة به ولن يتأت ى ذلك إلاّ عن طريق الإشتراك الفعلي للشباب في الحياة وتبص يره بمدى حقوقه بالنسبة لالتزاماته الاجتماعية.[1]

2- قلة الربط بين ثلاثية: اللغة، المجتمع والمدرسة كمصطلحات هامة ذات دلالة إجتماعية وتربوية وسياسية وكذا إقتصادية، وخاصة نفسية تأهلية للطفل الفرد المؤسس لثنائية "المجتمع والمدرسة".

3- قلة الربط بين ثلاثية: "المتعلم" "الفرد" "الطفل"، "المدرسة" و"الأسرة" كمفاهيم عصرية تحتاج إلى شرح وتوضيح من قبل المعلم الأستاذ رغبة في:

---

[1]- الطاهر زرهوني، تنظيم و تسيير مؤسسة التربية و التعليم، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1993م، ص،ص 9، 10.

أ -تنشئة الطفل الصبي كلبنة اجتماعية مستقبلية هامة.

ب -تنشئة الطفل على فهم مصطلح "المدرسة" كمفهوم معنوي في نفسية الطفل قبل إنشائه له كمفهوم مادي والقول بضرورة تقديسها، وتقديس مبادئها بحكم أنها جزء هام وضروري في المجتمع من جهة وفي حلقة التربية "تربية" "الطفل" "الجيل" من جهة أخرى.

ج -ترسيخ مفهوم الأسرة في ذهنية "الطفل المتعلم" وضرورة احتضانه له كمفهوم اجتماعي سياسي دستوري، عقائدي ديني، وكذا ضرورة بلورة مفهوم العلاقة الرابطة بينه و بين المفاهيم الأخرى خاصة: المدرسة كمعطى مؤسساتي وجزء هام في بناء الهياكل الاجتماعية خاصة في جانبيها: المعنوي والعلمي، وكذا المادي الإقتصادي.

4- قلة المراقبة المنهجية في عملية استغلال هذه المصطلحات وغيرها على مستوى ذهنيات الطفل المتعلم محورية في وسط سلسلة من المعطيات الهامة التي يجب أن يُمارسها الطفل المتعلم ممارسة دائمة حتى يتمكن ويتعود على فهم أبعادها ومقومات هذه الأبعاد ودورها في الحياة العملية.

5- التضييق على اللغة الفصيحة في قميص البروتكول "الرسميات" "القسم" وهنا تظهر سلبيات المنهجية التعليمية إتجاه المجتمع مرة أخرى.

6- ضعف قدرة التحكم في ذهنيات الطفل "المتعلم"، "الطفل" "النشء"، في جعله يتحكم بالحديث أو باللغة العربية الفصيحة مثل ما يُفعل معه مع اللغات الأجنبية الأخرى نحو ما هو عليه الحال بالنسبة للغة الفرنسية أو الإنجليزية.

7- الاستغلال الهائل للعاميات أو الدارجات الكثيرة في الجزائر وإختلافها من منطقة إلى أخرى أعطى اللغة الفصيحة صفة الرسمية، أي أن الفرد الجزائري أصبح يتحدث اللغة الفصيحة في الرسميات فقط.

8- قوة وكثرة الاحتكاكات اللغوية أدى إلى خلق إشكالات لغويّة تمس الجانب الدلالي خاصة ببقائها وتطورها أو زوالها بسبب ظهور الوافد القديم والجديد منها.

9- هشاشة البنية الاجتماعية بمفاهيمها خاصة في حنايا الفئة الشبابية.

10- عدم توصل، الذهنيات التعل يمية في إحداث فهم الحركية الواقعية اللغوية لدى الطفل المتعلم.

11- الفجوة العميقة ما بين الفئة الشبانية المتعلمة، والفئة العاملة في البلاد تلك الساهرة على الإنتاج خاصة الطبقة المتوسطة والتي تمثل الإدارة في كل جوانحها، فالكثير منها يعتمد اللغة الفرنسية أو اللغة العامية للتواصل مع الفرد المواطن الشاب منه.

II- الحلول المقترحة للحد من الإشكالية التهجينيّة:

1- الوقوف مع المتعلم عند المفاهيم المحددة للغة في تجلياتها المختلفة.

أ- المفهوم العام لها "للغة"
ب- مفهومها عند العرب القدامى.
ج- مفهومها عند العرب المحدثيّن.
د- مفهومها عند الغربيّين.

2- الوقوف مع المتعلم مع تجليات المفاهيم الأخرى لهذا المصطلح نحو ما هو عليه في:

أ -الإزدواج اللغوي: ما الإزدواج اللغوي؟ هل هو لغة سليمة أم لا؟
ب - التداخل اللغوي: ما مفهومه، هل هو سليم أم لا؟

ج- الإقتراض اللغوي: لم الإقتراض اللغوي، ومم ينتج؟ ولماذا؟

د- الأسباب و الظروف التي أدت إلى هذا الإقتراض؟

هـ- العاميات، اللهجات: ما العامية؟ وما اللهجة؟ وما الظروف التي أنتجتها؟ وما الحلول الواجب اتخاذها للحدّ من هذه الظاهرة؟.

3- ضرورة الوقوف عند المفاهيم الصوتية خاصة والنطقية وحبّذ ا في المراحل التعليمية الأولى للتصحيح النطقي للطفل المتعلم من جهة، وتعويده على المشافهة اللغوية السليمة من جهة أخرى.

4- الوقوف عند التداخلات اللغوية في اتجاهين اثنين:

أ -الإتجاه الإجتماعي.

ب - الإتجاه الحضاري، خاصة أمام المعطيات التكنولوجية والإعلامية المعاصرة.

أي ضرورة ربط المفاهيم الاجتماعية المحلية الوطنية بالمعطيات الحض ارية القومية في ظل المعطيات التكنولوجية المعاصرة.

5- ضرورة الوقوف عند المنهج التعليمي، والعمل على ترقيته في ميدان تعليمية اللغة العربية أولاً: كونه علمي تعليمي قائم بذاته خاصة فيما ارتبط بالمسائل النحوية الذي يُعتمد في تعليمها دائمًا على المذاكرة والحفظ - حفظ القاعدة النحوية- هذا من جهة، ومن جهة أخرى ضرورة التعامل مع المنهجية التعليمية لتعليمية اللغة العربية في الفروع العلمية الأخرى خاصة التكنولوجية والتقنية الدقيقة منها، وهذا سيسمح للطفل بترقية استغلال المصطلحات العربية التكنولوجيةِ المستغلة في الساحة الإجتماعية باللغة الأجنبية وتعويضها بالمصطلحات العربية مما سيؤدي من زاوية أخرى إلى تماسك لحمة المجتمع من خلا ل تماسك لغتها.

6- ربط حلقة المتعلم، وما يُعلم له "المحتوى التعليمي" في كل وحدات اللغة العربية من نحو، صرف دلالة وبلاغة، وكذا بيان، بالمعطيات والمفاهيم العصرية من جهة، والمعطيات التراثية من جهة أخرى دون أي عقدة في الإتجاه الأول، ولا كذا في الإتجاه الثاني، من خلال ترجمة الأفعال

اللغوية إلى أحداث واقعية في ظل التكنولوجيات الحديثة عن طريق دمج الدراسات المرتبطة بالمعطيات الإعلامية ضمن وحدات تعليم اللغة العربية لإعطائها نفسًا عصريًا يح تكم إلى حركيّة العولمة الثائرة.

7- الوقوف عند التصحيحات اللغوية، أو ما يُسمى في الدراسات اللسانية "الأخطاء اللغوية"، أو "الأغلاط اللغوية"، ومحاولة ربطها بالأرضية الإجتماعية الواقعية لإمكانية التوصل إلى تصحيحها، لأن اللغة أصلاً واقع معاش، يُعايش الظرف و أحواله وممارسته. لذا نجد أن اللغة هي ترجمان العصر وأحواله.

8- ضرورة التعريف أيضا بالمصطلحات، والمعطيات النظرية التي لها علاقة وطيدة بهذا الإشكال أو هذه المسألة نحو:

أ -ضرورة تحديد مفهوم المجتمع كمصطلح اساس وعلاقته باللغة، الفرد والجماعة للطفل المتعلم في أول حياته التعليمية لاشعاره بمفهومه.

ب -ضرورة تحديد مفهوم المدرسة وعلاقتها بالمجتمع وبنائه، وكذا بالظروف

التعليمية ووقائع العملية التعليمية في حنايا هذه الهيكلة كمؤسسة هدف وأساس في المجتمع الذي يعيش فيه هدا الأخير أيضًا.

ج- ضرورة إدراج وإدماج المفاهيم الخاصة والعامة لمصطلح اللغة وما يحمله من أبعاد في تأسيس البعد التحيني لتبني المفاهيم الأخرى: الإجتماعية، السياسية، الفكرية، التعليمية، التراثية... وغيرها.

9- محاولة التأكيد على مفهوم معادلة الصراعات الدولية لدى الطفل"المتعلم" المعاصرفي شكلها الد قيق البسيط.

C

تبقى مسألة البحث في موضوع "التهجيّن" و" التهجيّن اللغوي" خاصة من أصعب القضايا التي يُصادفها العالم العربي ولا يزال يُعايشها إذا لم نقل يتخبط فيها عكس ما نلمسه في الدول الأوربية الأخرى خاصة فرنسا، انجلترا، سويسرا و بلجيكا التي استطاعت تخطي هذه المسألة رغم صعوبة التحكم فيها للإختلاف وتعدد اللهجات السائدة بها.

عمدت كندا إلى اقتراح حلول وجدها المحللون المختصون في علم الاجتماع اللغوي، وكذا هؤلاء المشتغلون بالتعليم والتعلم أنها أساليب جد هامة وضرورية للنهوض باللغة الإنجليزية من جهة، وترقية أداء اللغة الفرنسية في مناطقها الكندية من جهة اخرى، إلاّ أننا نجد أن حلولها ملموسة في الجانب التجسدي للغة "أكثر منه في التعامل الشفوي لها وبالتالي النطقي في الأوساط الإجتماعية لتحقيق العملية التواصلية في مبتغياتها وكل ما تحمله من نتائج نحو ما هو عليه الحال في علامة الجمع، وبالتالي في علامات التأنيث والتذكير. فالإشكال صارخ على مستوى اللغة الشفوية la langue orale ou l'oralité إلاّ أنه ممل التواجد في التجسيدات الكتابية.

وإذ أتينا عبر ورقتنا هذه لتحليل هذه الظاهرة الشائكة "الهجيّن اللغوي في المدرسة" ، إنما محاولة منا لإبداء بعض الآراء التي نرى أنها تسهم في خلق نوع من التجانس في التعامل معها، أما عن محاولة طرح أرائنا والتي استلزمت التنظير لنوعين من المصطلحات:

أ -لسانية ديداكتيكية.
ب -إجتماعية لسانية.

إنما جاءت رغبة منا في محاولة ربط مفهوم السلسلة المحورية التي تدور حولها المفاهيم اللغوية في أبعادها:

ت -التعليمية.
ث -الاجتماعية
ج -الدّراسية
ح -المؤسساتية.

لمحاولة فك العزلة عن القطعة المحورية في السلسلة التعليمية والمتمثلة في ذهنية المتعلم "الطفل" الجزائري التي يجب أن يُعتمد في ترقيتها طرائق وعوامل جديدة ترمي إلى تنمية الروح الإجتماعية والقومية للوصول إلى فك إشكالية العزلة القائمة ما بين المعطيات النظرية التي يتلقاها الطفل المتعلم في المدرسة كتكديسات معلوماتية تُحشر بها ذاكرته من جهة والواقع الإجتماعي المعاش-المتعدد الاتجهات- من جهة أخرى لأن ضرورة تعليم الطفل المبادئ التعليمية ومحاولة تحينها بإتجاه هذا الواقع سيساعده بالضرورة القصوى في الحد من هذا الإشكال، وفك الخناق المضروب على الاستغلال

الفصيح للغة العربية في الأوساط الإجتماعية الجزائرية. مراهنيّن دائمًا على أن المدرسة التي يجب أن تبقى الرحى المحركة لكل عملية بكل معطياتها واختلافاتها وتناقضاتها لأن النحومثلا سيبقى مادة جامدة، كقاعدة محفوظة غيرمفهومة إذ ا لم ندخله في رحى المراس والحركية ، والقول نفسه بالنسبة لدراسة الألفاظ والمفردات العربية التراثية التي تغيّب علينا يومًا بعد يوم، على الرغم من أن اللغة حركية وعمل حسب ما تشيراليه اكبر واحدث المدارس اللغوية اللسانية ولا تستمر إلاّ مع هذه العوامل وفي ظلها وتحت ضغوطاتها بحكم أنها ظاهرة اجتماعية تُعايش ظروفها و تتعايش معها.

أسباب الهجين اللغوي

حمو نعيمة - جامعة تيزي وزو

الملخص:

تعيش اللغة العربية في عصرنا الحالي أوضاعا لغوية تشكل خطرا على مستقبل الفصحى وما نشاهده من انحدار المستوى الفصيح يوما بعد يوم، وكأننا أمام بئر ينضب ماؤها بالتدريج، ولاشيئ يرفدها ويصلح من شأنها. حيث إن هذا الوضع اللغوي المزري يتمثل في انتشار واستفحال ظاهرة الهجين اللغوي في أوساط محيط الواقع اللغوي الذي نعيشه. ومما يعرف ان مصطلح الهجين Creole يستعمل في اللسانيات الاجتماعية للإشارة إلى اللغة الخليط pidgin ، التي أصبحت اللغة الأم لجماعة لغوية، وبذلك تنشأ لغة جديدة ، جراء اتصاله بنظام لغتين أو أكثر. وهذا الهجين قد استفحل بالنظر إلى واقعنا اللغوي ، والأمثلة منه كثيرة.

ترى ما هي ظروف وأسباب انتشار هذا المزج اللغوي السلبي؟ وهل انتبه له

علماء اللسان للتصدي له؟ أو بعبارة أخرى ما هو أثره على مستقبل الفصحى في بلادنا؟ وهل هذا السلوك اللغوي العفوي يرجع إلى المدرسة في المقام الأول؟ وهل للإعلام دور في هذه الانتكاسة؟ وهل للمحيط أثر يمكن أن نعمل على علاجه؟ وما هي الحلول وكيفية العلاج والنهوض باللغة العربية؟

فعلا هذه الإشكالية تثير في نفوسنا شهية البحث عن هذا المشكل اللغوي الخطير، والذي يهدد سلامة لغتنا العربية، وهذا ما سنبحث عن إجابة عليها في ضوء دراسات المجامع اللغوية، وكذا في إطار ما توصل إليه الباحثون اللغويون المعاصرون.

فنقول لعل أهم أسباب الهجين الذي يؤدي إلى ضعف اللغة ترجع إلى عوامل اجتماعية لسانية، أهمها الازدواجية والثنائية اللغوية، وكذا وجود تدخل نظامي لغوي من لغتين أو أكثر، أدى إلى خلق نظام لغوي بسيط. وكل هذه العوامل كان مصدرها المدرسة والبيئة التي تحيط بنا، وكذا انتشار المدارس الخاصة باللغات الأجنبية، مما أدى إلى تأثير هذه اللغات في اللغة العربية.

أولا: الازدواجية اللغوية Bilinguisme يعني ذلك أننا أمام لغتين، إحداهما اللغة الأم، والأخرى هي اللغة الأجنبية، فكثيرا ما يضطر البعض إلى استخدام المصطلح الأجنبي الجاهز، نظرا لانعدام البديل لديه أولا، دون الانتباه إلى خطورة كل ذلك على الهدف المرتجى من المهنة. وبذلك فإن هذا التعدد اللغوي يضعف القدرة على استيعابها جميعا. وهذه الازدواجية نجدها في الإذاعة والتلفزة...

ثانيا: التداخل اللغوي: ونجدهذا التداخل في المدارس والجامعات ، وكذا في الصحف الوطنية الجزائرية ، كتأثير اللغة الفرنسية على اللغة العربية كما في جرائد الهداف – الشروق اليومي- الخبر التي توظفها في الاعلانات الاشهارية مثلا.

ثالثا: استخدام العامية.

لذا فإن مداخلتي تندرج ضمن محور أسباب التهجين اللغوي والتي أحاول فيها الحديث عن العناصر التالية.

1 -المقدمة وفيها يتم طرح الاشكالية

2 مفهوم الهجين: لغة واصطلاحا

3 -أسبابه عند علماء اللسان : وفيه يتم الاجابة عن الإشكالية بالتعرض إلى الازدواجية والثنائية اللغوية، وظاهرة التداخل اللغوي في المدارس والجامعات ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، مع ذكر بعض الأمثلة من التعابير والنماذج الممزوجة من الواقع اللغوي في هذه المصادر المذكورة سابقا.

وأختم المداخلة بتقديم بعض الحلول المناسبة للتصدي لهذا الوضع اللغوي، والنهوض باللغة العربية.

Y

تعيش اللّغة العربية في عصرنا الحالي أوضاعا لغوية تشكل خطرا على مستقبل الفصحى، وما نشاهده من انحدار عن مستوى الفصيح يوما بعد يوم، وكأنّنا أمام بئر ينضب ماؤها بالتدريج ولا شيء يرفدها ويصلح من شأنها، حيث إنّ هذا الوضع اللغوي المزري يتمثل في انتشار واستفحال ظاهرة الهجين اللغوي في أوساط محيط الواقع اللّغوي الذي نعيشه، ولعل هذا راجع إلى المدرسة والجامعة ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة، التي تنشر

اللّغة الهجينة، فكان هناك خلط في التعبير وتداخل بين ألفاظ وعبارات اللهجة العامية المحلية، وألفاظ وصيغ وتراكيب من لغة أو لغات أجنبية دخيلة ذات تأثير في المتلقي، وكان هناك إفراط وعشوائية في هذا الخلط والإدخال والمزج، كما هو ملاحظ في لغة البرامج الترفيهية والإعلامية والحوارات والمقابلات والإعلانات التجارية، وهذا الهجين قد استفحل بالنظر إلى واقعنا اللّغوي والأمثلة منه كثيرة.

فيا ترى ما هي ظروف وأسباب انتشار هذا المزج اللغوي السلبي؟ وهل تنبه له علماء اللسان للتصدي له؟ أو بعبارة أخرى ما هو أثره في مستقبل الفصحى في بلادنا؟ وهل هذا السلوك اللغوي العفوي يرجع إلى المدرسة في المقام الأول؟ وهل للإعلام دور في هذه الانتكاسة؟ وهل للمحيط أثر يمكن أن نعمل على علاجه؟ وما هي الحلول وكيفية العلاج والنهوض باللّغة العربية؟

فعلا هذه الإشكاليات تثير في نفوسنا شهية البحث عن هذا المشكل اللّغوي الخطير، والذي يهدد سلامة لغتنا العربية.

الجزء النظري:

إن أهم ما يهمنا في الإعلام هو تأثيره في لغتنا العربية إيجابا وسلبا، ففي وطننا العربي الآن مئات من الفضائيات ومثلها الإذاعات، وما لا يحصى من الصحف والمجلات وكلها تكتب وتنطق بالعربية، ولكن أية عربية؟ أهي العربية الفصيحة السليمة أم إنّها اللّهجات المحكية المختلفة والممتزجة ببعض الكلمات الأجنبية.

فعند الحديث عن الصحافة لا نستطيع ذم لغتنا كثيرا، لأنّها تحاول قدر الإمكان الالتزام باللغة العربية الفصيحة السليمة، ولكن لا يخلو الأمر من أخطاء هنا وهناك، واستخدام لبعض الكلمات العامية في إيصال فكرة القارئ، وكأن اللغة الفصيحة تعجز عن إيصال المعنى المراد بالضبط.

ومن هنا، وجب علينا الوقوف في هذا الجانب النظري على هذا المستوى اللّغوي الذي تجسده وسائل الإعلام، وعن أسبابه.

1 ـ مفهوم مصطلح الهجين:

1 ـ 1 ـ **المعنى اللغوي:** إن مادة (هجن) في معناها المعجمي لها عدة معانٍ فمنها: قبح، عاب، ويقال: «قال ابن حمزة: الهجين: مأخوذ من الهُجنة، وهي الغلظ،

الهُجنة في الكلام: ما يلزمك منه العيب وتهجين الأمر: تقبيحه»[1]، كما تأتي في معجم الوسيط بهذا المعنى أي «العيب والقبح، يقال: هَجُن: هُجنة وهُجونة، وهَجانة: كان هجينا، والكلام وغيره: صار معيبا مرذولاً. وهجَّن الشيء: جعله هجينا والأمر: قبّحه وعابه»[2]، وهو المعنى الذي اتفقت عليه أغلب المعاجم العربية القديمة والحديثة، أي أن الهجين يحمل معنى واحد، وهو الغلظ والقبح والعيب في الكلام.

2-1- المعنى الاصطلاحي: إن مصطلح الهجين Créole «يستعمل في اللسانيات الاجتماعية للإشارة إلى اللغة الخليط Pidgin التي أصبحت اللّغة الأم لجماعة لغوية، وبذلك تنشأ لغة جديدة جرّاء اتّصاله بنظام لغتين أو أكثر. ولفظة Pidgin تشير إلى نقطة بداية إبداع لغة جديدة يشهدها تكونه التدريجي جراء اتصاله بنظام لغتين أو أكثر»[3]، بمعنى أن الهجين عبارة عن

---

[1]- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دط، القاهرة: 2003، ج9، مادة: **هجن**.

[2]- مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، **الوسيط**، ط3. القاهرة : 1985، ج2، مادة: **هجن.**

[3] -www.al.maqha.com/t294

مزج لغوي بين لغتين أو أكثر، وعندما يتشكل يؤدي إلى نشأة لغة جديدة بفعل التداخل اللّغوي.

2- أسباب الهجين اللّغوي في وسائل الإعلام : إن أجهزة الإعلام من الوسائل التي تتحمل المسؤولية الكبرى في مسألة الارتقاء بالمستوى اللّغوي والفكري للمجتمعات، بحيث يقول ماكلوهان Maklohane «إن وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها ستحدد طبيعة المجتمع وكيف يعالج مشاكله، وهذا ما يدل على تأثير هذه الأجهزة في الجماهير»[1]، ففي لغة الصحافة نوع من التهجين أو المزج والتداخل المستمر بين اللّغة العربية عامياتها وفصحاها من جانب واللّغة الأجنبية وتراكيبها من جانب آخر، وهذا الهجين أشدّ خطورة على حاضر اللّغة العربية ومستقبلها. وقد مكنتنا متابعتنا خلال بحثنا هذا للبرامج التلفزيونية وبعض الجرائد، ف ظهرت لنا جملة من تلك الظواهر، وهي ظواهر ناتجة عن جملة من الأسباب، وأهمها:

---

[1]- جيهان أحمد رشي، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**، دط. 2002، دار الفكر العربي، ص347.

2-1- الازدواجية اللّغوية (bilinguisme) :

بالرغم من الانتشار الواسع لظاهرة الازدواجية، فليس هناك تعريف واحد اتفق عليه اللّغويون، ففي قاموس تعليمية اللّغات تعرف الازدواجية بأنها: «تلك الحالة التي يستعمل فيها الأفراد أو الجماعات للغتين أو أكثر بصفة متنافسة، مثلما يستعمل سكان الكبيك بكندا لغتين العربية والانكليزية معا» [1] بمعنى تمكن الشخص من استخدام لغتين مختلفتين في آن واحد، حيث يمزج بينهما بفعل الاقتراض والتحوّل اللذين يستغلهما في قالب لغة من لغة ما دون شعور منه.

فتعتبر مشكلة الازدواجية في اللّغة العربية من أهم المشكلات اللّغوية التي تواجه الوطن العربي، وبخاصة من النواحي الاجتماعية والنفسية والتربوية، لذا فإنّ الوضع الازدواجي في أية لغة يشكل عوائق مختلفة للناطقين بتلك اللّغة، كما اعتبره الكثير من الباحثين عائقا للتعليم وللتطور التربوي. ويتلخص أثر الازدواجية على الفكر، كما يراه أنيس الخوري فريحة

---

1 - G.Kremnitz, Du bilinguisme au conflit linguistique in langage, 1981, P63-64.

بأنّ: «انتقال العربية من لغة سيّالة سلسة مرنة، من لغة لا تحتاج إلى عناء أو بذل جهود إلى لغة غريبة عن حياته اليومية صعبة معقدة معربة تخضع لقوالب معينة أمر يعوق الفكر. ومن آثار الازدواجية في تكوين الشخصية تتلخص في لامبالاة العرب بمراقبة لغة الأولاد»[1]، ومن هنا يفهم أن استعمال لسانين مختلفين يؤثر سلبا في استعمال النّاس للغتهم سواء على الفكر أم في تكوين الشخصية.

فيقول صلاح عياري (Saleh AYARI): «إنّ الوضع الازدواجي ذو أثر سلبي على تعلم الطفل لمهارات القراءة والكتابة، وعلى تحصيله العلمي بشكل عام»[2]، من هنا فإنّ الازدواجية اللّغوية في بيئاتنا الآن إنّما هي صورة صادقة لما يمرّ به العقل العربي الآن من مرحلة التخبط وعدم تركيز الذهن، أو ما يطلق عليه التشتت الذهني مما يجعله مستعدا لقبول أي وافد فكري عليه يفكر له ويرسم له.

1 - www.members.fortunecity.com

2 - www.azzahfalakhder.com

فإنّ الفضائيات العربية من بين الفضائيات التي توظف ازدواجية لغوية في شكل هجين في برامجها ومواد ها الإعلامية والتثقيفية، فكثيرا ما تلجأ قناة أبو ظبي مثلا إلى استخدام المصطلح الأجنبي (المصطلح الإنجليزي) مع ألفاظ وعبارات عربية فصيحة كانت أم عامية وهو ما يشكل الازدواجية أو الثلاثية.

كما نجد «الألفاظ الأجنبية المكتوبة بأحرف عربية قد كثرت في لغة الإعلانات علما أن لها مقابلات في اللّغة العربية، لكن أصحابها أصروا على إبقا ئها بنطقها، الأجنبي من باب التباهي، وهذا ما نجده في إعلان عن دواء لعلاج شعر الرأس يسمونه (نيو مان New Main) فيثبتون لفظة الأجنبي بأحرف عربية»[1]، ولعل هذا ناجم من أمرين اثنين، **أولهما:** معرفة الصحافيين السطحية والمحدودة للغتين **وثانيهما:** أن بعض المحرّرين يفكرون بلغة أجنبية مما يجعلهم عند صياغة الحديث باللّغة العربية يقحمون عليها ألفاظا وأساليبا أجنبية.

---

[1]- مجمع اللّغة العربية بدمشق، عبد القادر الشاذلي، **ندوة اللّغة العربية والإعلام**، دمشق: 1998، مطابع دار البحث ج3، ص646.

ولم تسلم الصحف الوطنية اليومية من استخدامها للمصطلح الأجنبي مع اللّغة العربية كجريدة الشروق اليومي، الهداف... إلخ

2-2- الثنائية اللغوية بين العامية والفصحى (Diglossie):

تعرف الثنائية اللغوية بأنّها: «تلك الوضعية التي يستعمل فيها فرد أو جماعة من المتكلمين مستويين من التعبير (تنوعين لغويين) ينتميان إلى لغة واحدة»[1]، فهي تخص تعدّد المستويات اللّغوية داخل إطار لغوي واحد.

وعليه فإن تداخل العاميات مع الفصحى في أجهزة الإعلام في نوع من الهجين يؤثر سلبا على مستقبل الفصحى التي تنادي المجامع اللّغوية للتقيّد بها في البرامج، والصحافيّون يولون الأهمية للمعلومة وكيفية إيصالها بأيسر السبل إلى المشاهد، أو المستمع أو القارئ، ولو كان على حساب المحافظة على الفصحى. وهذه الثنائية اللغوية تجدها تطغى وتغزو بقوة في الخطابات الإعلامية، وذلك في الصحف والإذاعة والتلفزة، فأصبح الصبيان

1 - Galesson, **Dictionnaire de didactique des langes étrangers**, Paris : 1976, P153-154.

يتلقفونها خاصة إذا ما أحسن عرضها وأتبعت بمقاطع موسيقية تشد انتباههم.

الجزء التطبيقي

لم أجد في هذا الجزء التطبيقي أفضل من تحليل لظاهرة الهجين اللّغوي في حصتين تلفازيتين وكان هدفي من هذا هو الوصول إلى ملامسة ولو جزءً ا يسيرً ا من الواقع الحي الذي تعيشه لغتنا العربية عبر شاشتنا. ومن هنا كان عليّ العثور عليهما معا من خلال تتبعي لبعض الحصص التلفازية، فبحثت كثيرا إلى أن وجدت ضالتي في الحصتين اللتين تستعملان المزج اللغوي بنسبة متفاوتة جدا مقارنة بلغة الإعلام المكتوب كالصحف اليومية كونها موجهة لذوي المستوى الرفيع في اللّغة، كما تخاطب الطبقة المثقفة. فاخترت من بين تلك الحصص حصة تثقيفية (إختر سؤالك) وحصة ترفيهية (ترى ما ترى) اتبعت في ذلك بعض الخطوات العملية وهي: جمع مدونة من خلال ما تتبعته وما سمعته من الحصتين، وبعدها جعلت كل عينة محل التصنيف والوصف والمناقشة والتحليل. وكان هدفي من كل هذا وضع الحد لبعض البرامج المخلة

باللغة العربية والمساهمة في تشويهها بالعبارات المزجية وكذا الإفراط في استعمال الكلمات الدخيلة والعامية التي تعد من الأخطاء، لأن بهذا لا تحقق الوسائل الإعلامية غرضها المتمثل في التأثير والنفوذ الذي تتطلع إليه، لا بين عامة الجمهور ولا بين خاصته ولربّما نفرت هذه اللّغة نفسها طبقات الجمهور المثقفة المهتمة باللّغة القومية الرافضة للمستويات المتدنية.

إضافة إلى ما سبق ذكره، فإن الاستمرار في استعمال اللّغة الهجينة يسهم في تحجيم اللّغة أو تشويه صورتها بين أهلها، الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى إضفاء المزيد من السلبية على دور الوسيلة الإعلامية العربية.

1 -**نشر أجهزة الإعلام الجزائري الهجين اللّغوي:** إن وسائل الإعلام يمكنها أن تشكل خطرا على لغتنا العربية إذا ما سخرت للاستهانة بها وإظهارها بصورة تشمئز لها كل أذن غيورة عليها والملاحظ في الآونة الأخيرة أن الكثير من البرامج الإعلامية لم تحترم الفصحى للعربية، ولم توليها

مكانتها اللائقة بها فأخذت تنشر اللّغة العربية في شكل هجين مشين، عبارة عن خليط أو مزيج من اللّغة العامية والفصحى (الثنائية اللّغوية) الفصحى أو العامية باللّغة الأجنبية (الازدواجية اللّغوية) وهذا ما ينذر بالخطر على لغتنا ما لم نعد النظر في مختلف المواد الإعلامية، وما لم توضع خطة علمية جادة تستهدف تقويم المعوّج.

2 -تحليل المدونة الأولى:

2-1- حصة إختر سؤالك : تقدّم هذه الحصة أيّام الأحد- الاثنين - الأربعاء- الخميس، بعد نشرة الأخبار الأمازيغية وهي حصة تثقيفية، تستهدف فئة الشباب، فكثيرا ما تلجأ إلى استعمال اللّغة العربية في شكل خليط ممزوج بين اللّغة العامية واللّغة الفصحى، والذي يغلب استعمالها في الحصة.

2-2- العنوان : "إختر سؤالك" أكثر ما يشدنا في الحصة هو العنوان الذي يهدف إلى التثقيف، وسرعان ما يشعر المشاهد بخيبة أمل عندما يت تبع محتوى البرنامج. فقد كان مقدم الحصة يخلط في كثير من

العبارات بين العامية والفصحى وهذه الأمثلة تؤكد ذلك:

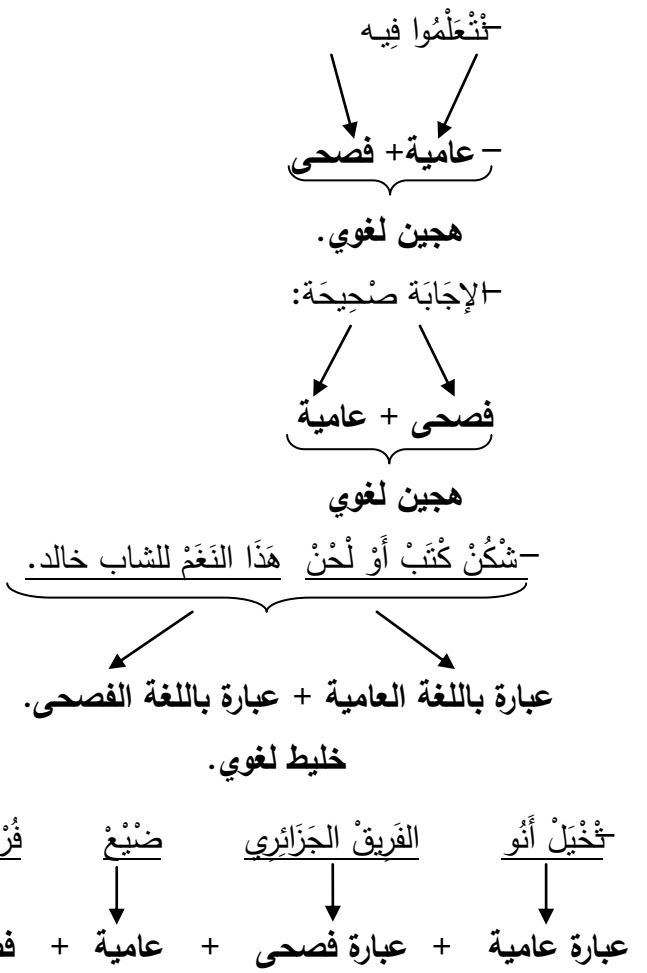

إن مثل **هذا الخلط** لا يفقد اللّهجة المحلية طابعها الصوتي والإ يقاعي المميز فحسب، وإنما يفقد الكثير من توازنها وانسجامها مع اللغة الأصلية ويزيد من تجاوزاتها وانحرافاتها عن طبيعتها الأصلية وهذا كله يدل دلالة واضحة على العشوائية المتناهية أو عدم الاهتمام في اختيار الكلمات وصياغة العبارات منها.

3 - تحليل المدونة الثانية

3-1- حصة ترى ما ترى: تقدم هذه الحصة الترفيهية عشية يوم الاثنين، بعد نشرة الأخبار، وهي حصة تستهدف فئة الشباب، وتهتم بترويج الأغاني الشبابية المعاصرة، فتجدهم ينزلون إلى مستوى العامية ولو على حساب الفصحى، فتجد لغتهم في شكل خليط لغوي متداخل بين اللّغة العربية عاميتها وفصحاها من جانب واللّغة الأجنبية وتراكبها من جانب آخر، وهذه بعض النماذج منها:

- كِيفَاشْ جْوْزْت نْهَار بهَاتِفْ النَّقَالْ

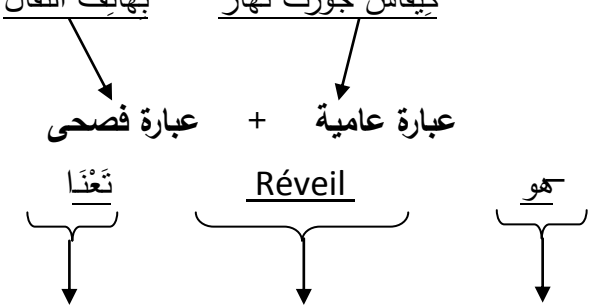

كلمة **فصحى** كلمة **أمازيغية + فرنسية عامية**

تداخل لغوي بين ثلاثة لغات (العربية+الأمازيغبية+الفرنسية)

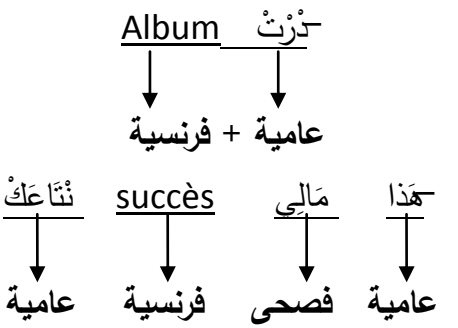

لغة إبداعية جديدة

إن ما نشاهده في هذه الأمثلة من الواقع الجزائري يدل على جهل كبير أو استهانة تامة بكل ما يمت للغة العربية من قواعد ومفردات وأصول ومقاييس ذو فنية أو جمالية، ويشعر بنزعة التنصل من هذه اللغة والتباهي بمعرفة اللغة الأجنبية.

في حين يمكن استغلال ترجمة الألفاظ والعبارات الأجنبية الموجودة في الأمثلة السابقة من برنامج الحصتين، وإعادة صياغة الألفاظ أو العبارات بما يتناسب مع أصول التعبير الأساسية في اللّغة العربية السليمة ومع المضمون المراد إيصاله للمتلقي على النحو التالي:

1 - نَتَعَلَمُوا فِيه
- مَنْ كَتَبَ أَوْ لَّحَنَ هَذَا النَغَمْ للشَاب خَالَد.
- تَخَيَّل أَنَّ الفَرِيقَ الجَزَائِرِي ضَيَّعَ فُرْصَة.
2 - هَذَا لَيْسَ هُوَ نَجَاحُكَ.

وهكذا يمكننا أن نترجم للقارئ ونتحدث إليه بلغته السليمة، وأن نعلّمه في الوقت نفسه الترجمة أو نرشده إليها، وأيضا تكون قد عوّدنا ه على التعبير بلغته الفصيحة وعلى الحفاظ عليها سليمة، وزدنا محصوله منها ومما يترجم بها أو فيها، وينقل إليها من مفردات وتراكيب، وكما أدينا مهمتنا في إيصال المعرفة إلى طالبها ومتلقيها في أوسع نطاق ممكن.

:C

إن وضع اللّغة العربية عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة غير مريح، ولا يبعث على الأمل إلاّ ما ندر، لذا يجدر بالوسائل الإعلامية العربية في إطار سعيها للنفوذ وتوسيع رقعة الإفادة والتأثير والإمتاع بما تقدمه للجمهور أن ت لجأ إلى تقويم لغتها بنحو مستمر، وتقدم أدبا إذاعيا يصل بهذه اللّغة إلى مستويات أعلى

وآفاق أرحب. وذلك بانتقاء أو تهيئة طبقة من الأدباء الإذاعيين الذين يتقنون العربية والذين يعرفون كيف ينتقونها والذين يعرفون كيف ينتقون من لغتنا العامية الألفاظ الفصيحة التي تجري على الألسنة ويزودون بها هذا الأدب الإذاعي المنتظر، كما يقول شوقي ضيف طبقة من الإذاعيين تمكّنها كفاءاتها ومهاراتها اللّغوية من أن تصل في استعمال الألفاظ والتراكيب الدخيلة إلى الحد الأدنى، وتستعيض عن الألفاظ والتراكيب والاستعمالات العامية المغرقة في الدّارجة المحلية ببدائل لها أكثر حيوية وأبعد نطاقا من حيث مدلولاتها وإيحاءاتها عن محيطها الجغرافي الضيق المحدود، أو تنتقي من هذه الألفاظ والتراكيب والاستعمالات ما شاع استعماله على المستوى القومي أو الإقليمي.

إن مؤسساتنا الإعلامية الحالية على ما بلغته وسائل الإعداد الثقافي واللّغوي وآلياته من تقدم وتطور وما يتوافر لديها من إمكانيات مادية ومعنوية قادرة بلا شك على ضمان مؤهلات لغوية وثقافية عالية لمذيعيها.

ومن جانب آخر فإن من بين الإجراءات المهمة التي يمكن أن يعمد إليها المعنيون بإعداد البرامج وتقديمها عبر الوسائل المذكورة لتقويم وتطوير لغة ما، مثل:

-الاستعانة بنشرات المجامع اللغوية وما تهيئه أو تجيب عليه وتطرحه من مقترحات وتضعه من قوائم للمفردات والأساليب اللّغوية.

-الاستعانة بمعاجم اللّغة الفصحى المعاصرة العامة، ومعاجم المصطلحات العلمية والفنية العربية الخاصة الموحدة المفاهيم، والتي تصدرها المؤسسات اللّغوية العربية في مختلف التخصصات.

-الاستعانة بمعاجم الألفاظ العامية التي تجمع هذه الألفاظ وتفسرها وترفقها بما يرادفها من الألفاظ الفصيحة.

وأخيرا نقول إن هذه المعاجم تساعد على حفظ التوازن أو تقلّل نسبة الاضطراب والاختلال في نظام التعبير العربي وقواعده الصرفية والنحوية والصوتية، ذلك من جملة ما يمكن أن يعين الوسائل الإعلامية المذكورة على تحقيق ما تتطلع إليه من

نفوذ وانتشار وتجاوب جماهيري واسع، ويمكنها في الوقت نفسه من أن تشارك في إرساء قواعد اللّغة الثالثة أو تمهد عمليا لنشرها وتعميم فاعليتها.

W

المراجع باللغة العربية:

1. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب،** دط، القاهرة: 2003، ج9.

2. مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، **الوسيط،** ط3. القاهرة: 1985، ج2.

3. جيهان أحمد رشي، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام،** دط. 2002، دار الفكر العربي.

4. مجمع اللغة العربية بدمشق، عبد القادر الشاذلي، ندوة اللغة العربية والإعلام، دمشق: 1998 مطابع دار البحث، ج3.

المراجع باللغة الفرنسية:

1. G.Kremnitz, **Du bilinguisme au conflit linguistique in langage**, 1981.
2. Galesson, **Dictionnaire de didactique des langes étrangers**, Paris : 1976.

الانترنت:

1. www.al.maqha.com/t294
2. www.members.fortunecity.com
3. www.azzahfalakhder.com

المناقشة

تمهيد:

نظرا لكثافة المداخلات التي تضمنها برنامج اليوم الدراسي، فقد اقتصرت المناقشة على بعض المحاور بصفة إجمالية نورد منها النماذج فيما يلي:

الأستاذ عمار طالبي: شكرا للمجلس الأعلى للغة العربية على معالجته لهذا المرض والذي استشرى في اللغة العربية وأنا حينما استمع إلى هذه البحوث عن الهجنة والتهجين ألاحظ غياب تشخيص أخر وهو: أن هذه الظاهرة أو هذا الفساد في اللغة يؤدي حتما إلى الفساد في الفكر، لأن هناك صلة وثيقة بين الفكر واللغة حتى نكاد نقول إن الفكر هو اللغة، لهذا فإن الفساد في اللغة يؤدي إلى الفساد في الفكر والفهم والإفهام ، فالتلميذ الذي يدرس بهذه الطريقة الهجينة يصبح "عقونا" اسمحولي أن أستعمل الهجنة هنا ، لهذا هناك خطر كبير من الناحية الفكرية ، فلا إبداع واستقلال في الفكر والعلم إذا بقينا على هذه الحال وإن دام التعليم العالي للعلوم باللغة الأجنبية سنبقى في سجن أو في قالب، لذلك فإن طلبتنا لا يبدعون فيه لأنه خارج عن طبيعة تفكيرهم،

أي خارج الأساليب اللغوية التي نشأوا عليها، لذا ندعو إلى ندوة تعالج كيفية تعريب التعليم العالي أي تدريس العلوم باللغة العربية، والسلام عليكم

الأستاذ لحسن زغيدي: بداية أوجه شكري إلى المجلس الأعلى للغة العربية وعلى رأسه د. محمد العربي ولد خليفة ، على هذا العمل الجبار في تهذيب اللغة، التهجين الحالي في الحقيقة قبل أن نتكلم عليه لابد من معرفة أسبابه ومن أين أتى؟ المجتمع الجزائري كان مهذب اللغة قبل الاحتلال، ولما نقارن مجتمعنا بالمجتمعات العربية الأخرى على الرغم ما وصل إليه التهجين من علامة الخطورة ، إلا أنه لم يتجاوز الخط الأمر الذي تجاوزته بعض الدول العربية التي تدعي العروبة وتدعي التعليم باللغة العربية، أنظروا إلى إعلاناتها وإشهارها وفضائياتها وإعلامها فلا هو عربي ولا هو انجليزي، وهناك لغات مكتوبة بحروف لاتينية لا يفهمها إلا كاتبها، وإذا رجعنا إلى الشعب الجزائري فهناك ظروف تاريخية ـ الوقت لا يسمح للخوض فيها بالتفاصيل ـ وهو أن الاستعمار دمر الشخصية الوطنية وركز في

محاربته على لسان هذه الأمة، في الثلاثينيات وفي الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر صرحت فرنسا أنها لن تكون سيدة في هذا البلد إلا إذا كانت لغة هذا الشعب لغة عامية أو دارجة، لذلك فإن سياسة الاستيطان، وما واكبها من سياسة التهجير والتجهيل والتفقير كلها كانت منصبة على هذا الجانب، ولذلك انصب نضال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تهذيب اللغة العربية.. وشكرا

محمد الشريف خروبي (وزير سابق) : بعد 11 سبتمبر هناك خطة لزعزعة الأمة الكبرى والتي تجمعنا لغة واحدة هي اللغة العربية، إذ كيف يزعزع هذا الكيان الكبير؟ لابد من ضرب لغته فيصبح كل بلد عربي له لغته وعاميته، فقد ألصقوا الإرهاب بالإسلام، والخوف كل الخوف أن يلصقوا الإرهاب كذلك باللغة العربية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فقد كنت أتوقع أن يقع شيء ما في السودان منذ أربع سنوات ، لأن مشكلة دافور مفتعلة، ولأن سكان دافور مسلمون ويتكلمون اللغة العربية، فأوقدوا صراعا هناك من أجل إخراج هذا الجزء من كيان الأمة العربية، إن التهجين

ما هو إلا ظاهرة من ظواهر تخفي وراءها مؤامرة كبرى لضرب الأمة العربية.

وإذا عدنا إلى الواقع فإن للتهجين أسبابا منها المحيط فالتلميذ لما يدرس بالعربية في المدرسة ويخرج إلى الشارع فيصطدم بلغة أخرى، فيأخذ كلمات أخرى ويضيفها إلى رصيده اللغوي، السبب الآخر للتهجين هو التهجين الإعلاني وأنا أعتبره تعديا على سيادة البلد، فما معنى أن نكتب في الإعلان (قاع) بدل (الكل)، هذا تعد صارخ على اللغة العربية، وبالتالي تعد على السيادة، وعلى الشركات الأجنبية أن تحترم دستور وقوانين البلد الذي تشتغل فيه ، وفي الأخير أؤكد إن ضرب اللغة هو زعزعة للوحدة الوطنية وهو تشكيك في الإسلام. والسلام عليكم .

السيد محمد أرزقي فراد : إن ظاهرة التهجين حينما نأخذها بموضوعية ورزانة سنجدها ظاهرة طبيعية عرفها الإنسان مند القديم ، لكن الإشكال هو عجز الدولة والنخب معا في حصر التهجين في نطاق ضيق مقبول، لا يؤثر على اللغة العربية، ونظرا لضيق الوقت أبدي الملاحظات التالية: ظاهرة التهجين تطرق لها الأساتذة بإسهاب

لكنهم أغفلوا عاملا أساسيا مهما وهو العامل السياسي أو الإرادة السياسية ، هل هناك إرادة سياسية للقضاء على ظاهرة التهجين ، هناك إزدواجية ، نعلم أبناءنا باللغة العربية وهذا شيء جميل ، لكن عندما يتخرجون يصطدمون بمحيط العمل مفرنس .

ـ مجامع اللغة العربية كثيرة لكنها - للأسف - ميتة ، ففي الوقت الذي نجد فيه المعارف والتكنولوجيا تسير بالسرعة الضوئية فإن هذه المجامع لم تستطع القيام بدورها في الحفاظ على سلامة اللغة العربية أو اعتماد مصطلحات جديدة يمكنها تغذية اللغة العربية.

ـ وهناك عامل آخر وهو الاهتمام بالترجمة ، إذ لا يمكن للغة العربية أن تتقدم إلا بالترجمة وأنتم تعلمون الأهمية التي أولتها الدولة العباسية للترجمة ، واللغة العربية بحر في أحشائه الدر كامن فماذا فعلت السياسة من أجل استخراج صدفاتها. والسلام عليكم

ـ فتيحة حداد جامعة تيزي وزو : كل اللغات تعرف التداخل وفي أي مجتمع كان ،

لابد أن يقوم على عدة تداخلات لغوية مهما كان هذا الانتماء الاجتماعي، بمعنى أن كل المجتمعات لها خصوصياتها اللغوية ، لهذا أقول إن المعطيات السوسيولسانية هي التي تقحم وهي التي تؤسس المعطيات على أرض الواقع ، وسؤالي للأستاذ بلعيد والذي قال إن أول الخطورة التي يمكن الإشارة إليها هي تلك الآثار السلبية على لغة أطفالنا، ومن هنا فإن القضية تعنينا وتعني شبابنا الطموح واستعماله للغته بشكل سليم وطبيعي، السؤال بحكم أن اللغة ظاهرة اجتماعية صوتية نحوية على أي بناء يتم هذا الشكل الطبيعي السليم؟ والسلام عليكم

الأستاذ عثمان بدري جامعة الجزائر :

الإشكالية التي أود أن أطرها خاصة بكل المداخلات ، لماذا التهجين أو الهجنة ؟ الأساس الذي يبنى عليه ما يعرف بالتهجين، هناك نموذج أعلى يفترض فيه أن يستعمل عندما لا يجد المفردة المناسبة في التخاطب يضطر لسبب من الأسباب إلى الاقتراض من هنا وهناك أو التهجين ، هذه هي الإشكالية الأساس التي كان ينبغي أن تبنى عليها ظاهرة التهجين.

أي هناك أن استعمال اللغة العربية هي النموذج في الجزائر، وعندما تختل آليات استعمالها لسبب من الأسباب يضطر المجتمع إلى حل مشاكله بطريقة أو بأخرى، فهذا يأتي بكلمة من هنا وأخر يأتي بكلمة من هناك.

أما بالنسبة للمداخلة التاريخية الجيدة للأستاذ عبد الجليل مرتاض، لا تنسى يا سيدي أن اللغة الرسمية في العهد العثماني هي اللغة التركية، إذا أخدنا مبدأ أن الناس على دين ملوكهم وهو شيء عادي أن يأتي هذا الدخيل ، ولكن يجب أن نلاحظ أن هذا الدخيل التركي على اللغة العربية كان يجد دائما مقاومة من طرف المحكومين، فلم يتقبلها المجتمع العربي الإسلامي سواء في الجزائر أم في غيرها، بحيث كانت هناك مقاومة بشكل من الأشكال، كما أوحت صاحبة المداخلة الأخيرة، التي قامت بتشخيص علمي لساني لعملية الإشهار، وما أريد قوله هو أن عملية التهجين تحتاج إلى توصيف، إذ لحد الآن لم نقم بتوصيف لواقع اللغة العربية فما بالك إذا تعلق الأمر بفسيفساء اللغات الأخرى التي نتحدث عنها. وشكرا

عثمان سعدي : أريد أن أؤكد أمرا أن اللهجة الجزائرية كانت صافية ولم تكن هجينة أبدا، وحتى الطلبة الجزائريين الذين كانوا يزاولون دراستهم بالمدارس الفرنسية كانوا يتجنبون الحديث باللغة الفرنسية، لأنهم كانوا يعتبرونها لغة القهر والبطش، واستعمالهم لها كان أداة للمقاومة، إلا أنه وبعد رحيل الاستعمار ظهرت هذه اللغة الهجينة وبشكل فاضح وأصبحت فعلا تهدد جمالية اللغة العربية ولهجتها الجزائرية و تهدد الذوق العام . وشكرا

محمد قماري : لدي ملاحظات عامة سريعة ، إذ أنه وباعتراف الجميع أن التهجين اللغوي ليس خاصية باللغة العربية ، ولكن كل لغات العالم لها هذه الظاهرة، كما لاحظنا أن كل المحاضرين ينظرون إلى التهجين بعين الريبة، ونحن نعلم أن اللغة كائن حي، والحياة تتطلب النمو وتتطلب الاقتراض، لكن الشيء الواقع هو الإفراط والتفريط .

الأمر الثاني على الأقل في تقديري، أن المحاضرة التي أصابت ولامست محزا وطبقت

مفصلا كما يقولون هي محاضرة الأستاذة سالمي، حتى إنني تذكرت قول المتنبي :

ولو كان النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لأسم الشمس عيب
ولا التذكير فخرا للهلالي

والواقع أن هناك المستوحى الحضاري، وهو المشكل الأساسي، لما يسمى بمركبات النقص، وعقد النقص هي التي جعلت الناس حتى ممن يحسنون اللغة العربية، يمارسون التهجين بوعي أو بغير وعي، والسلام عليكم

الأستاذ بن يشو من جامعة مستغانم : في رأيي أعتبر اللهجة الجزائرية أو العامية الجزائرية هي نعمة على الجزائريين شئنا أم أبينا، لكن المطلوب هو كيف نهذب هذه اللغة أو هذا المستوى اللغوي، وأنا أدعو – من على هذا المنبر – المجلس الأعلى للغة العربية ، وحتى المجمع الجزائري للغة العربية وكذلك وزارة التربية ، لإعداد مشروع معجم لغوي على الأقل في المرحلة الابتدائية حتى ننقذ أطفالنا من هذا الداء، وشكرا

الـملاحق

ملحق:
إشكالية اليوم الدراسي
اللغة العربية بين التهجين والتهذيب
"الأسباب والعلاج"

تتعرض اللغة العربية إلى تهجين متزايد سواء في استعمالها اليومي أ م في مجالات الخطاب والأتصال التي تتخللها كلمات وتعابير من لغات أخرى لها مقابلات في العربية كانت شائعة الاستعمال بين الناس قبل بضع سنوات، لدى المتعلمين وغير المتعلمين، وكانت متداولة حتى أثناء حقبة الاحتلال الاستيطاني المظلمة.

من المعروف عند فقهاء اللغة وعلماء اللسان أن التهجين يختلف عن الاقتراض الذي لا تخلو منه أية لغة، مهما كانت ثروتها المعجمية وتراثها المعرفي والإبداعي، وخاصة في عصرنا الراهن الذي يشهد ثورة لم يسبق لها نظير في وسائط الأتصال، وعولمة كونية تفرض على الجميع المشاركة فيها وقدرا من التأثر والتأثير.

إن طغيان الدخيل من المفردات والجمل في مختلف مستويات الخطاب يؤدي حتما إلى تشويه اللغة ، وإضعاف متنها وتفقير رصيدها اللغوي المشترك في مجتمعنا الذي تقوم فيه اللغة مع مقومات أخرى بدور الجامع والموّحد للجزائريين، كما هو الحال في البلدان التي تحرص على نقاء لغتها، وتعتبرها من شروط التجانس والأنسجام والأنتماء والأمن الوطني، بل تسعى لأنتشار لغتها خارج حدودها الجغرافية.

وقد عقد المجلس عدّة ندوات وأيام دراسية حول لغة الطفل في الأسرة وخارجها ، وأهمية النشيد والأغنية والمسرح في تهذيب وإثراء العربيّة المتداولة وتهذيب الدارجة ، ومن بين الندوات التي حظيت بمشاركة واُهتمام واسع للندوة الدوليّة المخصّصة لدراسة راهن اللغة العربية ومستقبلها في أوطانها وفي الخارج، كما قام المجلس بإعداد مجموعة من الأدلّة الموجّهة للقطاعات التي لها علاقة بالجمهور ، وبهدف تسهيل تداول الكلمات والتعابير الفنيّة والتقنيّة على أوسع نطاق، وذلك كمساهمة من هيئتنا الاستشاريّة في تهذيب لغة

الخطاب بين المتعاملين في القطاعات المعنيّة.

الواقع أن ظاهرة التهجين لا تقتصر على الجزائر، بل هي ملاحظة على درجات متفاوتة في معظم البلدان العربية، ولفهم هذه الظاهرة المضرّة ببنية اللغة وخصائصها الجمالية والأسلوبية من المهم دراسة أسبابها الموضوعية والطارئة، التاريخية والراهنة، فقد يساعد التشخيص العلمي والدراسات الميدانية على معالجة التهجين، واُقتراح الإجراءات العملية لتنقية لغتنا الجميلة من التلوث والترقيع من الأسرة إلى المدرسة إلى المحيط والمجتمع بوجه عام.

المحاور المقترحة:

يقترح العرض السابق لموضوع اليوم الدراسي المحاور التالية:

1- ظاهرة التهجين في الجزائر: الأسباب التاريخية والراهنة

2- أهمية التخطيط اللغوي في بناء لغة سليمة من التهجين

3- دور المدرسة في تنمية الرصيد اللغوي الوظيفي لدى الأطفال والشباب.

4- أهمية وسائط الإعلام والتثقيف والترفيه في نشر اللغة العربية الحديثة بين الجمهور وفي المحيط.

5- ما هي أنجع الوسائل لعلاج ظاهرة التهجين؟

6- كيف نقرب بين لغة التخاطب (الدارجات) المتداولة في البيت والشارع ولغة التعليم في المدرسة؟

ملحق:

الجدول الزمني لليوم الدراسي
اللغة العربية بين التهجين والتهذيب: الأسباب والعلاج

الفترة الصباحية

رئيس الجلسة الافتتاحية: الأستاذ / صالح لبلعيد - جامعة تيزي وزو

9:00 . 9:30	الجلسة الافتتاحية
9:30. 10:00	استراحة

الجلسة العلمية الأولى: رئيسها لأستاذ/ عبد الكريم بكري - جامعة وهران

10:00–10:15	التهجين اللغوي المخاطر والحلول ، أ/ صالح بلعيد
10:15–10:30	التهجين اللغوي في الحوار التخاطبي ، أ / صفية مطهري
10:30–10:45	التهجين اللغوي في جزائر العهد العثماني، أ/عبد الجليل مرتاض
10:45.11:00	واقع التهجين اللغوي في الجزائر: مدينة تيزي وزو أنموذجا ، أ / حياة خليفاتي
11:00 – 1:30	مناقشة عامة

الجلسة العلمية االثانية: رئيسها الأستاذ / عبد الجليل مرتاض- جامعة تلمسان

11:30.11:45	هويتنا اللغوية بين تحديث الفصحى وتفصيح العامية ، أ/ عبد الكريم بكري
11:45–12:00	التباين اللغوي بين الفصحى واللهجة العربية *الهجين أنموذجاً* ، أ/ محمد غيثري
12:00–12:15	اللغة الفصحى في الممارسة اللغوية لمتعددي اللغات، أ / سالمي كريمة

12:30-12:15	الإذاعة و سبل التقريب بين العامية و الفصحى من أجل نشر اللغة العربية بين الجمهور، أ / عمر ديدوح
12:45-12:30	الهجين اللغوي في الإعلانات الإشهارية الصحفية، أ/خلوفي صليحة
13:00-12:45	مناقشة
15:00-13:00	وجبة الغداء

الفترة المسائية

الجلسة العلمية الثالثة رئيستها الأستاذة/ صفية مطهري- جامعة وهران

15:15-15:00	اللغة العربية بين رقي القوانين والتعبير اليقين وآفة التهجين، أ/ أحمد عزوز
15:30-15:15	بواعث التعقيد بين التأصيل والتجديد للأستاذة / سعاد بسناسي
15:45-15:30	التهجين اللغوي : أسبابه ومظاهره ، أ/ عمر لحسن
16:00-15:45	اللغة والتهجين: تجاذبات وتنافرات ، أ/ فيصل الأحمر
16:30-16:00	مناقشة عامة
17:00-16:30	اختتام أشغال اليوم الدراسي

15:00 - 16:30- أعمال الورشة:

رئيس الورشة: الأستاذ / صالح بلعيد،

المتدخلون في الورشة السيدات والسادة الأساتذة:

- جيلالي بن يشو
- زيد المال نصيرة
- نسيمة نابي
- لويزة أعراب
- حكيم رحمون
- حداد فتيحة

- حمو نعيمة.

المقرر العام: الأستاذ/ عمر لحسن - جامعة عنابة

مُلحق

توصيات اليوم الدراسي
اللغة العربية بين التهجين والتهذيب
الأسباب والعلاج

افتتح هذا اليوم الدراسي على الساعة التاسعة صباحا، تفضل الأستاذ الدكتور محمد العربي ولد خليفة ، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية ، بافتتاحه بكلمة أشار في مستهلها إلى شكره للسادة الأساتذة الذين استجابوا لدعوة المجلس لما يكتسيه هذا الموضوع من اهتمام لدى جميع القائمين بالتربية والتعليم في الجزائر ، وكافة أفراد المجتمع المدني ، والباحثين والمختصين في مجال اللغة العربية .

فالتلوث اللغوي في الجزائر حديث في لسان الجزائريين . فلا حاجة لنا إلى

الإشارة إلى نشأة اللغة ، فالمختصون في اللسانيات وفقه اللغة خاضوا فيها كل من جهة تخصصه . وهنا ، ينبغي التمييز بين التداخل اللغوي ، والاقتراض اللغوي الذي يرجع إلى الانتماء إلى شجرة لغوية واحدة كالعلاقة بين العربية والفارسية والتركية ، التي تحتوي على عدد هائل من المفردات العربية . كما نلاحظ الاقتراض الذي تشهده لغات إفريقية كالسواحلي والألوف ، وكذلك جنوب أوروبا . إن اللغة هي سلطة الثقافة ، وهي التي تدعم الذات الثقافية ، وإذا تزعزعت اللغة بالتهجين ، اهتزت الهوية الثقافية . وقد سعى الاستعمار في كل البلدان إلى ضرب اللغة المحلية . وعمد إلى استئصال المثقفين في الجزائر ، وإضعاف وجود العربية فيها ، وبعث الأمية والجهل في الأوساط الشعبية .

واشتمل هذا اليوم الدراسي على ثلاث جلسات علمية وورشة ، ألقي الأساتذة الكرام خلالها ثلاث عشر ة محاضرة ، تناولت ظاهرة التهجين اللغوي من شتى جوانبها ، أسبابها ، ومظاهرها ، مقترحين مجموعة من الحلول التي من شأنها أن تحول دون

استفحال هذه الظاهرة على ألسنة المتكلمين الجزائريين. ويمكن تلخيصها فيما يلي :

- التهجين اللغوي ظاهرة موجودة في كل لغات العالم ، وهي حاضرة في اللغة العربية منذ القديم .

- على الرغم من أن هذه الظاهرة منتشرة في كل البلدان العربية ، إلا أنها تكتسي طابعا خاصا في الجزائر ، حيث بلغت درجة التلوث اللغوي الذي يكاد يعصف باللغة ويفقدها رصيدها وخصوصيات أساليبها .

- إن حماية اللغة من التهجين يتم عبر الوعي بأهمية اللغة في بنية الهوية الوطنية ، وضرورة حمايتها من كل التشوهات محافظة على خصائصها التركيبية .

- ضرورة فتح ورشات كبرى في الجزائر ، تتم فيها مناقشة وضع العربية في الجزائر ، والاستراتيجيات التي يجب اتخاذها لتوطيد مكانتها وتصحيح مسارها .

- الدعوة إلى وضع استراتيجيات تناقش ضرورة تعريب العلوم في التعليم العالي، وسبل تحقيقه .

- العناية بالعربية باعتبارها اللغة الموحدة والجامعة لكل الجزائريين ، وهي لا تقصي الأمازيغية التي نعتز بها ثقافة وتراثا .

- تشجيع البحث العلمي في اللغة العربية، على أن يكون بحثا جماعيا متعدد الاختصاصات أو الجوانب.

- اعتماد اللغة العربية في شتى مجالات البحث العلمية والتكنولوجية ، وبخاصة في مجال الشابكة أو الإنترنيت وهذا من شأنه أن يثري العربية ويساعد على بناء مجتمع المعرفة والإدارة الإلكترونية .

- العناية باللغة العربية في كل الملصقات واللافتات وعلى واجهات المحلات .

- التخفيف من وطأة العاميات واللغات الأجنبية التي تزاحم العربية ، وإقناع الناس بأن الدفاع عنها دفاع عن الأمة كلها ، ودفاع عن هويتها .

- تفعيل دور الأسرة في تعليم الأطفال اللغة العربية السليمة ، سواء بِحثِّهم على استعمال العربية في تعاملهم اليومي، أ م بتشجيعهم على المطالعة، ومشاهدة برامج الأطفال التي تقدم على التلفزيون باللغة العربية الحديثة .

- تهذيب لغة الطفل في المدرسة الجزائرية ، والاستفادة من مخزونه اللغوي عن طريق إنشاء معجم لغوي لما يرصده من مفردات وألفاظ تساعد الطفل على تلبية حاجاته والتعبير عن أفكاره ومشاعره ، والاستعانة بمعاجم اللغة الفصحى والعامية ومعاجم المصطلحات العلمية .

- العمل على توجيه الازدواجية اللغوية بين الفصحى والعامية ، واستثمار الزخم اللغوي خدمة للفصحى ، وتبقى المسؤولية مشتركة بين المدرسة والمحيط .

- دعوة المدارس إلى التفعيل اللغوي داخل الأنماط اللغوية السليمة ، وأن يكون المعلم قدوة في الاستعمال اللغوي السليم .

- تفعيل المكونات اللغوية في لغة الأطفال عن طريق تنظيم لغوي ، والاهتمام بأدب ومسرح الطفل .

المقرر العام

الأستاذ عمر لحسن

اليوم الدراسي
في
وسائل الإعلام

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرنكلين روزفلت ، الجزائر
الهاتف : 25/ 213 021.23.07.24 الفاكس: 213 021.23.07.07
ص.ب : 575 الجزائر - ديدوش مراد
www.csla.dz